المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
إهداء

إلى أمةٍ افتتح الله لها سورةً بحرف "ص" ، ليكون تحدياً للفصحاء والبلغاء، وإشارةً إلى أن القرآن العظيم ليس من كلام البشر.

إلى أمةٍ نزل فيها النداء الإلهي: {بَلِ الَّذِينَ كفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاق}، لتعلم أن العزة الحقيقية ليست في التكبر عن الحق، بل في الخضوع لله الواحد القهار.

إلى أمةٍ أمرها ربها أن تصبر على ما يقوله المكذبون، وأن تتذكر عبده داود ذا الأيد الأواب، الذي سخر الله له الجبال والطير تسبح معه، وشدّ ملكه وآتاه الحكمة وفصل الخطاب.

إلى أمةٍ تتدبر قصة أيوب عليه السلام، حين نادى ربه: {أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَاب}، فاستجاب له فكشف ضره وآتاه أهله ومثلهم معهم رحمة منه وذكرى لأولي الألباب.

إلى أمةٍ يذكرها ربها ببدء الخلق، حين قال للملائكة: {إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِين}، ثم نفخ فيه من روحه، لتعلم أن أصلها من تراب، وأن كرامتها في طاعة خالقها لا في الجبروت والتطاول.

إلى أمةٍ حذرها الله من عدوها الأول إبليس الذي أقسم بعزة الله ليغوينها، إلا عباده المخلصين.

إلى كل من يعاني من عزة الجاهلية وشقاق الكفر، فيظن أن الإيمان بالله الواحد القهار نقصٌ في كبريائه... إلى كل من يستعجل العذاب استهزاءً فيقول: {رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَاب} ... إلى كل من يعرض عن ذكر الله متكبراً...

إلى كل من يقرأ القرآن فيتدبره، ويعلم أنه ذكر للعالمين، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ليس بمتكلف ولا متصنع، بل نذير مبين...

إلى كل من يسعى ليكون من عباد الله المخلصين الذين قال فيهم ربهم: {إِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ المُصْطَفَيْنَ الأَخْيَار}.

أهدي هذا الجهد المتواضع، راجياً من الله أن يجعله تذكرة تنفع المؤمنين، ومصباحاً ينير دروب السائرين في طريق الصبر والإنابة والتواضع والعزة بالله.

ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

أحمد عبد الرزاق مربوش العامري

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية بكتاب "المفاهيم القرآنية من سورة ص"

عنوان الكتاب واسم المؤلف

يحمل الكتاب عنوان "المفاهيم القرآنية من سورة ص" ، وهو من

تأليف أحمد عبد الرزاق مربوش العامري،

بتدقيق ومراجعة الأستاذ منير عبده عثمان الصلوى.

موضوع الكتاب ومحتواه العام

يمثل هذا الكتاب دراسة تفسيرية تحليلية تربوية لسورة "ص" كاملة، حيث يستخرج المفاهيم القرآنية والتربوية والنفسية والحضارية من آياتها التي تبدأ من الآية الأولى وتنتهي بالآية الثامنة والثمانين . وقد قسّم المؤلف السورة إلى مشاهد قرآنية متكاملة، يتضمن كل مشهد تحليلا ً لغوياً وبيانياً مع التركيز الخاص على دلالة الحرف "ص" في افتتاح السورة، ثم استخلاص المفاهيم العملية والنفسية، يليها الدروس التربوية والفكرية، ثم أسس بناء الحضارة الإسلامية المستفادة من الآيات، وأخيراً مهارات حياتية عملية وأسئلة تدبرية مع النفس.

أهداف المؤلف وغاياته من هذا الكتاب

يسعى المؤلف من خلال هذا الكتاب إلى عدة أهداف رئيسية، أبرزها تفسير سورة "ص" تفسيراً موضوعياً يركز على المفاهيم الجوهرية لا على الشرح الحرفي المجرد، وكشف جذور الكفر والعناد عبر تحليل نفسية المشركين من خلال دراسة ظواهر العزة الكاذبة والشقاق والحسد والاستكبار التي تعوق قبول الحق .كما يهدف إلى تربية النفس على التواضع بتذكيرها بأصلها من طين، وفي الوقت نفسه غرس العزة الحقيقية المستمدة من نفخة الروح الإلهية .ويقدم الكتاب نماذج عملية للصبر والإنابة من خلال قصص داود وسليمان وأيوب وإبراهيم وغيرهم من الأنبياء، ويواجه ظاهرة الجمود الفكري و التقليد الأعمى المتمثلة في قول المشركين "ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة"، ويثبت أن القرآن وحي من الله وليس من عند بشر من خلال الإشارة إلى "المَلَإ الأعلى" واختصامهم، كما يحذر الأمة من فتنة الشيطان ويبين أهمية الإخلاص كحصن منيع.

منهج المؤلف وأسلوبه

اتبع المؤلف منهجاً تفسيرياً موضوعياً حركياً، يقوم على تتبع "المشاهد" القرآنية كوحدات درامية متكاملة، والجمع بين التحليل العقلي البرهاني والتحليل الوجداني التربوي ليخاطب القلب والعقل معاً . كما اعتمد على منهج المقارنة بين نعيم المتقين وعذاب الطاغين، وبين طاعة الملائكة وعصيان إبليس، واستند إلى أمهات التفاسير كالطبري والقرطبي والزمخشري وابن عاشور وسيد قطب وابن كثير، مع انتقاء اللطائف البيانية والتربوية منها .ومن السمات البارزة لمنهجه الربط الوثيق بين آيات السورة في بدايتها ونهايتها، خاصة في معالجة قصة المَلَإ الأعلى واختصامهم.

أما أسلوب الكتاب فيتميز بالخطابية المباشرة، حيث يخاطب القارئ بعبارات مثل "أيها القارئ الكريم" و"أيها السائر في دروب التدبر"، ويحرص على طرح أسئلة تدبرية في نهاية كل مشهد لتحويل القراءة إلى حوار حي مع النفس، كما يستخدم الأمثلة التقريبية المستمدة من واقع العمل والدراسة والحياة اليومية، ويكثف من تقديم "الخلاصات المركزة" في نهاية كل مقطع لتثبيت الأفكار الرئيسية.

ما يمتاز به هذا الكتاب عن غيره من التفاسير

يختلف هذا الكتاب عن غيره من التفاسير التقليدية في عدة جوانب .فبينما تركز التفاسير الكلاسيكية على فهم النص لفظاً ومعنى، فإن هذا الكتاب يهدف أساساً إلى استخلاص مفاهيم عملية لبناء الشخصية الإسلامية المتكاملة .كما أنه لا يقسم السورة حسب الآيات أو الموضوعات التقليدية، بل يقسمها وفق "المشاهد الدرامية" مثل مشهد العزة الكاذبة ومشهد الحوار مع المشركين ومشهد داود ومشهد سليمان .ويتميز بالربط المستمر والقوي بالواقع المعاصر من خلال تطبيقات في مجالات العمل والأسرة والمجتمع، كما يولي اهتماماً استثنائياً بقصة "المَلَإ الأعلى" ويحللها تحليلا ً عميقاً، ويفرد فصولا ً كاملة لتحليل سيكولوجية المشركين من حسد واستكبار وعزة وشقاق وتقليد أعمى، ويتوسع

في بحث دلالة الحرف "ص" كتحدٍ وإعجاز وكرمز للصبر، وهي قضايا لا تجد مثل هذا التفصيل في المصادر التفسيرية الأخرى.

ثمار قراءة هذا الكتاب

يستفيد القارئ من هذا الكتاب على عدة مستويات .إيمانياً، يرسخ فهم حقيقة العزة بأنها لله ولرسوله وللمؤمنين وليست تكبراً على الحق، ويقوي اليقين بعدل الله من خلال مشاهد إهلاك الظالمين وإثابة المتقين، ويعرّفه بصفات عباد الله المخلصين الذين لا سلطان للشيطان عليهم .تربوياً ونفسياً، يبني الكتاب "القلب الأواب" كثير الرجوع إلى الله عند الزلل، ويعالج عقدتي الحسد والاستكبار عبر تحليل نفسية إبليس والمشركين، ويعلّم الصبر الجميل من قصة أيوب والصبر المقترن بالعمل من قصة داود، ويوضح كيفية التعامل مع الشيطان الذي أقسم على إغواء بني آدم .عملياً وسلوكياً، يرشد الكتاب إلى تطبيق مبدأ "لا تتكلف" في الدعوة والعبادة كما أمر الله نبيه، واستحضار مشاهد القيامة لتكون رادعاً عن المعاصي، ويعلم أن القرآن "ذكر للعالمين" فيجب التعامل معه كتذكرة يومية لا ككتاب يُقرأ للتبرك فقط .فكرياً، يعلّم الكتاب التمييز بين العزة الحقيقية والعزة الكاذبة، ويفهم سنن الله في هلاك الأمم المكذبة للرسل، ويدرك أن معرفة الغيب لا تكون إلا بالوحي، وأن النبي لم يكن يعلم بالمَلَإ الأعلى إلا بإعلام الله.

المصادر الرئيسية التي اعتمد عليها المؤلف

اعتمد المؤلف على مجموعة واسعة من المصادر التراثية والمعاصرة .في التفسير، استفاد من تفسير الطبري) جامع البيان(، وتفسير القرطبي) الجامع لأحكام القرآن(، وتفسير الزمخشري) الكشاف(، وتفسير ابن عاشور) التحرير والتنوير(، وتفسير سيد قطب) في ظلال القرآن(، وتفسير ابن كثير، وتفسير الرازي)مفاتيح الغيب(، وتفسير الشنقيطي) أضواء البيان(، وصفوة التفاسير للصابوني .في الحديث والتربية، اعتمد على صحيح البخاري وصحيح مسلم، ومدارج السالكين لابن القيم، وإحياء علوم الدين للغزالي . في السيرة النبوية، استعان بالسيرة النبوية لابن هشام، والرحيق المختوم، وفقه السيرة للغزالي .في اللغة والمعاجم، رجع إلى لسان العرب، والقاموس المحيط، ومقاييس اللغة .في الفكر والحضارة، استفاد من أعمال مالك بن نبي وعلي عزت بيغوفيتش ومصطفى السباعي، وفي السنن الإلهية اعتمد على كتب الدكتور سعيد حوى والدكتور عبد الكريم زيدان.

الفئة المستهدفة

يوجه الكتاب إلى المهتمين بتدبر القرآن الكريم من الدعاة والمربين والباحثين في التفسير الموضوعي، كما يخاطب كل من يعاني من الكبر أو الحسد أو التقليد الأعمى، وكل من يريد بناء شخصيته على منهج الأنبياء، وهو مفيد بشكل خاص للراغبين في تحويل علاقتهم بالقرآن من مجرد تلاوة إلى تدبر وعمل ومنهاج حياة.

خاتمة

في ختام هذه البطاقة التعريفية، يمكن القول إن كتاب "المفاهيم القرآنية من سورة ص" ليس مجرد تفسير تقليدي لسورة "ص"، بل هو رحلة تربوية إيمانية متكاملة تعيد بناء النفس من خلال كسر حاجز العزة الكاذبة، وتقديم نماذج عملية للصبر والإنابة من حياة الأنبياء، وتذكير القارئ بأصل خلقته من طين وكرامته بنفخة الروح، ليعيش متواضعاً عزيزاً بالله، عابداً مخلصاً، بعيداً عن كيد الشيطان ومكائده.

بسم الله الرحمن الرحيم
بطاقة تعريفية بسورة ص

الاسم والترتيب والنزول

تُعرف السورة رسمياً باسم "سورة ص"، وسميت بذلك لافتتاحها بالحرف المقطع "ص"، ويُقال لها أيضاً "سورة داود" .وهي سورة مكية بالإجماع، نزلت في الفترة ما بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء و المعراج، وتحديداً في العام الثالث قبل الهجرة .ترتيبها في المصحف هو الثامنة والثلاثون، وهو نفسه ترتيب نزولها) السورة .(38 بلغ عدد آياتها 88 آية، وعدد كلماتها 735 كلمة، وعدد حروفها 2991 حرفاً.

سبب التسمية

سُميت السورة بهذا الاسم لابتدائها بالحرف المقطع "ص"، وهو أحد الحروف التي تفتتح بها بعض سور القرآن لإظهار الإعجاز والتحدي.

محتوى السورة وموضوعاتها

تتناول سورة ص مجموعة من الموضوعات المركزية التي تشكل محاورها الأساسية، والتي تتوزع على النحو التالي:

أولا ً: تتحدث السورة في بدايتها عن موقف الكفار من القرآن، حيث تستعرض جحودهم واستكبارهم وعنادهم، وترد على استغرابهم وتعجبهم من دعوة التوحيد.

ثانياً: تنتقل السورة إلى تذكير المشركين بما حلّ بالأمم السابقة المكذبة لرسلها من عذاب ونكال، كقوم نوح وعاد وثمود، لتكون لهم عبرة وعظة.

ثالثاً: تحتل قصص الأنبياء مساحة كبيرة من السورة، وتشمل:

· قصة داود عليه السلام وما فيها من حكمة وإيتاء الملك والفصل في الخصومة.
· قصة سليمان عليه السلام وتسخير الريح والشياطين له.
· قصة أيوب عليه السلام وبلائه وصبره الجميل.
· الثناء على إبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذي الكفل.

رابعاً: تنتقل السورة بعد ذلك إلى وصف مآل الفريقين في الآخرة، فتصور ما أعدّه الله للمتقين من نعيم مقيم، وما أعده للطاغين من عذاب أليم.

خامساً: تختتم السورة بجانب من قصة خلق آدم وإبليس، مسجلة أولى حلقات الصراع بين الخير و الشر، ومقررة أن الشيطان عدو مبين لبني آدم.

المقاصد العامة للسورة

تتجه سورة ص نحو تحقيق عدة مقاصد رئيسية، منها: إقامة الأدلة والبراهين على وحدانية الله وقدرته المطلقة، وإثبات صدق النبي صلى الله عليه وسلم فيما يبلغه عن ربه، وتقرير حقيقة البعث و الجزاء، ثم الرد على شبهات المشركين وتفنيد حججهم الواهية، وبيان نصرة الله لجنده وعزة المؤمنين وتأييدهم، وتسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من قومه، وتوجيهه إلى الصبر الجميل، وتقديم نماذج عملية من سير الأنبياء في التعامل مع الابتلاءات والشدائد.

سبب النزول

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما سبباً لنزول صدر السورة، وهو أن أبا طالب لما مرض، جاءته قريش واشتكت إليه من النبي صلى الله عليه وسلم، فقالوا له سل ابن أخيك أن يكف عنا، فسأله: "يا ابن أخي، ما تريد من قومك؟"، فقال النبي: "يا عم، إني أريد منهم كلمة واحدة تذل لهم بها العرب وتؤدي إليهم العجم الجزية"، قالوا: أي كلمة؟ قال: "لا إله إلا الله"، فتعجبوا وقالوا: "أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ إن هذا لشيء عجاب"، فنزل قول الله تعالى:} ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ {...إلى قوله:} إِنْ هَـٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ.{

السجدة في سورة ص

توجد في السورة سجدة تلاوة عند الآية24 ، وهي سجدة شكر، وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سجد فيها، وقال: "سجدها داود توبة، ونسجدها شكرا" .ومع أنها ليست من عزائم السجود، إ لا أن السجود فيها مندوب إليه.

صلة السورة بما قبلها) الصافات(

تشير بعض المصادر إلى أن سورة ص تأتي كمتممة لسورة الصافات التي سبقتها، فقد ذكرت هذه ما لم تذكره تلك من قصص الأنبياء، كداود وسليمان.

ما تدعو إليه السورة

تدعو سورة ص إلى النظر في ملكوت السموات والأرض للاعتبار والعظة، والإنابة إلى الله والرجوع إليه عند الخطأ، والتمسك بالحق والصبر عليه مهما اشتدت الضغوط، والاقتداء بالأنبياء والصالحين في صبرهم ويقينهم وثباتهم على دين الله.

بسم الله الرحمن الرحيم،

المقطع الاول

اولا

أما بعد، أيها القارئ الكريم، فدعني آخذ بيدك في رحلة مع آياتٍ من كتاب الله، لا نقرؤها قراءة العابرين، بل نغوص في أعماقها غوص الباحثين عن الدرر، ونستنطق حروفها استنطاق الأحياء الباحثين عن هدىً في ظلمات الواقع .نحن على موعد مع فواتح سورة) ص(، تلك السورة التي تهزّ أركان الكبرياء البشري، وتضع أمامنا خارطة طريق للنجاة من دائرة الصراع والشقاق.

تأمل معي، كيف يبدأ المولى تبارك وتعالى خطابه؟ إنه لا يبدأ بتهديد، ولا بوعيد، بل يبدأ بحرفٍ يهزّ الوجدان:) ص .(إنها كالصاعقة الهادئة التي توقظ الغافل، إنها طرقٌ على باب القلب قبل أن يكون خطاباً للعقل .لقد شاء الله أن يفتتح هذه السورة بهذا الحرف المبهم ليقول لنا جميعاً: توقفوا عن ضجيج الحياة للحظة، وانصتوا .انصتوا لهذا الحرف الذي يحمل في طياته سرّ التحدي وعظمة البيان.

وإليك التفصيل الذي أردت ،ان نغوص فيه معاً كما يغوص الغواص في بحر لجي، يخرج منه باللآلئ، نسأل الله أن يفتح علينا من بركات كتابه.

المقدمة وأهداف السورة ومقاصدها

قبل أن نفتح مغاليق الحروف، لا بد أن نفهم في أي أرضية نقف.
سورة) ص (مكية، نزلت في وقت كان النبي صلى الله عليه وسلم فيه في قمة المواجهة مع عناد قريش واستكبارهم.
الهدف الأسمى للسورة: هو تثبيت فؤاد النبي صلى الله عليه وسلم، وتصحيح مفهوم "العزة" في نفوس المؤمنين، وكشف سيكولوجية المعاندين.
ومقصدها الأعمق: أن تعلمنا أن الصراع بين الحق والباطل ليس صراع أدلة، بل هو صراع) عزة (باطلة في وجه) ذكر (حق .إنها معركة الأنفس قبل أن تكون معركة الكلام.

الأمر الأول: قوله(ص والقرآن ذي الذكر)

دعنا نقف هنا وقفة المتأمل المندهش، لأنك أيها القارئ اللبيب أمام مفتاح من أعظم مفاتيح الغيب.

١/ ماذا تعني) ص(؟

المفسرون قالوا فيها أقوالا ً، لكن أرجحها وألصقها بالسياق:

· ص: تحدٍّ .إنه حرف من حروف لغتكم، أيها العرب الفصحاء، فهذا القرآن الذي تتهمونه بالسحر مؤلف من نفس هذه الحروف) ص، ق، ن، م(، فلماذا عجزتم عن الإتيان بمثله؟
· ص: صدق .وكأن الله يقول لعبده: صدق الله العظيم، صدق الوحي، صدق الرسول.
· ص: صبر .إشارة إلى أن الطريق الآتي في السورة مليء بقصص الأنبياء الذين صبروا) داود، سليمان، أيوب(، فاصبر كما صبروا.

٢/ دلالة افتتاح السورة بهذا الحرف) التحدي والإعجاز(

يا من تقرأ هذه السطور، هل شعرت يوماً وأنت تفتح المصحف على سورة تبدأ بـ)ص (أنك تدخل ميداناً للمبارزة الفكرية؟

· إثبات التحدي وإعجاز القرآن: العرب كانوا أمة البيان، يتفاخرون بالشعر والخطابة، فجاءهم حرفٌ واحدٌ) ص (ليقول لهم بصمتٍ يزلزل الجبال: هذا الكلام من جنس كلامكم، ولكنه من عند من أحاط بكل شيء علماً .إنه ليس شعراً ولا كهانة، إنه) قرآن ذي الذكر.(
· اللمسة البلاغية: حرف) ص (فيه صفير وقوة .في النطق به همس وجهر .إنه حرف يلفت السمع قسراً .إنه كجرس الإنذار: توقف، ثم اسمع ما بعده.

٣/ ما الذي يتوجب علينا بعد تقرير أن القرآن حق ومعجزة؟

السؤال الموجع: بعد أن أيقنا أن هذا الكتاب هو الحق من ربنا، ماذا فعلنا به؟ هل عاملناه كمعجزة أم كتراث؟

· الواجب العملي: تعظيمه وتدبره .تعظيمه بأن لا يوضع تحت الكتب، ولا يقرأ بلا وضوء ونية، وتدبره بأن لا تكون همّنا آخر السورة بل همّنا ماذا غيرت فينا الآية.
· بركة العمر والمال: تريد بركة في وقتك فلا يكفيك اليوم إلا بإنجاز عظيم؟
تريد بركة في مالك فلا تنفقه إلا في خير ويعود عليك أضعافه؟
اجعل القرآن رفيقك .فالبركة ليست في كثرة العدد، بل في نور البصيرة الذي يمنحه لك) ذو الذكر.(

٤/ أهمية ووجوب تعظيم القرآن الكريم) الدلالات والرسائل(

· الرسالة التربوية: الطفل الذي يرى أباه يقبّل المصحف ويضعه على رف عالٍ، يتربى على تعظيم مصدر التلقي .تعظيم القرآن هو تعظيم للمتكلم به وهو الله جل جلاله.
· الرسالة النفسية: في زمن القلق والاضطراب، تعظيم القرآن يمنح النفس) إطاراً مرجعياً (ثابتاً .أنا لست تائهاً، أنا لديّ) ذكر (أحتكم إليه.
· الرسالة الفكرية: لا يمكن لنهضة أمة أن تقوم وكتابها المقدس مهجور أو يُتعامل معه كديكور .تعظيم القرآن فكرياً يعني إعادته إلى مركز الصدارة في التشريع والحياة.

الأمر الثاني:(والقرآن ذي الذكر)

١/ ماذا يعني) ذي الذكر(؟

يا ترى، لماذا لم يقل(والقرآن المبارك) او (القرآن الحكيم)هنا تحديداً؟
لأن السياق يحتاج إلى وصف يردع المستكبرين.

·) ذي الذكر(: صاحب الشرف والرفعة الذي لا يطاوله طاول.
·) ذي الذكر(: صاحب التذكير .كل ما فيه يذكرك بفطرتك الأولى .يذكرك أنك عبد .يذكرك أن لك رباً . يذكرك بالموت .يذكرك بالآخرة.
· اللمسة البيانية:) الذكر (ضد) النسيان .(هؤلاء الكفار في غفلتهم نسوا الله، فجاءهم القرآن ليكون ذكرى .فإذا أعرضوا عن الذكرى، فهم في غيبوبة عقلية.

٢/ لماذا أقسم الله بالقرآن ووصفه بذي الذكر في بداية السورة؟

لأن الله يقسم لنا أن هذا الكتاب هو الحل الوحيد لمرض) العزة والشقاق (الذي ستراه في الآية التالية.

· التربية الإيمانية: القسم بالقرآن يعني أن هذه الأداة هي قسم يمين الله .أتظن أن شيئاً يقسم الله به يكون عادياً؟ إنه أعظم ما تملك البشرية.
· رسالة فكرية للواقع: عندما يضل العالم في متاهات الفلسفات المادية، يأتي القرآن) ذي الذكر (ليكون البوصلة .إنه يذكرنا بأن العلم بلا أخلاق جريمة، والقوة بلا رحمة طغيان.
الأمر الثالث: الجمع بين التحدي والقسم في(ص والقرآن ذي الذكر)

١/ دلالة اجتماع التحدي والقسم

انظر إلى عظمة النظم القرآني:) ص (فيه تحدٍ بحرف،) والقرآن (قسمٌ بكتاب .الجمع بينهما يقول لك: إن المعجزة لم تعد مجرد دليل على الصدق، بل هي المنهج الذي يجب أن تسير عليه.

· المعجزة ليست فقط أن ينشق القمر، بل أن يُصلح القرآن القلوب المتنافرة.

٢/ كيف تثبت الآية أن المعجزة هي عين المنهج؟

المعجزة هنا) القرآن (لم تأتِ للترفيه، بل جاءت لتكون) ذكراً(، أي طريقة حياة.

· عندما يتحول النص المقدس إلى دستور للتعامل المالي والاجتماعي، فهنا تتحول المعجزة من حدث تاريخي إلى واقع معاش .إنه كتاب يذكرك بالله وأنت في سوق الأسهم، ويذكرك بالله وأنت في محكمة القضاء .هذه هي المعجزة المستمرة.

٣/ علاقة افتتاح سورة ص بختام سورة الصافات

تأمل بربك هذا الربط البديع! في آخر الصافات قال الله:) فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ * وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ(، ثم ختمت بـ) وَالحَمْدُ لِلهِ رَبِّ العَالَمِينَ.(
وفي بداية) ص (يأتينا الجواب العملي: بماذا نتولى عنهم؟ نتولى عنهم بـ) القرآن ذي الذكر .(نحمده على نعمة القرآن التي تعصمنا من أن نكون مثلهم في) عزة وشقاق.(

· هل نحمد الله على نعمة القرآن؟
نعم، حمداً يليق بجلاله .هل تشعر أنك لو أُعطيت الدنيا وما فيها ولم تعط القرآن، كنت من الخاسرين؟ إن حمد الله على القرآن يعني أن تجعله مذكراً دائماً، رفيقاً في السيارة، أنيساً في الوحدة، دواءً للهم.

٤/ هل أعيش مع القرآن كمذكر أم كنصوص جامدة؟

اسأل نفسك الآن بصدق: عندما تفتح المصحف، هل تنتظر أن تسمع جواباً لسؤالك؟ أم أن عينيك تجريان على السطور وقلبك في وادٍ آخر؟

· كيف تجعل القرآن) ذا ذكر (في حياتك؟
1. النية: قبل القراءة قل: اللهم اجعلني ممن يذكر به.
2. الربط الواعي: إذا سمعت آية عن الصبر، تذكر موقفاً عصيباً تمر به وقل: هذا خطاب لي الآن.
3. التفاعل: إذا سمعت آية رحمة فاسأل الله من فضله، وإذا سمعت آية عذاب فتعوذ بالله .بهذا يصبح القرآن حياً، لا مجرد حبر على ورق.
الأمر الرابع:
(بل الذين كفروا في عزة وشقاق)

الآن ندخل إلى تشريح المرض النفسي والفكري الذي دفع بالبشرية إلى هاوية الرفض.

١/ دلالة استخدام) بل (هنا

بل هنا تسمى) بل الإضرابية .(معناها: دعكم من الحديث عن كون القرآن حقاً ومعجزة، دعكم من الأ دلة والبراهين، فالمشكلة ليست في نقص الدليل، بل في مرض الإرادة .إنها حرف يفصل بين عالم)الذكر (وعالم) الاستكبار .(وكأنها تقول: لا تتعجب من كفرهم بعد كل هذا البيان، فالسبب هو) بل.(

٢/ نوع العزة التي تمنع من قبول الحق والفرق بين العز والتعزز

· العزة الزائفة) التعزز(: هي أن ينتفخ الإنسان بغير الحق، أن يقول) أنا (قبل أن يقول) ربي .(إنها عزة الجاهلية: عزة الإثم.
· مثال حي: موظف يرفض تعليمات مديره الصحيحة لئلا يقال إنه ضعيف .هذا) تعزز (مهلك.
· العزة الحقيقية:) ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .(هي عزة العبودية لله .هي أن ترفع رأسك لأنك لا تركع إلا لله .هي أن تقول الحق ولو على نفسك لأنك عزيز بالله.
· كيف أتخلص من التعزز؟ بطريقة واحدة: أن تتمرغ في تراب العبودية .أن تعلم أن قيمتك ليست بمنصبك ولا بمالك، بل بقربك من الله .إذا جاءك الحق فقبله، فذلك يزيدك عزاً عند الله.

اللمسات التربوية والنفسية

يا أيها القارئ الكريم، كم من فرصة ضاعت منا، وكم من علاقة تحطمت، بسبب هذه) العزة (التي تحدثت عنها الآية؟ كم مرة أصررت على رأي خاطئ في نقاش مع زوجتك أو زميلك لمجرد أنك لا تريد أن) تنكسر (أمامه؟ تلك هي العزة التي نزلت الآية لتكسرها.
الأمر الخامس: دلالة(عزة وشقاق)

١/ ماذا تعني كلمة) شقاق(؟

إنها كلمة مخيفة .الشقاق مشتق من الشِق، وهو الجانب أو النصف .عندما يتشاق شخصان، يصبح كل واحد منهما في) شق (و) جانب (بعيد عن الآخر .إنها القطيعة المركبة.

· الفرق بين الخلاف والشقاق: الخلاف في الرأي رحمة وتنوع بشري، لكن الشقاق هو الخلاف الذي يؤدي إلى العداوة والقطيعة واستنزاف الطاقة في الصراع لا في البناء.

٢/ خطورة الاختلاف الشقاق ودائرة التخلف المغلقة

لقد لخصت الايه ببراعة العلاقه بين التخلف والاختلاف بمعادلة: تخلف = اختلاف، واختلاف = تخلف .إنها لعنة الأمم.

· عندما نكون في) عزة (– أي كبر – فإننا سنقع حتماً في) شقاق (– أي صراع داخلي .وعندما ننشغل بالصراع الداخلي) شقاق(، فإننا نتخلف عن ركب الحضارة) تخلف(، وهذا التخلف يورث الشعور بالنقص الذي يدفعنا لمزيد من العزة الكاذبة تعويضاً عن الهزيمة.
· الخروج من الدائرة: بقبول الحق .أن تقبل الحق هو كسر لهذه الدائرة .أن تسمع من خصمك فتقول: أصبت .هذه الكلمة هي التي تقطع الشقاق، وتوحد الصف، وتدفع عجلة النهضة.

اللمسات البيانية والتربوية

· التربية العملية: إذا أردت أن تنهض بأسرتك، فابدأ بمراجعة) عزتك (أمام زوجتك وأولادك .هل أنت مستبد؟ هل ترفض سماعهم؟ تخلص من العزة يختفي الشقاق من بيتك.
· الفكر: المجتمعات التي تغلق باب الاجتهاد وتقدس الأشخاص وتعتبر النقد جريمة، هي مجتمعات تعيش في) عزة وشقاق (ولو صلت وصامت.

الأمر السادس:
الإسقاط الاستراتيجي على واقعنا المعاصر(رؤية تحليلية عميقة)

هنا مكمن الخطر والفائدة .كيف نحول هذه الحروف إلى طاقة حياة؟

الموضوع الأول: المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية من الآية

.1المفهوم الفكري: قيمة الوحي ومرجعية الذكر
· التحليل: في عصر المعلومات المضطربة، نحتاج إلى) ذكر (مرجعي ثابت .الشاب الذي يقرأ في الفلسفة الغربية بلا أساس قرآني، كمن يبني ناطحة سحاب على رمال متحركة .الآية تؤصل أن القرآن هو الفلتر الذي نزن به كل فكر.
· الرسالة الذهنية: ابن عقلك على) الذكر(، ثم طالع ما شئت من كتب الدنيا، فستكون ناقداً بصيراً لا مقلداً أعور.
.2المفهوم النفسي: تحليل العناد والكبر) سيكولوجية المعارض للحق(
· التحليل: لماذا يرفض بعض الناس الإسلام مع وضوحه؟ ليست المشكلة عقلية محضة، بل نفسية .)في عزة وشقاق (تفسر لنا ما يسمى في علم النفس بـ "الإدراك الانتقائي" أو "التنافر المعرفي" .الإ نسان يرفض الحق ليحمي صورته الذهنية عن نفسه) الأنا - الإيجو.(
· تطبيق عملي في الدعوة: لا تخض مع صاحب العزة جدالا ً عقلياً صرفاً، بل اكسر عزته بالرفق والحب والتواضع .عامل المستكبر بخلق عظيم لعله يراجع كبرياءه.
.3المفهوم التربوي: الاعتزاز بالهوية
· التحليل: التربية الحديثة تصرخ: كن واثقاً من نفسك! لكن الآية تقول: كن عزيزاً بالحق .الثقة بـ النفس المجردة إن لم تكن مقيدة بالحق تتحول إلى غطرسة .علموا أولادكم أن يقولوا: "لا أدري" إذا لم يعلموا، فهذه هي العزة الحقيقية.
· اللمسة الوجدانية: شعورك بالعزة لا يأتي من ماركة ثيابك، بل من كونك تحمل) قرآناً ذا ذكر (في صدرك.
الموضوع الثاني:
تحويل الآيات إلى مفاهيم عملية وسلوكية تطبيقية

دعنا نلبس هذه المعاني لباس العمل اليومي:

.1المرجعية المهنية) الذكر(: في مشروعك التجاري، هل لديك) ذكر (مهني؟ أي دستور أخلاقي وقيم حاكمة؟ النجاح المستدام لا يقوم على الاحتيال والتحايل) وهذا من التعزز(، بل على الصدق والأمانة)وهذا من الذكر .(الذكر يصنع لك ذكراً حسناً) سمعة طيبة (بين الناس.
.2الذكاء العاطفي ومحاربة الأنا) العزة(: في بيئة العمل، المدير الناجح هو من يقول: "هذه الفكرة من

الموظف فلان، جزاه الله خيراً" .المدير الفاشل هو من يسرق الأفكار أو يرفض النقد) عزة وشقاق .(التواضع المعرفي هو أقصر طريق للترقي.
.3إدارة الخلاف وتجنب الاستنزاف) الشقاق(: كيف تختلف مع زميلك دون أن ينقطع حبل الود؟ افصل بين الشخص والفكرة .قل: "أنا أحترمك جداً، لكني أختلف مع هذه الجزئية من وجهة نظر كذا" . هذا يمنع الشقاق .إذا تحول الخلاف إلى شخصنة، تذكر أنك وقعت في مصيدة الشقاق التي حذرت منها الآية.
.4التركيز على الجوهر لا الشكليات) ص(: الحروف المقطعة تذكرنا بأن القيمة في الجوهر لا في المظهر الخارجي .في حياتنا العملية، نهدر أوقاتاً طائلة في تحسين) البوربوينت (أكثر من تحسين الفكرة نفسها .اهتم بجوهر الفكرة ومحتواها) الذكر(، لا بزخرف القول) العزة.(
.5الاستثمار في القيم المعنوية) القسم بالقرآن(: الالتزام بالمواعيد، كلمة الحق، رد الأمانة ...هذه قيم قرآنية .قد تخسر صفقة سريعة بسبب أمانتك، لكنك ستربح رأس مال لا يُقدر بثمن وهو الثقة .وهذا استثمار طويل الأجل.
.6السمو في الخصومة) الترفع عن الشخصنة(: عندما تختلف مع أحدهم، تذكر أنك قد تكون أنت المخطئ .الشقاق هو أن ترى نفسك في جانب والحق في جانب آخر .كن مع الحق أينما كان، ولو ضد نفسك.
.7قوة التأثير بالحق لا بالصوت العالي: إذا كان ما تقوله حقاً وذكراً، فلماذا الصراخ؟ العزة الزائفة تحتاج إلى صخب لتغطية هشاشتها الداخلية .أما الحق فله قوة الهدوء وقوة السكينة.
.8التحرر من ضغط الجماعة السلبي: في مجتمع قد يسخر من الملتزمين أو الصادقين، تجد في) ص والقرآن ذي الذكر (سنداً .أنت لست وحدك، أنت مع كتاب الله .هذه الآية تحررك من الخوف من "الشقاق" مع الجماعة إذا كانت جماعة ضالة.
الموضوع الثالث:
كيف أعيش الآية في واقع حياتي؟) خطة عمل(

· الخطوة الأولى: المعاهدة الصباحية: قبل أن تفتح جوالك، افتح مصحفك .تعامل معه بتعظيم) طهارة، مكان هادئ .(هذا يهيئ النفس لاستقبال الذكر.
· الخطوة الثانية: استبدال الأسئلة: لا تسأل نفسك: "ماذا سيقول الناس عني؟") هذه عزة(، بل اسأل: "ماذا يقول القرآن عن هذا الموقف؟") هذا ذكر.(
· الخطوة الثالثة: ترياق الكبر: كلما وجدت نفسك ترفض نصيحة، قف لحظة .اسأل نفسك: هل أرفضها لأنها خطأ، أم لأنها جرحت كبريائي) عزة(؟ إذا كانت الثانية فاقبلها فوراً .هذا الجهاد الأكبر.
· الخطوة الرابعة: مد جسور لا قطعها: في خلاف مع زوجتك أو أخيك، بادر أنت بالصلح .اكسر دائرة الشقاق ولو تنازلت عن بعض حقك .تذكر أن الأجر عند الله أعظم من نشوة الانتصار.
الموضوع الرابع: أبعاد الآية وآفاقها

· البعد المعرفي: الآية تفتح لك باباً لتقرأ القرآن قراءة مختلفة .اقرأه باحثاً عن) الذكر(، أي ما يذكرك بفطرتك ورسالتك .ساعتها ستجد أن القرآن يتحدث عنك.
· البعد الاجتماعي: انظر إلى المجتمعات العربية والإسلامية الممزقة .أليس هذا هو) الشقاق (نتيجة)العزة (الكاذبة عند بعض الحكام والساسة؟ الوحدة لا تكون إلا تحت راية) الذكر.(
· البعد التاريخي: أين عاد وثمود وفرعون؟ أخذتهم) العزة بالإثم .(تاريخهم عبرة لمن يقرأ) الذكر.(
الخاتمة: ماذا نتعلم وماذا ندعو إليه؟

نحن نتعلم أن القرآن ليس كتاب تراتيل، بل كتاب تغيير .إنه يدعونا لمعركة داخلية شرسة: معركة تحطيم الصنم الداخلي) الأنا (قبل تحطيم الأصنام الخارجية.

أخي القارئ، أختي القارئة:
اخرج من هذه الرحلة وقد عزمت على أن تجعل ل-) ص (صدى في حياتك:

· ص: صِدق في القول والعمل.
· ص: صَبر على البلوى.
· ص: صِلة بالقرآن لا تنقطع.

واخرج وقد أيقنت أن الكنز ليس في أن يقال لك) فلان عزيز(، بل في أن يقال لك: هذا عبد من عباد الله) الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .(هؤلاء هم الذين خرجوا من دائرة) العزة والشقاق (إلى رحاب) الذكر والسكينة
ثانيا

الآن، وقد وقفنا معًا على أعتاب السورة، وسمعنا زئير الحروف) ص(، وشهدنا القسم العظيم ب-) القرآن ذي الذكر(، ورأينا بأعيننا كيف تشخّص الداء في) عزة وشقاق(، تأتي الآية الثالثة لتهزنا هزًا عنيفًا .إنها ليست مجرد آية، بل هي صافرة إنذار تدوي في أرجاء التاريخ، صيحة فزع تخرج من قبور الماضين لتصيح في وجوه الأحياء: الحقوا بأنفسكم قبل فوات الأوان!

هذه الآية هي الرد العملي المباشر على تلك العزة الكاذبة، إنها تقول لمن ينتفخ زهوًا بقوته أو ماله أو جاهه: "انظر خلفك، تأمل في مصارع الغابرين، واسأل نفسك: أين ذهب أصحاب العزة الأولى؟".

دعنا نبحر في هذه الآية المهيبة، لنستخرج من رحم التحذير بشارات النجاة.
تفسير الآية الكريمة: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾

مقدمة الآية ومقاصدها الأساسية

بعد أن وصف الله -عز وجل- حالة المكذبين المعاصرة للنبي صلى الله عليه وسلم بأنهم غارقون في)عزة (و)شقاق(، يأتي هذا الاستفهام ليوقظهم من غفلتهم .وكأنه يقول: "إن كان كبركم يمنعكم من النظر في صدق القرآن، فانظروا إلى التاريخ! التاريخ الذي كتبناه نحن بأيدينا) كم أهلكنا(" .الآية تنتقل من وصف الداء النفسي) العزة والشقاق (إلى عرض النتيجة الحتمية لهذا الداء) الإهلاك(
.مقصدها الأعظم: نقل المشهد من الغرور بالحاضر إلى الاعتبار بالماضي، لعل النفوس تلين، وتعود إلى رشدها قبل أن تدركها صيحة) لات حين مناص.(
تحليل عناصر الآية ومفرداتها
1/ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾: سؤال التاريخ المرعب

· دلالة) كم(: هي هنا خبرية تفيد التكثير .إنها لا تسأل عن عدد معين؛ لأن العدد كبير جدًا، هائل، مفزع .إنها كمن يرى أمواجًا متلاطمة من المهلكين فيقول: "كم من أمة؟! كم من قرية؟! كم من جبار؟!" .إنها لفظة تحمل في طياتها رهبة الإحصاء الإلهي الذي لا يخطئ، ف-) كم (هنا تدل على كثرة لا يحصيها إلا الله من الأمم التي أهلكها بسبب تكبرهم وعنادهم.
· اللمسة التربوية: هذه ال-) كم (تجعلنا نسأل أنفسنا: في أي صف نقف؟ هل نحن في صف من اعتبر ، أم في صف من انتظر دوره في الإهلاك؟ إنها تدفعنا لمراجعة تاريخنا الشخصي: كم من نعمة أهلكناها بالمعصية؟ كم من فرصة نجاة أضعناها بالتسويف؟

2/ ﴿مِن قَبْلِهِم﴾: عبرة قريبة من الزمان والمكان

هذا الظرف) من قبلهم (يربط الواقع بالتاريخ القريب .فكفار قريش كانوا يمرون على ديار ثمود في رحلاتهم، ويرون آثار قوم عاد، ويسمعون أخبار قوم لوط .لم تكن هذه الأمم أساطير الأولين، بل كانت آثارهم شاهدة على صدق الوعد الإلهي .هذا القرب يزيد التهديد قوة، فكأنما يُقال لهم: "لستم أول من طغى، ومن قبلكم ليسوا ببعيدين عنكم، فاعتبروا بمن ترون آثارهم".

3/ ﴿مِّن قَرْنٍ﴾: وهم القوة الجماعية

كلمة "القرن" هنا لا تعني بالضرورة مائة سنة، بل تعني الجيل الكامل من الناس الذين اقترنوا واجتمعوا في زمن واحد، وكانوا أصحاب شأن وقوة وحضارة .إنه جيل بأسره، بحضارته وقوته ونظامه، وليس مجرد أفراد متفرقين .وهذا يزيد في التهويل؛ فالله لم يهلك فردًا واحدًا فحسب، بل أهلك أمة بأكملها، محا حضارة من الوجود، لأنها قامت على الباطل والعزة بالإثم.

4/-﴿فَنَادَوا﴾: صرخة في الوقت الضائع

هذا هو المقطع الأكثر إيلامًا في الآية .إنهم بعد أن رأوا العذاب نازلا ً بهم، أدركوا الحقيقة، ولكن بعد فوات الأوان .فنادوا! إنها صرخة الفزع الأخيرة، صوت الاستغاثة المبحوح.

· بماذا نادوا؟ نادوا بالتوبة، والاستغفار، والإيمان بالله ورسله، وقالوا: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾) السجدة:.(12
· الرسالة النفسية: هذه الصرخة هي صورة مصغرة لندم كل إنسان عند الموت أو عند وقوع المصيبة . إنها لحظة انكشاف الغطاء، حيث يعرف الظالم أنه ظالم، ويعرف الغافل أنه غافل .لكن، هل ينفع الندم في هذا الوقت؟

5/-{وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ}: القرار النهائي الذي لا رجعة فيه

هنا تتجلى عظمه التعبير القرآني، وبراعة البيان الإلهي .هذه الكلمات القليلة تحمل في طياتها من المعاني ما لا تحمله مجلدات.

· ماذا يعني) لات(؟ هي "لا" النافية، زيدت عليها "التاء" لتأكيد النفي وتقويته .هي تعني "ليست" .إنها نفي قاطع لا رجعة فيه.
· ماذا يعني) حين مناص(؟ المناص: هو الملجأ، المهرب، المفر، الخلاص .وحين مناص: أي ليس الوقت وقت هروب ولا وقت فرار ولا وقت نجاة.
· المعنى الكامل: "فنادوا واستغاثوا، فقيل لهم: ليست هذه الساعة ساعة فرار وخلاص مما أنتم فيه!" . لقد أغلق باب التوبة، وحل وقت الحساب .إنه الرد الإلهي الحاسم على استغاثتهم المتأخرة.
**اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· أسلوب الحال) ولات حين مناص(: جملة) لات حين مناص (في محل نصب حال .إنها تصور الحالة التي كانوا عليها وهم ينادون .أي: نادوا والحال أنه ليس الوقت وقت مناص.
هذا الأسلوب التصويري يجعل المشهد حيًا أمام أعيننا، وكأننا نراهم في حالة من الهلع واليأس المطلق، يصرخون والملائكة ترد عليهم بأنه لا مفر.
· الإيجاز المعجز: في كلمتين فقط) لات حين (اختزل الله معاني كثيرة: اليأس، الندم، فوات الأوان، حتمية القدر، عدالة الجزاء .إنها لطمة على الوجه لمن يسوّف التوبة.
· الطباق المعنوي: هناك طباق خفي بين) نادوا (التي تحمل رجاءً في الإجابة، وبين) لات حين مناص (التي تحمل يأسًا وخيبة أمل .هذا التضاد يضاعف من وقع المعنى في النفس.
**الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: احذر التسويف!

أكبر درس تقدمه هذه الآية هو أن باب التوبة لا يُفتح إلى الأبد .هناك لحظة اسمها) حين مناص (تغلق فيها صفحة العمل وتفتح صفحة الحساب .الشاب الذي يقول: "سأتوب عندما أكبر"، وصاحب المال الذي يقول: "سأخرج الزكاة عندما أضاعف أرباحي"، والموظف الذي يقول: "سأتقن عملي عندما أُرقى" - كل هؤلاء يغامرون بأعمارهم في لعبة خطرة .إنهم يظنون أنهم سيبلغون) حين مناص (قبل أن ينزل بهم الموت، وهذا هو الغرور بعينه.

المفهوم الفكري: الاعتبار بالتاريخ

الآية تدعونا إلى عقلية الاعتبار بالتاريخ لا مجرد قراءته للتسلية .المسلم حين يقرأ عن هلاك الأمم، لا يقرأها كقصص أثرية، بل يقرأها كسنن إلهية جارية .فإذا رأى ظلماً في الأرض، أو فساداً، أو ترفاً مقيتاً، تذكر أن هذه مقدمات الهلاك التي أهلك الله بها القرون من قبل، فيزداد بذلك بصيرة ويقيناً.

المفهوم النفسي: الاستعداد للندم الصادق الآن

ندم) فنادوا (هو ندم بلا فائدة .فكيف نجعل ندمنا نافعًا؟ بأن نستعجله في زمن المهلة .خصص وقتًا في يومك، ولو دقائق، لتقول: "يا رب، كم قصرت في جنبك! كم أذنبت! كم غفلت!" .هذه المناداة في وقت الرخاء هي التي تنجيك من مناداة وقت البلاء.

الإسقاطات العملية على حياتنا اليومية

· في بيئة العمل: كم من شخص يغش في عمله أو يظلم زملاءه ظنًا منه أنه سيظل في منصبه إلى الأبد؟ يأتيه الموت أو تأتيه فضيحة الدنيا فجأة، فلا ينفع الندم .اعمل اليوم وكأنك سترحل غدًا، وكن عادلا ً اليوم قبل أن يأتي يوم لا تملك فيه تعديل سيرتك الذاتية.
· في العلاقات الاجتماعية: كم من قطيعة رحم بسبب "عزة" و"شقاق" تستمر لسنوات؟ ماذا لو جاء أحدكما) حين مناص(؟ ماذا لو حمل أحدكما إلى قبره والخصام قائم؟ الآية تدعوك أن تكون أنت الأ كبر والأعقل، أن تبادر بالصلح الآن قبل أن ينادي أحدكما فلا يجد ملاذًا ولا خلاصًا من تبعات القطيعة.
· في التعامل مع الفرص: كثيرًا ما تأتينا فرص الخير) صدقة، مساعدة محتاج، كلمة طيبة (ونؤجلها بحجة الانشغال .ثم تمر الأيام وتنتهي الفرصة، فنندم ونقول "يا ليتني فعلت" .هذا هو مصغر) لات حين مناص (في الدنيا .بادر بالخير فورًا.

الخلاصة: كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟

1.التدبر التاريخي: اجعل لك نصيباً من القراءة في قصص الأنبياء وأخبار الأمم السابقة .ليس لمجرد المعرفة، بل بنية الاعتبار .وكلما قرأت قصة هلاك أمة، اسأل نفسك: ما هو الذنب الذي أهلكهم؟ وهل أنا بعيد عنه؟
2.مبدأ "الآن" في الطاعة: إذا خطرت ببالك فكرة خير، أو توبة من ذنب، أو رد مظلمة، فلا تقل "غداً" .قل "الآن" .تدرب على سرعة الاستجابة لنداء الفطرة قبل أن تموت الفطرة.
3.تعظيم شأن لحظة الموت: تذكر دائمًا أن سكرات الموت هي لحظة) فنادوا (الخاصة بك، وساعتها لن ينفع مال ولا بنون .عش حياتك وكأنك تتهيأ لتلك اللحظة، حتى إذا جاءتك كنت مستعدًا لها، فكان نداؤك نداء البشرى لا نداء الحسرة.

ثالثا

أيها القارئ الكريم، ها نحن نعود لنكمل رحلتنا في رحاب سورة) ص(، تلك السورة التي تضع أيدينا على مكمن الداء في قلوب المعرضين، وتكشف لنا المستور من حججهم الواهية .بعد أن استمعنا إلى زئير التاريخ في الآية السابقة) كم أهلكنا من قبلهم من قرن(، حيث دوّت صيحة الفزع) فنادوا ولات حين مناص(، تأتي الآيتان الرابعة والخامسة لتنقلا المشهد إلى واقع الحال في مكة .إنهما يضعاننا في قلب الحدث، داخل مجالس قريش وهم يتهامسون، وفي أنديتهم وهم يتجادلون حول هذا "النبي" الذي قلب موازين حياتهم.

إن الآيتين اللتين بين أيدينا هما بمثابة تسجيل صوتي لجلسة عُقدت خلف الأبواب المغلقة، يكشف لنا الله خباياها لنعتبر، ولنعلم أن طريق الدعوة محفوف بمثل هذه الاتهامات، ولنفهم كيف يتعامل العقل البشري عندما يعميه الكبر عن رؤية الشمس في رابعة النهار.

تفسير الآيتين الكريمتين: ﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الكافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (4) ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾(5)

مقدمة الآيتين وأهدافهما ومقاصدهما

بعد أن ذكرهم الله بمصارع الغابرين، ينتقل السياق ليجيب على سؤال يتبادر إلى الذهن: لماذا لم يعتبر كفار قريش بتلك المصارع؟ لماذا أصروا على موقفهم رغم وضوح الأدلة؟
تأتي هاتان الآيتان لتقدما الإجابة من خلال تشريح الموقف النفسي والفكري للمشركين .إنهما تصوران حالة من الذهول الممزوج بالسخرية، حالة من العجب تحول إلى إنكار .مقصد الآيتين الأساسي هو كشف التناقض العجيب في موقف المشركين: فهم يتعجبون من أمر هو في جوهره أعظم نعمة)مجيء منذر منهم(، ثم يبنون على هذا العجب اتهاماً متناقضاً) ساحر كذاب(، وأخيراً يفصحون عن العقدة الحقيقية:) أجعل الآلهة إلهاً واحداً .(إنها رحلة من الدهشة إلى التهمة إلى البوح بالسر الدفين.
تحليل عناصر الآيتين ومفرداتهما

1/ ﴿وَعَجِبُوا﴾: الدهشة السلبية

· دلالة العجب هنا: العجب قد يكون محموداً كالتعجب من بديع خلق الله، وقد يكون مذموماً وهو هنا عجب الإنكار والاستبعاد .إنه ليس عجب إعجاب، بل عجب استغراب ورفض .كأنهم يقولون: "كيف يحدث هذا؟ إنه أمر لا يُعقل!".
· اللمسة النفسية: العجب هو أول رد فعل للعقل عندما يصطدم بما لا يتوافق مع قناعاته المسبقة . قريش كانت تعيش على منظومة فكرية واجتماعية معينة) عبادة الأصنام، سادة القبائل، التفاخر بالأنساب(، فلما جاءهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يهدم هذه المنظومة، كانت الصدمة الأولى هي)العجب.(
· مثال تقريبي: تخيل أنك تعيش في مجتمع كل أفراده يدخنون، ويعدّون التدخين علامة على الرجولة والوجاهة .ثم يأتي رجل من بينهم، طبيب ناصح، ويقول لهم: "التدخين يقتلكم، وهو معصية لله" .أول رد فعل سيكون: عجب! كيف يقول هذا وهو منا؟ كيف يحرم ما وجدنا عليه آباءنا؟

﴿أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ﴾: مصدر العجب الحقيقي

انظر ما هو الأمر الذي أثار عجبهم! إنه ليس أمراً غريباً، بل هو عين الحكمة وعين الرحمة: أن جاءهم منذر منهم.

· معنى) منذر(: المخوف من العاقبة، المحذر من سوء المصير .وهو وصف فيه من الرحمة ما فيه؛ ف المنذر لا يريد بك شراً، بل يريد لك النجاة.
· معنى) منهم(: من جنسهم، من قبيلتهم، يعرفون نسبه وأمانته وصدقه .هذا في المنطق السليم يجب أن يكون مدعاة للطمأنينة والقبول، لا للعجب والنفور .فهم يعرفون ماضيه، ولم يجربوا عليه كذباً، فكيف يتعجبون من دعوته؟ إن عجبهم هنا هو عجب الجحود والنكران.
· الرسالة التربوية: كم من ناصح أمين في حياتنا) والد، معلم، صديق مخلص (جاءنا بالحق فتعجبنا منه ورفضناه، ليس لأن كلامه خطأ، بل لأننا تعودنا على الباطل! إن العجب هنا هو مقياس لمرض القلوب، لا لغرابة الحق.

·{وَقَالَ الكافِرُونَ هٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ}: التناقض العجيب في التهمة

بعد العجب يأتي دور التصنيف أو التهمة .العقل البشري عندما يعجز عن فهم ظاهرة ما أو مواجهتها، يلجأ إلى وضعها في قالب معادٍ .وهنا تكمن المفارقة العجيبة التي فضحها القرآن.

· التناقض البياني والبلاغي:
· الساحر: هو من يستعين بالشياطين، ويخفي الحقيقة بالخداع والتمويه .الساحر يحتاج إلى قوى خفية، ويوهم الناس بما ليس بحقيقة.
· الكذاب: هو من يختلق الأقوال من عند نفسه، ويكذب في دعواه، لكنه لا يملك دليلا ً ماديا ً على كذبه.
· الجمع بين الوصفين: كيف يكون الشخص ساحرا ً) صاحب قدرة خارقة على الإيهام والتأثير (وفي نفس الوقت كذابا ً) مختلقا ً لا أساس لكلامه(؟! الساحر الحقيقي قد يكون كذابا ً في دعوى النبوة، لكن القرآن أتى بتحدٍ لم يستطع أحد الإتيان بمثله .إن كان ساحرا ً، فهاتوا سحرا ً مثله! وإن كان كذابا ً، فهاتوا كذبا ً مثله! ولكنهم عجزوا .فوصفهم إياه بالوصفين معا ً يدل على اضطرابهم النفسي وتخبطهم الفكري .إنهم لم يجدوا تهمة واحدة تلصق به، فرموه بكل ما في جعبتهم من ألفاظ.
· مثال تقريبي: في سوق العمل، عندما يتقدم موظف مجتهد بفكرة عبقرية تغير نظام العمل القديم الفاسد، تجد زملاءه المتكاسلين يقولون: "هذا محتال) ساحر (يريد أن يلمع نفسه، وهو في الحقيقة فاشل) كذاب (ولا يفهم شيئا ً!" .كيف يكون محتالا ً وفاشلا ً في آن واحد؟ المحتال يحتاج إلى دهاء وذكاء، والفاشل لا يحسن شيئا ً .هذا التناقض في الاتهام يكشف عن الحسد والعجز عن المواجهة الشريفة.

·{أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلٰهًا وَاحِدًا}: البوح بالسر الدفين) العقدة الحقيقية(

هنا تنكشف الأوراق، ويسقط القناع! بعد أن قالوا) ساحر كذاب(، سأل بعضهم بعضا ً باستنكار وسخرية: "أجعل الآلهة الكثيرة إلها ً واحدا؟!".

· التحليل الفكري: هذه العبارة تكشف أن المشكلة ليست في شخص النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا في صدق رسالته من حيث المبدأ، بل المشكلة في مضمون الرسالة الذي يمس مراكز القوى و النفوذ.
· لماذا كان توحيد الإله هو المشكلة؟
1. السلطة الدينية: سدنة الأصنام وكهانها كانوا يستفيدون ماديا ً ومعنويا ً من تعدد الآلهة .توحيد ا لإله يعني القضاء على وظيفتهم.
2. السلطة الاجتماعية: النظام القبلي القائم على سيادة السادة كان يجد سنده في تعدد الآلهة التي تبارك هذا النظام الطبقي .الإسلام جاء ليقول:) لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى.(
3. المصالح الاقتصادية: موسم الحج للأصنام كان يجلب لقريش التجارة والمال .توحيد الله يهدد هذه التجارة.
· الرسالة العقلية: في كل عصر، عندما تدعو إلى الحق، ستجد أن أشد الناس عداوة له هم المستفيدون من الباطل .هم لا يحاربون الفكرة لأنها خاطئة، بل لأنها تهدد مصالحهم .فافهم هذه القاعدة، ولا تتعجب من موقفهم.

·{إِنَّ هٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}: الاستغراب في أقصى درجاته

· ما الفرق بين) عجبوا (و)عُجاب(؟
·) عجبوا(: فعل ماض يدل على وقوع العجب منهم.
·) عُجاب(: صيغة مبالغة من العجب .إنه الشيء الذي بلغ الغاية في كونه مثيراً للدهشة .هو أمر

خارق للعادة بدرجة مستغربة.
· اللمسة البلاغية: استعمال كلمة) عُجاب (على لسان الكافرين فيه تهكم وسخرية .هم يريدون أن يقولوا: "هذا الكلام لا يقوله عاقل! إنه غريب لدرجة السخف!" .لكن انظر إلى عظمة القرآن! إنه ينقل كلامهم بحذافيره، ثم يتركه ليصبح عبرة للأجيال .فما اعتبروه هم) عُجاباً (وسخرية، صار عندنا معجزة خالدة تثبت أن الحق واضح، ولكن العمى في القلوب.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآيتين

· أسلوب الحكاية) وقال الكافرون(: جاء الفعل) قال (بصيغة الماضي، رغم أن الحدث كان متكرراً ومستمراً .هذا الأسلوب القرآني البديع يجعل الماضي البعيد حياً وكأنه يحدث الآن .أنت تقرأ الآية فترى قريشاً أمامك وهم يتهامسون:) أجعل الآلهة إلهاً واحداً.(
· الإظهار في موضع الإضمار: قال تعالى:) وقال الكافرون (ولم يقل:) وقالوا .(لماذا؟ لو قال) وقالوا (لعاد الضمير على) قريش (المفهومة من السياق .لكنه أظهر وصفهم بـ) الكافرون (ليبين سبب قولهم . فسبب هذه التهمة الباطلة ليس عدم وجود دليل، بل هو الكفر الذي يغطي على العقل والقلب .فيه تعريض بأن هذا الكلام لا يصدر إلا من كافر جاحد.
· التنكير والتعريف:
·) منذر منهم(: نكرة .أي: أي منذر، ولو كان أعظم الناس .مجرد كونه منذراً منهم أثار حفيظتهم.
·) الآلهة(: معرفة .تدل على آلهتهم المعهودة التي ألفوها وعبدوها .فالتوحيد هدم لشيء) معروف (لديهم.
·) إلهاً واحداً(: نكرة .فيها تفخيم وتهويل لمعنى الوحدانية في نفوسهم، فهي النكرة التي لم يألفوها.

الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآيتين

المفهوم التربوي: التعامل مع النقد والتهم الجائرة

إذا كنت على حق، فانتظر أن يقال عنك) ساحر كذاب .(هذا شرف لك! لأن الطاهرين من عباد الله هم الذين ترميهم ألسنة الباطل بمثل هذه التهم .هذه الآية تربي فيك مناعة نفسية ضد كلام الناس . لا تحزن إن قالوا عنك "مغرور" لأنك تصلي الفجر، أو "متطرف" لأنك لا تشاهد ما يشاهدون .تذكر أنهم قالوا عن محمد صلى الله عليه وسلم:) ساحر كذاب(، وقالوا عن دعوته:) شيء عجاب .(فمن أنت حتى يسلم الناس من ألسنتهم؟

المفهوم النفسي: آلية دفاع العقل الجمعي

هاتان الآيتان تقدمان لنا نموذجاً مبكراً لما يسمى في علم النفس الحديث بـ "آلية الدفاع" . عندما يواجه العقل الجمعي) المجتمع (حقيقة تهدد استقراره الوهمي، يقوم بـ:

.1الإنكار (عجبوا د)استبعاد الأمر من أساسه.
.2الإسقاط:)ساحر كذاب (- دإلصاق التهمة بالآخر لصرف النظر عن الذات.
.3التبرير(أجعل الآلهة إلهاً واحداً)البحث عن مبررات واهية لرفض الحق.
4 فهم هذه الآلية يجعلك أكثر وعياً بتصرفات المعارضين للحق في كل زمان ومكان.

المفهوم الفكري: الصراع بين المصالح والمبادئ

الآية تكشف أن معركة الأنبياء هي معركة مع المصالح .الناس قد يعرفون الحق بقلوبهم، لكن مصالحهم تمنعهم من اتباعه .فالتاجر الذي يغش يعرف أن الغش حرام، ولكن مصلحته) الربح السريع (تمنعه .والموظف الذي يرتشي يعرف أنها خطيئة، ولكن مصلحته) تلبية احتياجاته (تمنعه .هذه الآية تعلمك أن تكون شجاعاً في مواجهة نفسك، وأن تقدم المبدأ على المصلحة، فإن كنت صادقاً مع الله، أبدلك الله خيراً من ذلك.

الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية على حياتنا اليومية

· في الحياة الأسرية:
· الموقف: أب يريد أن يمنع ابنه من سماع الأغاني والموسيقى الهابطة، ويأمره بسماع القرآن.
· رد فعل الابن) على طريقة قريش(: يعجب) عجبوا أن جاءهم منذر منهم(: "أبي أنت رجل كبير، كيف تفكر بهذه الطريقة المتخلفة؟!" .ثم يصفه بـ) ساحر كذاب(: "أنت لا تفهم جيلي، أنت تعيش في

الماضي، هذا الكلام لا يصلح لزماننا" .ثم يبوح بالسر) أجعل الآلهة إلهاً واحداً(: "كل أصدقائي يفعلون هذا! لماذا تريد أن تحرمني من الاستمتاع بحياتي؟ لماذا تريد أن تجعلني مختلفاً عنهم؟) آلهة المجتمع والموضة(" .ويختم:) إن هذا لشيء عجاب(: "من المستحيل أن أعيش هكذا!".
· في بيئة العمل:
· الموقف: موظف يريد تطبيق نظام شفاف في المحاسبة المالية يمنع التلاعب.
· رد فعل الزملاء المستفيدين من الفساد:
· عجبوا: "من أين أتى هذا؟ ماذا يريد؟".
· ساحر كذاب: "إنه يريد الشهرة على حسابنا! إنه منافق ومخادع) ساحر(، وهو لا يفهم طبيعة العمل هنا) كذاب(".
· أجعل الآلهة إلهاً واحداً: "هل يريد أن يطبق المثالية في مكان لا تنفع فيه المثالية؟ الجميع يفعل كذا!".
· إن هذا لشيء عجاب: "هذا مستحيل التطبيق!".
· على مستوى الفرد) أنت(:
· هل جربت يوماً أن تنصح نفسك بترك معصية؟ ألم تتعجب نفسك) عجبوا (كيف تفكر في ترك ما اعتادت عليه؟ ألم تتهمك نفسك الأمارة بالسوء بأنك) ساحر كذاب (تدّعي التقوى وأنت ضعيف؟ ألم تقل لك:) أجعل الآلهة إلهاً واحداً (كيف ستترك كل هذه الشهوات والملذات من أجل إله واحد لا تراه؟ ألم تقل:) إن هذا لشيء عجاب (كيف سأعيش دون هذه المتعة؟ هذا هو الصراع الداخلي الذي تعيشه كل يوم!

كيف أعيش هاتين الآيتين في واقعي؟) خطة عمل(

.1مبدأ "مرآة قريش": عندما تتعرض لانتقاد أو اتهام باطل بسبب تمسكك بالحق، لا تغضب ولا تتراجع .انظر في المرآة وقل: "أهلا ً وسهلا ً! هذا يعني أنني أسير على خطى سيد المرسلين .إذا ق الوا عني) ساحر كذاب (فقد قالوها عن محمد صلى الله عليه وسلم من قبلي .زدني يا رب ثباتا".
.2تدريب العقل على كشف التناقض: تدرب في نقاشاتك اليومية على اكتشاف التناقض في حجج الآ خرين .إذا قال لك شخص: "أنا أحب الصدق، لكن في التجارة لا بد من المبالغة قليلا ً!"، فهذا هو)ساحر كذاب (في صورة عصرية .كن واعياً بهذه الأساليب ولا تنخدع بها، خاصة من نفسك.
.3فحص المصالح الشخصية: كلما وجدت صعوبة في قبول حكم شرعي أو نصيحة، اسأل نفسك بصراحة: "هل المشكلة في الحكم نفسه، أم في أن هذا الحكم يهدد مصلحة شخصية لي؟) أجعل الآ لهة إلهاً واحداً؟ .(هذه الصراحة مع النفس هي بداية الهداية.
.4التسامي عن سخريتهم: قولهم) إن هذا لشيء عجاب (هو في الحقيقة شهادة منهم على أن الإسلا م شيء فريد ومختلف .لا تحزن إن سخروا من التزامك، بل اعتبر سخريتهم دليلا ً على أنك لست منساقاً وراء القطيع .المختلف هو الذي يغير العالم، والتابعون هم الذين يسخرون ثم يندمون.

رابعا

أيها القارئ الكريم، أيها القلب الحي الذي يبحث عن النور في زحمة الظلمات، اسمح لي أن أعود بك مرة أخرى إلى رحاب سورة) ص(، تلك السورة التي تفضح لنا خفايا النفوس، وتكشف لنا مكائد الباطل، وتضع أيدينا على مفاتيح النجاة .لقد وقفنا معًا في الآية السادسة على مشهد) انطلاق الملأ(، وسمعناهم يوصون أتباعهم:) امشوا واصبروا على آلهتكم(، ويتهمون دعوة الحق بأنها) شيء يراد .(و اليوم، لن نكتفي بتحليل المشهد، بل سننزل به إلى أرض الواقع، ونستخرج منه الدروس العملية، ونرى كيف يمكن لهذه الآية أن تبني فينا الإنسان، وتؤسس فينا الحضارة .ولن نترك فقرة إلا وأتينا عليها، ولن نحذف فصلا ً إلا وأكملناه، حتى تخرج من هذه الرحلة وقد امتلكت مفاتيح التعامل مع) ملأ (الحياة في كل عصر ومصر.

تفسير الآية الكريمة: ﴿وَانطَلَقَ المَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾(6)

مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن عبر الكافرون عن عجبهم واستنكارهم لدعوة التوحيد، ووصفوا النبي صلى الله عليه وسلم ب-)الساحر الكذاب(، يأتي دور الحركة والتنفيذ .هذه الآية تنقلنا من مرحلة رد الفعل النفسي والكلامي إلى مرحلة الفعل والتخطيط .إنها تكشف عن اجتماع طارئ عقده) الملأ (– وهم كبراء القوم وسادتهم – بعد أن أحسوا بالخطر الداهم على مصالحهم ونفوذهم.

مقصد الآية الأعظم: فضح استراتيجية الباطل في مواجهة الحق .فالباطل لا يستسلم بسهولة، بل يحاول حشد صفوفه، وتثبيت أتباعه، واختلاق الدوافع الوهمية للاستمرار في الغي .الآية تسلط الضوء

على قادة الكفر ودورهم في تضليل الأتباع، وكيف يخدعون الناس بأن الصبر على الباطل هو عين الرجولة والوفاء .إنها تكشف لنا آليات عمل قوى الشر عبر التاريخ، لتحصننا من الوقوع في فخاخهم، ولتعدنا لمواجهتهم بوعي وثبات.
تحليل عناصر الآية ومفرداتها

·{وَانطَلَقَ المَلَأُ}: تحرك رؤوس الكفر

· دلالة الفعل) انطلق(: الفعل) انطلق (لا يعني مجرد) خرج (أو) مشى .(إنه فعل فيه معنى السرعة وا لانبعاث بقوة والانفلات من قيد التردد .إنه يصور لنا هؤلاء القوم وهم يتركون مكانهم فورًا متجهزين للحركة، وكأن أمرًا جللًا قد حدث .لماذا انطلقوا؟ لأن الحديث السابق) أجعل الآلهة إلهًا واحدًا (كان بمثابة جرس إنذار ينذر بتدمير كيانهم كله.
· من هم) الملأ(؟) الملأ (هم أشراف القوم وساداتهم، الذين يملؤون المجالس بهيبتهم، ويملؤون العيون بزينتهم، ويملؤون القلوب رهبة .إنهم) النخبة (الحاكمة .وصفهم
ب-) الملأ (له دلالة اجتماعية خطيرة: إن المعارضة الحقيقية للحق لا تأتي غالبًا من عامة الناس)الذين ينقادون(، بل تأتي من الطبقة المستفيدة التي تخشى على امتيازاتها.
· اللمسة البيانية: إسناد الفعل) انطلق (إلى) الملأ (يبين أن هذا تحرك جماعي منظم، وليس مجرد ردود أفعال فردية .إنه تحرك القيادة لتدارك الموقف قبل أن تفلت الأمور من أيديهم.

2/·{مِنْهُمْ}: من جنسهم وليس من خارجهم

هذا الضمير يربط المشهد بما قبله، ويؤكد أن هؤلاء) الملأ (ليسوا غرباء، بل هم من قريش نفسها . إنهم آباء وأعمام وأخوال من يدعوهم إلى الله .هذه المفارقة تزيد الموقف غرابة وحزنًا .فالنبي صلى الله عليه وسلم منهم، والقرآن بلسانهم، والناصح من ديارهم، ومع ذلك ينطلقون للتآمر ضده.

3/·{أَنِ امْشُوا}: خطاب القادة للجماهير

)أن (هنا تفسيرية، بمعنى) أي .(فهم قالوا لبعضهم ولأتباعهم:) امشوا .(أو هي) أن (مصدرية بتقدير باء محذوفة:) بأن امشوا .(على كلا التفسيرين، هي حكاية قولهم.

· لماذا قالوا) امشوا(؟ الفعل) امشوا (في هذا السياق لا يعني مجرد السير بالأقدام، بل هو أمر بالا ستمرار على الطريق الذي هم عليه، والثبات على دين الآباء والأجداد .إنها كلمة تعني: "لا تتزحزحوا، لا تلينوا، لا تلتفتوا إلى هذا الرجل، سيروا في طريقكم المعتاد وكأن شيئًا لم يكن".
· المثال التقريبي: في عالم الأعمال، عندما يظهر منافس جديد لديه منتج ثوري يهدد كبار الشركات، يجتمع) ملأ (الشركة القديمة ويقولون للموظفين والعملاء: "امشوا! استمروا في استخدام منتجاتنا، تجاهلوا هذا الوافد الجديد، إنه مجرد فقاعة".

4/·{وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ}: قلب المفاهيم) الصبر على الباطل(

هنا مكمن الخطر والدهاء .إنهم لا يكتفون بالأمر بالاستمرار) امشوا(، بل يضيفون بُعدًا عاطفيًا ونفسيًا مخادعًا:) واصبروا على آلهتكم(!

· تحليل العبارة:
· الصبر: هو خُلُق الأنبياء والصالحين، وهو حبس النفس على المكروه .فكيف يُستخدم هنا في سبيل الباطل؟! إنها محاولة لتجميل القبيح .يريدون أن يقولوا للأتباع: "أنتم لستم متخلفين ولا ضعفاء، بل أنتم صابرون! أنتم تدافعون عن مقدساتكم) آلهتكم (في وجه هذا الرجل الذي يريد أن يغيرها . فكونوا أصحاب عزيمة وثبات، ولا تنهزموا نفسيًا".
· على آلهتكم: لاحظ كلمة) على (التي تفيد الاستعلاء والتمكن .هم يصورون عبادة الأصنام وكأنها قضية مبدأ تحتاج إلى تضحية وصمود .لقد حولوا العادة إلى عبادة، وحولوا التخلف إلى شجاعة.
· الرسالة الفكرية: هذا الأسلوب الخادع يستخدمه المبطلون في كل عصر .يسمون الجهل "أصالة"، و التخلف "تمسك بالهوية"، والفساد "مرونة"، والظلم "حزمًا" .إنهم يغيرون أسماء الأشياء ليمرروا الباطل . وهذا أخطر من الباطل نفسه، لأنه يلبس الحق ثوب الباطل، والباطل ثوب الحق.

5/·{إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ}: نظرية المؤامرة الواهية

بعد الأمر بالثبات، يأتي دور التبرير والتخويف من الدعوة الجديدة .إنهم يقولون: "يا قوم، إن دعوة

محمد ليست مجرد دعوة دينية ساذجة،) إن هذا لشيء يراد(! وراءه أهداف خفية!".

· ماذا تعني) شيء يُراد(؟ أي: له غاية ومقصد خفي .إنهم يلمحون إلى أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ليس نبيًا صادقًا، بل هو صاحب طموح سياسي يريد الرياسة والملك والسلطان، وأنه يستخدم الدين كوسيلة للوصول إلى الحكم .إنها نظرية المؤامرة بامتياز!
· اللمسة النفسية: هذا الأسلوب ذكي في التضليل؛ لأن من الصعب على العوام أن يتأكدوا من النوايا الخفية .عندما تقول عن خصمك: "إنه يريد كذا وكذا من وراء دعوته"، فأنت تشكك في مصداقيته دون أن تناقش أدلته .أنت تنقل المعركة من ميدان العقل والبرهان إلى ميدان التخمين والظنون.
· أمثلة تقريبية معاصرة:
· في السياسة: حزب معارض يقدم برنامجًا إصلاحيًا قويًا، فيقول الحزب الحاكم: "لا تنخدعوا،) إن هذا لشيء يراد(! إنهم يريدون الوصول إلى السلطة لتصفية حساباتهم وتدمير البلاد".
· في العمل: موظف يقترح مشروعًا جديدًا لتطوير الشركة، فيقول زملاؤه المتربصون: "احذروا،) إن هذا لشيء يراد(! إنه يريد أن يلفت نظر المدير ليأخذ مكاننا ويترقى على حسابنا".
· في الدعوة: شاب يدعو رفاقه إلى ترك المعاصي، فيتهمونه بأنه يريد أن يظهر بمظهر "الشيخ" أو أنه يبحث عن "الشهرة" بين الملتزمين .هذا هو عين قولهم:) إن هذا لشيء يراد.(

اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· استعمال الفعل) انطلق (بدل) خرج(: كما ذكرنا، فيه تصوير للحالة النفسية المضطربة والرغبة في الفعل السريع .إنه يعطي انطباعًا بأن الأرض قد ضاقت بهم.
· الجملة التفسيرية) أن امشوا(: فيها إيجاز بديع .حذف القول) أي: قال بعضهم لبعض: امشوا (للإ سراع في تصوير الحدث، وكأن الأحداث متلاحقة لا تحتمل الإطالة.
· التكرار الصوتي في) شيء يراد(: نلاحظ أن الكلمتين تحملان حروف المد) ياء، ألف (مما يعطي جرسًا موسيقيًا يوحي بالامتداد والاستمرار في هذا الوهم والتخيل .إنهم يصورون المخطط الخفي وكأنه شيء ممتد بعيد المدى.
· التنكير في) شيء يراد(: لفظ) شيء (نكرة، والتنكير هنا للتهويل والغموض .إنهم لا يحددون ماذا يُراد بالضبط، ليتركوا للخيال الشعبي أن يرسم أبشع الصور وأكثرها رعبًا .فالغموض أحيانًا أشد تأثيرًا من التصريح.
الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: كيف أواجه) الملأ(؟

الآية تعلمنا أن طريق الحق ليس مفروشًا بالورود، بل سيكون هناك) ملأ (ينطلقون لصدك .فكن مستعدًا .لا تتفاجأ أن يتحالف الأغنياء والمتنفذون ضدك إذا كنت تدعو إلى عدالة اجتماعية أو إصلاح ديني .هذا هو مقتضى سنة الله في الصراع بين الحق والباطل.

المفهوم النفسي: لا تنخدع ب-) الصبر على آلهتكم(

احذر أن تستخدم أساليب تزييف الوعي مع نفسك أو مع غيرك .هل تصر على عادة سيئة وتقول: "أنا صبور، وأنا وفية لعاداتي وتقاليدي"؟! انظر، قد تكون هذه حيلة نفسية من الشيطان يزين لك القبيح باسم الفضيلة .فرق بين الثبات على الحق والجمود على الباطل .الصبر يُحمد إذا كان على طاعة الله، لا على معصيته.

المفهوم الفكري: تحليل خطاب) نظرية المؤامرة(

إن مقولة) إن هذا لشيء يراد (هي من أخطر أدوات قتل الأفكار الجديدة .تعلم أن تنقد الفكرة بذاتها، لا أن تتهم نوايا صاحبها .إذا جاءك شخص بفكرة إصلاحية، ناقش الفكرة: هل هي صحيحة؟ هل تنفع ؟ أما أن تقول: "أنت تريد الشهرة"، "أنت تريد منصبًا"، فهذا ليس نقاشًا، بل هو تهرب جبان من مواجهة الحقيقة .كن شجاعًا وقل: "الفكرة جيدة، حتى لو كنت أكره صاحبها" .هذه هي موضوعية العقل المسلم.

الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

هذا هو القسم الذي يجعل الآية تنبض بالحياة في واقعك اليومي، فترى كيف تتجسد معانيها في تفاصيل يومك.

المثال الأول: في محيط الأسرة) الملأ الصغير(

· الموقف: فتاة جامعية اقتنعت بوجوب الحجاب الشرعي الكامل) الخمار(، وقررت أن تلتزم به.
· انطلق الملأ: اجتمعت أمها وخالتها وأختها الكبرى في جلسة عائلية طارئة.
· خطابهم:
·) امشوا(: "استمري في لبسك العادي، لا تكوني متشددة".
·) واصبروا على آلهتكم(: "نحن كنا نلبس الحجاب العصري) الطرحة الملونة(، إنه حجاب جميل ومقبول، وعلينا أن نصبر على ضغوط المجتمع المتدين! كوني قوية وواجهي التيار المتشدد) يقصدون الشرع(!".
·) إن هذا لشيء يراد(: "بنتي، انتبهي! هذه الأفكار) شيء يراد(! هناك جماعات تريد أن ترجعنا إلى الوراء، وتريد أن تسلبك حريتك وشبابك .هم يريدون أن يحكموا عقولنا".
· النتيجة: محاولة تثبيط الهمة عن طريق قلب الموازين، وجعل المتمسك بالحق متهمًا بأنه "أداة في يد آخرين".

المثال الثاني: في بيئة العمل) آلهة المصالح(

· الموقف: موظف اكتشف فسادًا ماليًا في دائرته، وقرر أن يبلغ عنه الجهات الرقابية.
· انطلق الملأ: مديره المباشر ورئيس القسم وبعض الزملاء المستفيدين من الفساد.
· خطابهم له:
·) امشوا(: "تغاضَ يا رجل! امشِ مع التيار ولا تشغل بالك .هكذا تسير الأمور منذ عشرين سنة".
·) واصبروا على آلهتكم(: "نحن عائلة واحدة هنا، يجب أن نكون مخلصين لبعضنا) آلهتنا الجماعة(، وأن نصبر على بعض الأخطاء البسيطة .أليس هذا هو الوفاق والتراحم؟".
·) إن هذا لشيء يراد(: "فكر يا أخي، لماذا تريد أن تبلغ الآن بالذات؟ هل هناك جهة معينة حركتك؟ هل وعدوك بترقية؟) إن هذا لشيء يراد(، وأنت مجرد بيدق في لعبة أكبر منك .احذر أن يستخدموك ثم يرموك!".
· النتيجة: محاولة إسكات صوت الحق عن طريق اتهام النوايا، وإشعار صاحب الحق بأنه مجرد أداة في مؤامرة.

المثال الثالث: على مستوى الفرد) النفس الأمارة(

· الموقف: شخص قرر أن يقلع عن عادة سيئة كالتدخين أو إدمان مشاهدة المحرمات على الإنترنت.
· انطلق الملأ الداخلي:) النفس والشيطان والهوى.(
· خطابهم لقلبك:
·) امشوا(: "لا تتسرع، فكر في الموضوع بروية، غدًا تبدأ .امشِ في طريقك المعتاد اليوم".
·) واصبروا على آلهتكم(: "أأنت ضعيف إلى هذا الحد؟ أتترك هذه المتعة التي تعودت عليها) آلهتك الشخصية(؟ كن رجلًا واصبر على رغبتك في التغيير! الصبر على العادة أسهل من الصبر على تركها! لا تكن سهل المنال".
·) إن هذا لشيء يراد(: "من ألهمك هذه الفكرة فجأة؟ هل أنت متأثر بصديقك الملتزم؟ إنه) شيء يراد(! أنت لست مقتنعًا حقًا، أنت فقط تريد أن تقلده أو تثبت له أنك قوي .هذه القرارات مصيرها الفشل، عد إلى رشدك".
· النتيجة: حرب نفسية شرسة من الداخل لتخليصك عن قرار التوبة، باستخدام أسلحة التزييف و التشكيك في النوايا.

ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي ثمرة التدبر، وهي خلاصة ما نخرج به من هذا المائدة القرآنية لنطبقه في واقع الحياة.

.1تعلم قراءة تحركات) الملأ (في محيطك

الآية تدعونا إلى الوعي الاجتماعي والسياسي .لا تكن مغفلًا! عندما ترى قادة الفساد أو رموز الانحراف يجتمعون ويسرعون الخطى، فاعلم أن هناك خطرًا يهدد مصالحهم، وأن الحق بدأ ينتشر .هذا الوعي يجعلك لا تتفاجأ بالمؤامرات، بل تستعد لها .في حياتك العملية، إذا رأيت زملاءك المتكاسلين فجأة ينشطون للحديث عن "أهمية الحفاظ على تقاليد القسم") امشوا واصبروا(، فاعلم أن أحد المصلحين

بدأ يحرك المياه الراكدة .فكن معه ولا تكن عليه.

.2لا تخلط بين الصبر المحمود والجمود المذموم

الآية تعلمنا أن ننتبه إلى تزييف المصطلحات .في كل مرة تقول فيها لنفسك: "أنا أصبر على هذا الأمر" ، اسأل نفسك: هل أنا صابر على طاعة الله أم صابر على ألفة المعصية؟ الفرق دقيق وكبير .الصبر على طاعة الله يرفعك، والصبر على المعصية يهبط بك .في العمل: الصبر على إتقان مهمة صعبة هو خير، أما الصبر على ظلم مديرك أو غش زميلك فهو استسلام مذموم.

.3واجه نظرية المؤامرة بالحقائق لا بالعواطف

عندما يقول لك أحدهم:) إن هذا لشيء يراد(، فلا تنجرف وراء العاطفة، بل تمسك بالعقل .رد عليه بهدوء: "حتى لو كان) يراد(، فما المهم؟ المهم هو: هل هذا الشيء حق أم باطل؟" .بهذا تخرج من دائرة الشك والتخوين إلى دائرة النقاش الموضوعي .في حياتك، إذا اتهمت زوجتك بأنها تطلب الطلاق "لأنها متأثرة بصديقاتها") شيء يراد(، فأنت تهرب من مناقشة أسباب الطلاق الحقيقية .ناقش المشكلة نفسها، لا النوايا.

.4كن حذرًا من قول) امشوا (في وجه المصلحين

الآية تحذرنا من أن نكون أدوات بيد الباطل .كلما هممت أن تقول لشاب يريد أن يتدين: "لا تتشدد، امشِ معنا!"، أو لفتاة تريد أن تتحجب: "استمتعي بشبابك أولا ً!"، تذكر أنك تردد كلام) الملأ (الكافرين .كن داعمًا للحق، أو على الأقل لا تكن حجر عثرة في طريقه.

.5مراقبة النفس الأمارة

أكبر درس عملي هو مراقبة حديث النفس الداخلي .عندما تعزم على خير، استمع جيدًا للصوت الذي يثبطك .ستجده يقول بالضبط:) امشوا (و) اصبروا على آلهتكم (و) إن هذا لشيء يراد .(تعرف على هذا الصوت، واعلم أنه عدوك الداخلي، فحاربه بالاستعاذة بالله والمضي قدمًا.

أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة هي التي تنقل الآية من كونها حكاية عن الماضي إلى كونها خارطة طريق للمستقبل .إنها تفتح لنا آفاقًا واسعة لنرى كيف يمكن لمعاني هذه الآية أن تبني فردًا صالحًا، وأسرة متماسكة، ومجتمعًا متحضرًا.

.1البعد الفكري الحضاري: تأسيس العقل النقدي في مواجهة الدعاية

الحضارة لا تقوم على الأتباع الببغاوات، بل على العقول الناقدة .هذه الآية تؤسس لـ العقل النقدي في مواجهة الدعاية المضللة .عندما تتعلم أن تحلل خطاب) الملأ (وتفكك عباراتهم) امشوا، اصبروا، يراد(، فأنت تبني عقلا ً لا ينخدع بالشعارات البراقة .المجتمع الذي يربي أفراده على هذا النوع من التحليل هو مجتمع حصين ضد حروب الجيل الرابع والخامس التي تعتمد على الشائعات وتشويه الحقائق .إنه مجتمع قادر على التمييز بين الإصلاح الحقيقي والمؤامرة الحقيقية.

.2البعد الاجتماعي التنموي: تعرية آليات إعاقة التغيير والإصلاح

كل مشروع نهضة أو تنمية يواجه مقاومة شرسة من) الملأ (المستفيدين من الوضع القائم .سواء كان مشروعًا لمكافحة الفساد، أو خطة لتحسين التعليم، أو دعوة لتمكين المرأة، أو حملة للتوعية الصحية، ستجد من يقول:) امشوا (أي "لا تتغيروا"، و) اصبروا على آلهتكم (أي "حافظوا على موروثاتكم حتى لو كانت خطأ"، و) إن هذا لشيء يراد (أي "هناك أجندة خفية" .فهم هذه الآية يمكن صناع القرار و المصلحين من توقع هذه المقاومة، والتعامل معها بوعي، وتصميم استراتيجيات لكسب تأييد الجماهير التي ينطلي عليها كلام) الملأ .(إنها آية تخدم التنمية من خلال كشف معوقاتها النفسية والاجتماعية.

.3البعد التربوي في بناء الإنسان: تربية الإرادة المستقلة

الإنسان الذي تبنيه هذه الآية هو إنسان ذو إرادة مستقلة .هو الذي يسمع كلام) الملأ (ثم يمضي في

طريق الحق لأنه مقتنع به، لا لأنه خائف من كلام الناس .في عصر التواصل الاجتماعي، حيث) الملأ (هم المؤثرون والمشاهير الذين يقولون للشباب:) امشوا (وراء الموضة، و)اصبروا (على تفاهة المحتوى، و)إن هذا لشيء يراد (من قبل دعاة الأخلاق، تأتي هذه الآية لتنتج شبابًا واعيًا، قادرًا على قول: لا . هذه هي التربية على العزة بالله لا بالجماعة.

.4البعد الأخلاقي والقيمي: حماية الهوية من الاختطاف

أخطر ما في الآية هو سرقة لغة الفضيلة) الصبر (لتبرير الرذيلة) عبادة الأصنام .(هذا بعد خطير في صراع الهوية .أعداء الأمة اليوم لا يقولون: "اتركوا دينكم"، بل يقولون:) واصبروا على آلهتكم(! أي: تمسكوا بـ) إسلامكم الموروث (الذي لا يزعجنا، إسلام الشعائر بلا قيم، إسلام الطقوس بلا جهاد ولا أمر بمعروف ولا نهي عن منكر .إنهم يريدون إسلامًاجلوس في. المساجد) أو) علمانيًا (لا يتدخل في السياسة والاقتصاد .هذه الآية تبني فينا الوعي لحماية هويتنا الحقيقية من أن تُختطف وتُفرغ من محتواها باسم الحفاظ عليها .إنها تدعونا إلى إسلام التوحيد الخالص الذي قال عنه المشركون:) أجعل الآلهة إلهًا واحدًا.(

.5البعد النفسي في بناء الحضارة: تجفيف منابع الإحباط

الحضارة تحتاج إلى أمل وعمل .لكن) الملأ (يقتلون الأمل في نفوس المصلحين باتهامهم بأنهم) شيء يراد (وأنهم مجرد أدوات .هذه الآية تعطي المصلح جرعة مناعة نفسية .عندما تعلم أن اتهامك بأنك "مخترق" أو "عميل" أو "بيدق" هو سنة إلهية في التعامل مع الدعاة، فلن تحبط، بل ستزداد يقينًا بأنك على الحق .هذا البناء النفسي للمصلحين هو أساس بناء الحضارة؛ فالحضارة لا يقوم بها اليائسون المتشائمون، بل الموقنون الصابرون على الحق، لا على) آلهتهم.(

.6البعد التاريخي والاستراتيجي: فهم دورة الصراع بين الحق والباطل

هذه الآية تعطينا نموذجًا لفهم دورة الصراع التاريخي .دائمًا ما تبدأ الدعوة) ينذرهم منذر منهم (- < فيتعجبون) عجبوا (- <ويتهمون) ساحر كذاب (- <ثم يجتمع الملأ) وانطلق الملأ (- <ويصدرون الأوامر)امشوا واصبروا (- <ويختلقون التبريرات) إن هذا لشيء يراد .(هذا النموذج يتكرر في كل عصر .فهم هذا النموذج يجعلنا نقرأ التاريخ بوعي، ونتعامل مع الحاضر ببصيرة، ونخطط للمستقبل بحكمة .إنه يخرجنا من ردود الفعل العشوائية إلى الفعل الاستراتيجي المدروس.

كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1تعرّف على) الملأ (في حياتك: ليس بالضرورة أن يكونوا رجالا ً جالسين في نادٍ، بل قد يكون) م لأ (الإعلام،) ملأ (وسائل التواصل الاجتماعي،) ملأ (العادات والتقاليد الفاسدة .كل من يحاول أن يفرض عليك رأيه بالقوة أو بالاستهزاء هو) ملأ (يجب أن تنتبه له.
.2لا تكن) ملأ (لغيرك: احذر أن تقوم بنفس الدور .عندما ترى شخصًا يحاول أن يتغير للأفضل، لا تقل له:) امشوا (أو) اصبروا على آلهتكم .(لا تشكك في نيته .بل شجعه وقل له: "بارك الله فيك، ثبتك الله".
.3المناعة ضد نظرية المؤامرة) يراد(: عندما تسمع اتهامًا لأحدهم بأن) هذا شيء يراد(، لا تأخذها مسلمة .اسأل نفسك: ما هو الدليل على هذه المؤامرة؟ وهل مناقشة الفكرة نفسها لا تغني عن البحث في النوايا؟ لا تدع أحدًا يصادر عقلك بهذه العبارة.
.4جهاد النفس باستخدام الآية: في صراعك الداخلي مع نفسك، استخدم هذه الآية .عندما توسوس لك نفسك: "إن هذا لشيء يراد"، قل لها: "نعم،) يراد(! يريد الله لي الهداية! يريد الله لي الخير! نعم، أنا أريد رضا الله، وهذا أشرف شيء يُراد!" .حول سهام الشيطان التي يرميك بها إلى وقود للمضي قدمًا.
.5بناء خطاب إصلاحي مضاد: إذا كنت في موقع قيادي أو تربوي، علم الناس أن يفرقوا بين) الصبر على الحق (و)الصبر على الباطل .(دربهم على كشف تزييف المصطلحات .هذا من أعظم الجهاد الفكري في عصرنا.

خامسا

أيها القارئ الكريم، يا من أبحرت معنا في عباب سورة) ص(، ووقفت على شواطئ العزة الكاذبة، وسمعت أصداء المناداة في غير أوانها، ورأيت تحركات) الملأ (وهم يتآمرون على الحق بأسلحتهم الماكرة:) امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد .(لقد كشفنا تلك الطبقات واحدة تلو الأخرى . واليوم، نقف مع الآية السابعة التي تضيف طبقة جديدة من طبقات المكابرة، حجة جديدة من حجج

الواهمين، يظنونها دامغة فإذا هي أصدق شهادة على إفلاسهم العقلي .إنها الآية التي تقول لك: انظر كيف يحاول الباطل أن يتسلح بـ"التاريخ" و"التراث" ليواجه "الحقيقة" و"الوحي".

فلنفتح قلوبنا وعقولنا، ولنستمع إلى هذه الحجة الواهية التي سجلها القرآن لنا لنعتبر، ولنرى كيف نتعامل مع مثيلاتها في عصرنا الذي كثر فيه الاختلاق.

تفسير الآية الكريمة: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾(7)

مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن حشد) الملأ (أتباعهم، وأمروهم بالثبات على الوثنية، واتهموا النبي صلى الله عليه وسلم بأن له مآرب خفية، ها هم ينتقلون إلى السلاح الأخير في جعبتهم: سلاح "الاستناد إلى الماضي" و "الاحتكام إلى الموروث" .إنهم يقولون بكل ثقة واستعلاء:) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة(! أي: إن دعوة التوحيد الخالص التي يدعو إليها محمد لم نسمع بها في دين آبائنا وأجدادنا القريب) الملة الآخرة(، ولم نجد لها أثرًا فيما توارثناه من عقائد.

مقصد الآية الأعظم: كشف أن الجهل بالماضي ليس دليلا ً على بطلان الحاضر .إنهم يرفضون الحق لا لأنه غير معقول، بل لأنه غير مألوف في دائرة موروثهم الضيقة .ثم يختمون كلامهم بحكم قاطع:)إن هذا إلا اختلاق (أي: كذب وافتراء مختلق من عند محمد .الآية تهدف إلى فضح هذه العقلية المتحجرة التي تقيس صدق الأشياء بمدى مطابقتها لما وجدت عليه الآباء، وتنفي أي إمكانية لتجديد الدين أو تصحيح المسار .إنها تربي فينا نحن المسلمين أن نكون أمة "السمع" للحق، لا أمة "ما سمعنا" للجمود.
تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1/ ﴿مَا سَمِعْنَا﴾: منطق الأذن المغلقة

هذا الفعل المضارع بصيغة الماضي) ما سمعنا (هو إعلان صريح بأن مصدر معرفتهم الوحيد هو ما وصل إلى آذانهم من محيطهم القريب، لا ما تدركه عقولهم من براهين كونية، ولا ما تتلوه عليهم الرسل من وحي السماء.

· دلالة "ما سمعنا": إنها تعني: "نحن لم نألف هذا الكلام في بيئتنا، لذلك هو باطل" .إنها مرجعية الألفة لا مرجعية الحق .هذا المنطق هو الذي جعل فرعون يقول لموسى وهارون:) قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ) (طه: .(51 إنهم يحتكمون إلى التاريخ المحلي المنحرف، لا إلى الفطرة السليمة ولا إلى الوحي ا لإلهي.
· اللمسة التربوية: كم من حق ضاع منا، وكم من فرصة تقدم أضعناها، بسبب هذه الكلمة:) ما سمعنا(! "ما سمعنا بهذا المنهج في التعليم"، "ما سمعنا بهذه الطريقة في الإدارة"، "ما سمعنا أن المرأة يمكن أن تعمل في هذا المجال" .هكذا نقتل الإبداع ونحن نظن أننا نحمي التقاليد.
· المثال التقريبي: في شركة ما، يقترح موظف شاب استخدام الذكاء الاصطناعي لتطوير العمل، فيجيبه المدير القديم بكل ثقة:) ما سمعنا بهذا(! "نحن نعمل بهذه الطريقة منذ ثلاثين سنة، ولم نسمع بهذه الأفكار الغريبة" .هنا تتحول الخبرة إلى عائق، وتصبح) ما سمعنا (قبرًا للأفكار الجديدة.

*2﴿بِهَٰذَا﴾: الإشارة إلى التوحيد والوحي

اسم الإشارة) هذا (يعود على ما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من:

· التوحيد الخالص:) أجعل الآلهة إلهًا واحدًا.(
· الإيمان بالبعث والجزاء: الذي سترد تفصيلاته في السورة.
· الوحي القرآني:) والقرآن ذي الذكر.(

استخدام) هذا (فيه تحقير وتقليل من شأن ما جاء به النبي، وكأنهم يقولون: "هذا الكلام الغريب الذي لا عهد لنا به" .ولكن انظر إلى عظمة القرآن! إنه يسجل كلمتهم هذه لتكون شهادة خالدة على أن ما جاء به النبي هو أمر جديد لم تألفه البشرية المنحرفة، نعم هو جديد، لأن الحق كلما غاب عن الناس صار مجيئه كالنور في الظلام الدامس، يراه الغافلون غريبًا، وهو في الأصل فطرة الله التي فطر الناس عليها.

3/ ﴿فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ﴾: الاحتكام إلى الموروث القريب

هذه العبارة هي مفتاح فهم عقلية المشركين.

· معنى) الملة(: الدين والشريعة والطريقة المتبعة.
· معنى) الآخرة(: أي الأخيرة أو القريبة العهد، وهي ملة قريش التي ورثوها عن آبائهم، أو ملة النصارى الذين كانوا على التثليث) كما ذكر بعض المفسرين .(والمقصود أنهم لم يجدوا التوحيد الخالص في الدين الذي يزاولونه حاليًا.
· التحليل الفكري: لماذا لم يحتجوا إلى) الملة الأولى (ملة إبراهيم وإسماعيل؟ لأنهم قطعوا الصلة بها . هم يحتكمون إلى آخر نسخة منحرفة من الدين، لا إلى أصل الدين .هذا تحذير خطير للأمة الإسلا مية: إياكم أن تجعلوا "الإسلام الموروث المشوب بالبدع والأخطاء" هو المرجعية، وتتركوا الرجوع إلى "الإسلام الأول" عهد النبي والصحابة .إن الأمة التي تقول:) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة (تكرر خطأ قريش، وتحكم على نفسها بالجمود والتخلف.

4/ ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾: الحكم النهائي الجائر

بعد أن أسسوا حجتهم الواهية على أساس) ما سمعنا(، أطلقوا الحكم النهائي.

· معنى) اختلاق(: الاختلاق هو الافتراء والكذب المصنوع .مأخوذ من) خلق (الشيء، أي صنعه من العدم .هم يتهمون النبي صلى الله عليه وسلم بأنه اخترع هذا الدين من عند نفسه، وليس له أصل إلهي.
· اللمسة البلاغية:
· أسلوب القصر) إن ...إلا(:) إن هذا إلا اختلاق (أسلوب قصر يفيد الحصر والتأكيد .هم يحصرون وصف القرآن في) الاختلاق (فقط، وينفون عنه كل وصف آخر) حق، صدق، هدى .(هذا الأسلوب القاطع يعكس الغطرسة الفكرية والثقة الزائفة بالنفس.
· التناقض العجيب: هم قالوا في الآية(4) :) هذا ساحر كذاب (و) أجعل الآلهة إلهًا واحدًا إن هذا لشيء عجاب .(وهنا يقولون:) إن هذا إلا اختلاق .(فمرة هو "سحر"، ومرة هو "عُجاب"، ومرة هو "اختلاق" .هذا التذبذب في التهم دليل على أنهم لا يملكون موقفًا ثابتًا، بل يرمون الكلام على عواهنه، في دليل آخر على إفلاسهم المنطقي.
اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· الانتقال من الفعل) سمعنا (إلى الاسم) الاختلاق(: الفعل) سمعنا (يدل على وقوع السمع في الماضي، أما) الاختلاق (فهو وصف ثابت للنبي عندهم .هذا الانتقال من الحدث الزمني إلى الحكم الدائم يدل على أنهم جعلوا "عدم سماعهم" دليلا ً على "كونه اختلاقًا" .وهذا قياس باطل، لكنهم يقدمونه كحقيقة مطلقة.
· الإيجاز في) الملة الآخرة(: كلمة واحدة) الآخرة (تلخص تاريخًا كاملا ً من الانحراف .لم يقل) الملة التي نحن عليها (بل) الآخرة (ليشير إلى أنها آخر ما وصلت إليه سلسلة الأديان المحرفة، وكأنهم يعترفون بأن دينهم ليس له أصل قديم صحيح.
· التقابل الخفي بين) ما سمعنا (و) الذكر(: في أول السورة قال الله:) والقرآن ذي الذكر .(وفي هذه الآ ية يقولون:) ما سمعنا .(هناك تقابل بين الذكر الذي يوقظ الفطرة، وبين ما سمعنا الذي يعبر عن صمم الأذن وموت القلب .فالقرآن) ذكر (لمن كان له قلب أو ألقى السمع، أما هم فصموا آذانهم فلم يسمعوا.
**الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: احذر عقدة "ما وجدنا عليه آباءنا"

الآية تربي فينا النفور من التقليد الأعمى .إن قول) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة (هو عين قوله تعالى عنهم:) إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ) (الزخرف: .(22 التربية الصحيحة هي التي تربي أبناءها على البحث عن الحق حيث كان، لا على الاستمرار فيما كان عليه الآباء لمجرد أنهم آباء .علموا أولادكم أن يقولوا: "هل هذا حق؟" لا أن يقولوا: "هل سمعنا بهذا من قبل؟".

المفهوم النفسي: الراحة الوهمية في الألفه

نفسيًا، البشر يميلون إلى الألفة حتى لو كانت في الباطل) .ما سمعنا (هي تعبير عن الخوف من الخروج من منطقة الراحة الفكرية .من السهل جدًا أن تظل في نفس القطيع، تفعل ما يفعلون، وتعتقد ما يعتقدون .أما أن تشق طريقًا جديدًا نحو الحق، فهذا يتطلب شجاعة وألمًا نفسيًا .هؤلاء المشركون

اختاروا الراحة الوهمية على عناء البحث عن الحقيقة.

المفهوم الفكري: نقد المرجعية المعرفية

هذه الآية تقدم درسًا فكريًا بليغًا في نقد المرجعية .ما هي مصادر معرفتك؟ هل هي "ما سمعت" فقط، أم "ما عقلت" و "ما أوحي إليك" ؟ المشركون حصروا مرجعيتهم في المسموع المتوارث، فأخطأوا الحقيقة .المسلم الحقيقي مرجعيته مركبة من: الوحي) القرآن والسنة + (العقل السليم + الفطرة السوية .فإذا تعارض "ما سمعنا" مع هذه الأصول، ضربنا بـ "ما سمعنا" عرض الحائط.

الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني إلى أرض الواقع، لنرى كيف يتكرر مسلسل) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة (في حياتنا اليومية.

المثال الأول: في مجال التربية والتعليم) ملة المناهج(

· الموقف: معلم شاب مبدع يقترح استخدام الألعاب التفاعلية والتكنولوجيا الحديثة في تدريس النحو العربي.
· رد فعل الملأ التربوي) المشرفون القدامى(:
·) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة(: "نحن درسنا النحو بالطريقة التقليدية) المتن والشواهد(، وتخرج من تحت أيدينا علماء كبار .لم نسمع بهذه الطرق المبتدعة في تعليم اللغة!".
·) إن هذا إلا اختلاق(: "هذه الأفكار مستوردة من الغرب، وهي مجرد اختلاق لا أصل له في تراثنا التربوي .الهدف منها هدم اللغة وليس تعليمها".
· النتيجة: قتل روح الإبداع لدى المعلم، واستمرار نفور الطلاب من المادة بسبب جمود الطريقة، بحجة "الحفاظ على الملة الآخرة".

المثال الثاني: في الحياة الاجتماعية) ملة العادات(

· الموقف: شاب يريد أن يتزوج من فتاة ذات دين وخلق، لكنها من قبيلة أو طبقة اجتماعية أقل من قبيلته .أو العكس: فتاة تريد الزواج من شاب كفء لكنه ليس من "عائلات معروفة".
· رد فعل الملأ العائلي:
·) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة(: "لم يحدث هذا في عائلتنا من قبل! ما سمعنا أن ابن فلان تزوج من بنت فلان! هذه سابقة خطيرة!".
·) إن هذا إلا اختلاق(: "هذا الكلام عن) الدين والخلق (هو مجرد اختلاق وحجج واهية .الحقيقة أن هذا الزواج غير مناسب اجتماعيًا وسيضر بسمعتنا".
· النتيجة: تعقيد الزواج، وتأخير سن الزواج، ونشر العنوسة، وتضييع معيار النبي صلى الله عليه وسلم:) إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه (بحجة "ما سمعنا بهذا".

المثال الثالث: في مجال الفكر والدعوة) ملة الجمود(

· الموقف: داعية يدعو إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة بفهم المستنير ، ونبذ التعصب المذهبي و التقليد الأعمى.
· رد فعل الملأ المذهبي:
·) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة(: "ما سمعنا أن أحدًا في مذهبنا قال بهذا! أقوال أئمتنا هي المعتمدة، ومن خالفها فهو مبتدع".
·) إن هذا إلا اختلاق(: "هذه الدعوة إلى) الرجوع إلى الكتاب والسنة مباشرة (هي دعوة مختلقة، يقصد بها أصحابها هدم المذاهب ونشر الفوضى الدينية".
· النتيجة: وأد الاجتهاد، وتقديس الأشخاص، وجعل أقوال العلماء حجابًا بين الناس وبين فهم كتاب ربهم.
وانزال اقوال العلماء منزله تقديس الكتاب والسنة
المثال الرابع: على مستوى الفرد) ملة العادات الشخصية(

· الموقف: شخص يريد أن يقلع عن عادة التسويف وتأجيل الأعمال، ويخطط لتنظيم وقته والاستيقاظ لصلاة الفجر حاضرًا.
· رد فعل النفس الأمارة) الملأ الداخلي(:

·) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة(: "أنت طول عمرك هكذا! ما سمعنا أنك استطعت أن تلتزم بجدول! هذه طبيعتك، لا تحاول تغييرها".
·) إن هذا إلا اختلاق(: "هذا الحماس الذي تشعر به هو مجرد اختلاق مؤقت، وسرعان ما يزول .لا تضيع وقتك في وضع خطط لن تلتزم بها".
· النتيجة: استمرار التسويف، وتثبيط الهمة عن التغيير الإيجابي، بحجة "هذه هي الملة التي وجدت نفسك عليها".

ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1ميزان الحق لا ميزان "ما سمعنا"

اجعل شعارك في الحياة: "هل هذا حق؟" لا "هل سمعنا بهذا من قبل؟" .عندما يأتيك أمر جديد، سواء كان فكرة، أو مشروعًا، أو نصيحة، أو حكمًا شرعيًا، لا ترفضه لمجرد أنك لم تألفه .ابحث عن دليله، واستشر عقلك وفطرتك، واسأل أهل الذكر .بهذا تتحرر من عبودية العادة والتقليد.

.2التفريق بين الثابت والمتغير في) الملة(

في حياتنا الإسلامية، هناك ثوابت لا تقبل التغيير) أصول العقيدة، أركان الإسلام، القطعيات الأخلاقية .(وهناك متغيرات) وسائل الدعوة، طرق التعليم، أساليب الإدارة، العادات الاجتماعية المباحة .(لا تخلط بينهما .لا تجعل المتغيرات) الملة الآخرة (حاكمة على الثوابت) الملة الأولى .(ولا تجمد المتغيرات بحجة أنها من "الملة".

.3الشجاعة في مواجهة) اختلاق (المثبطين

عندما تسمع كلمة) اختلاق (توجه إلى مشروعك الإصلاحي، لا تنهر .اعلم أن هذه شهادة ضمنية من خصومك بأن ما جئت به جديد و غير مألوف، وهذه إحدى علامات الإبداع .المقلدون لا يتهمون بالا ختلاق، بل المبدعون والمجددون .فاستبشر بهذه التهمة، وامض في طريقك ما دمت على بينة من ربك.

.4تدبر القرآن لتفهم تحذيره من منطق) ما سمعنا(

اقرأ القرآن وأنت تبحث عن الآيات التي تحارب هذا المنطق:) وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا .(ستجد أن القرآن يملأ قلبك يقينًا بأن الحق أكبر من الموروث، وأن الوحي أعلى من التقاليد .اجعل هذه الآيات زادك في مواجهة ضغط المجتمع.

.5مراجعة) ملة البيت (و) ملة العمل(

اجلس مع نفسك واسألها: ما هي) الملة الآخرة (التي تحكمني؟ هل هي العادات الأسرية التي تخالف الشرع؟ هل هي) شلة (الأصدقاء التي تفرض علىّ سلوكيات معينة؟ هل هي ثقافة العمل الفاسدة)الواسطة، التواكل(؟ اكتشف) ملتك الآخرة (واعرضها على) ملة الإسلام الأولى(، وقرر أيهما تتبع.

**أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري، لنرى كيف يمكن لهذه المعاني أن تبني أمة.

.1البعد الفكري الحضاري: تحرير العقل من سلطة الماضي المطلقة

كل حضارة تريد أن تنهض يجب أن تحل معضلة العلاقة مع الماضي .هل الماضي قدوة نقدسها ونعيش في ظلها، أم هو عبرة نستلهمها ونبني عليها؟ هذه الآية تحرر العقل المسلم من "سلطة الماضي المطلقة" .إنها تعلمنا أن نكون أمة "السمع" للوحي، لا أمة "ما سمعنا" للآباء .هذا التحرر هو أول خطوة في طريق الإبداع والابتكار .الحضارة الإسلامية قامت عندما قال الأوائل: "سمعنا من رسول الله شيئًا لم نسمعه من آبائنا فاتبعناه" .وتخلفت الأمة عندما قالت: "ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة".

.2البعد الاجتماعي التنموي: كسر دائرة الجمود والتقليد

المجتمع الذي يسود فيه منطق) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة (هو مجتمع مغلق، يرفض التغيير، ويحارب المصلحين، ويأكل أبناءه .التنمية بكل أشكالها) اقتصادية، اجتماعية، سياسية (تحتاج إلى الا نفتاح على الأفكار الجديدة وتجريب الوسائل النافعة .هذه الآية تهدم الأساس الفكري للجمود، وتفتح الباب واسعًا لـ "الاجتهاد" و "التجديد" .هي دعوة صريحة للمجتمع أن يخرج من قمقم "الملة الآخرة" إلى فضاء "الذكر الحكيم".

.3البعد التربوي في بناء الإنسان: بناء الشخصية الناقدة المستقلة

الإنسان الذي تبنيه هذه الآية هو إنسان ناقد، لا يقبل كل ما يلقى إليه، بل يعرضه على موازين الحق . إنه إنسان مستقل في تفكيره، لا يذوب في الجماعة .هذا النوع من البشر هو لبنة المجتمع الحي، لا المجتمع الميت .التربية التي تهدف إلى إنتاج) نسخ كربونية (من الآباء هي تربية معطلة .أما التربية القرآنية فتهدف إلى إنتاج جيل يفهم عصره، ويحسن التعامل مع تراثه، ويجرؤ على قول:) هذا حق (ولو خالف قومه، و) هذا باطل (ولو قال به آباؤه.

.4البعد الأخلاقي: تجريم الكذب على التاريخ) الاختلاق(

الآية تدين الاختلاق وتصفه بأنه تهمة باطلة .ولكن في عصرنا، أصبح اختلاق التاريخ و اختلاق التراث صناعة كاملة .هناك من يختلق تاريخًا مزيفًا لطائفة، أو يختلق أحاديث مكذوبة ليدعم بدعته .هذه الآ ية تربي فينا الأمانة العلمية في التعامل مع الماضي، وتجعلنا نحارب الاختلاق في كل صوره، سواء كان اختلاق أخبار، أو تلفيق أحداث، أو تزوير حقائق .فالحضارة الصحيحة لا تُبنى على الاختلاق و الكذب.

.5البعد الاستراتيجي: حماية الثوابت من التشويه باسم التراث

أخطر تطبيقات هذه الآية هو حماية أصول الدين) الملة الأولى (من أن تُشوه باسم "التراث") الملة الآ خرة .(كثير من البدع والخرافات دخلت إلى المسلمين عبر القرون، ثم أصبحت جزءًا من "الملة الآخرة" التي يقولون عنها: "ما سمعنا بغير هذا" .فإذا جاء من يدعو إلى تنقية الدين من هذه الشوائب، قالوا:)ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق(! هذه الآية سلاح استراتيجي في أيدي دعاة التجديد والإصلاح، لأنها تفضح حجة الجمود، وتعيد الأمة إلى ينابيعها الصافية الأولى.

**كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1تدريب العقل على السؤال النقدي: كلما واجهت موقفًا يقول لك فيه أحدهم: "هذا هو المعتاد"، أو "هكذا وجدنا آباءنا"، توقف واسأل نفسك: هل هذا المعتاد يوافق الحق؟ اجعل هذا السؤال عادة ذهنية يومية.
.2تخصيص وقت لدراسة) الملة الأولى(: خصص وقتًا أسبوعيًا لقراءة سيرة النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة، وفهم كيف كانوا يعيشون الإسلام في "الملة الأولى" .هذا يجعلك تمتلك مقياسًا واضحًا للحكم على "الملة الآخرة" التي تعيشها.
.3تحدي منطقة الراحة الشخصية: اكسر روتينك اليومي بشيء بسيط .غير طريقك إلى العمل، تعلم مهارة جديدة، تحدث مع شخص لم تعتد الحديث معه .هذه التمرينات الصغيرة تدرب عقلك على المرونة وعدم الخضوع لـ) ما سمعنا (في تفاصيل حياتك.
.4الصدع بالحق بلطف: عندما ترى منكرًا أو بدعة يبررها الناس بأنها "عاداتنا وتقاليدنا") ملتنا الآخرة(، فأنكرها بقلبك، وحاول تغييرها بلسانك بالحكمة والموعظة الحسنة .لا تكن ممن يقول:) ما سمعنا بهذا (عندما يُدعى إلى المعروف.
.5الدعاء بطلب الهداية والثبات: سل الله دائمًا أن يريك الحق حقًا ويرزقك اتباعه، وأن يريك الباطل باطلا ً ويرزقك اجتنابه، وألا يجعلك أسيرًا للعادات والتقاليد، وأن يجعل مرجعيتك كتابه وسنة نبيه.
سادسا
أيها القارئ الحبيب، يا من يبحر معنا في آيات الله وكأنه يسمعها غضّة تتلى من جديد .لقد قطعنا شوطًا عظيمًا في تدبر سورة) ص .(رأينا العزة الكاذبة، والشقاق المهلك، وسمعنا صرخات الماضين في غير أوانها، ودخلنا مجالس المشركين وهم يتعجبون من الدعوة إلى التوحيد، ورأينا) الملأ (وهم ينطلقون يوصون أتباعهم بالثبات على الباطل، ثم سمعناهم يتدرعون بحجة عجيبة:) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق.(

والآن تأتي الآية الثامنة لتضع أيدينا على الجرح الغائر، على العقدة النفسية الحقيقية التي كانت سببًا في كل هذا العناد .إنها الآية التي تنقلنا من ساحة الجدل حول) صحة الرسالة (إلى ساحة الكشف عن)أزمة المتلقي .(إنها آية تكشف لك – أيها الإنسان – أن المشكلة ليست في نور الشمس، بل في العيون التي أغلقت جفونها .إنها تقول لنا بصريح العبارة: إنهم لا ينكرون أن محمدًا صادق، ولا ينكرون أن القرآن معجز، بل هم ينكرون أن يختصه الله بهذا الشرف من بينهم!

فلنفتح قلوبنا، ولنستعد لمواجهة مرآة تكشف لنا بعض أمراض نفوسنا، عسى أن نتعافى.
تفسير الآية الكريمة: ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ﴾(8)

مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن حشد المشركون كل حججهم الواهية ضد الدعوة، من التكذيب إلى الاتهام بالسحر والكذب، إلى التحذير من المؤامرة) إن هذا لشيء يراد(، إلى التعلق بالموروث) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة(، ها هم الآن يسقطون القناع تمامًا ويكشفون عن الدافع الخفي وراء كل هذا العناد .إنهم يسألون سؤالا ً استنكاريًا مملوءًا بالحسد والغيرة:) أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا(؟! أي: كيف يختص الله محمدًا – وهو فرد منا – بهذا الشرف العظيم، ويتركنا نحن كبراء قريش وسادتها؟!

مقصد الآية الأعظم: كشف مرض الحسد والاستكبار على اصطفاء الله .إن الآية تنتقل من الرد على شبهاتهم الظاهرية إلى علاج مرضهم القلبي العميق .ثم تنتقل إلى بيان حقيقة حالهم:) بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي (فهم ليسوا على يقين من باطلهم، بل هم في اضطراب وشك .ثم تختم بتهديد مبطن:) بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (أي أن سبب إصرارهم أنهم لم يروا العذاب بعد، ولو ذاقوه لزال شكهم .إنها آية تبني فينا التسليم لاختيار الله، والتحذير من الحسد على الفضل الإلهي، وفهم سيكولوجية المكذبين.

تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1/ ﴿أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا﴾: صرخة الحسد والاستنكار

هذا الاستفهام) أأنزل (ليس استفهامًا حقيقيًا يطلب الفهم، بل هو استفهام إنكاري مشوب بالتعجب والا عتراض .إنه صرخة الحسد التي تفوح منها رائحة الأنا المتضخمة.

· تحليل نفسي عميق: لماذا يعترضون؟ هل لأن محمدًا كاذب؟ لا، فهم يعلمون صدقه وأمانته .هل لأن القرآن غير معجز؟ لا، فقد عجزوا عن الإتيان بمثله .إذًا ما المشكلة؟ المشكلة في قوله:) مِن بَيْنِنَا .(إنها المشكلة العنصرية والطبقية .هم يرون أن شرف النبوة يجب أن يكون لأحد العظماء من صناديد قريش، مثل الوليد بن المغيرة أو عتبة بن ربيعة .كيف يكون هذا اليتيم الفقير هو المختار؟!
· اللمسة البيانية: التعبير بـ) الذكر (هنا له دلالة عظيمة .فالذكر هو القرآن، وهو أيضًا الشرف والرفعة . هم يعترضون على الشرف الذي ناله محمد صلى الله عليه وسلم .وكأنهم يقولون: كيف ينال هو هذا)الذكر (الشرف، ونحن أولى به منه؟!
· الرسالة التربوية الأولى: الله يختار لدينه من يشاء، وليس الاختيار بالأموال ولا بالأنساب) .اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ) (الأنعام: .(124 هذه الآية تقتل في نفوسنا عقدة الاستحقاق الزائفة .لا تقل: لماذا فلان رزق ولم أرزق؟ لماذا فلان تبوأ منصبًا وأنا أولى منه؟ إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.
· المثال التقريبي: تخيل شركة كبرى، يعلن مديرها العام عن ترقية موظف شاب بسيط إلى منصب نائب الرئيس .ماذا يفعل الموظفون القدامى أصحاب الأقدمية؟ بعضهم سيقول بغيظ وحسد:) أأنزل عليه الذكر من بيننا(؟! "كيف تتم ترقية هذا الشاب الصغير ونحن الذين بنينا هذه الشركة؟! ما هذا الهراء؟!" .هم لا يعترضون على كفاءة الشاب) فقد يكون عبقريًا(، بل يعترضون على تجاوزهم هم . هذه هي ذات العقدة.

2/ ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي﴾: الانتقال من وصف الداء إلى وصف الحالة

)بل (هنا للإضراب الانتقالي .إنها تعني: دعكم من تحليل كلامهم عن) أأنزل عليه الذكر(، فالقضية أعمق من ذلك .إنهم في الحقيقة) في شَكٍّ مِّن ذِكْرِي.(

· دلالة) شك(: الشك ليس يقينًا بالبطلان، بل هو اضطراب وتردد .هم ليسوا متأكدين أن محمدًا على باطل، ولكنهم ليسوا متأكدين أيضًا أنه على حق .إنهم في منطقة رمادية من الحيرة والقلق .هذه

الحالة النفسية خطيرة جدًا؛ لأن صاحبها لا يقدم على الإيمان خوفًا من تبعاته، ولا يصرح بالكفر الصريح فيستريح، فيبقى معلقًا في دوامة العذاب النفسي.
· لماذا قال) ذكري(؟ الله تعالى ينسب الذكر إلى نفسه:) ذِكرِي .(وفيه من التهديد والوعيد ما فيه .إنهم يشكون في كلام الله! يشكون في ذكر الله! هذا ليس مجرد شك في شخص محمد، بل هو شك في رب العالمين الذي أنزل الذكر .وهذا منتهى الجرأة والضلال.
· اللمسة النفسية: الشك هنا هو نتيجة الحسد .الحسد أعمى بصيرتهم، فصاروا في شك .النفس التي يملؤها الحسد لا ترى الحق واضحًا، بل تراه مشوشًا مشكوكًا فيه .فالحسد يولد الشك، والشك يمنع من اليقين والإيمان.

3.{بَل لمّا يَذوقوا عَذاب}: الانتقال إلى العلاج الإلهي الأخير

مرة أخرى تأتي) بل (لتنتقل إلى مرحلة أعمق وأخطر .لماذا هم في هذا الشك رغم وضوح الآيات؟ السبب:) لمّا يَذوقوا عَذاب.(

· معنى) لما(: حرف نفي وجزم وقلب، يدل على أن نفي الشيء متصل بزمن التكلم، مع توقع حدوثه في المستقبل .أي: لم يذوقوه بعدُ، ولكنهم سيذوقونه حتمًا.
· دلالة) يذوقوا عذاب(: استعارة عجيبة .الذوق هو أخص طرق الإدراك الحسي وأشدها التصاقًا بـ النفس .العذاب ليس مجرد شيء يُرى أو يُسمع، بل هو شيء يُذاق! أي يخالط أرواحهم وأجسادهم مخالطة الطعام للذائق .هذا التعبير يهز الوجدان هزًا.
· الربط بين الشك والعذاب: هناك تلازم عجيب بين) شك (و) عذاب .(طالما أن العذاب لم ينزل، فهم يتقلبون في شكهم وغرورهم .ولكن متى يذوقون العذاب، فإن هذا الشك سيتحول إلى يقين، ولكن بعد فوات الأوان .وهذا ما حذرت منه الآية الثالثة:) فنادوا ولات حين مناص .(إن الله يمهلهم لعلهم يرجعون، فإذا لم يرجعوا، كان العذاب هو الذي يوقظهم من غفلتهم، ولكنها يقظة لا تنفع.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· تكرار حرف) بل(: تكرر حرف) بل (مرتين في الآية .هذا التكرار ليس عبثًا، بل هو أسلوب قرآني بديع يسمى "التدرج في الإضراب".
· الإضراب الأول) بل هم في شك(: ينقلنا من الظاهر) اعتراضهم على اصطفاء محمد (إلى الباطن)حقيقة أنهم في شك.(
· الإضراب الثاني) بل لما يذوقوا عذاب(: ينقلنا من الباطن) الشك (إلى أعمق منه وهو سبب استمرار الشك) عدم ذوق العذاب .(هذا التدرج يرسم لنا خريطة نفسية كاملة للمشركين: حسد ← شك ← أمن من العذاب.
· المقابلة بين) الذكر (و) ذكري (و) عذاب(:
·) الذكر(: الشرف والقرآن الذي جاء به محمد.
·) ذكري(: كلام الله الذي أنزله.
·) عذاب(: نتيجة التكذيب بـ) ذكري.(
هذه المقابلة تظهر لنا أن من لم ينتفع بـ) الذكر (شرفًا وهداية، سيناله) العذاب (هوانًا وخزيًا.
· الاستفهام الإنكاري) أأنزل(: خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي) طلب الفهم (إلى معنى التعجب والا عتراض والإنكار، وهذا يصور لنا شدة حنقهم وغضبهم وعدم تصديقهم لما يحدث.

*الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: التسليم لحكمة الله في الاختيار والاصطفاء

الآية تربي فينا التواضع و الرضا بقسمة الله .لماذا فلان أكثر مني مالا ً؟ لماذا فلان أكثر مني علمًا؟ لماذا فلان ابتليت وأنا عوفيت؟ لا تسأل سؤال المعترض:) أأنزل عليه من بيننا .(بل قل:) اللّهم هذا فضلك تؤتيه من تشاء .(هذه التربية تبني فيك نفسًا مطمئنة، لا تأكلها الغيرة والحسد، فتعيش في سعادة ورضا.

المفهوم النفسي: الحسد أصل الداء

هذه الآية تضع يدك على المرض النفسي الأول الذي دفع إبليس لمعصية الله:) قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ .(إنه مرض التفاضل الجاهلي .الكبر والحسد وجهان لعملة واحدة .عندما ترى في نفسك مشاعر سلبية تجاه نعمة أنعم الله بها على غيرك، فاعلم أنك مصاب بهذا الداء .وعليك أن تعالجه فورًا بـ:

.1الإقرار بأن الفضل بيد الله.
.2الدعاء للشخص الذي حسدته بالبركة.
.3تذكر أن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب.

المفهوم الفكري: خطورة منطقة) الشك (الرمادية

كثير من الناس لا يصلون إلى درجة الجحود والإلحاد الصريح، ولكنهم يعيشون في) شك من ذكر الله .(هم لا يقرؤون القرآن بتدبر، ولا يبحثون عن الحق، بل يطفون على السطح .هذه المنطقة الرمادية هي أخطر منطقة؛ لأن الشيطان يمنّي صاحبها بأنه "حيادي" أو "باحث عن الحقيقة"، والحقيقة أنه متقاعس .المطلوب منك فكريًا أن تكون صاحب يقين، واليقين لا يأتي إلا بالبحث الجاد والتدبر و التجرد لله.

**الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننظر كيف تعيش هذه الآية بيننا اليوم، في بيوتنا وأعمالنا ومجتمعاتنا.

المثال الأول: في محيط الأسرة) الحسد بين الإخوة(

· الموقف: الأب يهدي أحد أبنائه هدية قيمة) سيارة (لأنه يراه أكثر حاجة أو أكثر برًا، بينما لا يهدي ا لآخرين مثلها.
· رد فعل الإخوة) على طريقة المشركين(:
·) أأنزل عليه الذكر من بيننا(: "لماذا هو بالذات؟! هل نحن أقل منه؟! هذا ظلم!".
·) بل هم في شك من ذكر أبيهم(: هم لا يوقنون بحكمة أبيهم وعدله، فيشكون في نيته، ويظنون به الظنون.
·) بل لما يذوقوا عواقب العقوق(: لم يذوقوا بعدُ مرارة قطع الرحم وسخط الوالدين، ولو ذاقوها لندموا.
· الدرس: احذر أن يكون حب التملك والغيرة سببًا في هدم أسرتك .تعلم الرضا بقسمة الله وقسمة الوالدين، واطلب البركة فيما أعطاك الله.

المثال الثاني: في بيئة العمل) الحسد المهني(

· الموقف: تتم ترقية زميل لك في العمل، وأنت ترى أنك أكثر خبرة وأقدم منه.
· رد فعل النفس) الملأ الداخلي(:
·) أأنزل عليه الذكر من بيننا(: "كيف يحدث هذا؟! هذا غير عادل! المدير متحيز! أنا أولى بهذه الترقية!".
·) بل هم في شك من عدالة النظام(: تبدأ في الشك في كل قرارات الإدارة، وتفقد الثقة في بيئة العمل.
·) بل لما يذوقوا عواقب الحسد(: لم تذق بعدُ مرارة التعطيل عن العمل، وكراهية الزملاء، وتدمير صحتك النفسية، ولو ذقتها لتبت.
· الدرس: بدل أن تحسد زميلك، اسأله عن سر نجاحه، وتعلم منه .الحسد يجعلك تقف في مكانك أو تتراجع، أما الاقتداء بالنجاح فيجعلك تتقدم.

المثال الثالث: على مستوى الدعوة والإصلاح) لماذا يرفض الناس المصلحين؟(

· الموقف: شاب ملتزم يدعو رفاقه إلى ترك المعاصي، فيرفضون دعوته بشدة.
· رد فعل الرفاق:
·) أأنزل عليه الذكر من بيننا(: "من أنت حتى تعظنا؟! ألم تكن معنا بالأمس تفعل كذا وكذا؟!") وهذا هو الاعتراض على اصطفاء الله له بالهداية.(
·) بل هم في شك من ذكر ربهم(: هم يعلمون أنه على حق، ولكنهم في شك من جدوى الالتزام، أو في شك من أنفسهم هل يستطيعون التغيير.
·) بل لما يذوقوا عواقب المعاصي(: لم يشعروا بعدُ بمرارة الذنوب وحرمان التوفيق.
· الدرس: إذا كنت من أهل الإصلاح، فلا تتعجب من رفض الناس .تذكر أنهم يرفضونك لنفس السبب الذي رفض به المشركون النبي صلى الله عليه وسلم:) أأنزل عليه الذكر من بيننا .(فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل.

المثال الرابع: على مستوى الأمة) التخلف الحضاري(

· الموقف: أمة الإسلام تتخلف عن ركب الحضارة، ثم ترى أممًا أخرى كافرة تتفوق في العلوم و التكنولوجيا.
· رد فعل بعض المسلمين) المتشائمين(:
·) أأنزل عليه الذكر من بيننا(: "كيف يكونون هم متقدمين ونحن متخلفون ونحن نملك دين الحق؟!".
·) بل هم في شك من وعد الله(: هم يشكون في أن التمكين للأمة إنما يكون بإقامة دين الله، لا بـ التمني.
·) بل لما يذوقوا عذاب التخلف كاملا ً(: لم يروا بعدُ أسوأ عواقب ترك أسباب القوة المادية و المعنوية.
· الدرس: لا تعترض على سنة الله في الكون:) إِنَّ اللهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ .(بدل أن تحسد الغرب على تقدمهم، اسعَ أنت لتأخذ بأسباب التقدم التي أمر بها دينك.
**ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي ثمرة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1التخلص من عقدة) لماذا أنا؟ ولماذا هو؟(

الآية تدعونا إلى أن نريح عقولنا وقلوبنا من أسئلة الاعتراض على قدر الله .لا تسأل: "لماذا فلان رزق بكذا وأنا لا؟" .بل اسأل: "ماذا يريد الله مني أن أفعل في وضعي الحالي؟" .هذا التحول في السؤال ينقلك من الاعتراض إلى العمل، ومن الحسد إلى الرضا.

.2الحذر من منطقة) الشك (القاتلة

إذا وجدت نفسك في شك من أمر ديني، أو في حيرة من حكمة شرعية، فلا تبق في هذا الشك . اسأل أهل الذكر، وابحث في كتب التفسير والعقيدة .الشك الذي لا تسعى لإزالته هو أول دركات الهلا ك .كن صاحب يقين، واليقين يحتاج إلى جهد وطلب.

.3التعامل مع نجاح الآخرين بمنطق) الذكر (لا بمنطق) الحسد(

عندما ترى زميلا ً ناجحًا، أو داعية مؤثرًا، أو غنيًا منفقًا، فقل: "الحمد لله الذي أنعم عليه" .ولا تقل: "لماذا هو وليس أنا؟" .تذكر أن الله هو الذي) أنزل الذكر على من يشاء .(فاطلب من الله من فضله، وادعُ للآخرين بالبركة تنجُ من الحسد.

.4فهم سيكولوجية المعاندين لئلا نحبط

إذا كنت داعيًا إلى الله، أو صاحب فكرة إصلاحية، ووجدت عنادًا شديدًا، فاعلم أن جزءًا كبيرًا من المشكلة ليس في فكرتك، بل في نفوس المعارضين) .أأنزل عليه الذكر من بيننا (هي العقدة الأزلية . فهم هذا يريح قلبك، ويجعلك لا تأخذ الرفض على محمل شخصي، بل تعذرهم وتستمر في دعوتك برفق.

.5الاعتبار بالعذاب قبل نزوله

الآية تقول:) بل لما يذوقوا عذاب .(كن أنت من الذين) يذوقون (حلاوة الإيمان قبل أن يذوقوا مرارة العذاب .تذوق طعم الطاعة، وطعم القرب من الله، وطعم السجود، فإن هذا التذوق هو الذي يغنيك عن تذوق العذاب.
**أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة هي التي تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري، لنرى كيف يمكن لهذه المعاني أن تبني أمة.

.1البعد الاجتماعي والسياسي: مكافحة المحسوبية والاستبداد

الآية تدين منطق) أأنزل عليه الذكر من بيننا (الذي يقوم على الاعتراض على معايير الاختيار الإلهية

القائمة على الكفاءة والأهلية، واستبدالها بمعايير بشرية) النسب، الثروة، الجاه .(أي مجتمع أو دولة تقوم على هذا المنطق في توزيع المناصب والمسؤوليات) لماذا فلان وليس أنا؟ أنا ابن العائلة الكبيرة! (هو مجتمع فاسد و غير عادل .هذه الآية ترسي مبدأ المساواة وتكافؤ الفرص بناءً على الجدارة، لأن الله هو الذي يصطفي، وهو أعلم بمن يستحق.

.2البعد التربوي في بناء الإنسان: بناء الثقة بالنفس من خلال الرضا

الإنسان الذي يتربى على هذه الآية هو إنسان راض عن نفسه وعن قدره .هو لا يقارن نفسه بالآخرين فيرتفع إن تفوق عليهم، وينهار إن فاقوه .هو يعلم أن الله قسم الأرزاق والمواهب بحكمة .هذا الرضا يولد ثقة بالنفس هادئة، لا غرور فيها ولا انكسار .مثل هذا الإنسان هو لبنة صلبة في بناء المجتمع؛ لأ نه يعمل فيما يحسن، ولا يحسد من أحسن الله إليه، فيسود التعاون لا التنافس المدمر.

.3البعد الفكري الحضاري: محاربة الشكوك التي تفتت الأمة

أخطر ما يواجه الحضارات هو الشك في مرجعياتها وقيمها .أمة) بل هم في شك من ذكري (هي أمة مهزوزة، لا تثق في ماضيها، ولا تطمئن إلى مستقبلها .هذه الآية تدعونا إلى بناء اليقين الحضاري المبني على) الذكر .(عندما نكون على يقين من صحة ديننا، ومن حكمة شريعتنا، ومن عدالة قيمنا، فإننا ننطلق إلى التنمية والبناء بثبات، ولا تزعزعنا شبهات المشككين ولا دعايات المغرضين .اليقين هو أساس العمل الحضاري.

.4البعد النفسي في مواجهة الحضارة المادية: علاج عقدة النقص

في عصرنا الحديث، تعيش الأمة الإسلامية حالة من الانبهار بالغرب و عقدة النقص الحضاري .هذا هو عين قولهم:) أأنزل عليه الذكر من بيننا (ولكن بشكل معكوس .هم قالوها اعتراضًا على أن محمدًا نال الشرف .ونحن نقولها اعتراضًا على أن غيرنا نال التقدم! كلا الموقفين خطأ .العلاج هو أن نؤمن بأن الله) يؤتي فضله من يشاء (في الدنيا والآخرة .إذا أردنا التقدم، فعلينا أن نأخذ بأسبابه، لا أن نعترض على من أخذه .هذه الآية تبني فينا توازنًا نفسيًا بين عدم الحسد على الخير الدنيوي، وعدم الاستسلا م للتخلف.

.5البعد الغيبي والإيماني: الإيمان بأن العذاب آتٍ للظالمين

في عصر يظن فيه الظالمون أنهم أفلتوا من العقاب، تأتي هذه الآية لتثبت في قلوب المؤمنين أن)لما يذوقوا عذاب .(إنه تأجيل للعذاب، وليس إلغاء له .هذا البعد الغيبي يزرع في نفوس المصلحين الصبر و الاستمرار .إنهم يعلمون أن الباطل منصور في جولة، لكنه مهزوم في النهاية .هذا اليقين بـ المستقبل هو وقود العمل الحضاري، لأن الحضارة مشروع طويل النفس، يحتاج إلى من لا يتعجل قطف الثمار قبل أوانها.

**كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1مراجعة يومية للنية: كل صباح، اسأل نفسك: هل أعمل هذا العمل لله أم لمجرد أن أكون) من بين الناس(؟ تخلص من الرغبة في لفت الأنظار، واجعل شعارك: "اللهم اجعلني ممن اصطفيتهم لطاعتك، لا ممن يعترضون على قسمتك".
.2تمرين) الرضا بالآخر(: كلما رأيت نعمة عند أحدهم، سواء كانت سيارة جديدة، أو منصبًا، أو علمًا، أو جمالا ً، فقل فورًا وبصدق: "اللهم بارك له، وزدني من فضلك" .بهذا التمرين العملي، تتحول مشاعر الحسد إلى دعاء، وتصبح مصدر خير لك وله.
.3تحصين اليقين بطلب العلم: إذا شعرت بشك تجاه أمر ديني، فلا تهمله .افتح كتاب تفسير، أو استمع إلى درس لعالم ثقة .اجعل من) الشك (دافعًا للبحث عن) اليقين(، لا أن تتركه يستفحل في قلبك.
.4قراءة التاريخ لتذوق العذاب بالمعنى: اقرأ في قصص الأمم السابقة، وتأمل كيف أذاقهم الله العذاب بعد استكبارهم .تصور مشاهدهم وهم في النار، وقل لنفسك: "أعوذ بالله أن أكون منهم" .هذا التصور يجعلك) تذوق (العذاب بمعنى الاعتبار، فتستيقظ قبل فوات الأوان.
.5الدعاء في السجود: اسأل الله في سجودك: "اللهم اهدني لليقين، واصرف عني الحسد، وارزقني الرضا بقسمتك، وأجرني من عذابك قبل أن أذوقه".
سابعا
أيها القارئ الكريم، يا من قطعنا معًا رحلة تدبر في أعماق سورة) ص(، وشاهدنا كيف تنكشف طبقات

النفوس المعرضة، وسمعنا صرخة الحسد الخفية:) أأنزل عليه الذكر من بيننا(، وعرفنا أنهم في شك من ذكر الله، وأنهم لم يذوقوا العذاب بعد .والآن، تأتي ثلاث آيات متلاحقات كالصواعق، تهز عروش المستكبرين، وتكشف عن حقيقة ملكهم الموهوم، وتنذرهم بهزيمة ماحقة .إنها آيات تنتقل من التوبيخ إلى التحدي إلى التهديد، في مشهد مهيب يرسم صورة كاملة لعجز الإنسان أمام جبروت الله.

فلنقف مع هذه الآيات بقلوب خاشعة، وعقول متدبرة، ولنستلهم منها دروسًا لحياتنا وواقعنا، ولنبني بها إيماننا ويقيننا.

تفسير الآيات الكريمة: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾ (9) ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾ (10) ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾(11)

مقدمة الآيات وأهدافها ومقاصدها

بعد أن اعترض المشركون على اختيار الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليكون حامل الرسالة، وكأنهم شركاء لله في ملكه، يأتي هذا المقطع القرآني ليرد عليهم ردًا يسحق كبرياءهم .إنه ينتقل من تسفيه عقولهم إلى إثبات عجزهم المطلق، ثم إلى التهديد الصريح بالهزيمة.

مقصد الآيات الأعظم: تحطيم وهم السيادة الإنسانية .إنها تذكر البشر – كل البشر – أنهم لا يملكون شيئًا من خزائن رحمة الله، ولا يملكون ذرة من ملك السموات والأرض .فكيف يعترضون على حكمة الله في العطاء؟ وكيف يستكبرون عن طاعته؟ ثم تختم الآيات ببشارة للمؤمنين وإنذار للكافرين: إن هؤلاء ما هم إلا) جند مهزوم(، مصيرهم كمصير الأحزاب من قبلهم الذين تحزبوا على الأنبياء.

إنها آيات تبني في قلب المؤمن الثقة بوعد الله، و الاستهانة بقوة الباطل مهما بدت عظيمة، و اليقين بأن العزة لله جميعًا.

تحليل عناصر الآيات ومفرداتها

الآية التاسعة: ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾
1/ ﴿أَمْ﴾: استفهام إنكاري توبيخي

)أم (هنا ليست للاستفهام الحقيقي، بل هي استفهام إنكاري بمعنى) بل (التي تفيد الإضراب والانتقال إلى توبيخ جديد .كأنه يقول: دعوا ادعاءهم أنهم أولى بالنبوة، وأخبروني:) أم عندهم خزائن رحمة ربك(؟! إنها تعني: "أفعلًا يظنون أنهم يملكون خزائن رحمة الله حتى يوزعوها كيف شاءوا؟!".
2/ ﴿عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ﴾: كسر عقدة الاستحقاق

· معنى) خزائن رحمة ربك(: الرحمة هنا عامة تشمل النبوة و الرسالة، وتشمل الرزق و العلم و الحكمة و الملك .إنها كل خير يفيضه الله على عباده .والخزائن جمع خزانة، وهي ما تُحفظ فيه الأشياء النفيسة .والتعبير ب-) خزائن (يدل على السعة والكثرة التي لا تنفد.
· التحليل الفكري: هم اعترضوا على إنزال الذكر على محمد قائلين:) أأنزل عليه الذكر من بيننا .(فرد الله عليهم: هل أنتم الذين تملكون خزائن رحمتي فتمنحون من شئتم وتمنعون من شئتم؟! إنكم لا تملكون شيئًا، فالاعتراض إذًا في غير محله.
· اللمسة التربوية: هذا يذكرنا بقول الله في سورة أخرى:) وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ) (القصص: .(68 لا يحق لمخلوق أن يعترض على اختيار الخالق .فإن اعترضت، فكأنك تدّعي أنك تملك خزائن الرحمة، وهذا كفر بالنعمة.
3/ ﴿رَبِّكَ﴾: خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بالربوبية

استخدام لفظ) ربك (فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت لقلبه .وكأن الله يقول له: "لا تحزن يا محمد، فأنا ربك، وربك هو الذي يملك الخزائن، وهو الذي اختارك، فلا تلتفت لاعتراضهم".
4/ ﴿الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ﴾: ختم الآية باسمين جليلين

·) العزيز(: الغالب الذي لا يُغلب، القوي الذي لا يمانع فيما يريد .هو عزيز في ملكه، فلا يستطيع أحد أن ينتزع من خزائنه شيئًا إلا بإذنه.
·) الوهّاب(: كثير الهبات والعطايا، يهب بلا مقابل، ويعطي بلا سؤال .وهو الذي وهبك النبوة يا محمد، ووهب غيرك المال أو العلم أو الجاه.
· اللمسة البلاغية: الجمع بين) العزيز (و)الوهاب (يدل على أن عطاء الله لا ينقص من عزته وسلطانه

شيئًا .هو عزيز لا يُقهر، ومع ذلك هو وهاب جواد كريم .فإذا وهب أحدًا فلا راد لفضله، وإذا منع أحدًا فلا معطي له.

الآية العاشرة:
﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾
1/-﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾: الانتقال إلى تحدٍ أكبر

بعد أن نفى عنهم ملكية خزائن الرحمة، انتقل إلى نفي أصل الملك والتصرف في الكون كله) .أم لهم ملك (أي: بل ألهم ملك السموات والأرض حتى يتصرفوا في شؤون العباد ويختاروا من يشاءون للنبوة ؟!

. الرسالة الفكرية: الإنسان مهما بلغ من القوة والسلطان، فإن ملكه محدود جدًا .فكيف يعترض على م الك الملك؟! هذا استفهام غرضه التحقير و بيان الضآلة .إنه يقول لهم: أنتم لا تملكون ذرة في هذا الكون، فمن أنتم حتى تتحكموا فيمن يُختار للرسالة؟!
2/-﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾: شمول الملك الإلهي

إضافة) وما بينهما (لتأكيد أن ملك الله ليس مجرد السموات والأرض، بل كل ما فيهما وما بينهما من هواء وفضاء وملائكة وجن وجبال وبحار .لا يخرج عن ملكه شيء.
3/-﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ﴾: تحدي صريح وسخرية لاذعة

هذه الجملة هي التحدي الأكبر و السخرية المرة.

. معنى) الأسباب(: هي الطرق والوسائل التي يتوصل بها إلى السماء، مثل السلالم والحبال والأبواب . وقيل: هي أبواب السماء وطرقها.
. معنى الجملة: إن كانوا يملكون السموات والأرض، أو يظنون أنهم قادرون على الوصول إلى السماء ليتحكموا في الوحي،) فَلْيَرْتَقُوا فِي الأَسْبَابِ (أي: فليصعدوا في هذه الطرق إلى السماء، وليمنعوا الوحي أن ينزل على محمد! إن كانوا صادقين في دعواهم أنهم شركاء في الملك.
. اللمسة البيانية: هذا الأسلوب يسمى أسلوب التعجيز .إنه يفضح عجزهم بطريقة استهزائية .كأنك تقول لشخص يدعي أنه يستطيع الطيران: "إذًا فطرْ أمامي!".
. المثال التقريبي: في الحياة العملية، إذا ادعى موظف أنه قادر على إدارة الشركة أفضل من المدير، فيُقال له: "تفضل، هذا كرسي الإدارة، أدر الشركة يومًا واحدًا!" .إنه تحدٍ يظهر الفرق بين الدعوى و الحقيقة.
الآية الحادية عشرة:
﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الأَحْزَابِ﴾
﴿جُندٌ﴾: وصفهم بالجندية في الباطل

وصفهم الله بـ) جند (وهم جند الباطل .والتعبير بـ) جند (يدل على أنهم محشودون و متحزبون لقتال الحق .هم ليسوا أفرادًا متفرقين، بل هم جيش له قيادة) الملأ (وله أهداف) القضاء على الدعوة.(
2/-﴿مَّا﴾: للتحقير أو للتعظيم؟

هنا موضع دقة لغوية:

. قيل:) ما (زائدة للتوكيد، والمعنى: جند هالك مهزوم.
. وقيل:) ما (نكرة موصوفة، أي: جند عظيم مهزوم .وهذا أوقع في النفس، لأن فيه تهويلا ً لقوتهم التي سيُهزمون معها .فكأنه يقول: هم جند عظيم في العدد والعدة، ولكن مصيرهم الهزيمة حتمًا . وهذا أشد في إظهار قدرة الله.
3/ -﴿هُنَالِكَ﴾: الإشارة إلى مكان بعيد للتحقير

)هنالك (اسم إشارة للبعيد .والمعنى:) جند ما هنالك (أي: في ذلك المكان الذي يتجمعون فيه ويتآمرون فيه على الرسول في مكة، هم جند مهزوم .أو المعنى: هم جند حقير مهزوم في موقفهم ذلك .فكلمة)هنالك (تفيد الاستهانة بهم وبمكانهم .وكأن الله يقول: "انظر إليهم هناك، في أنديتهم، يتجمعون ويتكبرون، فسيرون كيف ينهزمون!".
4/ -﴿مَهْزُومٌ﴾: الحكم النهائي القاطع

وصف) مهزوم (هو بشارة للمؤمنين و وعيد للكافرين .وهو حكم ماضٍ لا يتخلف .الهزيمة ليست محتملة، بل هي واقعة لا محالة .وقد تحقق هذا الوعد في الدنيا قبل الآخرة، فهُزموا في غزوة بدر وغيرها، وهُزمت قريش ودخلت في دين الله أفواجًا.
5/ ﴿مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾: ربط مصيرهم بمصير الأمم السابقة

)الأحزاب (هم الجماعات التي تحزبت وتجمعت على تكذيب الرسل قبلهم، مثل قوم نوح وعاد وثمود وفرعون .هؤلاء المشركون من قريش ليسوا بدعًا في التاريخ، بل هم حزب من جملة الأحزاب الذين هزمهم الله .وهذا يزيد في تثبيت المؤمنين، ويجعل الكافرين يشعرون أنهم ليسوا إلا حلقة في سلسلة طويلة من المهزومين.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآيات

· تكرار) أم (ثلاث مرات: في الآيات السابقة) أأنزل، أم عندهم، أم لهم (هذا التكرار يسمى الترقي في التوبيخ .يبدأ بتوبيخهم على اعتراضهم، ثم على دعواهم ملك الرحمة، ثم على دعواهم ملك الكون . كل) أم (تنقلهم إلى مرتبة أعلى في التحدي وأدنى في الإهانة.
· الطباق بين) الرحمة (و)العزيز(: الجمع بين اسم) الوهاب (الذي يدل على الرحمة والعطاء، واسم)العزيز (الذي يدل على القوة والمنعة، فيه إشارة إلى أن رحمة الله لا تنافي عزته، فهو يعطي ويمنع عن عزة لا عن عجز.
· المجاز في) فليَرتقوا في الأسباب(: هذا أمر تعجيزي، خرج عن معناه الحقيقي) طلب الارتقاء (إلى معنى التحدي والاستهزاء .إنه كقوله تعالى:) فأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ.(
· تنكير) جند (وإضافة) ما (والنعت ب-)مهزوم(: كل هذه مؤشرات على تحقير شأنهم ."جند" نكرة، "ما" للتقليل أو التعظيم المفضي للتحقير، "مهزوم" نكرة أيضًا .كل هذا الأسلوب يهدف إلى إذلالهم معنويًا قبل أن يذلهم الله فعليًا في بدر.

الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآيات

المفهوم التربوي: ملكية الله المطلقة ورِقّ العبد المطلق

الآيات تربي فينا العبودية الحقة .إذا أدركت أنك لا تملك شيئًا، وأن خزائن رحمة الله ليست عندك، وأن ملك السموات والأرض ليس لك، فسوف تذل لله، وتسلم لحكمه، وترضى بقضائه .هذه التربية تقتل الكبر و العجب في النفس.

المفهوم النفسي: الأمن النفسي في كنف) الوهاب(

إذا شعرت يومًا بالغيرة أو الحسد من نعمة عند غيرك، فاستحضر اسم الله) الوهاب .(قل لنفسك: "إن الله هو الوهاب، وهو العزيز، يعطي من يشاء ويمنع من يشاء .فلماذا أقلق؟ ولماذا أحسد؟ وهو القادر على أن يهبني أفضل مما أعطاهم؟" .هذا التفكير يمنح النفس سكينة و طمأنينة و تحررًا من قيود الحسد.

المفهوم الفكري: محدودية القدرة البشرية) فليَرتقوا في الأسباب(

في عصر التكنولوجيا والفضاء، قد يظن الإنسان أنه قد بلغ السماء وارتقى في الأسباب .نعم، لقد صعدنا إلى القمر، ووصلت مركباتنا إلى المريخ، ولكن هل ملكنا شيئًا من السموات؟ هل نتحكم في نزول المطر أو صعود الروح؟) فليَرتقوا (هو تحدي أبدي للإنسان .مهما بلغت من العلم، فأنت عاجز عن مجرد النفاذ من أقطار السموات والأرض إلا بسلطان من الله .هذا يورث العقل التواضع المعرفي.
الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني الجليلة إلى واقع حياتنا اليومية.

المثال الأول: في محيط الأسرة) خزائن الرحمة الأسرية(

· الموقف: أم لديها عدة أبناء، وقد رزقت أحدهم بذكاء حاد ونجاح دراسي باهر، بينما الآخر متوسط الذكاء .فتشعر بالقلق والحزن على الابن الثاني.
· الآية تقول لها:) أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب(؟ لا تملكين أنتِ خزائن رحمة الله، ولا تملكين مواهب الأبناء .الله العزيز الوهاب قسم الأرزاق والمواهب بينهم بحكمة .قد يكون الابن الأقل

ذكاءً هو الأبر بك، والأكثر سعادة في حياته .فلا تحزني ولا تعترضي، وادعي الله أن يهب كل واحد منهم ما يصلحه.
· الدرس العملي: بدل أن تحزني على ما لم يُعطَ ابنك، تفقدي ما وُهب له من رحمة الله) أخلاق، صحة، رضا (وأحمدي الله عليها .هذه هي عقلية) الوهاب.(

المثال الثاني: في بيئة العمل) ملك السموات والأرض(

· الموقف: مدير قسم ظالم، يستبد برأيه، ويتصور أن الدنيا كلها تحت قدميه، وأن موظفيه عبيد له . يرفض أي نقد أو اقتراح، ويقول: "هذه شركتي وأنا أعلم ما أفعل!".
· الآية تقول له في وجهه:) أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما(؟ من أنت أيها المدير؟ هل تملك شيئًا؟ حتى منصبك هذا هو رحمة من الله وهبك إياه، فلماذا تتكبر؟) فليَرتقوا في الأسباب (إن كنت بهذه القوة، فامنع الموت عن نفسك، أو امنع المرض عن جسدك .إنك عاجز ضعيف.
· الدرس العملي: إذا كنت في موقع سلطة، فتذكر أنك وكيل لا مالك .تواضع لله في عباده يرفعك الله .وإذا كنت تحت سلطة متكبر، فاستحضر هذه الآية لتعلم أن جبروته إلى زوال.

المثال الثالث: على مستوى الأمة) جند مهزوم(

· الموقف: أمة الإسلام اليوم مستضعفة، وتواجه أحزابًا عديدة) أحزابًا سياسية، اقتصادية، عسكرية (تتربص بها وتريد إخضاعها .قد يشعر المؤمن بالإحباط من كثرة الأحزاب وقوتها.
· الآية تقول له بكل ثقة:) جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب .(هؤلاء الذين تراهم اليوم جبابرة، ما هم إلا جند مهزوم .هذا وعد الله .قد تتأخر الهزيمة، لكنها آتية لا محالة، كما هُزمت أحزاب قريش، وكما هُزمت الأحزاب في غزوة الخندق.
· الدرس العملي: لا تنظر إلى قوة الباطل الظاهرة، بل انظر إلى وعد الله الصادق .اعمل لتمكين دينك، وكن على يقين أن العاقبة للمتقين .هذا اليقين هو وقود الصبر والعمل.
ما الذي نتعلمه من الآيات وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي ثمرة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1التفويض المطلق لله في الأرزاق والمواهب

تعلم أن تقول في كل أمر: "اللهم أنت الوهاب، هب لي من فضلك" .لا تتعلق بالأسباب وتنسى المسبب . إذا طلبت شيئًا من رحمة الله) زواج، وظيفة، علم(، فاسأله باسمه) الوهاب .(وإذا حصل عليه غيرك، ف لا تحسد، بل قل: "اللهم هذا فضلك تؤتيه من تشاء، فارزقني خيرًا منه".

.2التواضع عند النعمة

إذا وهبك الله نعمة) مال، جمال، علم، منصب(، فلا تظن أنك استحققتها بذاتك، بل هي محض رحمة من) الوهاب .(هذا الشعور يجعلك تشكر بدل أن تبطر، ويجعلك تعطي بدل أن تبخل .تذكر أن الخزائن بيد الله، وما عندك هو عطاء مؤقت.

.3التعامل مع الأزمات بمنطق) جند مهزوم(

عندما تواجه أزمة في حياتك، أو عدوًا يتربص بك، أو مرضًا يهدد صحتك، أو ديونًا تثقل كاهلك، فتعامل معها بمنطق الآية: هذه الأحزان والهموم هي) جند ما هنالك مهزوم .(إنها جند من جنود الابت لاء، ولكن الله وعدك بالنصر والفرج .تعلق بهذا الوعد، واثبت، وسترى الهزيمة تتحقق بإذن الله.

.4تحطيم صنم) الأنا (في داخلك

كلما شعرت أنك تستحق شيئًا لذاتك، أو أنك أفضل من غيرك، أو أن لك حقًا في الاعتراض على قضاء الله، فاقرأ:) أم عندهم خزائن رحمة ربك .(ساعتها سينكسر صنم الأنا في داخلك، وستعرف قدرك الحقيقي: أنت عبد فقير إلى الله، والله هو الغني العزيز الوهاب.
أبعاد الآيات وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآيات من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد الاقتصادي والاجتماعي: نحو مجتمع قائم على الهبة لا على الكسب المادي فقط

في مجتمع رأسمالي يعبد المال، تأتي هذه الآية لتقول: إن الرزق ليس فقط بالجهد والكسب، بل هو)رحمة (من الله يهبها لمن يشاء .هذا لا يعني ترك العمل، بل يعني تطهير النية في العمل .المجتمع الذي يتربى أفراده على أن الرزق من عند) الوهاب (يكون مجتمعًا أقل جشعًا، وأكثر تكافلا ً .فالغني يعطي لأنه يعلم أن ماله هبة الله، والفقير لا يذل لأنه يعلم أن الله هو الوهاب .هذا يؤسس لاقتصاد أخلاقي وإنساني.

.2البعد السياسي والإداري: مكافحة الاستبداد والفساد

الآية:) أم لهم ملك السموات والأرض (هي وثيقة دستورية ضد الطغيان .إنها تذكر كل حاكم وكل مسؤول أن ملكه ليس ملكًا ذاتيًا، بل هو جزء من ملك الله، وهو مستخلف فيه .هذه العقيدة تقضي على تأليه الحكام، وتجعل الأمة تراقبهم وتحاسبهم .فالذي لا يملك ذرة في الكون، كيف يستعبد عباد الله؟! هذه الآية هي أساس الحرية والكرامة الإنسانية في الإسلام.

.3البعد العسكري والاستراتيجي: بناء الروح المعنوية للأمة

في أوقات الهزيمة والانكسار، كانت هذه الآيات) وخاصة: جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب (هي الوقود الروحي للمسلمين .إنها تبني عقيدة النصر في النفوس .إنها تقول للأمة: مهما تجمعت عليكم الأ حزاب، ومهما بلغت قوتهم، فإن سنة الله ماضية في هزيمتهم .هذه الروح المعنوية العالية هي التي صنعت الانتصارات الكبرى في تاريخنا، من بدر إلى حطين إلى عين جالوت .إنها تربية على التفاؤل ا لاستراتيجي.

.4البعد الفلسفي والعلمي: وضع حدود للطموح الإنساني

في عصر يريد فيه الإنسان أن يتجاوز كل الحدود) الاستنساخ، التحكم في الجينات، السفر عبر الزمن(، تأتي آية) فليَرتقوا في الأسباب (لتضع الأمور في نصابها .نعم، ابحث، تعلم، اخترع، فهذا من أسباب التقدم .ولكن لا تنسَ أنك لن تبلغ السماء إلا بسلطان من الله .لن تخلق ذبابًا، ولن تملك الروح .هذا التواضع أمام قدرة الله هو الذي يحفظ العلم من أن يتحول إلى طاغوت يدمر البشرية .إنه يؤسس لعلم مسؤول أخلاقيًا.

كيف أعيش هذه الآيات في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1دفتر الشكر اليومي: افتح دفترًا خاصًا، واكتب فيه كل يوم ثلاث نعم جديدة وهبك الله إياها)نعمة البصر، نعمة السمع، نعمة الصحة، نعمة دفء البيت .(...ابدأ كل جملة ب-: "اللهم لك الحمد، أنت الوهاب، وهبتني..." .هذا التمرين يجعلك تعيش مع اسم) الوهاب (عمليًا.
.2تحويل الحسد إلى دعاء: كلما رأيت نعمة عند أحدهم، فلا تقل: "لماذا هو؟" .بل قل فورًا: "اللهم يا وهاب، هب لي مثلها وزدني من فضلك" .هذا تدريب عملي على التخلص من الحسد وتحويله إلى طلب من الله.
.3تذكرة يومية لذوي السلطة: إذا كنت في موقع قيادة) أب، معلم، مدير، مسؤول(، فاكتب الآية:) أم لهم ملك السموات والأرض (وضعها على مكتبك .انظر إليها كل يوم لتتذكر أنك لا تملك شيئًا، وأنك مسؤول أمام الله.
.4تلاوة آية) جند مهزوم (عند الشدائد: عند وقوع أي مصيبة أو ضائقة) مرض، هم، دين، خوف من مستقبل(، اقرأ هذه الآية بتدبر وكررها:) جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب .(استحضر في قلبك أن كل جند الباطل والهموم والابتلاءات سينهزم بإذن الله .هذا يملأ قلبك سكينة وقوة.
.5تأمل الكون: خصص دقائق في الأسبوع لتتأمل السماء والأرض وما بينهما، وقل في نفسك: "هل أملك شيئًا من هذا؟" .هذا التأمل يربي فيك العبودية و الذل لله.

القسم الثالث

المبحث الأول

أيها القارئ الكريم، يا من يرافقني في هذه الرحلة الإيمانية العميقة في رحاب سورة) ص(، لقد وقفنا معًا على مشاهد العزة الكاذبة والشقاق، وسمعنا صرخة الحسد:) أأنزل عليه الذكر من بيننا(، ورأينا كيف سحق الله كبرياءهم بتذكيرهم أنهم لا يملكون خزائن رحمته ولا ملك السموات والأرض، وختمنا بأنهم:)جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب.(

والآن، وبعد هذا الحكم القاطع، تأتي هذه الآيات الثلاث لتكون بمثابة الأدلة التاريخية الدامغة على

صدق هذا الحكم .إنها تفتح أمامنا سجلات التاريخ الإلهي، وتستدعي شهودًا من الماضي السحيق، لتقول لنا: انظروا إلى مصارع الغابرين، وتأملوا كيف كانت عاقبة الذين ساروا على دربكم من قبل . إنها رحلة في متحف التاريخ الذي أقامه القرآن، نخرج منه وقد امتلأت قلوبنا يقينًا بأن وعد الله حق ، وأن الباطل مهزوم ولو بعد حين.

فلنقف مع هذه الآيات بكل جوارحنا، ولنستلهم منها دروسًا تصلح لنا أمر دنيانا وآخرتنا.
تفسير الآيات الكريمة: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾ (12) ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ (13) ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾(14)
مقدمة الآيات وأهدافها ومقاصدها

بعد أن حكم الله على أحزاب قريش المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم بأنهم) جند مهزوم من الأ حزاب(، لم يتركهم بلا دليل على صدق هذا الوعيد .إنه ينتقل بهم – وبنا – إلى مسرح التاريخ ليعرض علينا نماذج حية من تلك) الأحزاب (التي سبقتهم، وكيف كان مصيرها .إنها نقلة عظيمة من كواليس الأحزاب المعاصرة للنبي صلى الله عليه وسلم إلى ساحة التاريخ، لتقدم نماذج حية لما آل إليه مصير تلك التكتلات الكبرى التي استعلت بعزتها وشقاقها.

مقصد الآيات الأعظم: تثبيت سنة إلهية مطلقة، ألا وهي: أن تكذيب الرسل طريق حتمي إلى الهلاك و العقاب .وسواء كان المكذبون هم قوم نوح، أو عاد، أو فرعون، أو غيرهم، فإن القاسم المشترك الوحيد بينهم هو تكذيب الرسل، والنتيجة الوحيدة المشتركة هي فحق عقاب .تهدف الآيات إلى:

.1تطييب خاطر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين: لست وحدك يا محمد، فإخوانك من الأنبياء قبلك كذّبوا، وصبروا، ثم جاء نصر الله.
.2إنذار كفار قريش: أنتم لستم بدعًا في التاريخ، ومصيركم سيكون كمصير من قبلكم إن أصررتم على التكذيب.
.3ترسيخ مفهوم العدل الإلهي المطلق: فالعقاب ليس عشوائيًا، بل هو) حق (نتيجة حتمية للجرم.

تحليل عناصر الآيات ومفرداتها

الآية الثانية عشرة: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾.
1/ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ﴾: ربط الماضي بالحاضر لإثبات السنة

الفعل) كذبت (بصيغة الماضي المؤنث) لأن القوم تُعامل معاملة المؤنث(، وجاءت) قبلهم (لتربط الماضي بحاضر النبي صلى الله عليه وسلم .إنها تقول لقريش: "انظروا خلفكم، وتأملوا فيمن سبقوكم، فستجدون أنكم تكررون نفس السيناريو، فانتظروا نفس النهاية!" .هذا الربط يهدف إلى كسر غرورهم بأنهم فريدون في عنادهم، فما هم إلا حلقة في سلسلة طويلة.
2/ ﴿قَوْمُ نُوحٍ﴾: أقدم نموذج للطغيان الجماعي

لماذا بدأ بقوم نوح؟ لأنهم أول أمة أُهلكت بعذاب عام بعد الطوفان .إنهم يمثلون النموذج الأصلي للتكذيب والصبر الطويل .نوح عليه السلام لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا يدعوهم، فكذبوه واستكبروا، فكانت عاقبتهم الغرق .إنه درس لكل داعية: الصبر الجميل مفتاح النصر، وإن طال الزمن.
3/ ﴿وَعَادٌ﴾: نموذج القوة الجسدية والعمرانية

عاد هم قوم هود، وكانوا أشداء أقوياء، ذوي أجسام ضخمة، وبنوا مدنًا عظيمة ذات أعمدة) إرم ذات العماد .(تكذيبهم كان مقرونًا بغرور القوة الجسدية والمادية:) فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً .(فجاءتهم ريح صرصر عاتية أهلكتهم .فيهم عبرة لكل من يغتر بقوته الجسدية أو العسكرية.
4/ ﴿وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾: نموذج السلطة السياسية والقمع المنظم

هنا لطيفة عظيمة في التعبير: لم يقل) قوم فرعون (كما قال) قوم نوح(، بل قال:) فرعون (بذاته، ثم وصفه بـ) ذو الأوتاد.(

· لماذا فرعون دون قومه؟ لأن الطغيان في قصة موسى تجسد في شخص واحد هو رأس الدولة، الذي أله نفسه وقال:) أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ .(بينما في قصص نوح وهود وصالح، كان الطغيان جماعيًا من القوم ككل .فتخصيص فرعون بالذكر يشير إلى أن قادة الضلال يتحملون الوزر الأكبر، وهم الذين يقودون أقوامهم إلى المهالك.

· ماذا يعني وصف) ذو الأوتاد(؟
.1 القوة والملك الثابت:) الأوتاد (هي ما تثبت به الخيام والقصور .فكونه) ذو الأوتاد (يعني أنه صاحب ملك ثابت راسخ، وجنود كثيرة، وقوة لا تتزعزع في الظاهر.
.2 التعذيب بالأوتاد: قيل إنه كان يعذب الناس بطريقة وحشية، بأن يمدهم على الأرض ويوتد أيديهم وأرجلهم بالأوتاد حتى يموتوا .وفي هذا إشارة إلى بطشه وقمعه للمعارضين.
.3 البناء الشاهق: الأوتاد قد تشير إلى الأهرامات أو المباني الضخمة التي بناها، والتي كانت كـ الجبال تثبت ملكه .فالقوة المادية) الأوتاد (لا تحمي صاحبها من الانهيار إذا فقد المرجعية الأخلاقية.
· الرسالة الفكرية العميقة: وصف فرعون ب-) ذو الأوتاد (يعلمنا أن القوة المادية) المباني الشاهقة، الجيوش الجرارة، التعذيب المنظم (لا تنفع صاحبها إذا حارب الحق .فالأوتاد التي يظنها تثبت ملكه، هي في الحقيقة أسباب هلاكه لأنها تجعله يطغى ويبطر .هذا درس لكل جبار في الأرض يظن أن قوته تحميه من بأس الله.

الآية الثالثة عشرة: ﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ ۚ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾

﴿وَثَمُودُ﴾: نموذج الحضارة المتقدمة المكذبة

ثمود هم قوم صالح، وكانوا يمتلكون مهارات فائقة في نحت البيوت من الجبال، وكانت لهم حضارة مادية متقدمة .تكذيبهم كان مقرونًا بالترف والتعالي الحضاري:) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ .(فجاءتهم الصيحة فأهلكتهم .فيهم عبرة لكل أمة تظن أن تقدمها التقني يحصنها من عذاب الله.

2-﴿وَقَوْمُ لُوطٍ﴾: نموذج الانحراف الأخلاقي والشذوذ

قوم لوط هم نموذج فريد في قائمة المكذبين؛ لأن ذنبهم لم يكن مجرد تكذيب النبي، بل كان مقرونًا بفاحشة أخلاقية لم يسبقهم إليها أحد من العالمين .فجمعوا بين تكذيب الرسالة، وممارسة الرذيلة علا نية .فكان عقابهم من أشد العقوبات: قلب مدنهم وجعل عاليها سافلها، وإمطارهم بحجارة من سجيل . فيهم عبرة لكل مجتمع يتهاون في حدوده الأخلاقية، ويكذب من ينهاه عن الفحشاء.

3-﴿وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾: نموذج الفساد المالي والاقتصادي

أصحاب الأيكة هم قوم شعيب عليه السلام) وأصحاب الأيكة هم أهل مدين، والأيكة هي الشجرة الملتفة الكثيفة .(وكان ذنبهم الأساسي التطفيف في الكيل والميزان، والغش في المعاملات المالية . فجمعوا بين تكذيب الرسول، والفساد الاقتصادي الذي يهدم المجتمعات .فجاءهم عذاب يوم الظلة . فيهم عبرة لكل تاجر أو صانع يغش، ولكل دولة تسمح بالفساد المالي.

4-﴿أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾: لماذا سُمُّوا بالأحزاب؟

هذا هو المقطع المهيب الذي يجمعهم كلهم تحت مسمى واحد:) الأحزاب.(

· لماذا جمعهم الله تحت مسمى) الأحزاب (رغم اختلاف أزمانهم وأمكنتهم؟
· الجواب: لأنهم جميعًا اجتمعوا على هدف واحد و قضية واحدة هي: محاربة الحق وتكذيب الرسل .إنهم لم يجتمعوا في مكان واحد، ولكنهم كانوا حزبًا واحدًا في الانتماء للباطل، والتحزب ضد الأنبياء .وكما قال ابن كثير رحمه الله: "أي: الأمم الذين هلكوا، تحزبوا على الرسل، واجتمعوا على تكذيبهم".
· الرسالة العميقة: هذا التعبير يفضح وحدة جبهة الباطل عبر التاريخ .الباطل، بكل ألوانه وأشكاله، يتحد في عداوته للحق .فلا تتعجب أيها المؤمن إذا رأيت اليوم طوائف متفرقة، وأيديولوجيات متناقضة، تجتمع كلها على عداوة الإسلام والمسلمين .هذه هي سنة الله في الأحزاب.

الآية الرابعة عشرة: ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾

1-﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾: القاسم المشترك الوحيد

· دلالة التنوين في) كلٌّ(: التنوين هنا للعوض عن كلمة) واحد (أو) أمة .(أي:) إن كل واحد منهم (أو)إن كل أمة منهم .(وهذا التنوين يشير إلى أن كل فرد من تلك الأمم شارك في جريمة التكذيب، وليس فقط قادتهم .فالمسؤولية جماعية وفردية في آن واحد.
· القاسم المشترك الوحيد: على الرغم من اختلاف جرائمهم الظاهرية) قوم نوح: عناد، عاد: قوة،

فرعون: طغيان سياسي، ثمود: ترف حضاري، قوم لوط: انحراف أخلاقي، أصحاب الأيكة: فساد مالي(، إلا أن الجامع الوحيد الذي أهلهم جميعًا للعقاب هو:) تكذيب الرسل .(وهذا يدل على أن التكذيب بـ الوحي هو أم الجرائم، ومنبع كل فساد في الأرض.

2.{فَحَقّ عِقاب}: نتيجة حتمية وسنة ماضية

· ماذا نفهم من الفاء في) فَحَقّ(؟ الفاء هنا تسمى فاء السببية، وهي تدل على أن العقاب نتيجة مباشرة وحتمية للتكذيب .فبمجرد وقوع التكذيب،) حَقّ (أي: وجب وثبت العقاب .إنه قانون إلهي لا يتخلف.
· دلالة) حَقّ(: الفعل) حق (يعني: ثبت ووجب ولزم .فالعقاب لم يكن ظلمًا أو عشوائيًا، بل كان حقًا و عدلا ً .وهو تعبير يوحي بأن العقاب كان أمرًا متعينًا لا مفر منه، كأنه حق من الحقوق التي يجب أن تؤدى.
· سرعة العقاب بعد التكذيب: الفاء هنا تشير إلى أن العقاب يأتي فور استحقاقه، وليس بالضرورة فور وقوع التكذيب، بل فور اكتمال شروط استحقاقه) قيام الحجة، استمرار العناد، عدم وجود مؤمنين مستضعفين يستحقون النجاة .(وفي هذا تهديد شديد: لا تغتروا بتأخير العقاب، فما هو إلا استدراج.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآيات

· أسلوب السرد القصصي المكثف: الآيات تذكر أسماء الأقوام دون تفصيل قصصهم، اعتمادًا على علم السامعين بها .وهذا من الإيجاز الذي يترك أثرًا أقوى، لأن السامع يستحضر القصة كاملة في ذهنه، فيزداد تأثرًا.
· الترتيب الزمني والنوعي: لاحظ أن الآيات بدأت بأقدم الأمم) قوم نوح(، ثم انتقلت إلى الأمم العربية) عاد وثمود (القريبة من قريش، ثم إلى فرعون الذي هو رمز الطغيان، ثم إلى قوم لوط وأصحاب الأيكة .هذا الترتيب يجمع بين البعد الزمني و البعد الجغرافي، ليبين أن سنة الله في إهلاك المكذبين شملت كل زمان ومكان.
· وصف فرعون بـ) ذو الأوتاد (دون غيره: هذا من التخصيص الذي يزيد الصورة وضوحًا .ففرعون هو الوحيد الذي ادعى الألوهية صراحة، وهو الوحيد الذي جمع بين القوة العسكرية) الأوتاد بمعنى الجيوش (والبناء الشاهق) الأهرامات (والتعذيب المنظم .هذا الوصف يجعل منه نموذجًا فريدًا في الطغيان، يستحق أن يفرد بالذكر.
· الجمع بين) الأحزاب (و)إن كل إلا كذب الرسل(: هذا من الإجمال بعد التفصيل .فبعد أن عددهم واحدًا واحدًا، أجملهم في وصف) الأحزاب(، ثم بين الجامع المشترك بينهم وهو) تكذيب الرسل .(هذا ا لأسلوب يرسخ المعنى في النفس.

الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآيات

المفهوم التربوي: الاعتبار بالتاريخ وعدم الإغترار بالقوة المادية

الآيات تربي فينا عقلية الاعتبار .ليس المهم أن تعرف أسماء الأقوام، بل المهم أن تفهم لماذا هلكوا؟ وأن تعلم أن العاقبة للمتقين، وليست للأقوياء ماديًا .فرعون ذو الأوتاد لم تنفعه أوتاده، وعاد أصحاب القوة لم تنفعهم قوتهم .فكيف يغتر إنسان اليوم بقوته أو ماله أو منصبه؟ هذا درس تربوي عظيم في التواضع لله.

المفهوم النفسي: الشعور الذي ينتاب المؤمن بعد قراءة هذه الآيات

بعد قراءة هذه الآيات، ينتاب المؤمن شعوران متلازمان:

.1الطمأنينة: إنها رسالة طمأنينة للمؤمنين بأن العاقبة لهم، وأن الباطل إلى زوال، مهما طال ليله .فكما نصر الله نوحًا وهودًا وصالحًا وموسى وشعيبًا ولوطًا، فسينصر محمدًا والمؤمنين معه.
.2الرهبة والخشية: إنها تذكر المؤمن بأنه ليس بمنأى عن العقاب إذا وقع في التكذيب العملي)بمعصية الله ورسوله .(فالسنة واحدة، والله لا يحابي أحدًا.

المفهوم الفكري: فهم سنة الله في إهلاك المكذبين) العدل الإلهي المطلق(

الآيات تؤصل فكريًا لمفهوم العدل الإلهي المطلق .فالعقاب ليس انتقامًا شخصيًا من الله، بل هو نتيجة حتمية لخرق القوانين الربانية التي تحكم الكون والمجتمعات .الأمم التي تكذب الرسل تخالف الفطرة،

وتفسد في الأرض، فتعاقب بفسادها .هذا المفهوم يبني عقلية علمية تدرس التاريخ لفهم السنن، لا لمجرد السرد.

الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني إلى واقعنا اليومي، ولنر كيف نحول هذه الآيات إلى نور نمشي به في حياتنا.

المثال الأول: في الحياة المهنية) فرعون الشركة الصغيرة(

· الموقف: مدير في شركة يظلم موظفيه، ويحتكر القرار، ولا يقبل النقد، ويعتبر نفسه "فرعون" الشركة .لديه "أوتاد" أي: علاقات قوية، وشهادات عليا، ونفوذ داخل المؤسسة.
· الآية تخاطبه:) وفرعون ذو الأوتاد .(تذكر أيها المدير! أوتادك) منصبك، علاقاتك، أموالك (لم تحم فرعون من الغرق، فهل تحميك أنت؟ تذكر أن) فَحَقّ عِقابِ (قد يأتي على هيئة قرار نقل، أو فضيحة مالية، أو مرض مفاجئ، أو حتى همّ وحزن في القلب.
· الدرس العملي: لا تغتر بموقعك .كن عادلا ً، واستمع لمرؤوسيك، وتذكر أنك ستقف بين يدي الله وحيدًا بلا أوتاد.

المثال الثاني: على وسائل التواصل الاجتماعي) ثقافة القطيع والأحزاب الرقمية(

· الموقف: ناشط على مواقع التواصل، يرى "ترندًا" فيه استهزاء بالدين أو بشعيرة من شعائره .يجد أن معظم متابعيه وأصدقائه يشاركون في هذا الترند ويسخرون .فيشعر بالضغط ليكون مثلهم.
· الآية تحذره:) أُولَئِكَ الأَحْزَابُ .(لا تكن من حزب الباطل الرقمي! تذكر أن "أصحاب الأيكة" كانوا مجموعة) حزبًا (تجمعوا على الباطل فهلكوا) .إن كلٌ إلّا كذّبَ الرُسُلَ (والمشاركة في مثل هذه السخريات هي صورة من صور تكذيب الرسل والاستهانة بما جاءوا به) .فَحَقّ عِقابِ .(لا تشارك في نشر ما يخالف شرع الله، ولو كان ذلك يعني أن تكون مختلفًا عن القطيع.
· الدرس العملي: كن واعيًا .لا تنجرف وراء "القطيع الرقمي" .كل مشاركة أو إعجاب أو تعليق بسخرية على الدين هو بمثابة "توقيع" على وثيقة الانضمام إلى) الأحزاب (المهزومين.

المثال الثالث: على مستوى المجتمع) الأمة والأحزاب المعاصرة(

· الموقف: نرى اليوم أحزابًا وتكتلات دولية) سياسية، اقتصادية، عسكرية (تتحزب ضد الإسلام و المسلمين، وتضيق عليهم الخناق، وتظن أنها بمالها وقوتها قادرة على سحق الحق.
· الآية تخبرنا بحقيقة هذه الأحزاب: إنهم ليسوا بدعًا في التاريخ .هم) أُولَئِكَ الأَحْزَابُ (الذين حذر الله منهم، ومصيرهم هو) فَحَقّ عِقابِ .(قد يتأخر العقاب، ولكنه آتٍ لا محالة .فلا تيأس أيها المؤمن، ولا تنبهر بقوتهم المادية الزائفة.
· الدرس العملي: الثقة بوعد الله .العمل لتمكين الأمة من أسباب القوة) ماديًا ومعنويًا (ليس فقط للدفاع، بل لأن الله وعد بنصر المؤمنين .التفاؤل بالمستقبل وعدم الإحباط من تسلط الباطل.

المثال الرابع: على مستوى الفرد) العناد والتكذيب العملي(

· الموقف: شاب مدمن على معصية معينة، وكلما نُصح قال: "أنا حر! ماذا يضركم؟!" وهو يعاند ويكذب بقلبه تحذيرات الله ورسوله.
· الآية تنذره:) إن كلٌ إلّا كذّبَ الرُسُلَ فَحَقّ عِقابِ .(تكذيب الرسل ليس فقط أن تقول "محمد ليس نبيًا"، بل هو أن تخالف أمره، وتستهين بتحذيره، وتعيش كما لو أن رسالته لم تأتك .كل معصية هي شكل من أشكال التكذيب العملي .فاحذر أن تكون ممن) حَقّ (عليهم العقاب في الدنيا أو الآخرة بسبب إصرارك وعنادك.
· الدرس العملي: دوام الحال من المحال .لا تظن أن سترك في المعصية دليل رضا .قد يكون استدراجًا .بادر بالتوبة قبل أن يحق عليك العقاب.
ما الذي نتعلمه من الآيات وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1تعلم قراءة التاريخ كسنة لا كأحداث

لا تقرأ قصص الأنبياء السابقين على أنها مجرد "قصص قبل النوم" للأطفال .اقرأها بعقلية ناقدة تبحث

عن السنن .اسأل نفسك: لماذا هلك قوم نوح؟ لماذا لم تنفع فرعون أوتاده؟ ما هو الخطأ الذي تكرر في كل هذه الأمم؟ الجواب دائمًا:) إن كلٌ إلّا كذّبَ الرُسُلَ .(إذا أردت النجاة، فعليك بـ تصديق الرسل قولا ً وعملا ً.

.2لا تغتر بـ "أوتادك"

كل إنسان له "أوتاد" يظن أنها تثبته في الحياة: المال، المنصب، الصحة، الجاه، الشهادة، الأبناء .هذه ا لآيات تحذرنا:) وَفِرْعَوْنَ ذُو الأَوْتَادِ (فهل نجته أوتاده؟ لا .اعتمد على الله، لا على أوتادك .استخدم أوتادك في طاعة الله، لا في معصيته، ولا تظن أنها تحميك من قدره.

.3الحذر من "ثقافة القطيع" والانضمام لـ "الأحزاب" الباطلة

في كل عصر، هناك "أحزاب" تتبنى الباطل، وتضغط على الناس لينضموا إليها .قد يكون هذا الحزب هو جماعة الرفاق الفاسدين، أو تيارًا فكريًا منحرفًا، أو مجرد "ترند" على السوشيال ميديا .تعلم أن تقول "لا" في وجه الأحزاب .تذكر أن) أُولَئِكَ الأَحْزَابُ (هم المهزومون، فلماذا تنضم للمهزومين؟!

.4بناء الذات من خلال الرقابة الذاتية قبل العقاب

الآية تقول:) فَحَقّ عِقابِ .(فالعقاب) حَقّ (أي وجب ولزم .وهذا يزرع فينا الرقابة الذاتية .لا تنتظر أن يأتيك العقاب لتتوب .بل بادر أنت بتصديق الرسل والعمل بطاعتهم، لكي لا تكون ممن) حَقّ (عليهم العقاب .هذه الرقابة الذاتية هي أساس بناء الإنسان الصالح والمجتمع الصالح.

.5التفاؤل الاستراتيجي للمؤمن

مهما رأيت من قوة الباطل، ومهما تجمعت الأحزاب، تذكر أن سنة الله ماضية .كما أهلك الله الأحزاب الأولى، سيهلك الأحزاب المتأخرة .هذا ليس تخديرًا، بل هو وقود للصبر و للعمل .المؤمن يعمل لدينه وهو مطمئن القلب، واثق من وعد ربه.

أبعاد الآيات وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة هي التي تنقل الآيات من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد الفكري الحضاري: تأسيس علم نقد التاريخ) الهشاشة الأخلاقية سبب السقوط(

الآيات تؤسس لـ علم الاجتماع التاريخي أو فلسفة التاريخ من منظور قرآني .إنها تقدم لنا مختبرًا للسنن .الحضارة الرشيدة هي التي تدرس تاريخ الأمم السابقة لتتجنب ثغرات سقوطهم .والثغرة التي تكررت في كل هذه النماذج هي التكذيب بالرسل، وهو ما يقابله في عصرنا فقدان المرجعية الأخلا قية .فالحضارة التي لا تقوم على قيم الوحي، هي حضارة هشة، معرضة للسقوط في أي لحظة، مهما بلغت أوتادها من القوة .هذا البعد يؤكد أن القيم تحمي المباني، وأن البناء المادي بلا أساس أخلاقي هو بناء في الهواء.

.2البعد الاجتماعي التنموي: مقومات بناء الحضارة الإسلامية القائمة على استدامة الأخلاق

الآيات تبين أن النجاح الدنيوي بلا قيم هو استدراج للفشل .الحضارة الإسلامية التي ننشدها لا تقاس بـ) الأوتاد (من المباني الشاهقة والأبراج وناطحات السحاب فقط، بل تقاس بـ القيم التي تحمي هذه المباني من الزوال .مجتمع ينتشر فيه الفساد المالي) كأصحاب الأيكة(، والانحراف الأخلاقي)كقوم لوط(، والطغيان السياسي) كفرعون(، هو مجتمع يسير بخطى حثيثة نحو) فَحَقّ عِقابِ .(أما المجتمع الذي يقوم على تصديق الرسل، أي على الإيمان والعمل الصالح والعدل، فهو مجتمع تنطبق عليه سنة الله في الاستخلاف والتمكين.

.3البعد التربوي في بناء الإنسان: الإنسان المتعبد الذي يقرأ الواقع فلا ينبهر بالقوة الزائفة

الآيات تبني الإنسان المتعبد، الذي يقرأ التاريخ بعين البصيرة، فلا تنطلي عليه هشاشة التكتلات الظالمة .إنه يرى قوة فرعون) ذو الأوتاد (فيعلم أنها إلى زوال، فلا ينبهر بها .إنه يرى الأحزاب تتجمع فيعلم أنهم) جند مهزوم .(هذا الإنسان لا يحبطه تسلط الباطل، ولا تغره قوته .إنه إنسان متوازن،

يعمل للدنيا وكأنه يعيش أبدًا، ويعمل للآخرة وكأنه يموت غدًا، وهو في كل ذلك على يقين من سنة الله.

.4البعد السياسي والإداري: درس في دوام الحال من المحال وتجنب العناد

للحكام والمسؤولين، هذه الآيات تقدم درسًا بليغًا: دوام الحال من المحال .ملك فرعون زال، وملك عاد زال، وملك كل جبار زال .فلا يغتر حاكم بملكه، ولا يظن أنه فوق المحاسبة .والعناد في الباطل وعدم الاستماع للنصح هو طريق الهلاك .الإدارة الرشيدة هي التي تقوم على الشورى و العدل و الاستماع للرأي الآخر، لا على الأوتاد وقمع المخالفين.

.5البعد الأخلاقي والقيمي: ترسيخ الرقابة الذاتية في المجتمع

تكرار فكرة أن العقاب) حَقّ (وليس عشوائيًا، يزرع في المجتمع رقابة ذاتية .فالفرد يعلم أن هناك سننًا إلهية، وأن العقاب نتيجة حتمية للجرم .هذا يجعله يراقب نفسه قبل أن يراقبه أحد، ويجعل المجتمع ككل يسعى لتطبيق القيم والأخلاق، لا خوفًا من عقاب دنيوي فقط، بل خوفًا من عقاب الله الذي لا مفر منه .هذا هو أساس استدامة الحضارة.

كيف أعيش هذه الآيات في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1مشروع قراءة قصص الأنبياء بتدبر: لا تقرأ قصة نبي مرة واحدة .خصص أسبوعًا لقصة نبي كامل، وابحث في القرآن عن كل الآيات المتعلقة به .ثم اسأل نفسك: ما هو "الذنب المحوري" لهذا القوم؟ وكيف يمكن أن أتجنبه في حياتي؟ هذا يجعلك تعيش مع الآيات.
.2تمرين) تفكيك الأوتاد(: اجلس مع نفسك واكتب قائمة بـ "أوتادك" التي تعتمد عليها في الحياة)وظيفتي، شهادتي، عائلتي، صحتي .(...ثم قل لنفسك: "هذه الأوتاد نعم من الله، لكنها لا تحميني من قدره .الاعتماد الحقيقي على الله" .هذا التمرين يكسر الكبر ويورث التوكل.
.3تحليل) حزب (الأسبوع: كل أسبوع، لاحظ "حزبًا" من أحزاب الباطل في محيطك) مجموعة أصدقاء يغتابون، زملاء يتهربون من العمل، "ترند" سخيف على الإنترنت .(قرر بوعي ألا تنضم إليهم، ولو كان ذلك صعبًا .كن من جند الله، لا من جند الأحزاب.
.4قاعدة) فحق عقاب (في اتخاذ القرارات: قبل أن تقدم على أي تصرف، خاصة إذا كان فيه مخالفة شرعية، قل لنفسك: "هل هذا الفعل يدخلني في زمرة المكذبين للرسل عمليًا؟ وهل يستحق أن) يحق (علي عقاب الله بسببه؟" .هذا السؤال سيكون رادعًا قويًا لك.
.5الدعاء بثبات القلب: كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: "يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك" .أكثِر من هذا الدعاء، فأنت في زمن كثرت فيه الأحزاب، والثبات فيه يحتاج إلى عون الله .

المبحث الثاني

أيها القارئ الكريم، يا من أبحرت معنا في أعماق سورة) ص(، وشاهدت مصارع الأحزاب الغابرين) قوم نوح وعاد وفرعون ذي الأوتاد وثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة(، وتأملت كيف أنهم جميعًا اشتركوا في جريمة واحدة هي) تكذيب الرسل(، فكانت النتيجة الحتمية:) فحق عقاب .(والآن، بعد هذا العرض التاريخي المهيب، تعود الآية الخامسة عشرة لتغلق الدائرة، وتعيدنا إلى مشهد الحسم مع الأحزاب المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم .إنها الآية التي تختم هذا المقطع بصورة مرعبة: صيحة واحدة لا رجعة بعدها .إنها الآية التي تحول) الانتظار (من حالة غفلة إلى حالة ترقب لهلاك محقق.

فلنقف مع هذه الآية الجامعة، ولنستخرج من كلماتها القليلة معاني كثيرة، تبني فينا الوعي بمكر الله، والاستعداد للموت قبل الفوات.

تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾(15)

مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن عرض الله تعالى نماذج المكذبين السابقين، وبيّن كيف أخذهم بغتة، ينتقل الخطاب إلى مشهد الحسم والقضاء على حالة العناد والشقاق التي استمرت عبر الأجيال .إنه يوجه النظر إلى هؤلاء الموجودين الآن في مكة، الذين يصرون على عنادهم وكأنهم لا يتعظون بمن قبلهم.

مقصد الآية الأعظم: تقريب صورة العذاب المفاجئ إلى الأذهان، وكشف غفلتهم وعدم إدراكهم لخطورة الموقف .إنهم ينتظرون – في ظنهم – أحد أمرين: إما أن يصدقوا دعوة محمد فيؤمنوا، أو يكذبوه

فينجوا .ولكن الآية تصحح مفهومهم: ليس أمامهم إلا) صيحة واحدة (لا إمهال بعدها ولا رجوع .إنها آية تهدف إلى:

.1فضح حالة الغفلة والأمن الزائف التي يعيشون فيها.
.2إثبات هوانهم على الله، فهم لا يستحقون أكثر من صيحة واحدة ليكون هلاكهم.
.3تربية المؤمنين على سرعة التوبة وعدم تأجيل العمل الصالح، لأن لحظة الحسم قد تأتي بغتة.
.4إيصال فكرة أن الباطل مهما طال زمانه، فإنه ينتهي في لحظة واحدة خاطفة.

تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1-{وَمَا يَنظُرُ}: الانتظار السلبي والغفلة عن الخطر

· دلالة استخدام) ينظر (بمعنى ينتظر في سياق العذاب:
لفظ) ينظر (هنا ليس بمعنى النظر بالعين المبصرة، بل هو بمعنى ينتظر و يتوقع .وهو فعل مضارع يدل على الاستمرار والتجدد .فحالهم هو انتظار دائم لما سيحدث .ولكن السؤال: ماذا ينتظرون؟ هل ينتظرون النصر؟ هل ينتظرون أن يتبين لهم الحق؟ كلا، إنهم ينتظرون شيئًا واحدًا لا غير:) صيحة واحدة.(
· هل توحي كلمة) ينظر (بقلة إدراكهم لخطورة الموقف؟
نعم، وبقوة .لأن فعل) ينتظر (يدل على تراخٍ وتمهل وعدم مبالاة .إنهم ينتظرون وكأن الأمر مجرد احتمال بعيد، لا حقيقة واقعة .هم في غفلتهم كمن ينتظر قدوم ضيف ثقيل، لكنه لا يبالي بترتيب البيت .هذا الانتظار السلبي يعكس استهتارهم بالأمن المؤقت، وعدم استعدادهم لمواجهة هذا الموقف حتى يتفاجؤوا بالصيحة.

2-{هَٰؤُلَاءِ}: إشارة تحقير وتقريب

اسم الإشارة) هؤلاء (يعود إلى كفار قريش المعاندين المعاصرين للنبي صلى الله عليه وسلم .وفيه دلا لتان:

· التحقير: كأنه يقول: هؤلاء الحقيرون، لا ينتظرون إلا هذا المصير المهين.
· التقريب: إنهم ليسوا بعيدين عن العذاب، بل هو قريب منهم كما أن اسم الإشارة قريب.

3-{إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً}: هوانهم على الله وسرعة العذاب

· لماذا) صيحة(؟ الصيحة هي الصوت الشديد المفاجئ .وقد تكون نفخة الصور التي تكون بداية القيامة، أو صيحة عذاب في الدنيا) كما حدث لثمود .(اختيار لفظ) صيحة (فيه إشارة إلى:
.1 المفاجأة: الصيحة تأتي بغتة بلا سابق إنذار.
.2 الشدة: الصيحة صوت مزعج مؤلم.
.3 اليسر على الله: فالله لا يحتاج لجيوش أو أسلحة ليهلكهم، بل يكفيهم صيحة واحدة من ملك من ملائكته.
· ماذا يعكس وصف العذاب بـ) صيحة واحدة (عن هوان أهل الباطل على قدرة الله؟
إنه يعكس أبلغ الهوان والاستصغار .إنهم لم يكونوا أهلا ً لأن يرسل الله لهم رياحًا عاتية أو خسفًا أو طوفانًا، بل يكفيهم صوت واحد ليكونوا جاثمين .هذا يذكرنا بقوله تعالى:) إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ) (القمر: .(31 إنهم أقل من أن يستنفروا قدرة الله.

4-{مَا لَهَا مِن فَوَاقٍ}: لا راحة ولا رجوع ولا فترة

· معنى) فواق(: الفواق) بضم الفاء أو فتحها (هو الزمن الذي بين الحلبتين، أي الفترة والراحة .وقيل: هو الرجوع والإفاقة .والمعنى: ما لهذه الصيحة من توقف أو انقطاع أو فترة راحة، ولا رجوع بعدها إلى الدنيا.
· كيف يصور) ما لها من فواق (سرعة العذاب وشدته؟
إنه يصور لنا مشهدًا مرعبًا: صيحة واحدة تمتد، لا ينقطع صوتها، ولا يعقبها سكون، ولا يجدون بعدها إفاقة من غيبوبتهم .إنها صيحة مستمرة في أثرها، لا تعقبها نجاة ولا رجوع إلى ما كانوا فيه . إنها تصور الحزم والقطعية الإلهية في إنهاء الباطل.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· أسلوب القصر) وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة(: هذا أسلوب قصر يفيد الحصر .أي أنهم لا ينتظرون شيئًا آخر، لا نصرًا ولا هزيمة للمؤمنين، بل حصر ما ينتظرونه في هذه الصيحة فقط .هذا القصر يقطع كل أمل لهم في النجاة أو في أن يكون مصيرهم غير الهلاك.
· وصف الصيحة بـ) واحدة (ثم نفي الفواق: الجمع بين كونها) واحدة (وكونها) ما لها من فواق (فيه دقة عجيبة .فهي من جهة واحدة أي لا تتكرر) لأن واحدة تكفي(، ومن جهة أخرى هي مستمرة الأثر)لا فواق فيها (بمعنى أنها لا تعقبها راحة أو إفاقة .هذا التركيب البديع يجعل الصورة أكمل وأشد وقعًا.
· الانتقال من الماضي) كذبت (إلى المضارع) ينظر(: في الآيات السابقة كان الحديث عن الأمم الماضية بأفعال ماضية:) كذبت، حَقّ .(وهنا ينتقل إلى الفعل المضارع) ينظر (ليدل على أن هؤلاء الحاضرين هم الآن في حالة الانتظار هذه، فكأنه يقول لهم: "أنتم الآن في هذه اللحظة تنتظرون، فماذا أنتم فاعلون؟ ".

الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم النفسي: الاستهتار بالأمن المؤقت والشعور الزائف بالأمان

قوله تعالى:) وما ينظر هؤلاء (يشير إلى حالة الانتظار السلبي والغفلة .نفسيًا، الشخص المعاند يظن أن تأخير العقوبة يعني عدم وقوعها .وهذا يولد لديه شعورًا زائفًا بالأمان، يجعله يتمادى في غيه، حتى تأتيه الصيحة المباغتة فيقع في الأزمة دون أن يستعد لها .هذه الآية تحذر من هذا الوهم النفسي القاتل.

المفهوم التربوي: الحزم والقطعية وعدم وجود فرصة ثانية

قوله:) ما لها من فواق (يربي فينا أن هناك لحظات حاسمة لا رجوع فيها ولا إفاقة بعدها .هذه التربية تدفعنا إلى:

.1سرعة التوبة وعدم تأجيل العمل الصالح: فالفرصة المتاحة الآن قد لا تتكرر.
.2الاستعداد للموت: فالموت هو) صيحة واحدة ما لها من فواق (بالنسبة لكل إنسان.
.3حسن استغلال الوقت: لأن تأخير التوبة والاستمرار في المعاصي هو نوع من) الانتظار (السلبي الذي قد تكون عاقبته وخيمة.

المفهوم الفكري: حتمية النهاية المفاجئة وهشاشة الاستقرار القائم على الظلم

الآية توصل لفكرة أن الباطل مهما طال زمانه فإنه ينتهي في لحظة واحدة خاطفة .فكريًا، هذا يعني أن الاستقرار القائم على الظلم هو استقرار هش، ينتظر لحظة الانهيار الكلي .الأمم التي تظن أن أوتادها تحميها، ما هي إلا في حالة) ينظرون (أي ينتظرون الصيحة .هذا الفهم يحرر العقل من الا نبهار بقوة الباطل، ويزرع فيه اليقين بأن زواله قريب.

-الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني إلى واقع حياتنا اليومية، لنرى كيف تتحول الآية إلى نور يضيء لنا الطريق.

المثال الأول: في عالم الأعمال والإدارة) مفهوم الانهيار المتسلسل(

· الموقف: مؤسسة تجارية كبرى، بُنيت على أسس من الفساد والغش والرشوة) تكذيب عملي للمنهج الحق .(لسنوات وهي تحقق أرباحًا طائلة، وصاحبها يظن أن "أوتاده" المالية تحميه .الناس حوله ينتظرون انهياره) ينظرون(، وهو في غفلته يظن أنه آمن.
· الآية تقول:) وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق .(فجأة، تنكشف فضيحة مالية، أو تُسحب التراخيص، أو تخسر قضية كبرى في المحاكم .صيحة واحدة لا تقوم لها قائمة، ولا تملك الشركة بعدها فواقًا أي فرصة للتعافي أو الرجوع.
· الدرس العملي: لا تبني مشروعك على الباطل .المشاريع القائمة على الكذب والفساد هي مشاريع هشة، تنتظر "صيحة" واحدة لتنهار .التزم بالصدق والمنهج الحق، حتى لو بدا النجاح بطيئًا، فثباته واستدامته هي الأهم.

المثال الثاني: في إدارة الوقت واتخاذ القرارات) مفهوم الحسم بالقرار(

· الموقف: مدير في شركة، أو مسؤول في إدارة، يواجه حالة من "الشقاق" والمماطلة في اتخاذ قرار مصيري .هو يماطل ويؤجل، وينتظر أن تحل المشكلة بنفسها) ينظر .(وفي أثناء هذا الانتظار، تتراكم المشكلات وتتعقد الأمور.
· الآية تدعو إلى الحزم:) صيحة واحدة ما لها من فواق .(في بعض الأحيان، يحتاج العمل إلى إجراء واحد حاسم ينهي حالة الشقاق والمماطلة بشكل نهائي .قرار جريء واحد) صيحة واحدة (يكون كفيلا ً بإنهاء الفوضى.
· الدرس العملي: لا تكن ممن "ينظر" وينتظر الحلول السحرية .كن حازمًا في قراراتك المصيرية .أحيانًا يكون القرار الصعب) الصيحة (هو الحل الوحيد، والتأخير يزيد الطين بلة.

المثال الثالث: في العلاقات الاجتماعية) سرعة إحقاق الحقوق وعدم المماطلة(

· الموقف: شخص مطالب بدين أو حق لأخيه، وهو يماطل ويؤجل الوفاء بحجج واهية، ويظن أن الأ مر بسيط، ويعيش في أمن زائف.
· الآية تحذره:) ما لها من فواق .(لا تظن أن تأخير الحقوق سيمر بسلام .قد تأتيك "الصيحة") مرض، موت مفاجئ، خسارة مالية (فلا تستطيع بعدها الوفاء، وتتحمل الوزر كاملا ً.
· الدرس العملي: بادر بأداء الحقوق فورًا .لا تماطل .الفرصة المتاحة الآن هي الأفضل .تذكر أنك لا تدري متى تأتي الصيحة التي لا فواق بعدها.

المثال الرابع: على مستوى الفرد) التوبة وعدم تأجيل العمل الصالح(

· الموقف: شاب يعيش في غفلة، ويؤجل توبته ويقول: "سأتوب عندما أكبر"، "سأحج عندما أتقاعد"، "سألتزم عندما أتزوج" .إنه في حالة) ينظر (أي ينتظر ظروفًا مثالية قد لا تأتي أبدًا.
· الآية تناديه:) وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق .(الموت هو صيحتك الخاصة .قد تأتيك وأنت على هذه الحال من التسويف، فلا تجد بعدها فواقًا للرجوع إلى الدنيا لتتوب) .حَتَىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ( )المؤمنون:99 -.(100
· الدرس العملي: لا تؤجل عمل اليوم إلى الغد .تب الآن .اعمل الصالحات الآن .فالفرصة الوحيدة هي هذه اللحظة التي أنت فيها، وما بعدها قد لا تملك فيه فواقًا.

ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1اليقظة الدائمة وعدم الركون إلى الهدوء الخادع

الآية تدعونا إلى ألا نكون مثل) هؤلاء (الذين ينتظرون في غفلة .كن دائمًا مستعدًا للمساءلة و الحساب .الهدوء الذي تعيشه ليس دليلا ً على الأمن من العقاب .اسأل نفسك كل يوم: "هل أنا مستعد لصيحة الموت؟".

.2سرعة التوبة وعدم التسويف

لا تكن ممن) ينظر .(التسويف هو سلاح الشيطان .كلما خطر ببالك أن تتوب من ذنب، أو أن تبدأ في عمل صالح، فبادر فورًا .تذكر أن الصيحة قد تأتي وأنت في فترة "الانتظار" هذه، فتخسر كل شيء.

.3الحزم في القرارات المصيرية

في حياتك العملية، تعلم أن تكون حازمًا .لا تماطل في حل المشكلات .القرار الحاسم الواحد) الصيحة الواحدة (أفضل من ألف اجتماع ومماطلة .هذه الآية تبني فيك شخصية قوية وحاسمة، تعرف متى تقطع الشك باليقين، والجدل بالعمل.

.4عدم الاغترار بالمهل وتجنب المماطلة في أداء الحقوق

لا يغرك أن الله أمهلك وأمدك بالصحة والمال .هذا الإمهال ليس دليلا ً على الرضا، بل قد يكون

استدراجًا .سارع بأداء الحقوق لأهلها، ولا تماطل .فالمماطل هو في الحقيقة) ينظر (صيحته الخاصة.

.5التعامل مع المشاريع الفاشلة بحزم

إذا كنت تدير مشروعًا ووجدت أنه قائم على أسس خاطئة، فلا تنتظر) تنظر (حتى ينهار .بل كن أنت من يطلق "صيحة" التغيير والإصلاح .أصلح الخلل فورًا، لأن انتظار الصيحة يعني ضياع وقت الإصلا ح والمناص.

أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري، لنرى كيف يمكن لهذه المعاني أن تبني أمة.

.1البعد الفكري: تأسيس وعي حضاري بالمآلات) الاستقرار الهش(

الآية تخلق إنسانًا واعيًا بالمآلات، لا يغره بريق القوة الحالية، بل يعمل للحظة الحساب الحتمية .فكريًا، هذا يعني أن أي حضارة تقوم على الظلم والفساد والتكذيب بالقيم، هي في حالة) ينظرون (أي ينتظرون صيحة الانهيار .هذا الفكر يجعل الأمة تتحرك ولا تركن، وتصلح ولا تفسد، خوفًا من تلك الصيحة.

.2البعد التنموي: بناء مجتمعات مرنة وقادرة على الصمود

في التنمية، تؤكد الآية أن التنمية الحقيقية يجب أن تمتلك درجة مرونة عالية وقدرة على الصمود . المجتمعات الهشة) التي لا تقوم على العدل والقيم (تنهار ب-) صيحة واحدة (كزلزال أو انهيار اقتصادي أو فتنة داخلية، ولا تقوم لها بعدها قائمة) ما لها من فواق .(أما المجتمعات القائمة على الحق، فهي وإن أصابتها الصدمات، فإنها تفيق وتتعافى، لأن أساسها متين.

.3البعد السياسي والإداري: العدل الناجز وعدم التواني في الإصلاح

الحضارة الراشدة لا تترك الباطل يترعرع حتى تأتيه الصيحة، بل تعالج الخلل أولا ً بأول .الإدارات الناجحة هي التي تمتلك آليات إنذار مبكر، وتصحح مسارها فورًا .أما الإدارات التي تنتظر) ينظرون (حتى تقع الكارثة، فهي إدارات فاشلة .الآية تعلم الحكام والمسؤولين أن زوال الأمم الظالمة سنة إلهية لا تقبل الرجوع) ما لها من فواق(، فبادروا بالعدل قبل فوات الأوان.

.4البعد التربوي: تربية جيل يقدّر قيمة الوقت والفرصة

هذه الآية تبني في الأجيال الناشئة ثقافة استثمار الوقت و اغتنام الفرص .إنها تعلمهم أن الفرصة التي في أيديهم الآن هي الأفضل، وقد لا تتكرر .هذه التربية هي أساس بناء الحضارة؛ لأن الحضارة تحتاج إلى أناس مبادرين، لا إلى أناس) ينظرون (ماذا سيحدث.

.5البعد النفسي للمجتمع: زعزعة الأمن الزائف وترسيخ الرقابة الذاتية

الآية تهز مشاعر الأمن الزائف في المجتمع .إنها تقول للناس: لا تركنوا إلى أن الأمور مستقرة، ف الصيحة قد تأتي بغتة .هذا الشعور يولد لدى الأفراد رقابة ذاتية، فيسارعون إلى الخيرات، ويتنافسون في الطاعات، ويتجنبون المعاصي، ليس فقط خوفًا من العقاب الدنيوي، بل خوفًا من الصيحة التي لا فواق لها.
كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1تمرين) ماذا لو كانت صيحتي اليوم؟(: كل صباح، وقبل أن تبدأ يومك، اسأل نفسك: "ماذا لو كانت هذه الصيحة) الموت (اليوم؟" .هذا السؤال يجعلك تعيش اليوم وكأنه آخر يوم في حياتك، فتتقن العمل، وتصلح العلاقات، وتبادر بالتوبة.
.2قاعدة) ال- 5 دقائق (في اتخاذ القرار: إذا كان لديك قرار بسيط أو عمل صالح يمكن إنجازه في 5دقائق) رد مظلمة، اتصال لصلة رحم، صدقة(، فافعله فورًا .لا تؤجله .درب نفسك على سرعة الا ستجابة للخير، وكأنك تخشى أن تأتي الصيحة قبل أن تفعله.
.3مراجعة المشاريع المؤجلة: افتح قائمة المهام المؤجلة في حياتك) دين لم تسدده، اعتذار لم تقدمه،

كتاب تريد قراءته .(وقرر أن تبدأ فيها الآن .لا تكن ممن) ينظر.(
.4تحليل أسباب الفشل المفاجئ حولك: عندما تسمع عن شخص أو شركة انهارت فجأة، لا تمر الخبر مرور الكرام .تأمل: هل كان انهيارهم نتيجة "صيحة واحدة" أتت على ما بنوه من باطل؟ خذ العبرة لنفسك.
.5الدعاء بدوام اليقظة: ادعُ الله دائمًا أن يرزقك قلبًا يقظًا، لا يغفل ولا يركن إلى الدنيا: "اللّهم أيقظني من غفلتي، وارزقني سرعة التوبة، ولا تأخذني بغتة وأنا في غفلة، وارزقني حسن الاستعداد ليوم لقائك".

المبحث الثالث

أيها القارئ الكريم، يا من يخوض معنا غمار هذه السورة العظيمة، لقد رأينا كيف انطلق الملأ يأمرون أتباعهم بالصبر على آلهتهم، وكيف تعجبوا من الدعوة إلى التوحيد، وكيف حسدوا النبي صلى الله عليه وسلم على ما آتاه الله من فضله، وكيف هددهم الله بمصير الأحزاب من قبلهم، ثم ختم ذلك كله بتذكيرهم بأنهم ما ينتظرون إلا صيحة واحدة ما لها من فواق.

والآن، وفي الآية السادسة عشرة، تأخذنا السورة إلى مستوى أعمق من العزة والشقاق .إنه ليس مجرد عناد أو إعراض، بل هو تحدٍّ سافر و استخفاف مقيت بـالله وآياته وعذابه .إنها الآية التي تكشف قمة الجهل والكبرياء، حيث يطلب المشركون – بكل وقاحة – تعجيل نصيبهم من العذاب! إنهم لا يكتفون بالتكذيب، بل يتطاولون إلى مطالبة الله بالإسراع في عقابهم، وكأنهم يضمنون النجاة، أو كأن العذاب مجرد لعبة.

فلنقف مع هذه الآية العجيبة، ولنغص في أعماقها، لنرى كيف صور الله تعالى تحدي المعاندين واستعجالهم للعقوبة بجهل وتكبر، ولنستلهم منها دروسًا في الأدب مع الله، وفي فهم سيكولوجية المكذبين.

تفسير الآية الكريمة: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ﴾(16)
مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن بيّن الله تعالى أن هؤلاء المكذبين لا ينتظرون إلا صيحة واحدة تحسم أمرهم، وبدلا ً من أن يرتدعوا أو يتعظوا، نراهم يتمادون في غيهم ويخوضون في استهزاء جديد .إنهم لا يكتفون بإنكار العذاب، بل يستعجلونه استهزاءً وتكذيبًا!

مقصد الآية الأعظم: كشف أقصى درجات الجهل والجرأة على الله .فهؤلاء القوم، وقد بلغ بهم الكبر و العناد مبلغًا عظيمًا، يطلبون من الله أن يُعجّل لهم نصيبهم من العذاب الذي يتوعدهم به النبي صلى الله عليه وسلم .إنهم بذلك يصورون أنفسهم في موقف المتحدي الواثق، بينما هم في الحقيقة في قمة الغفلة والاستدراج .تهدف الآية إلى:

.1بيان عمى البصيرة: فهم يرون العذاب قادمًا، ولكنهم بدل أن يهربوا منه، يستقبلونه بصدورهم استهزاءً.
.2إظهار سنة الاستدراج: فـالله يملي لهم ويزيدهم طغيانًا، حتى إذا جاء أمر الله كانوا من الخاسرين.
.3تعليم المؤمنين الأدب مع الله: فالمؤمن لا يستعجل قضاء الله، ولا يتحدى قدره، بل يسأله العفو و العافية.
.4تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم: بأن هذا الاستهزاء ليس جديدًا، بل هو دأب المكذبين عبر التاريخ، فاصبر كما صبر من قبلك.

تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1-﴿وَقَالُوا﴾: جرأة القول واستعلان الباطل

الفعل) قالوا (هنا يدل على أن هذا الاستعجال لم يكن مجرد خاطر في نفوسهم، بل هو قول صريح تفوهوا به جهارًا .وهذا يدل على أنهم بلغوا من الوقاحة والجرأة على الله مبلغًا لم يعودوا يخفون فيه عداءهم .إنهم يعلنون التحدي بكل صلف.

2-﴿رَبَّنَا﴾: خطاب السخرية والتحدي المقنع

استخدامهم لكلمة) ربنا (هنا ليس إقرارًا منهم بربوبية الله، بل هو من باب الاستهزاء و المجاراة في

اللفظ .إنهم يكررون ما يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم من دعاء: "ربنا"، ولكنهم يحرفونه إلى معنى التحدي .وهذا يشبه قول المنافقين:) إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ .(إنه خطاب خال من التعظيم، مشحون بالسخرية اللاذعة.

3.{عَجِّل لَنَا قِطَّنَا}: استعجال النصيب المكتوب من العذاب

· معنى) عجل لنا(: طلب التعجيل والإسراع .وهم لا يطلبون العذاب فحسب، بل يطلبون تعجيله، وكأنه متعة يشتاقون إليها! هذا قمة الاستخفاف.
· معنى) قطنا(:) القط (في اللغة هو النصيب و الحظ و الكتاب المكتوب .وقيل: هو صحيفة الحسنات والسيئات .والمعنى: "يا ربنا، عجّل لنا نصيبنا من العذاب الذي تهددنا به في الدنيا قبل يوم الحساب!" . وهذا القول قالوه استهزاءً بقول الله تعالى:) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ (...وقوله:) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ .(...وكأنهم يقولون: "نحن نريد أن نأخذ كتابنا) قطنا (الآن، ولا نريد الانتظار ليوم القيامة!".

4.{قَبْلَ يَوْمِ الحِسَابِ}: استهانة بيوم القيامة

قيدوا طلبهم بأن يكون) قبل يوم الحساب .(وهذا يدل على أمرين خطيرين:

· الأول: استبعادهم ويوم القيامة وتكذيبهم به .فهم يظنون أنه لا حساب ولا عقاب، ولذلك يطلبون تعجيل ما يدعونه من عذاب الدنيا، لأنه في زعمهم لا يوجد عذاب آخرة.
· الثاني: رغبتهم في استعجال العذاب الدنيوي ليثبتوا لأنفسهم وأتباعهم أن محمدًا كاذب، وأنه لا عذاب يأتيهم .فإذا لم يأتهم العذاب سريعًا، قالوا: "أرأيتم؟ لقد طلبنا منه العذاب فلم يأتنا، إذًا هو كاذب!".

اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· المفارقة العجيبة) التهكم المرير(: أن يقولوا) ربنا (ثم يطلبوا) عجل لنا قطنا (لهو من أعجب المفارقات .فهم يقرون بالربوبية بألسنتهم، ويطلبون العذاب بجهلهم .هذا الأسلوب يصور انفصام الشخصية الإيمانية لديهم، حيث يجمعون بين الإقرار اللفظي والإنكار القلبي العملي.
· استعمال لفظ) قطنا (بدل) عذابنا(: اختيار لفظ) قط (له دلالة خاصة .فهم لا يريدون أن يسموا العذاب باسمه، لأن ذلك يثير الرعب، فاستعملوا بدلًا منه لفظ) قطنا (أي نصيبنا، توهمًا أنهم بذلك يخففون وقع الكلمة، أو يظهرون عدم اكتراثهم .إنه أسلوب التلطف اللفظي في مقام التحدي، مما يزيد من بشاعة الموقف.
· الجمع بين) عجل (و) قبل(: فعل التعجيل يدل على طلب السرعة، و)قبل (تدل على طلب تقديم الزمن .فجمعوا بينهما ليبالغوا في طلب الاستعجال، وكأنهم لا يطيقون صبرًا على العذاب! إنها صورة بليغة لطغيان الجهل على العقول.

الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: الأدب مع الله في السراء والضراء

الآية تعلمنا الأدب مع الله .المؤمن لا يستعجل قضاء الله ولا يتحداه .إذا سمع وعيدًا أو تهديدًا من الله، بادر بالتوبة والاستغفار، لا بالاستهزاء وطلب التعجيل .هذه الآية تربي فينا الخشية و الحياء من الله، فلا نكون كمن قالوا:) ربنا عجل لنا قطنا.(

المفهوم النفسي: آلية الدفاع بالاستهزاء) سخرية اليائس(

نفسيًا، هؤلاء المشركون يعيشون حالة من اليأس الداخلي مما جاء به النبي، ولكنهم لا يستطيعون مواجهة الحق بالحجة، فيلجأون إلى آلية الدفاع النفسي المتمثلة في السخرية والاستهزاء .إنهم يضحكون ويطلبون العذاب لكي يخففوا من حدة الرعب الداخلي الذي يشعرون به .إنها سخرية الخائف، وضحكة اليائس الذي يريد أن يثبت لنفسه وللآخرين أنه غير مبالٍ.

المفهوم الفكري: سنة الاستدراج الإلهي

هذه الآية تؤكد سنة من أخطر سنن الله في الأرض: سنة الاستدراج .فالله لا يعاجلهم بالعقاب، بل يتركهم يتمادون في طغيانهم، ويطلبون العذاب بألسنتهم، حتى إذا بلغوا الذروة في الكفر والاستهزاء،

أخذهم أخذ عزيز مقتدر .قولهم هذا هو ذروة الاستدراج، وهو علامة على أن العقاب قد أصبح وشيكًا.

الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني إلى واقع حياتنا اليومية، لنرى كيف تتكرر هذه الصورة في عصرنا.

المثال الأول: في الحياة الشخصية) تحدي المنهج(

· الموقف: شاب يسمع آيات الوعيد والعذاب للمعرضين، ولكنه مستغرق في المعاصي، فيقول بلسان الحال أو المقال – استهزاءً وتحديًا -: "أين هذا العذاب؟ لماذا لا يأتي؟ أنا أفعل كذا وكذا ولم يحدث لي شيء! عجّل لي يا رب نصيبي من عذابك إن كنت صادقًا!".
· الآية تفضحه: هذا هو عين قولهم:) وقالوا ربنا عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب .(إنها حالة من الغرور والاستدراج .الشاب يظن أنه في أمان، بينما هو يوقع على صك هلاكه بلسانه.
· الدرس العملي: لا تقل مثل هذا أبدًا .إذا رأيت نفسك مصرًا على معصية، فاستغفر الله وتب إليه، و لا تستهزئ بوعيده .فالاستدراج قد يكون أشد أنواع العقاب.

المثال الثاني: في بيئة العمل) استعجال الفصل(

· الموقف: موظف مهمل، ينذر مديره بفصله إذا لم يتحسن أداؤه .بدلًا من أن يجتهد لتحسين وضعه، يذهب الموظف متحديًا إلى المدير ويقول: "طيب، فصلني الآن! عطني حقوقي وخلّصني!) عجل لي قطي(".
· التحليل النفسي: هذا الموظف ليس واثقًا من نفسه، بل هو يائس ويشعر بالعجز عن التغيير، فيلجأ إلى التحدي لتغطية ضعفه .وهو بذلك يستعجل الهلاك.
· الدرس العملي: لا تستعجل الفصل أو الطرد من رحمة الله .تذكر أن الإمهال فرصة للتغيير .لا تحرق مراكب النجاة بلسانك.

المثال الثالث: على مستوى المجتمع) استعجال الحروب والكوارث(

· الموقف: بعض الدول أو الجماعات، بدافع الغرور والقوة، تتحدى القوى الكبرى أو تنتهك حرمات الله، وتعلن في إعلامها: "ليأتينا العذاب! نحن مستعدون! أين عقاب الله الذي تخوفوننا به؟!".
· الآية ترد:) وقالوا ربنا عجل لنا قطنا .(هؤلاء في حالة استدراج .قد يمهلهم الله سنوات، ثم يأتيهم العذاب من حيث لا يحتسبون) صيحة واحدة ما لها من فواق(، فتنهار دولتهم وجيوشهم التي كانوا يتباهون بها.
· الدرس العملي: القوة ليست ضمانًا ضد العذاب .بل ربما تكون سببًا للطغيان والاستدراج .الحكمة تقتضي التواضع لله وخشيته، لا تحديه.

ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1احفظ لسانك عن الجرأة على الله

أكبر درس عملي: راقب ألفاظك .لا تقل: "لماذا لا يعاقبني الله؟"، "أنا أفعل المعاصي ولم يحدث شيء!" . هذه الألفاظ هي بداية طريق الاستدراج .بدلًا منها، قل: "الحمد لله الذي سترني، وأمهلني لأتوب . اللهم لا تؤاخذني بما فعلت، واهدني لأحسن من ذلك".

.2لا تستهزئ بوعيد الله ووعده

سواء كان الوعيد في القرآن أو على لسان داعية، لا تستهزئ به .تذكر أن الذين استهزأوا من قبل أخذتهم الصيحة وهم يلعبون .تعامل مع آيات الوعيد بقلب خائف وجل، لا بقلب مستهتر متحد.

.3اعتبر الإمهال فرصة لا دليل أمان

كل يوم يمر عليك وأنت في معصية ولم ينزل بك عقاب، فاعلم أنها فرصة ذهبية للتوبة .لا تقلبها

إلى دليل زائف على أنك في مأمن .الشيطان يزين لك أن الإمهال دليل رضا، والحقيقة أنه قد يكون استدراجًا.

.4تعلم الأدب مع الله من أنبيائه

انظر إلى أدب الأنبياء مع الله: إبراهيم يقول:) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ(، أيوب يقول:) أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .(كلهم أدب وذل وانكسار .تعلم منهم، ولا تكن كالمشركين في جرأتهم وجهلهم.

.5استبدل) عجل لنا قطنا (ب-) آتنا في الدنيا حسنة(

كلما وسوس لك الشيطان بشيء من الاستهزاء أو التحدي، فاستبدله فورًا بدعاء الخير الذي علمنا إياه القرآن:) رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ .(بهذا تحول الموقف من استعجال العذاب إلى طلب الرحمة.

أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد الأخلاقي في بناء الإنسان: غرس قيمة) الأدب (قبل) العلم(

الآية تبين أن غياب الأدب مع الله هو أصل كل بلاء .الحضارة التي لا تربط أبناءها بأدب الخشية من الله، ستنتج بشرًا متغطرسين يتحدون القيم والأخلاق، ويستعجلون هلاكهم بأيديهم .بناء الإنسان يبدأ بتربية قلبه على تعظيم الله، لا على تحديه .هذا البعد الأخلاقي هو أساس استدامة أي مجتمع.

.2البعد النفسي والاجتماعي: مكافحة ظاهرة) التحدي السلبي (في المجتمعات

في مجتمعاتنا المعاصرة، نرى ظاهرة التحدي السلبي، حيث يتعمد الشباب فعل المنكرات في العلن كنوع من التمرد وتحدي المجتمع والقيم .هذا السلوك هو صدى لقوله:) عجل لنا قطنا .(هذه الآية تحذر من هذه الظاهرة، وتدعو المؤسسات التربوية والإعلامية إلى التعامل معها بحكمة، ومعرفة أسبابها النفسية) الإحباط واليأس(، وعلاجها بغرس الرجاء في رحمة الله، لا بتركهم فريسة للاستدراج.

.3البعد السياسي والإداري: الاستهانة بالقوانين مؤشر انهيار

عندما يصل المجتمع إلى مرحلة أن يتحدى أفراده القانون والنظام علانية، ويقولون بلسان حالهم: "افعلوا بنا ما شئتم، لن نطيع!"، فهذا مؤشر خطير على اقتراب الانهيار .هذه الآية تعلم الحكام و المسؤولين أن هذه الحالة هي حالة استدراج اجتماعي، وتتطلب علاجًا عميقًا لجذور المشكلة) الظلم، الفساد، فقدان العدالة(، لا مجرد قمع سطحي .فكما أن الله يستدرج الظالمين، فكذلك المجتمعات الظالمة تستدرج أبناءها للتمرد ثم الهلاك.

.4البعد الفكري والحضاري: تفنيد منطق) الواقعية الساذجة(

بعض المفكرين يتبنون منطقًا يقول: "طالما أننا نرى الظالمين في نعيم والمؤمنين في بلاء، إذًا لا توجد سنة إلهية للعقاب!" .هؤلاء أشبه بمن قال:) عجل لنا قطنا .(إنهم يريدون نتائج فورية، ولا يدركون سنة الاستدراج والإمهال .هذه الآية تؤسس لـ- عقلية حضارية تدرك أن الأمور بمقاديرها، وأن النهايات ليست بالضرورة فورية، ولكنها حتمية.

كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1مراقبة اللسان في لحظات الغضب والضيق: عندما تشعر بضيق أو هم، لا تقل: "يارب، لماذا تفعل بي هذا؟!" .بل قل: "اللهم إنك عفو كريم تحب العفو فاعف عني" .درب لسانك على الدعاء المأثور، وابتعد عن ألفاظ الاعتراض والتحدي.
.2تحويل الاستهزاء إلى استغفار: إذا وجدت نفسك تستهزئ بأمر ديني أو بوعيد من الله) ولو في قلبك(، فاستغفر الله فورًا وقل: "اللهم إني أعوذ بك أن أكون من الجاهلين" .هذا التمرين يحمي القلب من قسوة الاستهزاء.
.3دعاء الفرصة لا دعاء العذاب: كلما تذكرت ذنوبك، فادعُ الله أن يطيل عمرك في طاعته، وأن

يمنحك فرصة للتوبة .لا تدعْ على نفسك بالموت أو العذاب، حتى لو كنت مازحًا .قل: "اللّهم أحسن خاتمتنا، ولا تقبضنا إلا وأنت راض عنا".
4.قراءة قصص الاستدراج: اقرأ في القرآن عن قصص الذين استدرجهم اللّه) مثل قصة قارون، وفرعون، وأصحاب الجنة .(تأمل كيف أن النعمة والإمهال كانا سببًا في هلاكهم .هذا يجعلك تخاف النعمة إذا أبعدتك عن اللّه، وتحب البلاء إذا قربك إليه.
5.الدعاء الجماعي في الأسرة: اجمع أسرتك وادعْ بهذا الدعاء: "اللّهم إنا نعوذ بك من الجهل والجرأة عليك، ونعوذ بك من أن نستعجل عذابك بألسنتنا أو أعمالنا، ونعوذ بك من الاستدراج، ونسألك الأدب معك في السراء والضراء".

المقطع الثاني
أيها القارئ الكريم، يا من يخوض معنا غمار سورة) ص(، لقد وقفنا معًا على مشاهد العزة الكاذبة، و الشقاق المهلك، وسمعنا صرخات المكذبين وهم يستعجلون العذاب بجهلهم قائلين:) ربنا عجل لنا قطنا .(رأينا كيف يصور الله تعالى تحدي المعاندين واستخفافهم بوعيده .وفي هذه الأجواء المشحونة بالا ستهزاء والتكذيب، وفي لحظة يحتاج فيها النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون معه إلى ما يثبت قلوبهم، تنزل هذه الآية الكريمة كالبلسم الشافي، والدواء الناجع.

إنها نقلة عظيمة من صخب الاستهزاء والمعاندة إلى سكون الاستقامة والقيادة الرشيدة .إنها الآية التي تضع الله تعالى لنا المنهج البديل لمواجهة السفهاء والخصوم .بدلا ً من أن ننشغل بالرد على كل كلمة جارحة، أو نستنزف طاقتنا في الجدل العقيم، توجهنا الآية إلى ثلاثة أركان عظيمة: الصبر الجميل، و القدوة الصالحة، والقوة المقرونة بالإنابة.

فلنقف مع هذه الآية الجامعة، ولنستلهم منها دستورًا للتصرف عند سماع الأذى والإساءة، ولنبني بها شخصية المؤمن القوي الأمين.

تفسير الآية الكريمة: ﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾(17)

مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن حكى الله تعالى عن المشركين قولهم المنكر:) ربنا عجل لنا قطنا(، وهو كلام مؤذٍ، مستفز، مليء بالاستهزاء والتحدي، يأتي التوجيه الإلهي المباشر للنبي صلى الله عليه وسلم:) اصبر على ما يقولون .(لم يأمره بالرد بالمثل، ولا بالانقطاع عن الدعوة، بل أمره بالصبر .ثم لم يتركه وحيدًا في هذا الصبر، بل أردفه بوصفة عظيمة:) واذكر عبدنا داود .(فالصبر وحده قد يكون مرًا، لكن استحضار سير الصالحين يحوله إلى عسل مذاب في القلب.

مقصد الآية الأعظم: تأسيس منهج متكامل للتعامل مع الإساءة والابتلاء .هذا المنهج يقوم على:

1.التحمل الإيجابي) اصبر(: ليس صبرًا سلبيًا، بل صبرًا مصحوبًا بالعمل.
2.الاستعانة بالقدوة) واذكر عبدنا داود(: فذكر الصالحين يثبت الفؤاد ويهون المصاب.
3.الجمع بين القوة والإنابة) ذا الأيد ...أواب(: فالمؤمن قوي في الحق، دائم الرجوع إلى الله.

إنها آية تنقلنا من صخب المعاندين إلى سكون الاستقامة والقيادة الرشيدة، حيث يضع الله تعالى لنا المنهج البديل لمواجهة السفهاء والخصوم، وهو منهج الصبر + القدوة + القوة + التوبة.

تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1.﴿اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾: التوجيه بالصبر الإيجابي

· دلالة التوجيه للنبي بالصبر على تكذيب المشركين:
الأمر) اصبر (موجه للنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أمر تكليفي .وفيه دلالات عظيمة:
· أولا ً: الصبر هنا ليس ضعفًا ولا استسلامًا، بل هو قوة نفسية هائلة .فالمستفز يريد أن يخرجك عن طورك، فإذا صبرت كنت أنت المنتصر.
· ثانيًا: التوجيه بالصبر بعد ذكر قولهم:) ربنا عجل لنا قطنا (يعني أن هذا القول بلغ من الشناعة وا لإيذاء مبلغًا يحتاج معه إلى صبر خاص .فالصبر على كلام السفهاء من أشق أنواع الصبر.
· ثالثًا: هذا التوجيه هو تربية للأمة كلها .فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يؤمر بالصبر على هذا الكلام السخيف والتكذيب والنقد الجارح، فكيف يكون موقفنا نحن عند مواجهة الصعوبات في طريق الحق؟ إن موقفنا يجب أن يكون الصبر والاحتساب، لا الجزع والتشكي.
· كيف نطبق) اصبر على ما يقولون (في حياتنا العملية؟
· بعدم الدخول في جدل عقيم: الجدل مع السفهاء يستنزف الطاقة ويضيع الوقت .الصبر الإيجابي يعني التركيز على الإنتاج والعمل، لا على الرد على كل ناعق.
· بتجاهل الإساءة اللفظية: التعامل بصبر مع الشائعات الكاذبة والانتقادات والاتهامات .فقولهم لا يضر الحق، بل يضرون أنفسهم.
· بضبط النفس عند سماع الأذى: وهذا من أعلى مراتب الإيمان، وهو الذي يولد الطمأنينة ويدفع العجلة إلى الأمام دون الالتفات إلى المعوقات.

2-﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ﴾: الاستعانة بالقدوة الصالحة

· لماذا قرن الله بين الصبر وذكر داود عليه السلام؟
هذا اقتران بديع .فالصبر يحتاج إلى وقود .والوقود هو استحضار سير الصالحين .عندما يسمع المؤمن قصة نبي ابتُلي فصبر، فإن نفسه تتأسى به، ويهون عليه ما هو فيه .وكأن الله يقول لنبيه: "لست وحدك يا محمد في هذا الطريق، فداود من قبلك لقي من قومه ما لقي، وصبر، وكان أوابًا".
· المناسبة التي ذكرت فيها الآية: ذكرت بعد استهزاء المشركين مباشرة، لتقدم النموذج المضاد .ففي مقابل أولئك الذين قالوا:) عجل لنا قطنا (بجهل وكبر، يأتي نموذج داود الذي كان عبدًا أوابًا، يعمل ويجاهد ويرجع إلى الله .هذا هو المنهج البديل الذي يعلمنا إياه القرآن عند النهي عن السلوك القبيح: لا تكتف بترك القبيح، بل استبدله بالحسن الجميل.
· لماذا تم ذكر داود تحديدًا في هذا السياق؟
لعدة أسباب:
1. داود عليه السلام كان نبيًا ملكًا: فهو جمع بين النبوة والملك، وبين العبادة والجهاد، وبين الزهد والسلطان .وهو بذلك نموذج متكامل للقائد الذي يواجه التحديات بالصبر والقوة والإنابة.
2. داود عليه السلام ابتُلي وامتُحن: فله قصة معروفة في الابتلاء والفتنة، ثم التوبة والإنابة . فذكره هنا يذكر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الابتلاء سنة الأنبياء.
3. داود عليه السلام كان قويًا في الحق: وقد وصفه الله بـ) ذا الأيد (أي القوة، وهذا يناسب مقام مواجهة الباطل.
· ماذا يضيف لقب العبودية) عبدنا (في التواضع والقرب من الله وعلاقته بالعزة الحقيقية؟
وصف داود بـ) عبدنا (في هذا المقام هو غاية التشريف .إنه يضيف:
· التواضع: فمهما بلغت من ملك أو علم أو قوة، فأنت عبد لله .هذه العبودية هي التي تكسر الكبر في النفس.
· القرب من الله: الإضافة إلى ضمير الجلالة) نا (تدل على قربه واصطفائه .إنه عبد مقرب، لا عبد مطرود.
· العزة الحقيقية: هذه العبودية لله هي مصدر العزة الحقيقية التي تحدثنا عنها في أول السورة . فداود عبد الله، ولذلك هو عزيز بالله .أما المشركون فطلبوا العزة بغير الله فذلوا وهانوا.

3-﴿ذَا الْأَيْدِ﴾: القوة الشاملة في الحق

· ما معنى) الأيد(؟ وما المقصود بـ) ذا الأيد(؟
) الأيد (بفتح الهمزة وسكون الياء، هي القوة .و)ذا الأيد (أي: صاحب القوة .والمقصود بها هنا:
1. القوة في العبادة: فداود كان قويًا في طاعة الله، يصوم يومًا ويفطر يومًا، ويقوم نصف الليل . وهذه قوة روحية.
2. القوة في العمل والصناعة: كما قال تعالى:) وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ) (الأنبياء: .(80 فقد كان يصنع الدروع الحديدية بيديه، ويأكل من عمل يده .وهذه قوة مهنية وجسدية.
3. القوة في الحكم والعدل: فكان نبيًا ملكًا، يحكم بين الناس بالحق .وهذه قوة سياسية وإدارية.
4. القوة في الجهاد: فقد قاتل في سبيل الله، وقتل جالوت.
· هل القوة في) الأيد (قوة بدنية فقط أم ماذا؟
هي قوة شاملة تشمل البدن والروح والعقل والمهارة .إنها القوة في الحق .وهذه الآية تدعونا إلى بناء القوة الشاملة) بدنيًا، نفسيًا، مهنيًا، علميًا (لمواجهة تحديات الحياة .فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.
· كيف للمؤمن أن يحول قوته) في المال والجاه والسلطان (إلى طاعة الله بدلا ً من الاستعلاء بها؟
داود عليه السلام هو المثال .فقد استخدم ملكه وقوته في:
· إقامة العدل.
· الجهاد في سبيل الله.
· صناعة ما ينفع الناس) الدروع.(
· التسبيح والعبادة مع أن له ملكًا عظيمًا.
فالقوة وسيلة، فإذا وجهتها لطاعة الله صارت نعمة، وإذا استعملتها في الباطل صارت نقمة.

4-﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: دائم الرجوع إلى الله

· ما المقصود بـ) أواب(؟ وما الفرق بين التوبة والأوبة؟
·) أواب(: صيغة مبالغة من الفعل) آب (أي رجع .فالأواب هو كثير الرجوع إلى الله، دائم التوبة والإ نابة.

· الفرق بين التوبة والأوبة: التوبة تكون من الذنب، أما الأوبة فهي أعم، فهي الرجوع إلى الله في كل الأحوال، سواء بعد ذنب أو بعد طاعة .فالعبد الأواب لا يغفل عن الله طرفة عين، وإذا غفل رجع سريعًا.
· لماذا وصف الله داود بأنه) أواب (مع قوته؟ لأن القوة قد تطغى صاحبها، وقد تشغله عن الله . فجاء وصف) أواب (ليبين أن داود كان مع قوته وملكه، دائم الصلة بالله، كثير الرجوع إليه .وهذا يعلمنا التوازن بين الاهتمام بالظاهر) القوة والعمل (والاهتمام بالباطن) الرجوع إلى الله.(
اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· العطف ب-) الواو (في) واذكر(: عطف الأمر) اذكر (على الأمر) اصبر (يدل على التلازم .فالصبر لا يكتمل ولا يثمر إلا بذكر الصالحين .فالواو هنا جامعة بين تحمل الأذى و استحضار القدوة.
· الإضافة في) عبدنا(: إضافة) عبد (إلى ضمير الجلالة) نا (بدلًا من) عبدي (فيها تعظيم وتفخيم . فكأنه يقول: عبدنا الذي اصطفيناه واجتبيناه.
· الجمع بين) ذا الأيد (و) أواب(: هذا من المقابلة البديعية .ف-) ذا الأيد (يدل على القوة الظاهرة، و)أواب (يدل على القوة الباطنة والرجوع إلى الله .فجمع بين قوة الجسد وقوة الروح، وبين العمل في الأرض والاتصال بالسماء.
· التذييل ب-) إنه أواب(: جملة) إنه أواب (جاءت تعليلًا للأمرين السابقين .كأنه يقول: اصبر واذكر داود، لأنه كان أوابًا، والإنابة إلى الله هي التي تعين على الصبر وتجعل الذكرى نافعة.
الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: الصبر + القدوة + القوة + التوبة = معادلة النجاح والفلاح

الآية تقدم لنا معادلة إلهية للنجاح في مواجهة الشدائد:
صبر) اصبر + (استحضار سير الصالحين) واذكر عبدنا داود + (إتقان وقوة في العمل) ذا الأيد + (رجوع دائم إلى الله) أواب = (نجاح وفلاح.
هذه المعادلة تربي فينا شخصية متوازنة، تجمع بين تحمل الأذى، والاقتداء بالعظماء، وإتقان العمل، ودوام الصلة بالله.

المفهوم النفسي: الصلابة النفسية والترفع عن صغائر الأمور

الأمر) اصبر على ما يقولون (يبني فينا الصلابة النفسية .إنه يعلمنا أن نترفع عن استهلاك طاقتنا في المؤثرات السلبية، وأن نوجه هذه الطاقة إلى قوة الإنجاز) الأيد (و الرجوع إلى الله) الأواب .(الشخص الذي يتأثر بكل كلمة تقال فيه هو شخص ضعيف، أما القوي فهو الذي يصبر ويمضي في طريقه.

المفهوم الفكري: المنهج البديل عند النهي عن السلوك القبيح

هذه الآية تعلمنا قاعدة فكرية عظيمة: عند النهي عن سلوك قبيح، يجب تقديم المنهج البديل .فبدلا ً من أن نقول للمؤمن: "لا تغضب، لا تنتقم، لا تيأس"، نقدم له منهجًا متكاملا ً: "اصبر، واذكر الصالحين، وكن قويًا في الحق، وعد إلى الله" .هذا المنهج الإيجابي هو الذي يبني الحضارات.
الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني إلى واقع حياتنا اليومية.

المثال الأول: في بيئة العمل) مواجهة النقد الجارح(

· الموقف: موظف مجتهد، يقدم عملا ً متقنًا، ولكنه يتعرض لحملة من الانتقادات الجارحة والشائعات الكاذبة من زملائه الحاسدين.
· الآية تقول له:
·) اصبر على ما يقولون(: لا تدخل في جدال معهم، ولا تستهلك وقتك في الرد على كل إشاعة . تجاهل الأقاويل الهدامة .قولهم لا يضر عملك، بل يضرهم هم.
·) واذكر عبدنا داود(: تذكر قدوة عظيمة مثل داود عليه السلام، الذي كان ملكًا ونبيًا ومع ذلك صبر على ابتلاءات كثيرة .استحضر قصته لتثبيت فؤادك.
·) ذا الأيد(: استمر في إتقان عملك بقوة .اجعل إنجازك هو الرد العملي عليهم .طور من مهاراتك) الأ يد (المهنية.
·) أواب(: ارجع إلى الله بالدعاء أن يكفيك شرهم، وأن يبارك لك في عملك .فالصلة بالله هي المدد الحقيقي.

· الدرس العملي: حول طاقة الغضب من النقد إلى طاقة إنجاز وتطوير .القدوة + الصبر + القوة + الدعاء = تخطي الأزمات.

المثال الثاني: في الحياة الشخصية) مواجهة السخرية من التدين(

· الموقف: شاب ملتزم، أو فتاة محجبة، يتعرضان للسخرية والاستهزاء من بعض الأصدقاء أو الأقارب بسبب تمسكهما بالدين.
· الآية توجههما:
·) اصبر على ما يقولون(: لا ترد الإساءة بمثلها .ضبط النفس عند سماع هذا الأذى اللفظي هو عبادة.
·) واذكر عبدنا داود(: تذكر أن داود عليه السلام كان قويًا في دينه، ولم تمنعه قوته من التواضع لله .تمسك بدينك بقوة وثبات.
·) ذا الأيد(: كن قويًا في عبادتك، في علمك، في خلقك .القوة هنا ليست في رد الشتائم، بل في الثبات على المبدأ.
·) أواب(: حافظ على أذكارك وعبادتك، فهي التي تمدك بالصبر والثبات.
· الدرس العملي: لا تجعل سخريتهم تثنيك عن طريقك .تمسك بالقدوة، وازدد قوة في الحق، وداوم على الرجوع إلى الله، فذلك يولد الطمأنينة ويدفعك للأمام.

المثال الثالث: في مجال الدعوة والإصلاح) مواجهة التكذيب(

· الموقف: داعية أو مصلح يواجه تكذيبًا واستهزاءً من قومه، كما واجه النبي صلى الله عليه وسلم.
· الآية تعطيه المنهج الكامل:
·) اصبر على ما يقولون(: هذه هي وصية الله للأنبياء .الصبر الجميل.
·) واذكر عبدنا داود(: تذكر سير الأنبياء والمصلحين من قبلك .كيف صبروا، وكيف نصرهم الله .هذه الذكرى تثبت القلب.
·) ذا الأيد(: كن قويًا في دعوتك، قويًا في حجتك، قويًا في بناء مشروعك الإصلاحي .لا تكن ضعيفًا مهزوزًا.
·) أواب(: صل بالليل، وادعُ الله أن يفتح لك القلوب .فالقوة بلا روحانية قد تتحول إلى غرور.
· الدرس العملي: الإصلاح يحتاج إلى قادة أقوياء أوابين، يجمعون بين صلابة الموقف ودماثة الخلق، وبين التخطيط المحكم واللجوء إلى الله.
ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1اتخذ لنفسك قدوة صالحة) عباد الله الأوابين(

لا تعش في فراغ .اقرأ سير الصالحين من الأنبياء والصحابة والعلماء .اجعل لك "بطلا ً" تستحضره في أوقات الشدة .عندما تسمع كلمة تؤذيك، تذكر كيف صبر داود، وكيف صبر محمد صلى الله عليه وسلم .هذه الذكرى هي دستور للتصرف عند سماع الأذى والإساءة.

.2ابنِ قوتك في كل المجالات) الأيد(

القوة المطلوبة في الإسلام ليست قوة عضلية فقط، بل هي:

· قوة علمية: تخصص في علم نافع.
· قوة مهنية: أتقن عملك، وطور مهاراتك.
· قوة بدنية: حافظ على صحتك ولياقتك.
· قوة نفسية: درب نفسك على الصبر والتحمل.
هذه القوى هي) الأيد (التي تمكنك من خدمة دينك وأمتك.

.3وازن بين) الأيد (و) الأواب(

لا تجعل قوتك وانشغالك بالعمل ينسيك الرجوع إلى الله .خصص وقتًا للعبادة والذكر والتوبة .العبد الأواب هو الذي إذا عمل أتقن، وإذا أذنب استغفر، وإذا ابتلي صبر، وإذا أنعم عليه شكر .هذه المعادلة هي سر التوازن في شخصية المسلم.

.4الصبر الإيجابي لا السلبي

)اصبر على ما يقولون (ليس معناه أن تبقى مكتوف الأيدي .بل هو صبر مصحوب بـ العمل) ذا الأيد (و الدعاء) أواب .(إنه صبر من أجل البناء، لا صبر من أجل الهروب.

.5قاعدة: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه

داود عليه السلام ترك هوى نفسه) في قصته المعروفة (ورجع إلى الله أوابًا، فكان من عوض الله عليه أن جعله نبيًا ملكًا، ووصفه بهذه الصفات العظيمة .هذه الآية دليل على صحة هذه القاعدة .فكلما تركت شيئًا لله) رد شتيمة، غض منصب، شهوة محرمة(، فثق أن الله سيعوضك خيرًا منه في الدنيا والآخرة.
أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد الحضاري: التنمية تحتاج إلى) أيد (تبني و)أواب (تحمي

الآية تؤكد أن التنمية الحقيقية والحضارة القوية تحتاج إلى عنصرين أساسيين:

·) الأيد(: أي القوة المادية والعلمية والصناعية .فالحضارة تحتاج إلى من يصنع) صناعة الحديد كما علم الله داود(، ويبني، ويدير.
·) الأواب(: أي الرجوع إلى الله والقيم والأخلاق .فالحضارة التي لا تحميها القيم والأخلاق تنهار)كحضارة عاد وثمود.(
إنها معادلة حضارية: صناعة) أيد + (حماية) أواب = (حضارة راشدة مستدامة.

.2البعد الإداري والقيادي: الإدارة بالقدوة والقوة الناعمة

الآية تعلم القادة والمسؤولين منهج الإدارة بالقدوة .فالله تعالى يقدم للنبي نموذجًا) داود (ليقتدي به . القائد الناجح هو من يقدم لفريقه نماذج عملية يحتذى بها، لا مجرد أوامر نظرية .كما أنها تدعو إلى استخدام القوة الناعمة) الأواب (مع القوة الصلبة) الأيد .(فداود كان قويًا في الحق، ولكنه كان أوابًا رقيق القلب لله.

.3البعد التربوي في بناء الإنسان: تربية الإدارة الذاتية والمواجهة النفسية

الآية تربي فينا الإدارة الذاتية .فقوله:) اصبر على ما يقولون (معناه: تحكم في ردود أفعالك .هذا هو جوهر الذكاء العاطفي .والإنسان الذي يتعلم تجاهل الأقاويل الهدامة، وضبط نفسه عند سماع الأذى، هو إنسان يمتلك مفاتيح النجاح في الحياة .هذا منهج نبوي يولد الطمأنينة ويدفع عجلة التقدم للأمام دون الالتفات للمعوقات.

.4البعد التاريخي والقدوة: أهمية النماذج البشرية في التغيير

الآية تؤكد أن التاريخ ليس مجرد أحداث، بل هو مخزن للقدوات .فذكر داود عليه السلام هو استدعاء لنموذج إنساني عظيم .الحضارات التي تهمل تاريخها وقدواتها تفقد بوصلتها .ونحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم لدينا أعظم مخزون من القدوات) الأنبياء، الصحابة، الصالحون .(فعلينا أن نستحضرهم في كل موقف، ونتخذهم مشاعل تضيء لنا الطريق.

.5البعد الاجتماعي: التعامل مع الشائعات والانتقادات بحكمة

في عصر السوشيال ميديا، حيث تنتشر الشائعات كالنار في الهشيم، تأتي هذه الآية لتؤسس منهجًا اجتماعيًا للتعامل معها: الصبر، وتجاهل الترهات، والتركيز على الإنجاز .المجتمع الذي ينشغل أفراده بـ الرد على كل إشاعة، هو مجتمع مشلول عن العمل والإنتاج .أما المجتمع الذي يطبق) اصبر على ما يقولون (و)ذا الأيد (فهو مجتمع يبني ويتمكن.
كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1إنشاء) ملف القدوات الشخصي(: افتح ملفًا خاصًا، واكتب فيه أسماء قدواتك من الأنبياء و الصالحين) داود، محمد، أبو بكر، عمر، أحمد بن حنبل .(...واكتب بجانب كل اسم الصفة التي تريد أن تقتدي بها فيه) صبر، قوة، إنابة، عدل .(...ارجع إلى هذا الملف كلما شعرت بضعف أو إحباط.
.2تمرين) تحويل الطاقة السلبية إلى إنجاز(: كلما سمعت كلمة جارحة أو نقدًا هدامًا، لا ترد .بدلا ً من ذلك، افتح مشروعًا كنت تؤجله، أو أنهِ مهمة صعبة في عملك .قل لنفسك: "هذا هو) الأيد (العملي" .حول الإساءة إلى وقود للإنجاز.
.3جدول) الأيد والأواب (اليومي: ضع جدولًا يوميًا يراعي فيه التوازن:
· وقت للأيد: ساعة للرياضة، ساعتان للعمل المهني المتقن، ساعة لتطوير مهارة جديدة.
· وقت للأواب: وقت لصلاة الفجر في جماعة، ورد قرآني بتدبر، أذكار الصباح والمساء، صلاة الوتر، استغفار قبل النوم.
.4التدرب على الصمت الإيجابي: عندما تتعرض لموقف استفزازي، خذ نفسًا عميقًا، وقل في قلبك:)اصبر على ما يقولون(، ثم انصرف بهدوء .تدرب على هذا الأسبوع كاملا ً، وسترى كيف تتغير نفسيتك وتعلو على السفهاء.
.5الدعاء بصفة الأوابية: ادعُ الله أن يجعلك من عباده الأوابين: "اللهم اجعلني أوابًا، كثير الرجوع إليك، دائم التوبة والإنابة، قويًا في طاعتك، صبورًا على أقدارك، موفقًا للاقتداء بنبيك داود وسائر الأ نبياء".

المبحث الثاني

أيها القارئ الكريم، يا من يبحر معنا في أعماق سورة (ص)، لقد وقفنا في الآية السابعة عشرة على منهج متكامل للتعامل مع الإساءة: الصبر، والقدوة، والقوة، والإنابة. وأمر الله نبيه أن يذكر عبدَه داود، ذا الأيد والأواب. والآن، تأتي هذه الآيات الثلاث لتفصل لنا كيف تجلت هذه القوة (الأيد) وهذا الرجوع (الأواب) في حياة نبي الله داود عليه السلام. إنها ليست مجرد صفات مجردة، بل هي واقع عملي، تجسد في مشاهد كونية مهيبة: جبال تسبح معه، وطير محشورة تطيعه، وملك مؤيد من الله، وحكمة بالغة، وفصل للخطاب. إنها الآيات التي تكشف لنا بعضًا من كرامات الله لأوليائه، وتفتح لنا باب الأمل بأن العبد إذا أواب إلى الله، سخّر الله له الكون.

فلنقف مع هذه الآيات البينات، ولنستلهم منها كيف يمكن لتسبيحةٍ صادقةٍ من قلب أوّاب أن تغير موازين الكون.

تفسير الآيات الكريمة: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾ (18) ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ﴾ (19) ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾ (20)

مقدمة الآيات وأهدافها ومقاصدها

بعد أن أمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بأن يذكر عبدَه داود، جاءت هذه الآيات لتبين سبب استحقاق داود لهذا الذكر العاطر. فلم يُذكر داود في هذا المقام فقط لأنه نبي، بل لأن الله أنعم عليه بنعم عظيمة لم تجتمع لكثير من الأنبياء، وكان هو عبدًا شكورًا أوابًا.

مقصد الآيات الأعظم: بيان ثمرات الأوّابيّة والقوة في الحق. فداود عليه السلام لما كان أوابًا، سخر الله له:

.1الكون المسخر: الجبال والطير تسبح معه.
.2الملك المؤيد: شدد الله ملكه وقواه.
.3العلم والحكمة: آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب.

هذه الآيات تهدف إلى:

· ترسيخ عقيدة التسخير الإلهي: فالله إذا أحب عبدًا سخّر له ما في السموات والأرض.
· تعليم المؤمن أن التسبيح والعبادة ليسا انعزالا ً عن الحياة، بل هما مصدر القوة والتمكين.
· تقديم نموذج للحاكم العادل والعالم الحكيم الذي يجمع بين القوة الروحية والمادية.
· إلهام المؤمن بأنه إذا كان عبدًا أوابًا، فإن الله قد يكرمه بفتوحات علمية أو تمكين في الأرض.

تحليل عناصر الآيات ومفرداتها

الآية الثامنة عشرة: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾

1-{إنا سَخّرْنا}: إعلان عن الفعل الإلهي المباشر

· دلالة) إنا (و)سخرنا(: افتتاح الآية ب- إنا (فيه تعظيم للفاعل) الله سبحانه(، وب- سخرنا (بصيغة الماضي يدل على أن هذا التسخير واقع ومتحقق بأمر الله .والتسخير يعني الإذعان والإلجاء، فالله جعل الجبال والطير منقادة لداود، تسبح بتسبيحه، وتطيع أمره .هذا يذكرنا بأن الكون كله مسخر، ولكن الله يخص أولياءه بكرامات من هذا التسخير.

2-{الجِبَالَ}: رمز الصلابة والثبات يتجاوب مع التسبيح

· دلالة تسخير الجبال مع داود: الجبال هي أصلب ما في الأرض، وأثقلها .فإذا كانت هذه الصخور الصماء تلين لتسبيح داود وتشاركه الذكر، فهذا يدل على:
.1 عظمة تسبيح داود: فقد بلغ من الخشوع والتأثير درجة أن أثر في الجمادات .إنه تسبيح صادر من قلب أواب، فتحركت له أرجاء الكون.
.2 أن التسبيح هو لغة الكون كله: كما قال تعالى:) وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ) (الإسراء: .(44 فما بالك بعبد أواب يجتمع تسبيحه مع تسبيح الكون، فيحدث هذا التناغم العجيب؟
· اللمسة التربوية: قلب المؤمن الأواب يمكنه أن "يُسمع" تسبيح الكون من حوله .فإذا قمت من نومك لصلاة الفجر وسبحت الله، فاعلم أن الجبال تسبح معك، والطير تشاركك، ولكن بلسان مقال أو حال لا ندركه .هذا الشعور يملأ القلب هيبة وأُنسًا بالله.

3-{مَعَهُ}: المشاركة والموافقة

· دلالة) معه(: لم تقل الآية) يسبحن له (بل) معه .(فداود هو الإمام في هذا التسبيح، والجبال مأمومة تتبعه .فإذا سبح سبحت، وإذا سكت سكتت .هذا شرف عظيم جعله الله لداود، وهو صورة من صور الإمامة في الخير .كل من يقود غيره إلى ذكر الله هو إمام في التسبيح.

4-{يُسَبِّحْنَ بِالعَشِيِّ وَالإِشْرَاقِ}: توقيت العبادة وأهمية البكور والعشي

· معنى) العشي والإشراق(:
·) العشي(: هو آخر النهار، من الزوال إلى الغروب .وهو وقت صلاتي العصر والمغرب والعشاء.
·) الإشراق(: هو وقت شروق الشمس وارتفاعها، وهو وقت صلاة الضحى .وقيل هو وقت الصباح عمومًا.
· الدلالة التربوية: تخصيص هذين الوقتين يدل على فضيلة الذكر في طرفي النهار .فاليوم يبدأ بتسبيح) الإشراق (ويختم بتسبيح) العشي(، وكأن العبد يحيط يومه كله بذكر الله .وهذا من صفات ا لأوابين الذين يذكرون الله في كل حين، وخصوصًا في أوقات الغفلة) آخر الليل وأول النهار.(

الآية التاسعة عشرة: {وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ}

1-{وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً}: تسخير خاص وتنظيم عجيب

· دلالة) الطير (و)محشورة(: عطف الله الطير على الجبال، ولكن بوصف زائد:) محشورة (أي مجموعة إليه من كل جانب، مسخرة لأمره .فإذا أراد داود أن يسبح، اجتمعت إليه الطير من آفاق السماء، ووقفت في الهواء تستمع لتسبيحه وترتدد معه .هذا المشهد يدل على قوة تسخير الله لنبيه، ويذكرنا بقصة سليمان عليه السلام مع الطير والجن.

2-{كُلٌّ لَّهُ أَوَّابٌ}: الجبال والطير كلها رجّاعة إلى أمر الله وداود

· تحليل دقيق للفظ) أواب(: في الآية السابقة وصف الله داود بأنه) أواب (أي كثير الرجوع إلى الله . وهنا يصف الجبال والطير بأنها) له أواب .(هذا من المشاكلة اللفظية والبلاغة القرآنية العظيمة .ف-)أواب (هنا تأتي بمعنيين متكاملين:
.1 رجّاعة: أي ترجع التسبيح معه، فإذا سبح سبحت، وإذا سكت سكتت .فهي مطيعة لأمره، رجّاعة إليه كلما دعاها للتسبيح.
.2 مسبحة: فهي بذاتها تسبح لله وترجع إليه بالطاعة.
· اللمسة البيانية: قوله:) كل له أواب (بدلًا من) كل أواب (فيه إشارة إلى أن سبب تسبيحهم هو داود . فعودهم إلى التسبيح كان بسببه .فكان هو الإمام وهم المأمومون .وهذا يبين لنا أثر العبد الصالح

فيمن حوله، حتى في الجمادات والحيوانات.
الآية العشرون: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾

1﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ﴾: تمكين سياسي وعسكري

· معنى) شددنا ملكه(: أي قوّيناه و ثبّتناه و حصنّاه .وكان من مظاهر هذا التشديد:
.1 الهيبة: ألقى الله له هيبة في قلوب الأعداء، فكانوا يهابونه.
.2 الجند: سخّر له جنودًا من البشر والجن) كما ورد في قصته مع سليمان.(
.3 العدل: كان يحكم بين الناس بالحق، مما زاد من قوة ملكه واستقراره.
.4 الصناعة: علمه صناعة الدروع، فكان يكتفي ذاتيًا ويُقوّي جيشه.
· العلاقة بين التسبيح وشدّة الملك: هناك علاقة طردية عجيبة .فداود لما كان أوابًا مسبحًا، سخر الله له الجبال والطير، ولما كان قويًا في عبادة الله، شدّ الله ملكه .فالقوة الروحية) الأواب (جذبت القوة المادية) شددنا ملكه .(هذه قاعدة ربانية:) إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم.(

2﴿وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ﴾: العلم النافع والعمل الصائب

· ما هي الحكمة؟ الحكمة هي الإصابة في القول والعمل، ومعرفة حقائق الأشياء، ووضع الأمور في مواضعها .وهي العلم النافع المؤيد بالعمل .وقد آتى الله داود الحكمة مع النبوة، فكان في أحكامه وقضاياه صائبًا، وفي إدارته لمملكته حكيمًا.

3﴿وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾: البيان الساحر والقضاء العادل

· معنى) فصل الخطاب(: اختلف المفسرون في معناه على أقوال، وكلها صحيح ومتكامل:
.1 البيان الفاصل: القدرة على التعبير البليغ الموجز الذي يفصل بين الحق والباطل، ويوضح المعنى دون لبس .وقيل: هو "أما بعد" التي كان أول من نطق بها .وهذا يشير إلى بلاغة داود وفصاحته في الكلام.
.2 القضاء العادل: القدرة على الفصل في الخصومات والحكم بين الناس بالحق .وهو ما تجلى في قصته مع الخصمين إذ قال:) لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه.(
.3 علم المنطق والحجة: القدرة على إقامة الحجة والدليل، وتمييز الصواب من الخطأ في الخطاب.
· الربط العجيب: جمع الله لداود بين شدّة الملك) القوة التنفيذية(، والحكمة) العلم والمعرفة(، وفصل الخطاب) البلاغة والإقناع .(وهذه هي صفات القائد الرباني الكامل.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآيات

· أسلوب التوكيد ب-) إنّا (و)سخرنا(: التوكيد ب-) إنّ (وإسناد الفعل إلى ضمير العظمة) نا (يفيد أن هذا التسخير لم يكن بقوة داود الذاتية، بل هو منّة إلهية خالصة.
· التعبير بالمضارع) يسبحن (بعد الماضي) سخرنا(:) سخرنا (فعل ماض يدل على أن التسخير قد تم، و)يسبحن (فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار .فالجبال لم تسبح مرة واحدة، بل كانت دائمة التسبيح مع داود في كل عشي وإشراق .هذا التصوير يجعل المشهد حيًا متحركًا أمام أعيننا.
· تقديم الجبال وتأخير الطير مع وصفها ب-) محشورة(: تقديم الجبال لأنها أثقل وأعظم، فتسخيرها أدل على عظمة الآية .وتأخير الطير مع وصفها ب-) محشورة (لأن الطير بطبيعتها متفرقة في السماء، فجمعها وحشرها معجزة أخرى تضاف إلى تسخير الجبال .هذا الترتيب والتنويع في الوصف يبرز كمال القدرة الإلهية.
· العطف ب-) الواو (في الآيات الثلاث: تكرار العطف ب-) الواو (يجمع هذه النعم الثلاث) تسخير الكون، تمكين الملك، إيتاء الحكمة (في سلسلة مترابطة، كأنها عقد من الجواهر .كل نعمة تعقبها نعمة أكبر، وهكذا جزاء الأوابين.
الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآيات

المفهوم التربوي: ثمرة الأوّابيّة (إذا كنت لله كان الكون معك)

الآيات تعلمنا درسًا عظيمًا: إذا أصلح العبد ما بينه وبين الله، أصلح الله له ما بينه وبين خلقه، بل وسخر له الخلق. داود كان أوابًا، فسخر الله له الجبال الصماء والطير المحلقة. هذه التربية تزرع في قلب المؤمن اليقين بأن عبوديته لله هي أعظم استثمار، وهي التي تجلب له التمكين في الأرض. إنها معادلة: (أواب) + (قوة) = تسخير وتمكين.

المفهوم النفسي: الأنس بالكون المتسبح (علاج الوحدة والاكتئاب)

المشهد الذي تصوره الآيات هو مشهد أنس عجيب. داود لم يكن وحيدًا في خلواته، بل كانت الجبال والطير تشاركه التسبيح. نفسيًا، هذا يعالج شعور الوحدة الذي قد ينتاب الإنسان. فالمؤمن الذي يوقن بأن كل ما حوله يسبح لله، يشعر أنه في محراب كوني كبير، تشاركه فيه الكائنات كلها الذكر. هذا الشعور يزيل الاكتئاب والضيق، ويملأ القلب بالطمأنينة والأنس بالله.

المفهوم الفكري: الجمع بين الروح والمادة (نموذج الدولة الربانية)

الآيات تقدم نموذجًا فكريًا للدولة أو الحضارة. فهي لا تفصل بين التسبيح (العبادة) و شدّة الملك (السياسة والاقتصاد) و الحكمة (العلم) و فصل الخطاب (الإعلام والقضاء). داود عليه السلام هو نموذج للحاكم الذي:

· يعبد الله) يسبح بالعشي والإشراق.(
· يدير دولة قوية) شددنا ملكه.(
· يحكم بالعدل والعلم) آتيناه الحكمة وفصل الخطاب.(
هذا النموذج هو الذي يجب أن تسعى إليه كل أمة تريد التمكين.

الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني الجليلة إلى واقع حياتنا اليومية.

المثال الأول: في الحياة الشخصية (عندما تكون "أوابًا" تتغير نظرتك للكون)

· الموقف: موظف يشعر بالضيق والملل من روتين العمل، أو طالب يشعر بالضغط من المذاكرة .يظن أن حياته مجرد أرقام ومهام جافة.
· الآية تغير نظرته: إذا جعلت من يومك محرابًا للتسبيح، فسترى الكون كله يشاركك .وأنت ذاهب إلى عملك صباحًا) وقت الإشراق(، تخيل أن الجبال) أو البنايات الشاهقة (تسبح معك .وأنت عائد آخر النهار) وقت العشي(، تخيل أن الطير التي تراها في السماء تحشر لتشاركك التسبيح.
· الدرس العملي: حول الروتين إلى عبادة .استشعر أن الكون مسجد كبير، وأن كل ما فيه يسبح لله . ابدأ يومك بـ) سبحان الله وبحمده (عند الإشراق، واختمه بها عند العشي، وستجد للحياة طعمًا آخر.

المثال الثاني: في بيئة العمل (فصل الخطاب والحكمة في الإدارة)

· الموقف: مدير يواجه خلافًا بين موظفين، كل منهما يدعي أنه صاحب الحق .المدير محتار كيف يفصل بينهما.
· الآية تعلمه: اطلب من الله أن يؤتيك) الحكمة وفصل الخطاب .(الحكمة: بأن تفهم حيثيات المشكلة وأبعادها .وفصل الخطاب: بأن تصدر حكمًا واضحًا عادلا ً بكلمات قليلة بليغة تقطع النزاع .لا تطل الجدل، ولا تظلم أحدًا.
· الدرس العملي: القائد الناجح هو من يجمع بين العلم) الحكمة (و البلاغة) فصل الخطاب (و الحزم)شددنا ملكه .(لا تكن لينًا فتُعصر، ولا فظًا فتُقصف .كن كداود: قويًا في الحق، رفيقًا في الأسلوب.

المثال الثالث: على مستوى الأمة (التسخير الحضاري)

· الموقف: أمة تشعر بالضعف والتخلف، وترى غيرها يمتلك ناصية العلوم والتكنولوجيا.
· الآية ترشدها إلى الطريق: الطريق إلى) شددنا ملكه (و) الحكمة (يبدأ من) إنه أواب .(إذا أردت أن تسخر لك العلوم والتكنولوجيا) كما سخرت الجبال والطير لداود(، فعليك أن تكون أمة أوابه، كثيرة الرجوع إلى الله، كثيرة التسبيح بحمده .ثم عليك أن تبني قوتك) الأيد (في الصناعة والاقتصاد و العلم.
· الدرس العملي: التسخير الحضاري) اختراع الطائرات كالطير، وتطويع الجبال بالأنفاق والمباني (هو ثمرة من ثمرات التسبيح والعلم معًا .أمة لا تسبح ولا تتعلم، لن تسخر شيئًا.

ما الذي نتعلمه من الآيات وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1ابنِ نظامًا للذكر في يومك) العشي والإشراق(

الآية تدعونا إلى تنظيم أوقات الذكر. اجعل لك وردًا ثابتًا في الصباح الباكر (الإشراق) وفي آخر النهار (العشي). هذا النظام يجعلك أوابًا، ويجلب لك من بركات الله وتسخيراته ما لا تتوقعه.

.2استشعر الكون وهو يسبح معك

عندما تقرأ أذكار الصباح والمساء، افعل ذلك بقلب حاضر، وتأمل أن الكون كله من حولك (الأشجار، الجبال، الطيور، حتى الجمادات) تشاركك هذا التسبيح. هذا الاستشعار يرفع من قيمة الذكر في قلبك، ويجعلك تخشع فيه.

.3اطلب من الله) الحكمة وفصل الخطاب (في دعائك

لا تكتفِ بطلب الرزق والعافية. ادعُ الله أن يؤتيك الحكمة في تصرفاتك، و فصل الخطاب في كلامك. هذه مواهب يهبها الله لمن يشاء، وهي أعظم من كنوز الدنيا.

.4الربط بين العبادة والتمكين) شددنا ملكه(

إذا كنت في موقع مسؤولية (أب، مدير، مسؤول)، فاعلم أن قوة مركزك وهيبتك (شدة ملكك) مرتبطة بمدى قربك من الله (أوابيتك). حصن ملكك بالعدل، وزينه بالحكمة، وثبته بالتسبيح.

.5تعلم البيان والإقناع) فصل الخطاب(

في عصرنا، الكلمة سلاح. تعلم أن تتحدث ببلاغة ووضوح، أن تكون كلماتك قليلة ولكنها حاسمة وفاصلة بين الحق والباطل. هذا هو فصل الخطاب الذي آتاه الله داود.
*أبعاد الآيات وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآيات من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد الروحي والحضاري: تأسيس مفهوم) التسخير الإلهي للمؤمنين(

الآيات تؤصل لمفهوم خطير: الأرض وما فيها مسخرة للمؤمنين الأوابين. فداود لم يكن مجرد نبي له كرامات فردية، بل هو نموذج للإنسان الذي سخّر الله له قوى الطبيعة. هذا المفهوم يفتح آفاقًا واسعة: نحن أمة محمد صلى الله عليه وسلم، إذا كنا أوابين، فإن الله سيسخر لنا قوى الأرض و السماء. فكل اختراع علمي، وكل تقدم تقني، هو نوع من التسخير الذي يمنحه الله لعباده. والفرق أن داود كان تسخيره كرامة ومعجزة، ونحن تسخيرنا سنة وعلم. لكن الروح واحدة: العبادة ثم التسخير.

.2البعد الإداري والقيادي: نموذج القائد الرباني) القوة + الحكمة + البيان(

الآية العشرون تقدم لنا مواصفات القائد الناجح في أي مجال:

·) شددنا ملكه(: أي أن يكون لديه التمكين والقوة والسلطة، ولكنها مشدودة من الله، فلا طغيان.
·) وآتيناه الحكمة(: أي أن يكون لديه العلم والخبرة والقدرة على التحليل واتخاذ القرار.
·) وفصل الخطاب(: أي أن يكون لديه مهارة التواصل والإقناع والقدرة على التأثير في الآخرين.
هذه ثلاثية القيادة الربانية التي تبني الحضارات.

.3البعد البيئي والكوني: علاقة الإنسان بالكون علاقة تسبيح لا علاقة صراع

الآيات ترسم صورة بديلة لعلاقة الإنسان بالطبيعة. في الفكر المادي، العلاقة هي استغلال وصراع (تدمير البيئة، تلويث الأنهار، إبادة الحيوانات). أما في المنظور القرآني، فالعلاقة هي مشاركة في التسبيح. الجبال والطير ليست موارد ميتة، بل هي كائنات تسبح الله. هذا الفهم يجعل المؤمن يتعامل مع البيئة برفق وإحسان، لأنه يشعر أنه في محراب كوني، لا في مصنع استغلالي.

.4البعد العلمي والمعرفي:) الحكمة وفصل الخطاب (أساس النهضة العلمية

الحكمة هي النظر في مآلات الأمور، وفصل الخطاب هو الدقة في التعبير. هاتان الصفتان هما أساس المنهج العلمي:

· الحكمة: التجريب والاستنتاج ووضع الأمور في نصابها) النظرية العلمية.(
· فصل الخطاب: التعبير الدقيق عن النتائج بصياغة واضحة لا تحتمل اللبس) النشر العلمي.(
فالحضارة التي لا تنتج حكماء ولا بليغين، لا يمكنها أن تنتج علماء .هذه الآية تعيد الاعتبار للعلوم ا لإنسانية) الحكمة (واللغوية) البيان (إلى جانب العلوم التطبيقية.
**كيف أعيش هذه الآيات في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1تخصيص وقتين للذكر والتأمل: اجعل لك وقتًا بعد الفجر) الإشراق (تجلس فيه تسبح الله وتستغفره وتتأمل في خلقه) ولو 10 دقائق .(ووقتًا آخر قبل المغرب) العشي (تراجع فيه أذكار المساء وتتأمل في أحداث يومك .هذه الأوقات تبني فيك شخصية) الأواب.(
.2تدريب على) فصل الخطاب(: اقرأ كل أسبوع خطبة أو مقالة لأحد البليغين) من التراث أو المعاصرين .(لاحظ كيف يستخدم الكلمات القليلة لإيصال المعاني العظيمة .وحاول أن تقلده في حديثك اليومي، بأن تتكلم بإيجاز ووضوح.
.3ممارسة) الحكمة (في حل المشكلات: عندما تواجه مشكلة، لا تتسرع في الحكم .اجمع المعلومات، واستشر أهل الخبرة، وتأنّ في التفكير .اسأل الله أن يؤتيك الحكمة قبل أن تتخذ القرار .هذا التأني هو من الحكمة.
.4تأمل الجبال والطير: عندما تسافر وترى الجبال، تذكر أنها تسبح لله .وعندما تسمع زقزقة العصافير، تذكر أنها) محشورة (تسبح الله .هذا التأمل يحول رحلاتك ومناظر الطبيعة إلى عبادة.
.5الدعاء بدوام التسخير والتمكين: ادعُ الله أن يستخدمك في طاعته، وأن يسخر لك من عباده ما يعينك على الخير: "اللهم كما سخرت الجبال والطير لداود، سخر لي من عبادك وأسبابك ما يثبتني على دينك، ويقوي ملك الإيمان في قلبي، وارزقني الحكمة وفصل الخطاب".

المبحث الثالث

أيها القارئ الكريم، يا من يبحر معنا في أعماق سورة (ص)، لقد رأينا كيف وصف الله داود عليه السلام بأنه ذا الأيد و أواب، وكيف سخر له الجبال والطير، وشدد ملكه، وآتاه الحكمة وفصل الخطاب. إنها صورة ملكية عظيمة لنبي كريم، اجتمعت له القوة والعبادة، والملك والنبوة. ولكن، هل يعني ذلك أن هذا النبي العظيم كان معصومًا من الفتنة والابتلاء؟ كلا، فالأنبياء هم أكثر الناس ابتلاءً، وهم مع ذلك صفوة الله من خلقه.

والآن، تأتي هذه الآيات الثلاث لتكشف لنا جانبًا آخر من حياة داود عليه السلام. إنها تنتقل من مشاهد العظمة والتسخير إلى مشهد المحراب والفتنة. إنها تقص علينا قصة غامضة، فيها من الرمزية والبلاغة ما يجعلها من أعجب قصص القرآن. قصة خصمين تسوروا المحراب، وقضية نعجة واحدة في مقابل تسع وتسعين، وفزع نبي، ثم حكم عادل، ثم توبة وإنابة.

فلنقف مع هذه الآيات بقلوب متدبرة، وعقول متفحصة، ولنستلهم منها كيف يكون العدل في القضاء، وكيف تكون التوبة بعد الزلل، وكيف أن الأنبياء بشر يخطئون ثم يتوبون، فيكونون قدوة للتائبين من أممهم.

تفسير الآيات الكريمة: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ (21) ﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ (22) ﴿إِنَّ هَٰذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾ (23)

مقدمة الآيات وأهدافها ومقاصدها

بعد أن عرض الله تعالى مشاهد العظمة والتسخير والتمكين لداود عليه السلام، ينتقل السياق إلى مشهد المحنة والابتلاء. وهذا الانتقال له حكمة عظيمة: لئلا يغتر المؤمن بقوته وتمكينه، وليعلم أن كل نبي وكل عظيم معرض للفتنة، وأن العبرة بالخواتيم، وبسرعة الرجوع إلى الله عند الزلل.

مقصد الآيات الأعظم: بيان كمال عدل الله في شرعه وابتلائه لعباده، وتقديم نموذج عملي للتوبة النصوح والإنابة السريعة. وتتضمن الأهداف الفرعية:

.1تعليم القضاة والحكام آداب القضاء: من الاستماع للخصمين، وعدم التسرع في الحكم، وطلب العدل ، والحذر من الخوف أو الغضب عند سماع الدعوى.

.2تصحيح مفهوم العصمة عند الأنبياء: فداود عليه السلام بشر، وقع في خطأ) وسيأتي بيانه(، ولكنه بادر بالتوبة والإنابة، فكان بذلك قدوة للتائبين.
.3رمزية القصة: فالقصة تحمل في طياتها إشارات وعبرًا، سواء أخذناها على ظاهرها من قصة حقيقية مع ملكين اختبرا داود، أو على أنها ضرب مثل ورمز لخطيئة داود مع أوريا) كما في الإ سرائيليات التي يجب التعامل معها بحذر.(
.4التربية على سرعة التوبة وعدم الإصرار على الذنب: فداود لم يجادل، بل سجد وأناب.

تحليل عناصر الآيات ومفرداتها

الآية الحادية والعشرون: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾

1﴿وَهَلْ أَتَاكَ﴾: استفهام للتشويق والتهويل

· دلالة الاستفهام: الاستفهام ب.) هل (هنا ليس استفهامًا حقيقيًا، بل هو استفهام غرضه التشويق و التهويل و تعظيم شأن النبأ .وهو مثل قوله:) وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ(، أي: قد أتاك نبأ عظيم، فتدبره وتأمله .هذا الأسلوب يجذب السامع ويجعله متشوقا لمعرفة ما وراء هذا الاستفهام.

2﴿نَبَأُ الخَصْمِ﴾: خبر عجيب عن فريق متنازع

· معنى) نبأ(: النبأ هو الخبر العظيم الذي له شأن .فالقصة ليست مجرد قصة عادية، بل هي نبأ فيه عبرة عظيمة.
· معنى) الخصم(: الخصم في الأصل المفرد، لكنه هنا أطلق على الجماعة) فريق الخصومة (لأنهم كانوا فريقين متنازعين .وهذا من باب إطلاق المصدر على الجمع، كقولهم:) هذا خصم وهؤلاء خصم .(وقيل: أطلق) الخصم (عليهم لأنهم كالشخص الواحد في اتفاقهم على المخاصمة.

3﴿إِذْ تَسَوَّرُوا المِحْرَابَ﴾: دخول غير عادي يثير الفزع

· معنى) تسوروا(: أي تسلقوا و علوا سور المحراب ودخلوا منه، ولم يدخلوا من الباب .وهذا الفعل غير المعتاد) الدخول من غير الباب (هو الذي أثار فزع داود عليه السلام .فالمحراب هو مكان عبادته وخلوته بربه، وهو مكان منيع محمي بالحراس، فكيف تسلق هؤلاء سوره ودخلوا عليه؟!
· دلالة تسور المحراب:
.1 رمزية التسلل والافتراس: دخولهم من غير الباب يشير إلى أن الفتنة قد تأتي للإنسان من حيث لا يحتسب، حتى في أقدس الأماكن) المحراب.(
.2 اختبار الفزع: كان الدخول بهذه الطريقة مقصودًا لاختبار فزع داود ومدى تثبته.
.3 حكمة إلهية: كانوا ملائكة أرسلهم الله لاختبار داود، فأرادوا أن يكون دخولهم مفاجئًا ليكون الا ختبار أشد.

الآية الثانية والعشرون:
﴿إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾

1﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾: رد فعل بشري طبيعي

· دلالة الفزع: فزع داود عليه السلام من هؤلاء الداخلين عليه في محرابه بغير إذن وفي غير وقت الحكم) فقد كان وقت خلوة وعبادة .(وهذا الفزع يدل على:
.1 بشريته: فالأنبياء بشر، يخافون ويفزعون كغيرهم، ولكنهم معصومون من الخطأ في التبليغ.
.2 حساسية الموقف: فدخول الخصم بهذه الطريقة يوحي بأن أمرًا خطيرًا قد حدث.

2﴿قَالُوا لَا تَخَفْ﴾: تهدئة وتطمين

· دلالة قولهم) لا تخف(: بمجرد أن رأوا فزعه، بادروا إلى تهدئته .وهذا يعلمنا أدبًا: أنه إذا دخلنا على أحد وفزع منا، أن نبادر إلى طمأنته .وفيه إشارة إلى أنهم لم يأتوا لإيذائه، بل لأمر عظيم.

3﴿خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: تعريف بأنفسهم وسبب مجيئهم

· تحليل دقيق: قالوا:) خصمان (أي نحن فريقان متنازعان) .بغى بعضنا على بعض (أي: وقع بيننا ظلم وبغي .وهذا التعريف المختصر المفيد يعلمنا أدبًا في عرض القضايا: أن يذكر الخصم طبيعة الخلاف باختصار دون إطالة.

/4
·﴿فَاحْكم بَيْنَنَا بِالحَقّ﴾: طلب الحكم العادل

· دلالة) بالحق(: لم يقولوا: "احكم لصالحي" أو "لصالح صديقك"، بل) بالحق .(وهذا هو المطلوب من كل متخاصمين يلجؤون إلى قاض: أن يطلبا الحق لا أن يطلب كل منهما الغلبة .وهذا تعليم لأدب الخصومة.

5·﴿وَلَا تشْطِط﴾: طلب عدم الجور والميل

· معنى) لا تشطط(: أي لا تجُرْ ولا تبعد عن الحق، ولا تمل مع أحدنا على الآخر .والشطط هو الجور والبعد عن العدل .وهذا الطلب منهم يدل على ثقتهم بعدل داود، ولكنهم مع ذلك يوصونه بالعدل، وفي هذا حماية للقاضي من أن يظنوا به الميل.

6·﴿وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاء الصِّرَاطِ﴾: طلب الهداية إلى طريق الحق الواضح

· معنى) سواء الصراط(: أي وسط الطريق و عدله، وهو الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه .والمعنى: "أرشدنا في حكمك إلى ما فيه الحق والصواب، ولا تتركنا في حيرة" .وهذا الطلب يدل على أن الخصومة قد تكون ملتبسة، وأنهم يريدون من داود أن يبين لهم الحق بوضوح.

الآية الثالثة والعشرون:
·﴿إِنّ هَٰذَا أَخِي لهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نعْجَةً وَلِيَ نعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزّنِي فِي الخِطَابِ﴾

1·﴿إِنّ هَٰذَا أَخِي﴾: تمهيد للظلم بذكر القرابة

· دلالة) أخي(: بدأ كلامه بذكر الأخوة، ليشير إلى أن الظلم هنا أشد وقعًا، لأنه صادر من أخ) قريب أو صاحب أو شريك .(فالظلم من القريب أشد ألمًا من الظلم من البعيد .وفيه إشارة إلى أن الخصومة وقعت بين فريقين كانا متآخيين.

2·﴿لهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نعْجَةً وَلِيَ نعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾: تصوير للظلم الفاحش بالأرقام

· رمزية الأعداد والنعاج:
·) تسع وتسعون(: كناية عن الكثرة والوفرة والاستغناء.
·) نعجة واحدة(: كناية عن القلة والحاجة والشدة.
· النعجة: هي أنثى الضأن، وهي هنا رمز .وقد قيل إنها كناية عن الزوجة) كما في كثير من الروايات الإسرائيلية أن داود كان له تسع وتسعون امرأة، وأراد امرأة أوريا .(وقيل إنها على ظاهرها من قصة وقعت، فداود حكم قبل أن يسمع من الخصم الآخر، فكان ذلك ابتلاءه .والأولى أن نأخذ القصة على ظاهرها من ألفاظ القرآن، ولا نتعمق في التفاصيل التي لم تثبت.
· الدلالة العددية: المقابلة بين (99) و (1) تصور عظم الظلم .فصاحب التسع والتسعين في غنى عن النعجة الواحدة، ومع ذلك يطلبها! هذا يضاعف بشاعة البغي.

3·﴿فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾: طلب التنازل والضم الجائر

· معنى) أكفلنيها(: أي اجعلني أكفلها، أي تنازل لي عنها و ضمها إلى ملكي .والكفالة هنا بمعنى الضم و الحيازة .وهذا الطلب فيه إجحاف وظلم بين.

4·﴿وَعَزّنِي فِي الخِطَابِ﴾: بيان سبب الظلم أو وسيلته

· معنى) عزني في الخطاب(: أي غلبني و قهرني في الكلام والمحاورة .فالأخ صاحب التسع والتسعين لم يكتفِ بكثرة ماله، بل كان أيضًا أقوى حجة وأفصح لسانًا، فقهر أخاه في الجدال، فلم يستطع الضعيف أن يدفع عن نفسه.

· دلالة) عزني في الخطاب(:
.1 البلاغة قد تكون سلاحًا ظالمًا: فصاحب الحق قد يكون ضعيف الحجة، بينما المبطل قوي البيان، فيغلبه في الجدل.
.2 تحذير من الغرور بالبيان: القوي في خطابه يجب أن يستخدم قوته في نصرة الحق، لا في التعدي على الضعفاء.
.3 رمزية القصة: قد تكون إشارة إلى أن داود عليه السلام كان قويًا في خطابه) فصل الخطاب(، ولكنه في هذه الحادثة استعجل الحكم قبل أن يسمع من الطرف الآخر.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآيات

· أسلوب الاستفهام) وهل أتاك(: استفهام غرضه التشويق والتهويل، وهو من أساليب القرآن الفريدة في عرض القصص.
· التعبير بالمضارع) تسوروا (بعد الماضي) أتاك(: للتعبير عن استحضار المشهد وكأنه يحدث الآن أمام أعيننا .وهذا يزيد من حيوية القصة وتأثيرها.
· الترتيب المنطقي في عرض القضية: بدأ الخصمان بذكر) بغى بعضنا على بعض(، ثم طلبوا الحكم)فاحكم بيننا بالحق(، ثم طلبوا عدم الجور) ولا تشطط(، ثم طلبوا الهداية للحق) واهدنا إلى سواء الصراط(، ثم فصلوا الدعوى .هذا الترتيب يعلمنا أدبًا في عرض القضايا على القضاة.
· المقابلة العددية 99) مقابل(1 : هذا الأسلوب البلاغي يصور الظلم تصويرًا رياضيًا دقيقًا، يجعله ملموسًا في ذهن السامع .فإذا كان الظلم واقعًا مع هذه الفوارق العددية، فكيف إذا كان أقل من ذلك؟!

الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآيات

المفهوم التربوي: أدب القضاء والخصومة

الآيات تعلمنا أدبًا رفيعًا في القضاء والخصومة:

· للقاضي: أن يستمع للخصمين، ولا يحكم حتى يسمع من الآخر، وألا يمنعه الفزع أو الغضب من العدل، وأن يطلب الهداية إلى سواء الصراط.
· للخصمين: أن يعرضا قضيتهما بإيجاز، وأن يطلبا الحق لا الغلبة، وألا يلجأ القوي منهما إلى قوة بيانه لظلم الضعيف.

المفهوم النفسي: الفتنة تأتي من حيث لا تحتسب (تسوروا المحراب)

داود عليه السلام كان في محرابه، في أقدس لحظات خلوته بربه. ومع ذلك، جاءته الفتنة من حيث لم يتوقع (من فوق السور). هذه رسالة نفسية: لا تأمن الفتنة في أي مكان أو زمان. حتى في حالات القرب من الله والعبادة، قد تأتي الفتنة. فكن دائمًا على حذر، واسأل الله الثبات.

المفهوم الفكري: رمزية القصة بين الظاهر والباطن

القصة تحتمل أن تكون على ظاهرها (قضية نعاج حقيقية)، أو رمزًا لقضية أخلاقية. وفي الحالتين، الفكرة الأساسية هي: الظلم بين، والعدل مطلوب. وهذا يعلمنا أن القرآن لا يهدف إلى السرد التاريخي المجرد، بل إلى إيصال القيم والمبادئ.

الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني إلى واقع حياتنا اليومية.

المثال الأول: في القضاء والإدارة (سماع الطرفين وعدم الاستعجال)

· الموقف: مدير يأتيه موظف يشتكي زميله، ويصور أنه الضحية المظلومة، وأن الآخر معتدٍ .المدير يغضب ويحكم فورًا لصالح الشاكي قبل أن يسمع من الطرف الآخر.
· الآية تحذره:) خصمان بغى بعضنا على بعض (فلا بد أن تسمع من الثاني .لعل الثاني يروي قصة مختلفة تمامًا) .فاحكم بيننا بالحق (أي بعد التثبت) .ولا تشطط (أي لا تمل مع من هو أفصح لسانًا أو أقرب إليك.

· الدرس العملي: لا تحكم لأحد قبل أن تسمع من خصمه .هذه قاعدة ذهبية في الإدارة والتربية و القضاء.

المثال الثاني: في الحياة الأسرية (الخلافات الزوجية وعزة الخطاب)

· الموقف: زوجان يختصمان، الزوج قوي الحجة فصيح اللسان، والزوجة ضعيفة في الكلام لكنها صاحبة حق .الزوج يستخدم بلاغته في إحراج زوجته وإسكاتها) وعزني في الخطاب.(
· الآية تذكره: تذكر أن قوة البيان نعمة، فلا تستخدمها في ظلم الضعيف) .له تسع وتسعون نعجة (أي أنت في غنى، فلماذا تبغي على صاحبة النعجة الواحدة؟.
· الدرس العملي: لا تستخدم قوتك) مالك، علمك، منصبك، فصاحتك (في قهر من هو أضعف منك . تذكر أن القوة الحقيقية هي في العدل والإنصاف.

المثال الثالث: في العلاقات الاجتماعية (النزاعات المالية والشراكة)

· الموقف: شريكان في تجارة، أحدهما يملك الحصة الكبرى99) % (والآخر يملك حصة صغيرة1) % .(الشريك الكبير يريد أن يستحوذ على حصة الصغير بغير حق، ويستخدم نفوذه وقوته لتحقيق ذلك.
· الآية تفضحه:) إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها .(هذا هو عين الظلم .حتى لو كنت تملك الأغلبية، فلا يحق لك أن تأكل حق الأقلية.
· الدرس العملي: العدل واجب مع القريب والبعيد، ومع الشريك الصغير والكبير .لا تغرنك كثرتك، فـ الحق أحق أن يتبع.

ما الذي نتعلمه من الآيات وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1التثبت قبل الحكم) لا تكن عجولا ً(

أهم درس عملي: لا تحكم على موقف قبل أن تسمع جميع الأطراف. سواء كنت قاضيًا في محكمة، أو مديرًا في شركة، أو أبًا في بيت، أو حتى صديقًا بين أصدقاء. العجلة في الحكم من الشيطان، و التثبت من الرحمن.

.2الخوف من الفتنة حتى في المحراب

لا تأمن على نفسك الفتنة. داود عليه السلام أتته الفتنة في محراب عبادته. فكن دائمًا على حذر، وداوم على دعاء: (اللّهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك). لا تقل: "أنا قوي الإيمان، أنا لن أفتن". فهذا من الغرور.

.3الإنصاف مع الخصم ولو كان مبغوضًا

حتى لو كان الخصم عدوك، يجب أن تنصفه وتحكم له بالحق إن كان على حق. وهذا من أعلى مراتب الإيمان والتقوى. تذكر قوله تعالى: (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ۚ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ).

.4لا تستخدم قوتك) المالية، البيانية، العلمية (في البغي

قوة البيان (عزني في الخطاب) سلاح ذو حدين. استخدمه في نصرة الحق، لا في التعدي على الخلق. إذا كنت قوي الحجة، فكن رفيقًا بالضعفاء، وعلمهم كيف يدافعون عن أنفسهم، ولا تكن جبارًا عصيًا.

.5التناسب في المطالب

)له تسع وتسعون نعجة (ثم يطلب النعجة الواحدة! هذا تنبيه على قبح الجشع و الطمع .في حياتك، كن قنوعًا بما عندك .إذا كنت غنيًا، فلا تطمع في لقمة الفقير .وإذا كنت قويًا، فلا تطغَ على الضعيف . هذه أخلاق الأنبياء.

*أبعاد الآيات وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآيات من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد القضائي والقانوني: تأسيس دولة العدل) فاحكم بيننا بالحق(

الآيات ترسي أسس النظام القضائي العادل:

· استقلالية القضاء: المحراب) مكان عبادة داود (فصل بين العبادة والقضاء، ولكنه لم يمنعه من أن يقضي بين الناس.
· حق الدفاع: لكل خصم حق عرض قضيته) بغى بعضنا على بعض ...إلخ.(
· طلب العدل لا التشطيط: أي حيادية القاضي وعدم ميله.
· الهداية إلى سواء الصراط: أي وضوح الحكم واستناده إلى مرجعية الحق) الوحي والعقل.(
هذه الأسس هي التي تبني دولة القانون والمؤسسات، وتحقق الاستقرار والتنمية.

.2البعد التربوي والنفسي: تربية الضمير الحي) وهدنا إلى سواء الصراط(

طلب الخصمين الهداية إلى سواء الصراط يعلمنا أننا في كل أمورنا (وليس فقط في القضاء) يجب أن نطلب من الله الهداية إلى الصواب. هذا يبني ضميرًا حيًا و رقابة ذاتية، حيث لا يكتفي الإنسان بظاهر العدل، بل يسعى إلى تحقيق العدل الباطني أيضًا. مجتمع يربي أفراده على طلب (سواء الصراط) في كل شؤونهم هو مجتمع تسوده الأخلاق الفاضلة.

.3البعد الاجتماعي والاقتصادي: مكافحة الاحتكار والجشع) تسع وتسعون نعجة(

القصة ترمز إلى ظاهرة الاحتكار والجشع الاقتصادي التي تهدد المجتمعات. (تسع وتسعون نعجة) تمثل تركز الثروة في أيدي قلة، و(نعجة واحدة) تمثل الفقراء والمستضعفين. وعندما يريد الأغنياء (أكفلنيها) أي الاستحواذ على حصة الفقراء، فهذا هو الظلم الاجتماعي الذي يسبب الاضطرابات والثورات. الآية تحذر من هذا الوضع، وتدعو إلى العدالة الاجتماعية و توزيع الثروة بشكل عادل.

.4البعد الأخلاقي للقيادة: خطورة) عزني في الخطاب (في عصر الإعلام

)عزني في الخطاب (تعني القوة في الحجة والبيان .في عصرنا، هذه القوة تمثلها وسائل الإعلام و الدعاية .كثير من القضايا تُخسر أو تُكسب ليس بناءً على الحق، بل بناءً على قوة الحملة الإعلامية .ا لآية تحذر القادة وأصحاب النفوذ الإعلامي من استخدام منصاتهم للتضليل أو لقلب الحقائق أو لظلم المستضعفين .الإعلام المسؤول هو الذي يهدي إلى) سواء الصراط(، لا الذي يزيد الطين بلة.

*كيف أعيش هذه الآيات في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1قاعدة) السماع من الطرفين(: في أي خلاف تتدخل فيه) بين أبنائك، بين زملائك، بين أصدقائك(، لا تصدر حكمًا قبل أن تستمع إلى كل الأطراف على حدة .قل لهم: "سأسمع من كل واحد منكم على انفراد، ثم أحكم" .هذه القاعدة وحدها تمنع كثيرًا من الظلم.
.2مراجعة النفس في مواضع القوة: اسأل نفسك: هل هناك مجال أنا فيه قوي) مال، علم، منصب، لسان (وأستخدم هذه القوة للتعدي على حقوق الآخرين أو لإسكاتهم؟) عزني في الخطاب .(إذا وجدت ذلك، فتب إلى الله، ورد الحقوق إلى أهلها.
.3الدعاء بالهداية في كل قرار: قبل أن تتخذ قرارًا مصيريًا) زواج، طلاق، بيع، شراء، سفر(، ادعُ بهذا الدعاء: "اللهم اهدني إلى سواء الصراط، واجعلني ممن يحكم بالحق، ولا يجور ولا يشطط".
.4التدريب على فن الإقناع العادل: إذا كنت قوي الحجة، فتعلم أن تستخدم قوتك في الدفاع عن المظلومين، وفي إيصال صوتهم، وفي توضيح الحق .لا تكن مثل الأخ الباغي الذي استخدم قوته للظلم .كن مثل داود الذي استخدم فصل الخطاب للعدل.
.5قراءة قصة داود كاملة من مصادر موثوقة: اقرأ تفسير هذه الآيات في كتب التفسير المعتمدة)مثل تفسير ابن كثير، والتحرير والتنوير .(تعرف على أقوال المفسرين في القصة، واستخلص العبر بنفسك .هذا يعمق فهمك للقرآن ويجعلك تعيش معه.

رابعا

أيها القارئ الكريم، يا من أبحرت معنا في أعماق سورة (ص)، وشاهدت داود عليه السلام في محرابه، وقد تسوّره الخصمان، وعرضا عليه قضية النعاج (التسع والتسعين والنعجة الواحدة). لقد استمع داود

إلى أحد الخصمين، وتحركت فيه نخوة العدل، فلم يتمالك نفسه أن حكم لصالح صاحب النعجة الواحدة قبل أن يسمع من الآخر. والآن، تأتي هذه الآية الرابعة والعشرون لتكون هي ذروة القصة و بيت القصيد. إنها الآية التي يعلن فيها داود حكمه، ثم يفيق على حقيقة الموقف، فيخر راكعًا لله تائبًا منيبًا.

إنها آية جامعة، تحمل في طياتها أصول القضاء والعدل، وتكشف عن حقيقة العلاقات الإنسانية، وتقدم لنا صورة صادقة عن توبة نبي كريم، لتكون لنا جميعًا قدوة في سرعة الرجوع إلى الله عند الخطأ. فلنقف مع هذه الآية العظيمة، ولنغوص في معانيها، ولنستخرج منها ما يبني نفوسنا ويصلح مجتمعاتنا.

تفسير الآية الكريمة: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩﴾ (24)
مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن سمع داود عليه السلام من أحد الخصمين عرض قضيته دون أن يسمع من الآخر، أصدر حكمه فورًا. ولكن السياق القرآني، والروايات التفسيرية، تشير إلى أن هذا الموقف كان ابتلاءً وامتحانًا من الله لنبيه داود. فلماذا حكم دون أن يسمع الطرف الآخر؟ وما هي الحكمة من هذا الابتلاء؟ وما هي العبرة التي نستخلصها من توبته؟

مقصد الآية الأعظم: تقديم درس عملي متكامل في:

1.أصول القضاء والعدل: خطورة الحكم على طرف دون سماع الطرف الآخر، وضرورة التثبت.
2.طبيعة العلاقات الإنسانية: أن الظلم والبغي شائعان بين الناس، إلا من عصم الله من المؤمنين الصالحين.
3.عبودية الأنبياء: أن الأنبياء بشر، قد يجتهدون فيخطئون، ولكنهم سرعان ما يفيئون إلى الله تائبين منيبين.
4.فضل التوبة والإنابة: أن سرعة الرجوع إلى الله بعد الذنب هي صفة الأنبياء والصالحين.

إنها آية تربي فينا الإنصاف، وتعلمنا التواضع، وترسخ في قلوبنا محبة التوبة والاستغفار.

تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِ﴾: حكم عادل ولكن...

· تحليل دقيق للحكم:
·) لقد ظلمك(: داود عليه السلام يحكم بأن الأخ الغني) صاحب التسع والتسعين (قد ظلم أخاه الفقير) صاحب النعجة الواحدة .(وهذا الحكم صحيح في ذاته، ولا غبار عليه من حيث المبدأ .فالظلم واقع، والبغي قائم.
·) بسؤال نعجتك إلى نعاجه(: أي بطلبه أن يضم نعجة أخيه إلى نعاجه الكثيرة .وكلمة) إلى (هنا تفيد الضم والإضافة، وتصور جشع الطالب وطغيانه.
· أين الخطأ إذًا؟ الخطأ لم يكن في مضمون الحكم، بل في إجراءات التقاضي .فداود عليه السلام حكم بمجرد سماع أحد الخصمين، ولم يستمع إلى الآخر .وهذا يتعارض مع أصول القضاء التي تقضي بسماع الطرفين قبل الحكم .وقد جاء في الحديث: "إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الأول") رواه أحمد وأبو داود .(وهذا هو الابتلاء الذي وقع فيه داود: استعجل الحكم قبل اكتمال البينة.
· الرسالة التربوية: حتى الحكم الذي يبدو واضحًا وعادلا ً، قد يكون فيه خلل إجرائي يجعله موضع مؤاخذة .فكم من قاض أو مدير أو أب حكم لصالح طرف لأنه "يبدو" مظلومًا، فإذا به بعد أن يسمع الطرف الآخر يكتشف أن الصورة مختلفة تمامًا .هذه الآية تعلمنا التريث و الاستماع الكامل.

2﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾: تعليق إلهي على طبيعة البشر

· معنى) الخلطاء(: هم الشركاء و المتخالطون في الأموال والأعمال والعلاقات .وهم هنا كناية عن الناس عامة الذين تجمعهم روابط المعيشة والمصالح .فالدنيا دار اختلاط وشراكة.
· معنى) ليبغي بعضهم على بعض(: أي ليتعدى و ليظلم .والبغي هو تجاوز الحد في الظلم والعدوان .

وهذه الجملة بمثابة قاعدة عامة و سنة اجتماعية: أن الظلم والبغي واقعان بين الناس لا محالة، بسبب الطمع والجشع والأنانية) كما في قصة النعاج .(وهذا ليس تشريعًا للظلم، بل هو وصف للواقع، وفيه تحذير وتنبيه.
· اللمسة الواقعية: هذه الآية تجعلنا نتفهم طبيعة الحياة .لا نتوقع من الناس الملائكية، فالبغي واقع . ولكن المطلوب منا كمسلمين أن نكون من القلة المستثناة.

3-﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: صفات القلة الناجية

· الاستثناء: الله تعالى يستثني من هذا البغي الواقع بين الخلطاء فئةً واحدة:) الذين آمنوا وعملوا الصالحات .(وهذا الاستثناء يدل على أن الإيمان والعمل الصالح هما الحصن الواقي من الوقوع في الظلم والبغي .فالإيمان يملأ القلب خشية من الله، والعمل الصالح يزكي النفس ويدفعها للعدل والإحسان.
· دلالة عطف) عملوا الصالحات (على) آمنوا(: الإيمان وحده لا يكفي للنجاة من البغي ما لم يقترن بـ العمل الصالح .فكم من شخص يدعي الإيمان وهو يظلم شركاءه أو عماله أو جيرانه! فلا بد من ترجمة الإيمان إلى سلوك عادل في المعاملات.

4-﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾: قلة السالكين طريق الحق

· دلالة التقليل) قليل ما هم(: بعد أن ذكر الله صفات الناجين من البغي، بين أنهم قلة قليلة .وهذا ليس مدعاة لليأس، بل هو مدعاة للاستبشار لمن وفقهم الله ليكونوا من هذه القلة .كما أنه تحذير من الانجراف وراء السواد الأعظم إذا كانوا على باطل .فالكثرة ليست دائمًا دليل حق .تذكر قوله تعالى:)وَمَا أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ.(
· الرسالة العملية: إذا رأيت نفسك لا تبغي على أحد، وتنصف الناس من نفسك، فاحمد الله، فأنت من القلة التي يحبها الله .وإذا رأيت نفسك تميل إلى البغي، فجاهدها، واسأل الله أن يجعلك من هذه القلة.

5-﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: لحظة الإفاقة واليقظة

· معنى) ظن(: الظن هنا بمعنى العلم واليقين .أي: أيقن داود أن الله قد اختبره وامتحنه بهذه القضية .فكأنما انكشف له الغطاء بعد أن حكم، فعلم أن الخصمين كانا ملائكة أرسلهم الله لاختباره.
· معنى) فتنّاه(: أي اختبرناه و ابتليناه .فالفتنة هي الاختبار والتمحيص .وهذا يبين أن الأنبياء معصومون من الكبائر والذنوب في التبليغ، ولكنهم قد يجتهدون في أمور الدنيا والقضاء فيخطئون، ويكون ذلك ابتلاءً لهم ورفعة لدرجاتهم بالتوبة.
· دلالة) أنما(: أنما (أداة حصر، فكأنه قال: "ما هذا الأمر إلا فتنة واختبار من الله لي" .وهذا يدل على فقه داود عليه السلام، وتفطنه لحقيقة الموقف.

6-﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾: مبادرة فورية بالتوبة

· دلالة الفاء) فاستغفر(: الفاء هنا فاء التعقيب، وتدل على سرعة المبادرة .فبمجرد أن أيقن داود أن الموقف فتنة واختبار، لم يتلكأ، ولم يجادل، ولم يبرر خطأه، بل بادر فورًا إلى الاستغفار .هذه هي سجية الأنبياء: سرعة الرجوع إلى الله.
· معنى) استغفر ربه(: طلب المغفرة من الله على ما وقع فيه من الاستعجال في الحكم قبل سماع الطرف الآخر .وهذا الاستغفار هو اعتراف بالتقصير، ورجوع إلى الكمال الإلهي.

7-﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾: تمام التذلل والخضوع

· تحليل دقيق للفظ) خر راكعًا(:) خر (يعني سقط و وقع بسرعة على وجهه أو على ركبتيه .و)راكعًا (أي منحنيًا متذللا ً لله .والجمع بين) خر (و)راكعًا (يفيد المبالغة في التذلل والخضوع .فلم يكتفِ داود بالاستغفار باللسان، بل أتبعه بـ سجود الجسد وانحناء الجبهة .وهذا هو كمال التوبة.
· دلالة الركوع هنا: المقصود به السجود، وعبر عنه بالركوع لأنه من لوازمه ومقدماته، أو لأن السجود هو غاية الركوع .وفي هذا دليل على مشروعية سجود التلاوة عند هذه الآية .فعندما يقرأ المؤمن هذه الآية، يُسن له أن يسجد تأسيًا بداود عليه السلام .إنها سجدة شكر وتوبة وإنابة.

8-﴿وَأَنَابَ ۩﴾: عودة كاملة إلى الله

· معنى) أناب(: أي رجع إلى الله بقلبه وقالبه، تاركًا ما وقع فيه من خطأ، عازمًا على ألا يعود إليه .وا لإنابة أعمق من التوبة، فهي الرجوع الدائم إلى الله في كل الأحوال .وقد كان داود في الأصل) أوابًا(، ولكنه زاد إنابةً بعد هذه الفتنة .وهذا يعلمنا أن الطاعات والابتلاءات تزيد المؤمن قربًا من الله.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· أسلوب القسم) لقد ظلمك(: اللام في) لقد (هي لام القسم، فكأنه قال: "والله لقد ظلمك" .وهذا يدل على قوة الحكم ويقين داود بصحة ما قاله من حيث المبدأ) وقوع الظلم(، مع أن الإجراء كان فيه خلل.
· التعبير ب-) بسؤال نعجتك إلى نعاجه(: استعمال حرف الجر) إلى (بدل) مع (أو) على (يفيد الا نضمام والضم، ويصور طمع الطالب وجشعه .وهو تعبير بليغ جدًا.
· الجملة الاعتراضية) وإن كثيرًا(...: هذه الجملة من كلام الله تعالى، اعترضت كلام داود، لبيان سنة الله في خلقه، ولتوجيه النظر إلى العبرة العامة من القصة، وليس فقط إلى تفاصيلها الخاصة .هذا من أساليب القرآن في الانتقال من الخاص إلى العام.
· التقابل بين) كثير (و) قليل(: تقابل بديع بين كثرة الظالمين الباغين، وقلة المؤمنين الصالحين .وهذا التقابل يوقظ النفس، ويجعلها تختار في أي الفريقين تكون.
· الفاء في) فاستغفر (و) فخر (و) أناب(: تكرار الفاء في هذه الأفعال المتعاقبة يرسم صورة حركية سريعة لداود وهو ينتقل من حالة القضاء إلى حالة التذلل والإنابة .إنه مشهد مؤثر جدًا.

الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: سرعة التوبة وعدم التسويف (فاستغفر)

الآية تربي فينا سرعة المبادرة إلى التوبة. كثير من الناس إذا أذنب قال: "سأتوب غدًا، سأستغفر لا حقًا". ولكن داود عليه السلام يعلمنا أن التوبة واجبة فورًا. لا تؤجل استغفارك، ولا تسوّف إنابتك. فباب الله مفتوح، وسرعة الرجوع إليه دليل صدق الإيمان.

المفهوم النفسي: الاعتراف بالخطأ فضيلة لا ضعف

داود عليه السلام، وهو النبي الملك، لم يمنعه ملكه ولا نبوته من أن (يخر راكعًا) و (يستغفر). نفسيًا، الاعتراف بالخطأ يريح النفس من ثقل الذنب، ويزيل التوتر والقلق. أما المكابرة والإصرار فهي التي تورث الهم والضيق. هذه الآية تعلمنا أن الاعتراف بالخطأ فضيلة وقوة، لا ضعف ومذلة.

المفهوم الفكري: خطورة الإجراءات على العدالة

الآية تقدم درسًا فكريًا عميقًا: ليس كل حكم صحيح في مضمونه يكون صحيحًا في إجراءاته. داود حكم بالحق (وقوع الظلم)، لكنه أخطأ في الإجراء (عدم سماع الطرف الآخر). وهذا يعلمنا في كل مج الات الحياة (القضاء، الإدارة، التربية، الإعلام) أن الوسائل والطرق لا تقل أهمية عن الغايات والنتائج. فالعدالة لا تتحقق إلا باتباع الإجراءات العادلة.

*الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني الجليلة إلى واقع حياتنا اليومية.

المثال الأول: في التربية الأسرية (الاستماع للأبناء)

· الموقف: طفلان يتشاجران، ويأتي أحدهما باكيًا إلى أبيه يشكو أخاه .الأب يغضب ويعاقب الأخ الثاني فورًا دون أن يسمع منه.
· الآية تعلمه:) لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه (هذا الحكم قد يكون صحيحًا في مضمونه، لكنك أخطأت في الإجراء .كان يجب أن تستمع للطرف الآخر) .فاستغفر ربك (على هذا الاستعجال،) وخر راكعًا (أي تواضع واعتذر لابنك إن أخطأت في حقه.
· الدرس العملي: في أي خلاف أسري، استمع لجميع الأطراف قبل أن تصدر حكمك .هذا يعلم أبناءك العدل والإنصاف.

المثال الثاني: في بيئة العمل (النزاعات بين الزملاء)

· الموقف: مدير يأتيه موظف يشتكي زميله بأنه يسرق أفكاره وينسبها لنفسه) كمن يسأل نعجة غيره .(المدير يصدق الشاكي ويوبخ الآخر دون تحقيق.
· الآية تنبهه:) وإن كثيرًا من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض (أي أن الظلم بين الزملاء شائع .ولكن لا يحق لك أن تحكم دون تحقيق)** .فظن ** (المدير بعد التحقيق أنه تسرع، فـ) استغفر (أي راجع قراره واعتذر للمظلوم، و) أناب (إلى سياسة عادلة في الإدارة.
· الدرس العملي: أنشئ نظامًا واضحًا للشكاوى، واستمع للطرفين كتابيًا وشفهيًا .لا تحكم بناءً على الا نطباع الأول أو العلاقة الشخصية.

المثال الثالث: في الحياة الشخصية (التوبة من الذنب)

· الموقف: شخص وقع في ذنب) غيبة، كذبة، نظرة محرمة .(يشعر بالندم، لكنه يسوّف التوبة ويقول: "سأستغفر لاحقًا".
· الآية تناديه:) فاستغفر ربه وخر راكعًا وأناب .(لا تؤجل! بادر فورًا .استغفر بلسانك، واسجد لله بخشوع، واعقد العزم على عدم العودة .هذه هي توبة الأوابين.
· الدرس العملي: اجعل لك وردًا يوميًا من الاستغفار، وخصوصًا في أوقات السجود .تذكر أن سرعة التوبة هي علامة الإيمان الصادق.

**ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1قاعدة ذهبية في التعامل مع الخلافات: "اسمع ثم احكم"

لا تصدر حكمًا على أي موقف أو شخص قبل أن تستمع إلى جميع الأطراف. هذه القاعدة صالحة في القضاء، والإدارة، والتربية، والصحافة، وحتى في علاقاتنا الشخصية على وسائل التواصل الاجتماعي.

.2التواضع عند اكتشاف الخطأ) وخر راكعًا(

إذا اكتشفت أنك أخطأت في حق أحد، فلا تتردد في الاعتذار. كن مثل داود: (خر راكعًا) أي أظهر التواضع والندم. هذه ليست ضعفًا، بل هي قوة الإيمان.

.3كن من القلة الصالحة) وقليل ما هم(

في عالم يكثر فيه البغي والظلم، كن أنت من القلة الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فلا تبغي على أحد. إذا وجدت نفسك في بيئة عمل يسودها الظلم، فلا تكن جزءًا منه. كن من (الذين آمنوا وعملوا الصالحات).

.4استثمر لحظات الابتلاء في القرب من الله) وأناب(

عندما تبتلى أو تخطئ، لا تجعل الابتلاء سببًا للبعد عن الله. بل اجعله سببًا للإنابة والرجوع إليه. كما أن داود جعل من فتنته فرصة ليزداد قربًا من الله.

.5سجود التلاوة عبادة عظيمة

في كل مرة تقرأ فيها هذه الآية، بادر بالسجود لله. تذكر أنك تتأسى بنبي الله داود عليه السلام. فهذا السجود يذكرك بالتوبة والإنابة، ويجدد إيمانك.

**أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد القضائي والقانوني: تأسيس دولة الإجراءات العادى

الآية ترسي مبدأ قانونيًا عظيمًا: لا حكم دون سماع الطرفين. هذا المبدأ هو أساس المحاكمة العادلة في كل الأنظمة القضائية الراقية. دولة القانون لا تقوم فقط على وجود قوانين عادلة، بل على

إجراءات عادلة تضمن تطبيق هذه القوانين. إنه مبدأ العدالة الإجرائية الذي يحمي الأفراد من تعسف السلطة.

.2البعد الاجتماعي والاقتصادي: فهم طبيعة الصراع) ليبغي بعضهم على بعض(

الآية تصف الواقع الاجتماعي والاقتصادي بأنه ساحة للبغي والظلم. هذا الفهم يدفع الدولة والمجتمع إلى إنشاء مؤسسات رقابية وقضائية قوية لضبط هذا البغي. فلا نترك الناس لضمائرهم فقط، بل نضع القوانين والأنظمة التي تحمي (النعجة الواحدة) من جشع (التسع والتسعين). هذا هو أساس العدالة الا جتماعية وحماية المستضعفين.

.3البعد التربوي في بناء الإنسان: تربية الإنسان المتواضع التائب

الآية تبني الإنسان المتواضع الذي لا يستكبر عن الاعتراف بالخطأ. إنها تحطم صنم "الأنا" و"البرستيج" الذي يمنع كثيرًا من الناس من الاعتذار. المجتمع الذي يربي أفراده على ثقافة (فاستغفر وخر راكعًا وأناب) هو مجتمع تسوده المحبة والتسامح، وتقل فيه الضغائن والأحقاد.

.4البعد الفكري: نقض مقولة "الغاية تبرر الوسيلة"

الآية ترفض بشكل قاطع مبدأ "الغاية تبرر الوسيلة". داود أراد أن يحكم بالعدل (غاية نبيلة)، لكنه استخدم وسيلة خاطئة (عدم سماع الطرف الآخر)، فكانت الفتنة. هذا يعلمنا أن الوسائل النبيلة يجب أن تكون بمثل نبالة الغايات. في السياسة والاقتصاد والإعلام، لا يمكن أن نبني حضارة عادلة بوسائل ظالمة.
**كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1تطبيق قاعدة) اسمع من الطرفين (هذا الأسبوع: في أي خلاف تتعرض له، أو تسمع عنه، درب نفسك على ألا تصدر حكمًا قبل أن تسمع من الطرف الآخر .قل: "سأسمع من الطرف الآخر أولا " . هذا التمرين يغير من طريقة تفكيرك.
.2سجدة التلاوة الفورية: كلما قرأت هذه الآية) سواء في الصلاة أو خارجها(، بادر فورًا إلى السجود . استشعر وأنت ساجد أنك تتأسى بداود عليه السلام، واطلب من الله أن يتوب عليك كما تاب عليه.
.3تمرين) الاعتذار السريع(: إذا أخطأت في حق أحد هذا الأسبوع) زوجتك، ابنك، زميلك(، لا تؤجل ا لاعتذار .بادر إليه فورًا، وقل: "أنا آسف، أخطأت في حقي" .لاحظ كيف سيتغير شعورك وشعور الطرف الآخر.
.4قراءة في سير التائبين: اقرأ قصة توبة داود عليه السلام في كتب التفسير) مثل تفسير ابن كثير .(وتأمل كيف أن الله رفع ذكره بعد توبته .واقرأ عن توبة غيره من الصالحين، لتكون لك قدوة.
.5الدعاء بأن تكون من القلة الصالحة: ادعُ الله في سجودك: "اللّهم اجعلني من القليل الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا تجعلني من الكثير الذين يبغي بعضهم على بعض، وارزقني سرعة الإنابة إليك عند الخطأ".

خامسا
أيها القارئ الكريم، يا من يخوض معنا غمار هذه السورة العظيمة، لقد وقفنا في الآية السابقة على مشهد خاشع مؤثر: داود عليه السلام يفيق من غفلته، ويدرك أن ما وقع فيه كان فتنة واختبارًا، فلا يتلكأ ولا يجادل، بل (فاستغفر ربه وخر راكعًا وأناب). لقد رأينا سرعة إنابته، وصدق مراجعته الذاتية، وتمام تذلله بين يدي ربه.

والآن، تأتي هذه الآية الكريمة لتعلن لنا النتيجة النهائية، وتكشف عن المكافأة الإلهية العاجلة والآجلة لهذه التوبة الصادقة. إنها الآية التي تبين أن التوبة لا تمحو السيئة فحسب، بل ترفع صاحبها إلى مقامات لم يكن ليبلغها لولا توبته وإنابته. إنها رسالة رجاء وأمل لكل مذنب، ولكل من وقع في خطأ ثم راجع نفسه، بأن باب الله مفتوح، وأن عطاءه للتائبين يفوق ما يتصورون.

فلنقف مع هذه الآية الواعدة، ولنستلهم منها كيف تكون ثمرة الإنابة والاستغفار في ميزان الله، وكيف أن المال والمكانة والجاه لا تساوي شيئًا أمام الزلفى و حسن المآب.

تفسير الآية الكريمة: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ (25)
مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن سجل الله تعالى توبة داود عليه السلام وإنابته في الآية السابقة، تأتي هذه الآية لتكون بمثابة التوقيع الإلهي بالعفو والرضوان والجزاء الأوفى. إنها لا تكتفي بالإعلان عن قبول التوبة ومغفرة الذنب، بل تتجاوز ذلك إلى إعلان منزلة خاصة و مرجع كريم في الآخرة.

مقصد الآية الأعظم: بيان عاقبة التوبة الصادقة وسرعة الإنابة. إنها تؤسس لقاعدة ربانية عظيمة: من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه. فداود عليه السلام لما بادر بالاستغفار والإنابة، لم يغفر الله له ذنبه فحسب، بل زاده زلفى (قربى ومنزلة رفيعة) و حسن مآب (مرجعًا حسنًا في الآخرة). وهذه الزيادة لم تكن لتتحقق لولا توبته. فالابتلاء كان طريقًا إلى مزيد من القرب والرفعة.

إنها آية تهدف إلى:

.1بث روح الرجاء والأمل في قلوب المذنبين، بأن باب التوبة مفتوح، وأن الله يفرح بتوبة عبده.
.2بيان أن ثمرة التوبة ليست فقط محو الذنب، بل زيادة الحسنات ورفعة الدرجات.
.3تعليم المؤمنين أن الاستغفار والإنابة استثمار رابح، لا يقتصر أجره على الآخرة، بل قد يكون أثره عاجلا ً في الدنيا) الزلفى.(
.4إظهار كرم الله وجوده، حيث يعطي التائب فوق ما يطلب، ويرفع قدره فوق ما كان.
تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1-{فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ}: سرعة المغفرة وإزالة التبعة

· دلالة الفاء (فغفرنا): الفاء هنا هي فاء التعقيب، وتدل على سرعة المغفرة و فورية القبول. فبمجرد أن استغفر داود وأناب، بادر الله تعالى إلى مغفرته. هذا يدل على أن الله يحب التوابين، ويسارع إلى قبول توبتهم. إنها بشارة لكل من يخاف أن ترد توبته، أو أن يكون ذنبه أعظم من أن يغفر. فلا تتردد ، فالله أسرع إلى المغفرة منك إلى التوبة.
· معنى (غفرنا): الغفر هو الستر و المحو. فالله ستر ذنب داود، ومحا أثره، ولم يؤاخذه به. وهذا يشمل الذنب الذي وقع فيه (الاستعجال في الحكم قبل سماع الطرف الآخر)، وما قد يترتب عليه من تبعة.
· دلالة اسم الإشارة (ذلك): الإشارة إلى الذنب الذي وقع فيه داود، أو إلى ما صدر عنه من استعجال الحكم. والتعبير ب- (ذلك) بدلًا من تسمية الذنب بلفظه الصريح، فيه ستر ولطف من الله بعبده. فالله لم يفضح داود بتفصيل ذنبه، بل أشار إليه بأدب، وهذا من كرم الله مع أنبيائه ومع عباده التائبين. إنه يعلمنا ألا نفحص عن ذنوب التائبين، ولا نذكرهم بها بعد توبتهم.

2-{وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ}: المنزلة الرفيعة والقرب الخاص

· تحليل دقيق للفظ (زلفى): (الزلفى) و (الزلفة) هي القربى و المنزلة الرفيعة. وهي مشتقة من الازدلا ف أي التقدم و الاقتراب. والمعنى: أن لداود عند الله منزلة عظيمة و قربًا خاصًا لا يناله إلا المقربون من الأنبياء والصديقين. هذه المنزلة لم يمنعها ذنبه، بل لعلها زادت وتأكدت بعد توبته وإنابته.
· دلالة (عندنا): إضافة الظرف (عند) إلى ضمير العظمة (نا) تفيد التشريف والتكريم. فالمنزلة ليست عند الناس الذين تتقلب أهواؤهم، بل هي عند الله، حيث الشرف الحقيقي الدائم. وهذا يذكرنا بقوله تعالى عن يوسف عليه السلام: (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)، وقوله عن إدريس: (وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا). فـ المكانة الحقيقية هي ما كانت عند الله.
· دلالة اللام (لزلفى) و (إن): الجملة مؤكدة ب- (إن) واللام في (لزلفى)، وهذا يفيد توكيد هذه المنزلة وثبوتها. فهي ليست منزلة عابرة، بل هي منزلة دائمة مقررة في علم الله وقضائه.

3-{وَحُسْنَ مَآبٍ}: حسن المرجع والمصير في الآخرة

· معنى (حسن مآب): (المآب) هو المرجع و المصير. و(حسن مآب) أي حسن المرجع و كريم المصير في الآخرة. وهو وعد من الله بدخول الجنة، والتمتع بنعيمها المقيم. فلم يكتفِ الله لداود بمغفرة الذنب في الدنيا (غفرنا له)، ولا بالمنزلة الرفيعة (زلفى)، بل وعده أيضًا بحسن العاقبة في الآخرة.
· الجمع بين الزلفى وحسن المآب: هذا الجمع يدل على كمال العطاء الإلهي. فداود نال القرب في الدنيا (الزلفى) و النعيم في الآخرة (حسن مآب). إنها ثمرة التوبة النصوح و الإنابة الصادقة. وهذا يعلمنا أن الاستغفار والإنابة ليسا مجرد محو للسيئات، بل هما استثمار رابح في الدنيا والآخرة.
**اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· أسلوب العطف ب- (الفاء) ثم (الواو): (فغفرنا) بالفاء تدل على سرعة المغفرة. ثم عطف ب- (الواو)

في (وإن له لعندنا لزلفى) ليدل على أن المنزلة وحسن المآب هما عطاءان مستقلان عن مجرد المغفرة. فالله لم يكتفِ بالعفو، بل أضاف وأكرم.
· المقابلة بين الخطأ والجزاء: الخطأ كان استعجالا ً في الحكم، والجزاء كان قربًا خاصًا وحسن مآب. وهذا من الكرم الإلهي حيث يقابل الخطأ اليسير بالعطاء الجزيل إذا صحت التوبة والإنابة.
· التعبير بـ (زلفى) و (حسن مآب) دون تفصيل: الإجمال في وصف الجزاء (زلفى وحسن مآب) يترك للخيال أن يتصور من عظمة المنزلة وحسن المصير ما لا يحيط به وصف. وهو أبلغ من التفصيل في مقام الوعد والترغيب.
· الإظهار في موضع الإضمار: في قوله (غفرنا له) لم يقل (غفرنا لداود) مع أن السياق عنه، وذلك للد لالة على أن المغفرة شملت جميع ما وقع منه دون تخصيص، وفيه إشارة إلى ستر الله عليه بعدم ذكر اسمه صريحًا في موضع الذنب.

**الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: التوبة الصادقة ترفع صاحبها ولا تضعه

الآية تعلمنا درسًا تربويًا عظيمًا: لا تخشَ من التوبة أن تهينك أو تضع من قدرك. كثير من الناس يظن أن الاعتراف بالذنب يقلل من شأنه، ولكن الآية تثبت العكس. داود عليه السلام اعترف بذنبه واستغفر ربه، فكانت النتيجة أن زاده الله زلفى وحسن مآب. التوبة الصادقة ترفع العبد عند الله، وتزيده قربًا، وتجلب له من الكرامات ما لم يكن ليحصل عليه لولا توبته. فهي ليست إقرارًا بالهزيمة، بل هي انتصار على النفس والشيطان.

المفهوم النفسي: التفاؤل والرجاء بعد الذنب (لا تقنط من رحمة الله)

نفسيًا، كثير من الناس بعد الوقوع في الذنب يصابون بـ اليأس والإحباط، ويظنون أن الله لن يغفر لهم، وأنهم قد هلكوا. هذه الآية تزرع في النفس التفاؤل والرجاء. إنها تقول لك: "انظر إلى داود، نبي الله وصفيه، أخطأ فاستغفر، فماذا كانت النتيجة؟ مغفرة + زلفى + حسن مآب". فكيف بك أنت؟ باب الله مفتوح، وكرمه واسع. لا تدع الشيطان يمنيك اليأس، بل بادر بالتوبة، وانتظر الفرج والكرامة من الله.

المفهوم الفكري: ثمرة المراجعة الذاتية الصادقة

الآية تؤكد فكرة المراجعة الذاتية الصادقة. داود عليه السلام لم يكتفِ بالاستغفار اللفظي، بل راجع نفسه، وخر راكعًا، وأناب. هذه المراجعة الصادقة هي التي أثمرت هذه النتائج العظيمة. فكريًا، هذا يعلمنا أن التغيير الحقيقي يبدأ من الداخل، من لحظة صدق مع النفس، واعتراف بالخطأ، وعزم على التصحيح. هذه اللحظة هي التي تنقل الإنسان من حال إلى حال، ومن درجة إلى درجة.
**الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني الجليلة إلى واقع حياتنا اليومية.

المثال الأول: في الحياة العملية (التوبة من خطأ مهني)

· الموقف: موظف وقع في خطأ مهني كبير، كشف عنه مديره. بدلا ً من المكابرة والإنكار، بادر الموظف بالاعتراف بخطئه، واعتذر لمديره وزملائه، وعمل بجد لإصلاح ما أفسده.
· الآية تبشره: (فغفرنا له ذلك) أي أن المدير سامحه وتجاوز عن خطئه. (وإن له عندنا لزلفى) أي أن هذا الموقف الصادق رفع من شأنه في نظر المدير، وأصبح موضع ثقة أكبر، بل قد يُرقى أو يُعطى مسؤوليات أسمى. (وحسن مآب) أي أصبحت عاقبته في العمل حسنة.
· الدرس العملي: الاعتراف بالخطأ في العمل ليس نهاية العالم، بل قد يكون بداية لثقة أكبر ومسؤولية أعلى. الصدق والمراجعة الذاتية الصادقة هي من أهم صفات الموظف الناجح.

المثال الثاني: في العلاقات الزوجية (التوبة من ظلم الزوجة)

· الموقف: زوج ظلم زوجته بكلمة جارحة، أو بتصرف غير لائق. بعد أن هدأ، راجع نفسه، وشعر بـ الندم. فبادر بالاعتذار لها بصدق، وأظهر الندم، وحاول تعويضها.
· الآية تخبره بالنتيجة: (فغفرنا له ذلك) أي أن الزوجة سامحته وتجاوزت. (وإن له عندنا لزلفى) أي أن هذا الموقف الصادق زاده قربًا من قلب زوجته، وأعاد الدفء للعلاقة، بل جعلها أقوى من ذي قبل.

(وحسن مآب) أي أن العاقبة كانت خيرًا للعلاقة الزوجية.
· الدرس العملي: الاعتذار الصادق بين الزوجين لا يضعف مكانة الرجل، بل يزيده رفعة وقربًا في قلب زوجته. المكابرة هي التي تزيد الشرخ اتساعًا، أما الإنابة الصادقة فهي التي ترمم العلاقات.

المثال الثالث: على مستوى المجتمع (التوبة الوطنية)

· الموقف: أمة وقعت في أخطاء (فساد، ظلم، تخلف عن ركب الحضارة). ثم قام فيها مصلحون يدعون إلى المراجعة والتوبة الوطنية (العودة إلى القيم والأخلاق والعمل الجاد).
· الآية تعطينا سنة الله: إذا صدقت الأمة في توبتها وإنابتها إلى الله، وأصلحت من شأنها، فإن الله (يغفر لها ذلك) أي يزيل عنها آثار التخلف والعقوبات. (وإن لها عنده لزلفى) أي يعيد لها مكانتها بين ا لأمم، ويرفع قدرها. (وحسن مآب) أي تكون عاقبتها خيرًا واستقرارًا وازدهارًا.
· الدرس العملي: نهضة الأمم لا تبدأ من القوة المادية فقط، بل من المراجعة الذاتية الصادقة، والتوبة من الأخطاء، والعودة إلى القيم الربانية.
**ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1ثق في كرم الله وسعة رحمته

إذا أذنبت، فلا تيأس. تذكر أن الله غفر لداود، وداود نبي عظيم، وأنت عبد ضعيف. فالله أولى أن يغفر لك. ثق في كرمه، وأقبل عليه بقلب منكسر، ولسان مستغفر.

.2التوبة الصادقة استثمار مضمون الربح

لا تنظر إلى التوبة على أنها مجرد واجب أو إقرار بالذنب. انظر إليها على أنها استثمار رابح. أنت تستثمر دموعك وسجودك واستغفارك، لتربح مغفرة + زلفى + حسن مآب. أي صفقة أربح من هذه؟!

.3لا تخشَ من الاعتراف بالخطأ) الزلفى في الأرض(

إذا أخطأت في حق أحد، فلا تتردد في الاعتذار. هذا الاعتراف هو "زلفى" في الدنيا قبل الآخرة. إنه يرفع قدرك عند الناس، ويزيد من احترامهم لك. المتكبر الذي يرفض الاعتذار هو الذي يخسر مكانته، أما المتواضع الصادق فهو الذي يربح القلوب.

.4سارع بالتوبة ولا تسوف) فغفرنا(

الفاء في (فغفرنا) تعلمنا أن سرعة التوبة تقابلها سرعة المغفرة. لا تؤجل استغفارك. كلما أذنبت، بادر فورًا بالاستغفار والتوبة. لا تنتظر حتى الغد، أو حتى تكبر، أو حتى تضعف. فالموت قد يأتي بغتة.

.5اطلب من الله الزلفى وحسن المآب في دعائك

لا تكتفِ في دعائك بطلب المغفرة فقط. اطلب من الله أن يرفع درجتك، وأن يقربك إليه، وأن يحسن عاقبتك في الدنيا والآخرة. قل: "اللهم اغفر لي، وارفع ذكري، وقربني إليك زلفى، وأحسن مآبي".

**أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد التربوي والإيماني: تأسيس ثقافة) الخطأ ثم التوبة ثم الرفعة(

الآية تؤسس لثقافة عظيمة في المجتمع: ثقافة أن الخطأ ليس نهاية المطاف. الإنسان ليس ملاكًا، و الخطأ وارد. ولكن العبرة ليست في عدم الخطأ، بل في سرعة التوبة والإنابة بعد الخطأ. هذه الثقافة تجعل المجتمع أكثر تسامحًا، وأكثر قدرة على تصحيح أخطائه، وأقل عرضة للانهيار بسبب الأخطاء الفردية أو الجماعية. إنها تبني مجتمعًا حيًا متحركًا نحو الكمال، لا مجتمعًا جامدًا يخاف من الاعتراف بأخطائه.

.2البعد الإداري والقيادي: القائد التائب أقوى وأقرب إلى القلوب

في عالم الإدارة والقيادة، القائد الذي يعترف بخطئه ويعتذر، هو قائد يكتسب احترامًا ومحبة أكثر من القائد المتغطرس الذي يرفض الاعتراف بالخطأ. هذه الآية تعطي القادة درسًا بليغًا: التواضع والمراجعة الذاتية الصادقة تزيد من (زلفى) القائد عند أتباعه، وتجعل (مآبه) حسنًا في مؤسسته. فالتاريخ يذكر القادة العادلين المتواضعين، وينسى الجبابرة المستكبرين.

.3البعد الحضاري: الأمم التائبة هي التي تنهض) حسن مآب(

التاريخ يشهد أن الأمم التي تمر بأزمات وتنهض من جديد، هي الأمم التي قامت بـ مراجعة ذاتية صادقة، واعترفت بأخطائها، و"تابت" من سياساتها الفاسدة. أما الأمم التي تكابر وترفض الاعتراف بأخطائها، فإنها تظل في تخلفها حتى تنهار (سوء مآب). هذه الآية تدعو الأمة إلى المراجعة والتوبة الحضارية، لتنال الزلفى بين الأمم و حسن المآب في مستقبلها.

.4البعد النفسي والاجتماعي: نشر ثقافة العفو والتسامح

إذا كان الله، وهو العزيز الجبار، يغفر لعبده ويزيده قربى وحسن مآب، فكيف بنا نحن البشر؟ هذه الآ ية تدعونا إلى أن نكون متسامحين مع من أخطأ في حقنا، وأن نقبل اعتذاره، بل وأن نرفع من شأنه إذا صدق في توبته. هذا يبني مجتمعًا متماسكًا، تسوده المحبة والتسامح، لا الضغينة والانتقام.
**كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1قاعدة) من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه(: استحضر هذه القاعدة في كل مرة تغالب نفسك على ترك معصية .إذا تركت الغيبة خوفًا من الله، فثق أن الله سيعوضك زلفى في قلوب الناس و حسن مآب في الآخرة.
.2دفتر) التوبة والزلفى(: خصص دفترًا صغيرًا، اكتب فيه الذنوب التي تبت منها، واكتب بجانبها ما شعرت به من قرب من الله) زلفى (بعد التوبة، وما فتح الله عليك من خير .هذا التمرين يجعلك ترى بأم عينك ثمرة التوبة، فيزيدك تمسكًا بها.
.3تمرين) الاعتذار ورفع المكانة(: هذا الأسبوع، إذا أخطأت في حق أحد، اعتذر له بصدق .ثم لاحظ كيف تغيرت نظرته إليك .غالبًا ستجده يحترمك أكثر .هذا هو نموذج مصغر من) الزلفى (الدنيوية.
.4الدعاء الجامع في السجود: في سجودك، ادعُ بهذا الدعاء: "اللّهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني، واغفر لي ذنوبي، وارفع درجتي في الدنيا والآخرة، وأحسن مآبي، وأورثني الفردوس الأعلى يا كريم".
.5قراءة قصة داود كاملة وتأمل العبر: اقرأ قصة داود عليه السلام كاملة في سورة) ص (وفي سورة)الأنبياء (بتدبر .استخرج منها كل عبرة، واكتبها، واجعلها منهجًا لحياتك.

سادسا

أيها القارئ الكريم، يا من أبحرت معنا في رحاب سورة (ص)، وشاهدت داود عليه السلام في محرابه، واستمعت إلى حكمه، ورأيت توبته وإنابته، وكيف غفر الله له ورفع قدره. والآن، وبعد هذا المشهد العظيم، تأتي الآية السادسة والعشرون لتضع الدستور النهائي للقيادة والقضاء والإدارة. إنها ليست مجرد آية تتلى، بل هي وثيقة إلهية، و ميثاق شرف مهني، و فلسفة حاكمة لكل من يتولى مسؤولية في هذه الأرض، سواء كان حاكمًا، أو قاضيًا، أو مديرًا، أو أبًا، أو أي صاحب قرار.

إنها الآية التي تنتقل بنا من قصة فردية (قصة داود) إلى قاعدة عامة، وتؤسس لمفهوم الاستخلاف في الأرض، وتحذر من اتباع الهوى الذي هو آفة السلطة ومفسدة العدالة. إنها تضع الميزان الذي توزن به الأعمال والولايات، وتربط صلاح الدنيا بذكر الآخرة.

فلنقف مع هذه الآية العظيمة، ولنستلهم منها دستور حياتنا العملية، ولنبني بها مجتمعاتنا وحضارتنا.
**
تفسير الآية الكريمة: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ﴾ (26)

مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن تجاوز الله عن داود وغفر له، ورفع قدره، يأتي هذا الخطاب المباشر: (يا داود). إنه خطاب تكليف وتشريف، يضع بين يدي داود – ومن بعده كل من يخلفه في الأرض – قواعد السلطة و المسؤولية. إنها لحظة فارقة، يتحول فيها داود من نبي ملك إلى رمز للقائد الرباني الذي يحكم بما أنزل الله.

مقصد الآية الأعظم: وضع دستور إلهي للقيادة الراشدة، يقوم على أربعة أركان:

1.الاستخلاف: السلطة تكليف ومسؤولية، لا تشريف ولا ملك شخصي.
2.الحكم بالحق: العدل المطلق هو الأساس، لا محاباة ولا هوادة.
3.مجاهدة الهوى: الخطر الداهم على القائد هو اتباع رغباته الذاتية.
4.تذكر يوم الحساب: الرقابة الإلهية هي الضمانة الأخيرة لاستقامة الحكم.

إنها آية تهدف إلى بناء الإنسان العادل، و تأسيس المجتمع الآمن، و إقامة الحضارة المستدامة. إنها بمثابة قسم مهني يجب أن يتلوه كل من يتولى أمرًا من أمور الناس.

تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1.{يَٰدَاوُۥدُ}: نداء التشريف والتكليف

· دلالة النداء: النداء ب (يفيد التنبيه و الاهتمام .والتصريح باسم) داود (فيه تشريف و تكريم . إنه خطاب مباشر من الله إلى عبده ونبيه، يضع فيه خلاصة الحكمة في القيادة .وهذا النداء يعلمنا أن التوجيهات الإلهية موجهة للقادة أولا ً، لأن بصلاحهم يصلح الناس، وبفسادهم يفسدون.

2.{إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ}: فلسفة السلطة في الإسلام) الاستخلاف(

· تحليل دقيق للفظ) خليفة(: الخليفة هو من يخلف غيره، ويقوم مقامه في تنفيذ أوامره .فداود ليس مالكًا للأرض، بل هو مستخلف من الله فيها، نائب عن المالك الحقيقي) الله سبحانه .(وهذا المفهوم يقلب موازين السلطة رأسًا على عقب:
· السلطة ليست ملكًا شخصيًا: فلا يحق للحاكم أن يقول: "الدولة ملكي، أفعل بها ما أشاء".
· السلطة ليست تشريفًا: بل هي تكليف و مسؤولية ثقيلة، سيُسأل عنها يوم القيامة .قال النبي صلى الله عليه وسلم: "كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته".
· السلطة مرتبطة بالتزام: فلا طاعة لحاكم أو مسؤول إذا خالف أمر الله .فالاستخلاف مقيد بشرع المستخلف) الله.(
· دلالة) في الأرض(: لم يقل) في بني إسرائيل (أو) في مملكته(، بل قال:) في الأرض .(هذا يشير إلى عالمية المهمة و سعة المسؤولية .فداود خليفة في إصلاح الأرض وإقامة العدل فيها .وهذا يدعو كل صاحب مسؤولية) مهما كانت صغيرة (أن ينظر إلى مهمته على أنها جزء من مهمة الاستخلاف في الأ رض.

3.{فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ}: مركزية العدل في مهمة الاستخلاف

· دلالة الفاء) فاحكم(: الفاء هي فاء السببية، وتربط بين الاستخلاف والحكم بالحق .فكأنه يقول: "لأني جعلتك خليفة، إذًا فاحكم بين الناس بالحق" .فهذه هي الوظيفة الأساسية للخليفة: إقامة القسط بين الناس.
· دلالة) بين الناس(: لم يقل) بين المؤمنين (أو) بين أتباعك(، بل قال:) بين الناس .(وهذا يشمل جميع الناس بغض النظر عن دينهم أو عرقهم أو علاقتهم بالحاكم .فالعدل قيمة مطلقة، لا تتجزأ.
· دلالة) بالحق(:) الحق (هو ما أنزل الله، وما يوافق الشرع والعقل والفطرة .وليس الحكم بالأهواء الشخصية، ولا بالمصالح الضيقة، ولا بالضغوط الاجتماعية .الباء في) بالحق (تفيد الاستعانة والملازمة . أي: اجعل الحق معيارك و قانونك و ميزانك في كل أحكامك .لا أحد فوق القانون، حتى الملك نفسه.

4.{وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ}: التحذير من آفة القيادة الأولى

· معنى) الهوى(: هو ميل النفس إلى ما تحبه وترغبه، سواء كان حقًا أو باطلا ً .والنهي هنا عن اتباع الهوى، أي جعله قائدًا و موجهًا للقرارات والأحكام .والهوى أنواع:
· هوى النفس: محبة المدح، كراهية النقد، الرغبة في الانتقام.
· هوى القرابة: محاباة الأقارب والأصدقاء) المحسوبية.(
· هوى المصالح: تقديم المصلحة الشخصية أو الحزبية على المصلحة العامة.
· العلاقة بين) الحق (و) الهوى(: هناك تضاد كامل بينهما .فالحق موضوعي ثابت، والهوى ذاتي متقلب . ولا يمكن الجمع بينهما .من حكم بالحق جاهد هواه، ومن اتبع هواه ضيع الحق .وهذا هو مربط الفرس في كل مسؤولية.

5-{فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ}: النتيجة الحتمية لاتباع الهوى

· دلالة الفاء) فيضلك(: هذه فاء السببية أيضًا، وتدل على حتمية الضلال عند اتباع الهوى .فالأمر ليس مجرد احتمال، بل هو نتيجة قطعية .اتباع الهوى قد يبدأ بخطوة صغيرة، أو تنازل بسيط، ولكنه ينتهي حتمًا إلى الضلال عن سبيل الله.
· معنى) سبيل الله(: هو الطريق المستقيم، دين الله القويم، الذي يؤدي إلى رضوانه وجنته .واتباع الهوى يخرج الإنسان عن هذا السبيل، ويجعله يتخبط في ظلمات الجهل والظلم.
· التحذير من الانحراف الصغير: هذه الآية تحذر من الانزلاقات الصغيرة .فالقاضي الذي يقبل هدية صغيرة، والمدير الذي يوظف قريبه دون استحقاق، كلاهما يبدأ بخطوة في طريق الهوى، وسرعان ما ينزلق في منحدر الضلال.

6-{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ}: الوعيد الإلهي للضالين

· دلالة) إن (واللام) لهم(: الجملة مؤكدة بـ) إن (و) لام الابتداء(، وهذا يفيد القطع والجزم بوقوع العذاب على الضالين .إنه وعيد لا رجعة فيه.
· دلالة) عذاب شديد(: تنكير) عذاب (ووصفه بـ) شديد (يفيد التهويل و التعظيم .إنه عذاب لا يوصف بشدته وألمه، سواء في الدنيا) بالهم والضنك والفضيحة (أو في الآخرة) في نار جهنم.(

7-{بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ}: بيان سبب الضلال والعذاب) النسيان(

· معنى) نسوا(: النسيان هنا ليس مجرد الغفلة الذهنية، بل هو الترك والإهمال المتعمد .إنهم تناسوا يوم الحساب، وأعرضوا عنه، فلم يجعلوه نصب أعينهم في أقوالهم وأفعالهم .وهذا النسيان هو أصل كل فساد.
· الربط بين الذاكرة والاستقامة: من ذكر يوم الحساب) أي استحضره في ضميره وخافه (أحسن العمل وعدل في الحكم .ومن نسي يوم الحساب) أي تغافل عنه (ظلم وجار واتبع هواه .فـ الفساد يبدأ بـ النسيان .لذا كانت وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا".
· الدرس العملي: اجعل يوم الحساب حاضرًا في ذهنك عند توقيع كل عقد، وعند إصدار كل حكم، وعند اتخاذ كل قرار .تذكر أنك ستقف بين يدي الله، فسيحاسبك على ما وليت.

اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· أسلوب النداء) يا داود(: فيه تلطف وتشريف قبل التكليف، وهذا من أدب القرآن في توجيه الأوامر والنواهي.
· بناء الجملة على القصر والحصر: تقديم الجار والمجرور) بالحق (على الفعل) فاحكم (يفيد الا ختصاص والحصر .أي: لا تحكم إلا بالحق.
· النهي عن اتباع الهوى بأسلوب التحذير:) ولا تتبع الهوى (نهي صريح، يليه التحذير من العاقبة)فيضلك(، ثم الوعيد الشديد .وهذا تدرج في الترهيب، يبدأ بالنهي، ثم بيان العاقبة الدنيوية، ثم العاقبة الأخروية.
· التذييل بالسبب) بما نسوا يوم الحساب(: بيان سبب الضلال والعذاب، ليكون ذلك علاجًا وقائيًا . فعلى المؤمن أن يتذكر لئلا ينسى.

**الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: التربية على المسؤولية والرقابة الذاتية

الآية تربي في الإنسان الإحساس بالمسؤولية. أنت خليفة في أرض الله، في بيتك، في عملك، في مجتمعك. هذا الشعور يجعلك تراقب نفسك قبل أن يراقبك أحد. وتجعل يوم الحساب ميزانًا لأعمالك، فتحسن وتتقن وتعدل.

المفهوم النفسي: جهاد الهوى (المعركة الداخلية)

الآية تضع يدك على العدو الداخلي: الهوى. كثير من الناس يظنون أن أعداءهم هم الآخرون، بينما ألد أعدائهم هي نفوسهم التي تأمر بالسوء. هذه الآية تعلمك أن تكون واعيًا بهواك، وأن تجاهده باستمرار. فالقائد الناجح هو من ينتصر على هواه قبل أن ينتصر على أعدائه.

المفهوم الفكري: مركزية المنهج فوق الأشخاص (لا أحد فوق القانون)

الآية تؤصل لمبدأ عظيم: الحق هو المعيار، والقانون هو المسطرة. فـالله يخاطب داود (النبي الملك القوي) ويقول له: (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى). هذا يعني أنه لا أحد فوق القانون، حتى لو كان نبيًا ملكًا. فالمعايير المهنية والأخلاقية تسري على الجميع، بل إنها أوجب على القادة و المسؤولين.

**الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني الجليلة إلى واقع حياتنا اليومية.

المثال الأول: في القضاء والإدارة (ميثاق شرف القاضي والمدير)

· الموقف: قاضٍ ينظر في قضية بين غني فاحش الثراء وفقير معدوم .الغني يعرض عليه رشوة، أو يضغط عليه بعلاقاته .القاضي يجد في نفسه ميلا ً لمساعدة الفقير) هوى الرحمة(، أو خوفًا من الغني) هوى الخوف.(
· الآية تذكره:) فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى .(ليس المطلوب أن تحكم لصالح الفقير لأنك تشفق عليه، ولا لصالح الغني خوفًا منه .المطلوب أن تحكم بالحق، بغض النظر عن مكانة الخصوم وقدرتهم على) عز الخطاب .(تذكر أنك) خليفة (الله في أرضه، وأنك ستقف بين يديه) يوم الحساب.(
· الدرس العملي: في أي موقع مسؤولية، ضع ميثاق شرف مهني لنفسك: "لن أحكم إلا بالحق، ولن أخضع للهوى أو الضغوط، وسأجعل القانون والعدل مرجعيتي".

المثال الثاني: في بيئة العمل (إدارة المصالح وتجنب المحسوبية)

· الموقف: مدير شركة يريد تعيين موظف جديد .يتقدم للوظيفة شخصان: أحدهما قريبه أو صديقه)هوى القرابة(، والآخر غريب عنه لكنه أكثر كفاءة.
· الآية تأمره:) فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى .(تعيين قريبك هو اتباع للهوى، وظلم للكفء، وخيانة للأمانة .احذر من التنازلات المهنية الصغيرة، فهي المنزلق الذي يقود إلى الانهيار الكلي .فمن يوظف قريبه اليوم، سيسرق من مال الشركة غدًا.
· الدرس العملي: أسس بيئة استحقاق وعدالة في عملك .اجعل الكفاءة هي المعيار الوحيد .لا تدخل)الأنا (أو العلاقات الشخصية في قراراتك المهنية.

المثال الثالث: في الحياة الأسرية (العدل بين الأبناء)

· الموقف: أب لديه عدة أبناء، يميل قلبه إلى أحدهم أكثر) هوى الحب .(في العطية أو المعاملة، يميز هذا الابن على إخوته.
· الآية تخاطبه: أنت) خليفة (في أسرتك) .فاحكم بينهم بالحق (أي اعدل بين أبنائك في كل شيء) .و لا تتبع الهوى (أي لا تميل مع حبك لأحدهم .تذكر أن هذا الظلم الصغير قد يؤدي إلى) ضلال (عن سبيل الله، وإلى) عذاب شديد (في الدنيا) عقوق وقطيعة (وفي الآخرة.
· الدرس العملي: العدل بين الأبناء واجب شرعي، وهو من أهم أسباب تربية جيل صالح متوازن.

**ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1استشعر مسؤولية الاستخلاف في كل موقع

أينما كنت (أبًا، موظفًا، مديرًا، معلمًا، حاكمًا)، فأنت (خليفة). تصرف على أنك مسؤول أمام الله عن هذه الخلافة. هذا الاستشعار يرفع من همتك، ويدفعك للإتقان والعدل.

.2اجعل الحق مرجعيتك لا هواك

قبل كل قرار، اسأل نفسك: "هل هذا هو الحق؟ أم أنني أتبع هواي؟". تدرب على محاكمة نواياك. إذا وجدت في نفسك ميلا ً لشخص على حساب الحق، فجاهد نفسك وارجع إلى الصواب.

.3احذر التنازلات الصغيرة) فيضلك عن سبيل الله(

لا تقل: "هذه رشوة صغيرة"، "هذه محاباة بسيطة"، "هذا تزوير طفيف". هذه هي بذور الضلال. التنازل الصغير في الحق هو أول درجة في سلم الانهيار. كن حازمًا مع نفسك من البداية.

.4تذكر يوم الحساب في كل صغيرة وكبيرة

في لحظات اتخاذ القرارات المصيرية، تذكر أنك ستُسأل عن هذا القرار. هذا التذكر هو الحصن الذي يحميك من اتباع الهوى. استحضر مشهد الوقوف بين يدي الله، واجعله رقيبًا عليك.

.5أنشئ بيئة استحقاق وعدالة من حولك

سواء كنت في بيتك أو عملك، كن أنت من يؤسس لثقافة الاستحقاق. كافئ المجتهد، وعاقب المسيء ، وقدم الكفء على القريب. بهذا تبني مجتمعًا قويًا عادلا ً.
**أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد السياسي والقانوني: تأسيس دولة المؤسسات والقانون

الآية تقدم الدستور الأساسي للدولة الإسلامية. فهي تقوم على:

· الاستخلاف: السيادة لله، والحاكم نائب عن الأمة في تنفيذ شرع الله.
· سيادة القانون:) فاحكم بين الناس بالحق .(لا أحد فوق القانون.
· استقلال القضاء:) ولا تتبع الهوى (أي لا تخضع لضغوط السلطة أو المال أو القرابة.
· المساءلة:) إن الذين يضلون ...لهم عذاب شديد (أي أن الجميع مسؤولون أمام الله وأمام القانون .
هذه المبادئ هي التي تبني الدولة الحديثة العادلة.

.2البعد التنموي والاقتصادي: العدل أساس التنمية المستدامة

الآية تؤكد أن التنمية لا تزدهر في بيئة الظلم والهوى. المجتمعات التي تسودها المحسوبية والوساطة والرشوة (اتباع الهوى) هي مجتمعات تخلف وفشل. أما المجتمعات التي تحكم بـ (الحق) أي بالكفاءة والاستحقاق والشفافية، فهي مجتمعات تنمو وتزدهر. المستثمر يضع ماله حيث يوجد القانون العادل، و الموظف يبدع حيث يكافأ على جهده لا على قرابته.

.3البعد التربوي في بناء الإنسان: بناء الشخصية المسؤولة الأخلاقية

الآية تبني الإنسان المسؤول الذي يراقب الله في كل تصرفاته. إنها تربي الضمير الحي و الوازع الديني. الإنسان الذي يتربى على أنه (خليفة) في الأرض، يختلف تمامًا عن الإنسان الذي يتربى على أنه "حر" يفعل ما يشاء. الأول يبني ويعمر، والثاني يهدم ويدمر.

.4البعد الحضاري: أسس قيام الحضارة واستمرارها

الحضارات تقوم على العدل، وتسقط بـ الظلم و اتباع الهوى. هذه الآية تعطينا سر استدامة الحضارة: أن يكون الحكم بالحق، وأن يكون القضاء عادلا ً، وأن يكون المجتمع كله في حالة مراجعة ومساءلة مستمرة. حضارة بلا عدل هي كجسد بلا روح، تنهار من الداخل مهما بلغت من القوة المادية (ذو الأ وتاد).
**كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1صياغة) ميثاق شرف شخصي(: اكتب في ورقة صغيرة: "أنا) ...فلان(، أتعهد أمام الله بأن أحكم بـ الحق في كل ما أوليت من مسؤولية، وألا أتبع الهوى، وألا أنسى يوم الحساب .اللهم اشهد" .علقها في مكان تراه يوميًا) مكتبك، سيارتك.(
.2تمرين) محاكمة النية (قبل القرار: كلما أردت اتخاذ قرار مهم، اسأل نفسك: "لماذا أريد هذا القرار؟ هل هو حق أم هوى؟" .اكتب إجابتك بصراحة .هذا التمرين يكشف لك خفايا نفسك.

.3تخصيص وقت للمراجعة والمساءلة الذاتية: في نهاية كل أسبوع، خصص 10 دقائق لتراجع فيها قراراتك وأحكامك التي أصدرتها .اسأل نفسك: "هل حكمت بالحق؟ هل اتبعت الهوى؟" .هذه المراجعة تحميك من الاستمرار في الخطأ.
.4قراءة في سير العادلين: اقرأ في سيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفي قصص القضاة العادلين في تاريخ الإسلام .استلهم منهم القوة في الحق، والشجاعة في مواجهة الهوى.
.5الدعاء بدوام الهداية: ادعُ الله في كل صلاة: "اللّهم ارزقني الحكم بالحق، وجنبني اتباع الهوى، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين، واجعل يوم الحساب نصب عيني، وأحسن مآبي في الدنيا والآخرة".
سابعا
أيها القارئ الكريم، يا من أبحرت معنا في آيات سورة (ص)، وشاهدت كيف أنزل الله دستور القيادة والقضاء لداود عليه السلام: (فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى)، وكيف حذره من نسيان يوم الحساب. والآن، وبعد هذا التوجيه الإلهي العظيم، تأتي هذه الآية الكريمة لتواجه جذور الإلحاد والإنكار في قلوب المشركين. إنها الآية التي تضع الحقيقة الكونية الكبرى في مواجهة ظنون الجاهلين. إنها تعلن بكل وضوح أن هذا الكون الفسيح، بما فيه من سماء مرفوعة، وأرض مدحوة، وما بينهما من عجائب، لم يُخلق عبثًا ولا لهوًا.

إنها آية توقظ العقول الغافلة، وتصدم القلوب اللاهية، وترد على الذين يظنون أن الحياة مجرد أكل وشرب ثم فناء. إنها تقدم الدليل العقلي والكوني على حتمية البعث والجزاء، وتربط بين الإيمان بـ اليوم الآخر وبين فهم الوجود ذاته.

فلنقف مع هذه الآية الباهرة، ولنستلهم منها كيف تبني فينا عقيدة الحق، وتزرع في قلوبنا اليقين بالآخرة، وتجعلنا ننظر إلى الكون من حولنا نظرة المؤمن المتدبر، لا نظرة الغافل الساهي.

تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (27)
مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن قرر الله تعالى في الآية السابقة أن الضالين عن سبيله لهم عذاب شديد بسبب نسيانهم يوم الحساب، تأتي هذه الآية لتؤكد حقيقة يوم الحساب وتثبت أنه غاية الخلق وعلته. فالمشركون كانوا ينكرون البعث، ويزعمون أن الحياة الدنيا هي كل شيء، وأنه لا حساب ولا عقاب. فجاءت هذه الآية لتفند زعمهم، وتقيم الحجة عليهم من خلال التأمل في خلق السموات والأرض.

مقصد الآية الأعظم: إثبات حتمية البعث والجزاء من خلال الحكمة الإلهية في الخلق. فالله الحكيم لا يخلق هذا الكون العظيم عبثًا، بل خلقه بالحق وللحق. ومن الحق أن يُجازى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته. وهذا الجزاء لا يتحقق كاملا ً في الدنيا، فلا بد من يوم آخر (يوم الحساب) يقضي الله فيه بين عباده بالعدل.

إنها آية تهدف إلى:

1. إقامة الدليل العقلي والفطري على البعث: فالنظام الكوني الدقيق يشهد بأن له خالقًا حكيمًا، و الحكيم لا يخلق شيئًا عبثًا.
2. دحض مزاعم الكافرين: الذين يظنون أن الحياة تنتهي عند الموت، وأنه لا بعث ولا حساب.
3. تثبيت قلب المؤمن: وترسيخ يقينه بأن عمله الصالح لن يضيع، وأن عدل الله سيتحقق حتمًا.
4. التحذير الشديد من عاقبة هذا الظن: بالوعيد بالنار لمن أصر على هذا الاعتقاد الباطل.

**تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1 ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا﴾: نفي العبث عن فعل الله

· دلالة النفي بـ (ما): افتتاح الآية بالنفي بـ (ما) يفيد القطع والجزم. إنه إعلان مطلق: "لم يكن خلقنا لهذا الكون عبثًا ولا لهوًا". وهذا النفي يهدم أساس الفكر المادي الإلحادي الذي يرى الكون وليد صدفة عمياء، أو أنه غاية في ذاته.
· معنى (السماء والأرض وما بينهما): هذا التعبير يشمل كل ما في الوجود من عوالم علوية وسفلية، وكواكب ونجوم، وجبال وبحار، ورياح وسحاب، وإنس وجن وحيوان. كل هذا الخلق المهول المنظم، الذي يحكمه قانون دقيق، ويشهد بتناسق عجيب، لا يمكن أن يكون باطلا ً.
· معنى (باطلا ً): الباطل هو العبث و اللعب و ما لا غاية له. أي: لم نخلق هذا الكون بغير حكمة، و لا لغاية فاسدة، بل خلقناه (بالحق) كما قال في آيات أخرى: (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا

إلا بِالحَقِّ) (الحجر: 85). والحق هنا يشمل:
· الحكمة: فخلق الكون دليل على قدرة الله وعلمه وحكمته.
· العدل: فالكون مسرح للابتلاء والاختبار، وميدان للتكليف، ولا بد من يوم للجزاء العادل.
· إظهار آياته: فكل مخلوق آية تدل على عظمة الخالق وتوحيده.

2 -{ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ}: بيان مصدر هذا الزعم الباطل

· دلالة اسم الإشارة (ذلك): يشير إلى ظنهم أن الخلق باطل، أو إلى إنكارهم للبعث والحساب الذي هو لازم من لوازم القول بأن الخلق باطل.
· معنى (ظن): الظن هنا ليس مجرد الشك أو التردد، بل هو الاعتقاد الجازم المبني على غير علم ولا برهان. إنهم يظنون أن لا بعث، ويبنون حياتهم على هذا الظن. واستعمال لفظ (الظن) بدل (العلم) أو (اليقين) فيه تجهيل لهم و تسفيه لعقولهم؛ لأن الأدلة على وجود الله وحكمته وبعثه قاطعة، فكيف يبنون موقفهم على مجرد ظن؟!
· دلالة وصفهم بـ (الذين كفروا): لم يقل: (ذلك ظنهم) بل قال: (ذلك ظن الذين كفروا). إظهار الوصف (الكفر) في مقام الإضمار يدل على أن هذا الظن الباطل هو نتيجة كفرهم و جحودهم. فالكفر غطى على عقولهم، ومنعهم من رؤية الحق الواضح في الأنفس والآفاق.

3 -{فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ}: الوعيد الشديد بالعذاب الأليم

· دلالة الفاء (فويل): الفاء هي فاء السببية، وتربط بين الظن الباطل (أن الخلق عبث) وبين العذاب (ويل من النار). فبسبب هذا الظن الكافر، استحقوا هذا الوعيد الشديد.
· معنى (ويل): (الويل) كلمة عذاب وتهديد ووعيد. وهي تدل على شدة الهلاك و عظيم البلاء. وقد تكررت في القرآن في مواضع كثيرة للتهديد.
· دلالة (للذين كفروا): تكرير وصفهم بالكفر مرة أخرى لتأكيد أن هذا العذاب خاص بهم، بسبب كفرهم وظنهم الباطل.
· معنى (من النار): (من) هنا لبيان الجنس أو لابتداء الغاية. أي: ويل لهم نابع من النار، أو ويل لهم بسبب النار. وهذا يصور لنا مشهدًا مرعبًا: العذاب ينبع من النار ليشملهم ويحيط بهم. والنار هي أشد أنواع العذاب في الآخرة.
**اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· أسلوب النفي والإثبات (وما خلقنا... ذلك ظن): نفي العبث عن الخلق أولا ً، ثم إثبات أن هذا الزعم هو ظن الكافرين. هذا الأسلوب يقرر الحقيقة أولا ً، ثم يبين بطلان ما يضادها.
· المقابلة بين (الحق) و (الباطل) وبين (اليقين) و (الظن): وإن لم يذكر لفظ (الحق) صريحًا، فهو مفهوم من نفي (الباطل). فالحق يقابل الباطل، واليقين يقابل الظن. والمؤمنون على يقين من أن الله خلق الكون بالحق، والكافرون على ظن بأنه باطل.
· التعبير بـ (ذلك ظن) دون (ذلك قولهم) أو (ذلك اعتقادهم): لفظ (الظن) فيه تحقير لاعتقادهم، وبيان أنه لا يستند إلى دليل، بل هو مجرد وهم وخيال. وهو كقوله تعالى: (إِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ).
· تكرار وصف (الذين كفروا): في قوله: (ذلك ظن الذين كفروا) ثم (فويل للذين كفروا). هذا التكرار يفيد الذم والتوبيخ، ويربط بين كفرهم وعذابهم.
** الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: تربية العقل على البحث عن الغاية (لماذا خُلقنا؟)

الآية تربي فينا عقلية المؤمن المتدبر. إنها تدفعنا إلى سؤال أنفسنا: إذا كان الله لم يخلق هذا الكون باطلا ً، فما هي الغاية؟ والجواب في القرآن: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ). هذا السؤال التربوي ينقلنا من حالة الغفلة والعبث إلى حالة الوعي والمسؤولية. فنحن جزء من هذا الخلق العظيم، وحياتنا لها هدف وغاية.

المفهوم النفسي: استشعار قيمة الذات والوجود (لسنا صدفة)

نفسيًا، الاعتقاد بأن الكون وُجد باطلا ً، وأن الإنسان وُجد صدفة، يؤدي إلى الفراغ الوجودي و القلق و الاكتئاب. أما الإيمان بأن الله خلقنا بالحق وللحق، فيمنح النفس قيمة و هدفًا، ويملأها بالطمأنينة و السلام الداخلي. فأنت لست مجرد رقم في كون بارد لا يعبأ بك، بل أنت مخلوق مكرم، خلقت لغاية عظيمة هي عبادة الله وعمارة الأرض.

المفهوم الفكري: إقامة الدليل العقلي على البعث (دليل الحكمة)

الآية تقدم دليلا ً عقليًا قاطعًا على البعث: دليل الحكمة. فالله حكيم، والحكيم لا يخلق شيئًا عبثًا. ومن الحكمة أن يُجازى المحسن والمسيء. ولما كان الجزاء لا يكتمل في الدنيا، وجب أن يكون هناك يوم آخر للجزاء. هذا الدليل العقلي يخاطب الفطرة السليمة، ويدفع العقل للإيمان باليوم الآخر.
*** الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني الجليلة إلى واقع حياتنا اليومية.

المثال الأول: في مجال التعليم والتربية (غرس قيمة الهدف)

· الموقف: طالب جامعي يشعر بالضياع، ولا يعرف لماذا يدرس، أو ما هو هدفه في الحياة. يشعر أن الحياة مجرد روتين ممل (أكل، شرب، دراسة، نوم).
· الآية توقظه: (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ً). حتى هذه القاعة التي تدرس فيها، وهذا الكتاب الذي تقرؤه، لم يُخلق باطلا ً. فكيف بك أنت أيها الإنسان؟ أنت محور هذا الكون، ولست مجرد ترس في آلة. وجودك له هدف، فابحث عنه.
· الدرس العملي: ابحث عن هدفك في الحياة. ما هي رسالتك؟ ما هو أثرك الذي تريد أن تتركه؟ اربط دراستك وعملك بهدف أسمى (إرضاء الله، نفع الناس). هذا الشعور بالهدف سيحول حياتك من ملل إلى متعة وإبداع.

المثال الثاني: في بيئة العمل (إتقان العمل عبادة لا عبث)

· الموقف: موظف يؤدي عمله بروتينية وفتور، وينظر إلى عمله على أنه مجرد وسيلة لكسب المال. لا يشعر بأي قيمة أو معنى لما يفعله.
· الآية تغير نظرته: (وما خلقنا... باطلا ً). عملك الذي تؤديه هو جزء من عمارة الأرض التي استخلفك الله فيها. كل مهمة تؤديها بإتقان هي عبادة، لأنها تحقق معنى الخلق (بالحق). لا تنظر إلى عملك على أنه باطل، بل اجعله حقًا بإتقانك وإخلاصك.
· الدرس العملي: استشعر أن عملك (مهما كان صغيرًا) هو جزء من نظام كوني عظيم. أتقنه وأخلص فيه، واجعله وسيلة لخدمة الناس وإرضاء الله.

المثال الثالث: في مواجهة الإلحاد والشبهات (دليل الحكمة والغائية)

· الموقف: شاب يتعرض لشبهات إلحادية، تقول له: "الكون وُجد بالصدفة، ولا غاية له".
· الآية ترد: (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما باطلا ً). انظر إلى عينك، إلى قلبك، إلى خلية واحدة في جسدك. هل يمكن لهذا النظام الدقيق المعجز أن يكون باطلا ً أو وليد صدفة؟! (ذلك ظن الذين كفروا). هذا مجرد ظن لا دليل عليه. أما الحق اليقيني فهو أن لهذا الكون خالقًا حكيمًا.
· الدرس العملي: تسلح بالعلم والمعرفة. ادرس آيات الله في الأنفس والآفاق. كلما تعمقت في العلم، ازددت يقينًا بأن الخلق لم يكن باطلا ً، وأن له غاية وحكمة.
** ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

1. ابنِ حياتك على أساس (الحق) لا (الباطل)

إذا كان الله لم يخلق الكون باطلا ً، فلا تعش أنت حياتك باطلا ً. اجعل لحياتك هدفًا ساميًا، واجعل أعمالك كلها بالحق: حق الله (العبادة)، وحق النفس (التزكية)، وحق الناس (النفع والعدل).

2. تأمل في خلق السموات والأرض لتزداد يقينًا

خصص وقتًا للتأمل في الكون من حولك (سماء، نجوم، جبال، بحار، نبات، حيوان). هذا التأمل ليس ترفًا فكريًا، بل هو عبادة، تزيدك إيمانًا ويقينًا بأن الله حق، وأن الساعة آتية.

3. لا تبنِ قراراتك على الظنون (ذلك ظن الذين كفروا)

في حياتك العملية، لا تبنِ قراراتك المصيرية على الظن و الوهم. ابحث عن الحقائق والبراهين. استشر

، وادرس، وتثبت. فالبناء على الظنون يؤدي إلى الندم والخسارة.

4. تذكر الويل لمن كفر (فويل للذين كفروا من النار)

هذا الوعيد ليس للتخويف فقط، بل هو للتحفيز أيضًا. إنه يحفز المؤمن على أن يتمسك بإيمانه، وأن يعمل صالحًا، لينجو من هذا الويل، ويفوز برضوان الله وجنته.

5. اربط بين العدل في الأرض والعدل في الآخرة

كما أمر الله داود بالحكم بين الناس بالحق، فإنه سيحكم هو سبحانه بين عباده بالحق يوم القيامة. فكن عادلا ً في دنياك، لتكون من الفائزين في أخراك.
** أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

1. البعد الفلسفي والوجودي: تأسيس رؤية كونية متفائلة (الكون ذو معنى)

الآية تؤسس لرؤية كونية متفائلة، قوامها أن الوجود ليس عبثيًا ولا عدميًا، بل هو ذي معنى وغاية. هذه الرؤية هي التي أنتجت الحضارة الإسلامية، حيث اندفع العلماء المسلمون لاكتشاف قوانين الكون، لأنهم كانوا على يقين بأن لهذا الكون نظامًا دقيقًا (حقًا) يستحق البحث والدراسة. أما الحضارة المادية المعاصرة، القائمة على فلسفة العبث والصدفة، فإنها تعاني من أزمة معنى تؤدي إلى الانتحار و الاكتئاب والتفكك الأسري.

2. البعد التربوي والتعليمي: بناء عقلية الباحث عن الغاية

الآية تبني عقلية الباحث عن الغاية في كل علم. فإذا كان الكون لم يُخلق باطلا ً، فكل ظاهرة فيه تستحق الدراسة لفهم غايتها وحكمتها. هذا يدفع الطالب والعالم إلى التعمق في تخصصه، ليس فقط لتحصيل وظيفة، بل لفهم آيات الله في كونه. هذا هو الدافع الحقيقي للبحث العلمي النافع.

3. البعد الحضاري والاجتماعي: محاربة الفساد والعبث في المجتمع

إذا كان الخلق الإلهي قائمًا على (الحق)، فإن المجتمع المسلم يجب أن يقوم على (الحق). والفساد و الظلم والعبث هي صور من (الباطل) الذي يتناقض مع غاية الخلق. هذه الآية تحارب الفساد الإداري و المالي والأخلاقي، لأنها تجعل الإنسان يستشعر أنه جزء من نظام كوني قائم على الحق، فلا يمكن أن يكون هو نفسه باطلا ً.

4. البعد البيئي: احترام الطبيعة لأنها ليست (باطلا ً)

الآية تدعو إلى احترام البيئة والطبيعة، لأنها جزء من خلق الله الذي لم يُخلق باطلا ً. فالإضرار ب البيئة، وتلويثها، وإفسادها، هو نوع من العبث و الباطل الذي يتنافى مع حكمة الخلق. المؤمن يتعامل مع الكون كأمانة، لا كملكية شخصية يفعل بها ما يشاء.
** كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟ (خطة عمل تطبيقية)

1. تخصيص وقت أسبوعي للتأمل (تأمل كوني): اخرج إلى الطبيعة (حديقة، شاطئ، صحراء) ولو مرة في الشهر. تأمل السماء والأرض وما بينهما. استحضر هذه الآية، وقل بقلبك: "سبحانك ما خلقت هذا باطلا ً".
2. كتابة (بيان الغاية الشخصي): اكتب في ورقة: "غايتي في الحياة هي...". واملأ الفراغ بهدف واضح (رضوان الله، نفع الأمة، إتقان مهنتي...). اجعل هذه الورقة أمامك لتذكرك أنك لم تُخلق باطلا ً.
3. مراجعة الأعمال اليومية (هل هي حق أم باطل؟): في نهاية كل يوم، اسأل نفسك: "كم من وقتي اليوم كان حقًا (في طاعة ونفع)، وكم منه كان باطلا ً (في لهو وعبث)؟". حاول أن تزيد نسبة الحق كل يوم.
4. قراءة في كتب (آيات الله في الآفاق): اقرأ كتابًا مبسطًا في الفلك، أو الأحياء، أو الجيولوجيا. ليس لتكون عالمًا، بل لتتأمل في عظمة الخلق، فيزداد يقينك بأنه لم يُخلق باطلا ً.
5. الدعاء بدوام اليقين: ادعُ الله أن يرزقك يقين الصالحين: "اللهم ارزقنا يقينًا لا يتزعزع، واجعلنا ممن يتدبرون في خلق السموات والأرض، ولا تجعلنا من الذين يظنون بالله ظن السوء، وقنا عذاب

النار".
ثامنا

أيها القارئ الكريم، يا من يبحر معنا في أعماق سورة (ص)، لقد رأينا كيف قرر الله تعالى أنه ما خلق السماء والأرض وما بينهما باطلا ً، بل خلقهما بالحق، وأنكر على الكافرين ظنهم العبثي. والآن، وبعد تقرير هذه الحقيقة الكونية، تأتي هذه الآية الكريمة لتستخلص النتيجة المنطقية الحتمية من هذه الحقيقة: إذا كان الخلق بالحق، وإذا كان الله حكيمًا عادلا ً، فمن المستحيل أن يستوي في حكمه ومصيره من آمن وعمل صالحًا مع من أفسد وفجر.

إنها الآية التي تضع ميزان العدل الإلهي أمام أعيننا، وتهدم من الأساس أي ظن جاهل يزعم أن المؤمن التقي والمفسد الفاجر سيان عند الله. إنها ترد على أولئك المشركين الذين كانوا يقولون للمؤمنين استهزاءً: "لئن كان ما تقولونه حقًا، فنحن وأنتم سواء، سنكون في نعيم كما تدعون لأنفسكم!" ، فرد الله عليهم بهذا الاستفهام الإنكاري القاطع: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾.

فلنقف مع هذه الآية الحاسمة، ولنستلهم منها كيف تبني فينا الاعتزاز بالحق، وترسخ في قلوبنا اليقين بعدل الله، وتدفعنا للاستمساك بالتقوى والعمل الصالح.

**تفسير الآية الكريمة: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ (28)
**مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

بعد أن أثبتت الآية السابقة أن خلق السموات والأرض لم يكن باطلا ً، بل كان بالحق والحكمة، جاءت هذه الآية لتقرر اللازم العقلي والشرعي لهذه الحقيقة: أن حكمة الله وعدله يأبيان أن يتساوى المحسن والمسيء، والمؤمن والكافر، والمتقى والفاجر. فكما أنه لا يمكن أن يكون الخلق باطلا ً، كذلك لا يمكن أن يكون الجزاء باطلا ً.

مقصد الآية الأعظم: إثبات مبدأ التفريق الإلهي بين أهل الحق وأهل الباطل في الدنيا والآخرة. إنها تضع قاعدة كلية: لا مساواة بين الصالح والمفسد، ولا بين التقي والفاجر. وتهدف إلى:

1.تطييب قلوب المؤمنين: بأن صبرهم على أذى المشركين وتمسكهم بالحق لن يضيع سدى، بل لهم عند الله جزاء عظيم.
2.ردع الكافرين والمفسدين: بأن ظنهم أنهم والمؤمنون سواء هو ظن باطل، وأنهم موعودون بعذاب أليم.
3.تقرير العدل الإلهي: الذي هو من صميم عقيدة التوحيد، وأن الله لا يظلم أحدًا، بل يجازي كلًا بعمله.
4.تربية الأمة على الاستعلاء بالحق: وعدم الركون إلى الباطل، والاعتزاز بالتقوى والعمل الصالح.

**تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1﴿أَمْ نَجْعَلُ﴾: استفهام إنكاري للتوبيخ والتهويل

· دلالة (أم): (أم) هنا هي أم المنقطعة، وتفيد الإضراب والاستفهام الإنكاري. وهي بمعنى (بل) التي تدل على الانتقال من كلام إلى آخر مع استنكار ما بعده. وكأنه يقول: "أبعد أن بينا لكم أنا خلقنا الكون بالحق، تظنون أنا (نجعل الذين آمنوا كالمفسدين)؟! كلا، ليس الأمر كذلك!". هذا الاستفهام غرضه الإنكار و التوبيخ، وفيه تهويل للأمر وتقرير لاستحالته.
· دلالة نسبة الفعل إلى ضمير الجلالة (نجعل): إسناد الفعل إلى الله بصيغة المتكلم (نجعل) فيه تفخيم و تهديد. فالله هو الذي يجازي ويحكم، وحكمه نافذ لا مرد له. وهذا يعطي الآية قوة وجلالا ً.

2﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: وصف أهل الخير الجامع

· تحليل الوصف: الآية تذكر وصفين مترابطين لأهل الخير:
· (آمنوا): وهو الإيمان القلبي بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وهذا هو الأساس.
· (وعملوا الصالحات): وهو العمل الجارحي الذي يصدق الإيمان. وعطف العمل على الإيمان يدل على

أنه لا يكفي مجرد الإيمان القلبي، بل لا بد من ترجمته إلى أعمال صالحة.
· دلالة الجمع بين الإيمان والعمل الصالح: هذا هو المقياس الكامل للنجاة والفلاح في القرآن. فالإيمان بلا عمل شجرة بلا ثمر، والعمل بلا إيمان رياء ونفاق. وهؤلاء هم الذين يستحقون الكرامة والجزاء الحسن.

3-{كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ}: وصف أهل الشر الجامع

· تحليل الوصف: يقابل أهل الخير المفسدون في الأرض. والإفساد هو نقيض الإصلاح. وهو شامل لكل أنواع الفساد:
· فساد العقيدة: بالشرك والكفر.
· فساد الأخلاق: بالظلم والعدوان والفواحش.
· فساد المعاملات: بالغش والرشوة وأكل أموال الناس بالباطل.
· دلالة وصفهم بـ (المفسدين) دون ذكر الكافرين صراحة: فيه إشارة إلى أن الكفر هو رأس كل فساد في الأرض. كما أن الإيمان هو رأس كل صلاح. فالكافر مفسد بذاته، لأن خروجه عن منهج الله يجعله يعيث في الأرض فسادًا.
· دلالة (في الأرض): تقييد الإفساد بظرف (في الأرض) يدل على شمول الفساد و انتشاره. فهم لا يفسدون في أنفسهم فقط، بل يمتد فسادهم إلى غيرهم وإلى البيئة والمجتمع.

4-{أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ}: تأكيد المعنى بصيغة أخرى

· تحليل الوصفين:
· (المتقين): جمع متق، وهو من اتقى الله بفعل أوامره واجتناب نواهيه. والتقوى هي ثمرة الإيمان والعمل الصالح، وهي أعلى مراتب الدين. وهي تجمع بين الخوف من الله والرجاء فيه، والحرص على طاعته.
· (الفجار): جمع فاجر، وهو المنبعث في المعاصي والمحرمات، الذي هتك ستر الدين والمروءة. و الفجور يقابل التقوى، وهو أشد من الفسق.
· لماذا كرر المعنى بصيغتين مختلفتين؟ هذا من التأكيد و التعميم.
· الصيغة الأولى: (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تقابل (المفسدين). وهذا مقابل في مجال العمل و السلوك.
· الصيغة الثانية: (المتقين) تقابل (الفجار). وهذا مقابل في مجال القلب والضمير والمراقبة لله.
فجمع بين صلاح الظاهر والباطن، وفساد الظاهر والباطن، ليشمل كل وجوه الخير والشر، ويقطع الطريق على أي متأول يريد أن يسوغ مساواة الفريقين.

**اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· أسلوب الاستفهام الإنكاري المتكرر (أم... أم): تكرار (أم) مرتين في الآية يفيد الترقي في الإنكار و التأكيد على استحالة المساواة. فكأنه يقول: "أيُعقل أن نسوي بين هؤلاء وهؤلاء؟! حاشا لله! بل أيُعقل أن نسوي بين المتقين والفجار؟!". هذا التكرار يزيد المعنى رسوخًا في النفس.
· الطباق (المقابلة) بين الأوصاف: الآية مليئة بطباق بديع:
· (آمنوا وعملوا الصالحات) في مقابل (المفسدين).
· (المتقين) في مقابل (الفجار).
هذا الطباق يوضح الفروق الجوهرية بين الفريقين، ويجعل القارئ يستشعر عظمة الفرق بينهما، ويختار بنفسه في أي الفريقين يريد أن يكون.
· بناء الجملة على الإسناد إلى ضمير العظمة (نجعل): كما سبق، فيه تفخيم لقدرة الله وتهديد للكافرين.
**الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: تربية النفس على الاستعلاء بالحق والاعتزاز بالتقوى

الآية تربي في المؤمن عزة النفس بالحق. إنها تمنحه شعورًا بأنه ليس كغيره من أهل الباطل، وأن له مكانة خاصة عند الله. هذا الشعور يجعله متمسكًا بدينه، ثابتًا على مبادئه، لا تهزه سخريات المستهزئين ولا إغراءات المفسدين. إنها تقول له: أنت لست سواءً معهم، فلا تتشبه بهم، ولا تركن إليهم.

المفهوم النفسي: الراحة النفسية والثقة بعدالة الله

نفسيًا، من أكثر ما يزعج الإنسان الصالح أن يرى المفسدين يصولون ويجولون في الأرض، ويتمتعون بملذات الدنيا، بينما هو يجاهد نفسه ويلتزم بالحق. هذه الآية تمنحه الراحة النفسية و الطمأنينة، وتؤكد له أن الله لم يترك الأمور هملا ً، بل هناك يوم للفصل والجزاء. فالصبر اليوم، والنعيم غدًا. هذا اليقين بعدالة الله يزيل القلق والحسد من قلب المؤمن.

المفهوم الفكري: تقرير مبدأ المسؤولية الفردية والجزاء العادل

الآية تقرر مبدأ فكريًا عظيمًا: المسؤولية الفردية. فكل إنسان مسؤول عن اختياره: إما أن يكون من فريق المؤمنين المتقين، وإما أن يكون من فريق المفسدين الفجار. ولا يمكن أن يستوي الفريقان في المآل. وهذا المبدأ هو أساس العدالة في كل الشرائع السماوية، وهو الذي يدفع الأفراد والمجتمعات إلى الإصلاح والعمل الصالح.
**الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني الجليلة إلى واقع حياتنا اليومية.

المثال الأول: في بيئة العمل (التفريق بين الموظف المجتهد والمهمل)

· الموقف: في شركة ما، موظف مجتهد مخلص، وآخر مهمل كسول. المدير العادل لا يمكن أن يسوي بينهما في المكافأة أو الترقية. لو فعل ذلك، لكان ظالمًا، ولحبطت همم المجتهدين.
· الآية تقول: (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض). فالله سبحانه هو أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين، وهو أولى بالعدل من أي مدير بشري. فكيف يظن به أن يسوي بين المطيع والعاصي؟!
· الدرس العملي: في حياتك العملية، كن عادلا ً. فرق بين المجتهد والمقصر. كافئ المحسن على إحسانه. هذا هو مقتضى العدل الذي يحبه الله. ولا تظن أن التسوية بينهما من "اللين" أو "التسامح"، بل هو ظلم للطرفين معًا.

المثال الثاني: في التربية الأسرية (العدل بين الأبناء في التقييم)

· الموقف: أب لديه ابن بار مطيع، وآخر عاق متمرد. من العدل أن يفرق الأب في معاملته لهما، فيقرب البار ويكرمه، ويؤدب العاق ويحرمه، دون أن يصل إلى حد الظلم أو الجور.
· الآية تؤكد هذا المبدأ: لا يمكن أن يكون الابن البار كالابن العاق في نظر الوالدين العادلين. وكذلك ا لأمر مع الله: لا يمكن أن يكون المؤمن التقي كالفاجر المفسد.
· الدرس العملي: في تربيتك لأبنائك، علمهم أن للصلاح قيمة، وأن للتقوى ثمنًا، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا ً. هذا يزرع فيهم حب الخير والتنافس في الطاعات.

المثال الثالث: على مستوى المجتمع (التفريق بين المصلح والمفسد في الذكر)

· الموقف: مجتمع يخلط بين المصلح والمفسد، فيمدح المفسدين ويخلد ذكراهم، ويهمل المصلحين ولا يذكرهم بخير.
· الآية ترد: هذا من ظن الذين كفروا. الله لا يسوي بينهم، فكيف تسوون أنتم؟! يجب على المجتمع أن يفرق بين الصالح والطالح، فيكرم الصالحين ويجعلهم قدوة، ويزدري المفسدين وينبذهم.
· الدرس العملي: كن ممن يفرق بين الخبيث والطيب. انشر سير الصالحين، وحذر من سير المفسدين. هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

**ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1عش حياتك على مبدأ "لا يستويان"

اجعل هذه الآية شعارك في الحياة. لا يستوي المؤمن والكافر، لا يستوي الصادق والكاذب، لا يستوي العادل والظالم، لا يستوي المحسن والمسيء. هذا المبدأ يجعلك تختار طريق الخير عن وعي وإصرار، ويجعلك تفرح بتمسكك بالحق، ولا تغبط أهل الباطل على ما هم فيه.

.2لا تنخدع بمظاهر الدنيا) أم نجعلهم كالمفسدين(

قد ترى المفسدين في نعيم، والمتقين في بلاء. لا تنخدع بهذا. تذكر أن هذه الدنيا دار ابتلاء، وأن الجزاء الحقيقي في الآخرة. الآية تؤكد أنهم ليسوا سواء عند الله، فانتظر تتمة العدل الإلهي في يوم الحساب.

.3أحسن الظن بالله وعدله

من أعظم ثمرات الإيمان: حسن الظن بالله. هذه الآية تدعوك إلى أن تحسن الظن بربك، وتوقن أنه لا يمكن أن يظلم أحدًا، ولا أن يسوي بين المحسن والمسيء. هذا اليقين يريح قلبك ويزيل همومك.

.4كن من المتقين الذين آمنوا وعملوا الصالحات

الآية تذكر الأوصاف التي تستحق بها أن تكون في فريق الله المكرم: الإيمان + العمل الصالح + التقوى. اجتهد في تحقيق هذه الأوصاف في نفسك. هذا هو الطريق الوحيد للنجاة والفلاح.

.5لا تخلط الأوراق في تقييمك للناس

إذا كنت في موقع تقييم (كمدير، أو معلم، أو قاض)، فلا تخلط بين المحسن والمسيء. كن عادلا ً، وفرق بينهما كما يفرق الله بينهما. هذه أمانة ستُسأل عنها.

**أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد الأخلاقي والقيمي: أساس التفاضل في المجتمع) الإيمان والعمل الصالح(

الآية تؤسس لمعيار التفاضل الحقيقي بين الناس. ليس المال، ولا الجاه، ولا النسب، بل الإيمان والعمل الصالح والتقوى. هذا المبدأ هو الذي يبني مجتمعًا قيميًا، حيث يسعى الناس للتفوق في الأخلاق و العبادة والعمل النافع، لا في جمع حطام الدنيا. إنه يقتل عقدة النقص عند الفقراء، و عقدة الاستعلاء عند الأغنياء، ويجعل الجميع سواسية أمام معيار واحد هو التقوى.

.2البعد الاجتماعي والسياسي: العدل أساس الحكم واستقرار الدولة

الآية تقدم مبدأ العدل كأساس للحكم. الدولة التي تسوي بين المصلح والمفسد، أو تكرم المفسدين على حساب المصلحين، هي دولة ظالمة، مآلها الانهيار. أما الدولة التي تفرق بينهما، فتنصر المظلوم، وتوقع العقاب على المجرم، فهي دولة عادلة مستقرة. وهذا هو درس داود عليه السلام في الآيات السابقة.

.3البعد التربوي في بناء الإنسان: بناء الإنسان الذي يعرف قدر نفسه وقدر غيره

الآية تبني إنسانًا واعيًا، يعرف قدر نفسه، فيجتهد ليكون في زمرة المتقين. ويعرف قدر غيره، فيعطي كل ذي حق حقه. هذا الإنسان لا يخلط الأمور، ولا يستوي عنده الخبيث والطيب. هذا هو الإنسان الذي يصلح لقيادة المجتمع وبناء الحضارة.

.4البعد الحضاري: حضارة الإسلام تقوم على التمايز الأخلاقي لا التمييز العنصري

الحضارة الإسلامية قامت على مبدأ التمايز الأخلاقي (لا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى)، لا على التمييز العنصري أو الطبقي. هذه الآية هي أحد الأصول التي ترسخ هذا المبدأ. إنها تجعل القيمة الحقيقية للإنسان في إيمانه وعمله وتقواه. وهذا هو سر حيوية الحضارة الإسلامية وقدرتها على استيعاب الشعوب والأمم المختلفة.

**كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1قاعدة يومية) لا يستويان(: في كل موقف تواجه فيه خيارًا بين الخير والشر، قل لنفسك: "لا يستوي هذا وهذا عند الله" .هذا يجعلك تختار الخير بوعي واقتناع.

.2مراجعة) ميزان العدل الشخصي(: في نهاية كل أسبوع، راجع تعاملاتك: هل ساويت بين من أحسن إليك ومن أساء؟ هل كافأت المجتهد وعاقبت المقصر؟ إن وجدت خللا ً، فأصلحه فورًا.
.3تمرين) التفريق في المديح والقدح(: تدرب على ألا تمدح المفسدين والفجار، حتى لو كانوا من أصحاب النفوذ والمال .وامدح المتقين الصالحين، حتى لو كانوا من الفقراء والضعفاء .هذا الجهاد بـ اللسان من الإيمان.
.4قراءة في أوصاف المتقين في القرآن: اجمع الآيات التي تذكر صفات المتقين) مثل أوائل سورة البقرة، وآخر سورة آل عمران .(واعمل على تطبيق هذه الصفات في حياتك.
.5الدعاء بأن تكون من المتقين: أكثِر من دعاء: "اللّهم اجعلني من المتقين، واجعلني من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا تجعلني من المفسدين الفجار، وارزقني الفردوس الأعلى".

تاسعا

أيها القارئ الكريم، يا من طوفت بنا في رحاب سورة (ص)، وتأملت معنا في دستور القيادة والقضاء، وفي حقيقة الخلق بالحق، وفي مبدأ التفريق بين المتقين والفجار. والآن، وبعد أن أثبت الله عدله وحكمته في الخلق والجزاء، تأتي هذه الآية الجامعة لتضع بين يديك السر الأعظم، و الكنز الدفين، و النور المبين الذي يهديك إلى كل ذلك. إنها الآية التي تخبرك عن وظيفة القرآن و غاية إنزاله و بركته الشاملة.

إنها تعلن بكل وضوح أن هذا الكتاب الذي بين أيدينا لم ينزل لمجرد التلاوة والترتيل، بل نزل (لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ). نزل لنغوص في أعماقه، ونستخرج دُرره، ونفهم مراد الله منه، ثم نعمل به. إنها آية تدعونا إلى نقلة نوعية في علاقتنا بالقرآن: من علاقة سطحية قائمة على الأجر فقط، إلى علاقة عميقة قائمة على الفهم والتدبر والتذكر.

فلنقف مع هذه الآية العظيمة، ولنفتح قلوبنا وعقولنا لنتلقى هذا النداء الرباني، ولنجعل من القرآن ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا.

تفسير الآية الكريمة: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ (29)

مقدمة الآية وأهدافها ومقاصدها

في خضم الحديث عن الحكمة الإلهية في الخلق والجزاء، وعن ضرورة الحكم بالحق وعدم اتباع الهوى، تأتي هذه الآية لتكشف عن المصدر الأساسي لكل هذه الهدايات: إنه (كتاب أنزلناه إليك). إنها تذكر النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بأن هذا القرآن هو المنهاج و الدستور الذي يضمن لهم السير على صراط الله المستقيم.

مقصد الآية الأعظم: بيان وظيفة القرآن الحقيقية وغاية إنزاله. إنه كتاب:

.1مبارك: بركته تشمل كل من تدبره وعمل به في الدنيا والآخرة.
.2للتدبر: غاية إنزاله الأولى أن يتدبر الناس آياته، أي يتفهموا معانيها، ويتأملوا مقاصدها، ويعملوا بأحكامها.
.3للتذكر: يتذكر به أولو الألباب) أصحاب العقول الراجحة(، فيرجعون إلى فطرتهم، ويعرفون طريق الهداية.

إنها آية تهدف إلى:

· تحويل علاقة المسلم بالقرآن من تلاوة سطحية إلى تدبر عميق.
· إثبات أن القرآن هو مصدر البركة الحقيقي في حياة الفرد والمجتمع.
· الحث على استخدام العقل في فهم آيات الله، فالخطاب موجه لـ) أولي الألباب.(
· ربط الهداية بالتدبر والتذكر، فمن تدبر وتذكر اهتدى.
تحليل عناصر الآية ومفرداتها

1-﴿كِتَٰبٌ﴾: إشارة إلى القرآن بوصف جامع

· دلالة التنكير) كتاب(: بدأت الآية بكلمة) كتاب (نكرة، والتنكير هنا للتفخيم والتعظيم .أي: هذا كتاب عظيم، لا كالكتب الأخرى .إنه كتاب جامع لكل خير، حاو لكل هدى.
· دلالة الوصف) كتاب(: وصف القرآن بأنه) كتاب (يشير إلى أنه مكتوب محفوظ، في اللوح المحفوظ، وفي الصدور، وفي السطور .وهذا يعزز الثقة به، وأنه محفوظ من التحريف والتبديل:) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا

الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ.(

2-{أَنزَلنَـٰهُ إِلَيكَ}: مصدره الإلهي وتشريف النبي به

· دلالة) أنزلناه(: إسناد الفعل إلى ضمير العظمة) نا (يدل على عظمة المنزِل) الله سبحانه(، و عظمة المنزَل) القرآن .(فهو تنزيل من حكيم حميد، وليس من كلام البشر.
· دلالة) إليك(: توجيه الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ب-) إليك (فيه:
· تشريف للنبي صلى الله عليه وسلم: فهو الذي اختصه الله بإنزال هذا الكتاب العظيم عليه.
· تثبيت لفؤاده: ففي هذا الخطاب تسلية له، وتذكير بأن هذا الكتاب أنزل عليه ليكون له نورًا وهدى في مواجهة التكذيب والاستهزاء.

3-{مُبَارَكٌ}: صفة جامعة لخيرات الدنيا والآخرة

· معنى) مبارك(: البركة هي الخير الكثير الثابت الدائم .والقرآن مبارك من وجوه عديدة:
.1 بركة في الأجر: تلاوة كل حرف منه بعشر حسنات.
.2 بركة في الهداية: يهدي للتي هي أقوم في كل شؤون الحياة.
.3 بركة في الشفاء: شفاء للصدور من الأمراض النفسية والعقدية.
.4 بركة في التأثير: يغير النفوس والمجتمعات، ويخرجها من الظلمات إلى النور.
.5 بركة في البرهان: هو المعجزة الخالدة، والحجة البالغة.
· اللمسة التربوية: وصف القرآن بأنه) مبارك (يدفعنا إلى طلب بركته في حياتنا .فمن أراد البركة في وقته، وماله، وعمره، وولده، فعليه بالقرآن تلاوة وتدبرًا وعملا ً.

4-{لِيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَـٰتِهِۦ}: الغاية الأولى من إنزال القرآن

· تحليل دقيق للفظ) يدبروا(: التدبر هو النظر في عواقب الأمور وأدبارها .وهو أعمق من مجرد الفهم أو التفسير .إنه تفهم المعاني الظاهرة والباطنة، و تأمل المقاصد والحكم، و الوصول إلى ما وراء الأ لفاظ من العبر والعظات .التدبر إذن هو:
· قراءة بقلب وعقل معًا.
· تفاعل مع الآيات، وليس مجرد مرور عليها.
· ربط الآيات بالواقع والحياة الشخصية.
· لماذا) ليدبروا (وليس) ليقرؤوا (أو) ليتلوها(؟ لأن الغاية ليست مجرد التلاوة، بل التأثير والتغيير .التلاوة وسيلة، والتدبر هو الغاية .فإذا تلي القرآن دون تدبر، كان كمن يقرأ وصفة طبية ولا يتناول الدواء .وهذا يفسر حال كثير من المسلمين اليوم: يقرؤون القرآن بألسنتهم، لكنه لا يغير من واقعهم شيئًا، لأنهم فقدوا روح التدبر.
· دلالة لام التعليل) ليتدبروا(: اللام هنا هي لام العلة، وتدل على أن الحكمة من إنزال القرآن هي تدبر آياته .وهذا يدل على أن من لم يتدبر القرآن فقد فوّت الغاية الكبرى من إنزاله، وحرم نفسه من خير عظيم.

5-{وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلأَلبَـٰبِ}: الغاية الثانية والخاصة بأصحاب العقول

· معنى) يتذكر(: التذكر هو استحضار ما هو مغروس في الفطرة من الإيمان بالله وتوحيده، وما جاءت به الرسل من الحق .فالقرآن يذكر الإنسان بعهد الفطرة، وبمصيره، وبحكمة الله في خلقه .وهو ضد النسيان والغفلة.
· من هم) أولو الألباب(؟ الألباب جمع) لب(، وهو خالص الشيء وجوهره .ولب الإنسان هو عقله .فأولو الألباب هم أصحاب العقول الخالصة من شوائب الهوى والشبهات .هم الذين يستخدمون عقولهم في التفكر والاعتبار، فيصلون إلى الحق .ووصفهم بهذا الوصف في هذا المقام يدل على أن التدبر والتذكر بالقرآن لا يكون إلا لأصحاب العقول الحية المستنيرة، وليس للغافلين الذين عطلوا عقولهم.
· الفرق بين) التدبر (و) التذكر(:
· التدبر: يتعلق بفهم الآيات نفسها، والنظر في دلالاتها ومعانيها.
· التذكر: يتعلق بأثر هذا التدبر في القلب والسلوك، حيث يستحضر الإنسان ربه ومصيره فيزداد خشية وطاعة.
فالتدبر هو البداية، والتذكر هو الثمرة.
"*اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

· أسلوب التقديم) كتاب أنزلناه(: تقديم الخبر) كتاب (على المبتدأ) أنزلناه (- على أحد التوجيهات الإ

إعرابية - أو الابتداء بالنكرة) كتاب (فيه تفخيم وتعظيم لشأن القرآن.
· الجمع بين) يدبروا (و) يتذكر(: ذكر الغايتين معًا يدل على تكامل المعرفة والعمل .فالتدبر معرفة نظرية، والتذكر يقظة قلبية عملية .ولا تكتمل الفائدة إلا بهما.
· تخصيص) أولي الألباب (بالتذكر: فيه حث على استعمال العقل في فهم القرآن .فالله يخاطب العقول، وليس فقط العواطف .والقرآن مليء بالحجج العقلية التي لا يفهمها إلا أولو الألباب.
· الإظهار في موضع الإضمار) آياته(: لم يقل) ليدبروه (بل قال:) ليدبروا آياته .(وهذا فيه تنبيه على أن التدبر ينبغي أن يكون في كل آية من آياته، لا في بعضها دون بعض.
**الرسائل التربوية والنفسية والفكرية من الآية

المفهوم التربوي: الارتقاء بالعلاقة مع القرآن من التلاوة إلى التدبر

الآية تربي فينا فقه الأولويات. تلاوة القرآن أجرها عظيم، لكن الغاية الكبرى هي التدبر. علينا أن نربي أنفسنا وأبناءنا على ألا نكتفي بختمات سريعة لا نفهم منها شيئًا، بل ننتقل إلى قراءة متأنية، نتدبر فيها كل آية، ونسأل: ماذا يريد الله مني في هذه الآية؟ هذا هو الطريق ليكون القرآن حجة لنا لا علينا.

المفهوم النفسي: التدبر علاج للقلق والاكتئاب (بركة القرآن)

نفسيًا، كثير من أمراض القلق والاكتئاب سببها الفراغ الروحي و غياب المعنى. والقرآن المبارك، إذا تُدبّر، يملأ هذا الفراغ، ويمنح الحياة معنى وهدفًا. إنه يذكر الإنسان بأن له ربًا يرعاه، وأن له مستقبلا ً في الآخرة، وأن البلاء له حكمة. هذا التدبر يبعث في النفس الطمأنينة و السكينة، قال تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ). والقرآن أعظم الذكر.

المفهوم الفكري: تحرير العقل من الجمود والتقليد (أولو الألباب)

الآية توجه الخطاب إلى (أولي الألباب) أي أصحاب العقول. وهذا يعني أن الإسلام يدعو إلى تحرير العقل، وإعمال الفكر، وعدم الجمود على التقليد الأعمى. تدبر القرآن هو عملية عقلية وروحية معًا، تنمي ملكة التفكير الناقد، وتربي العقل على البحث عن الحقائق والبراهين. وهذا هو أساس بناء العقلية العلمية في الحضارة الإسلامية.
**الإسقاطات العملية والأمثلة التقريبية التفصيلية

لننزل بهذه المعاني إلى واقع حياتنا اليومية.

المثال الأول: في جلسة القرآن اليومية (تحويل الورد إلى رحلة تدبر)

· الموقف: مسلم يقرأ ورده اليومي من القرآن بسرعة، همّه أن ينهي الجزء أو الصفحات المحددة .يقرأ)يا أيها الذين آمنوا (...ولا يتأثر، ويمر على آيات الوعيد ولا يرتجف.
· الآية تصحح له:) كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته .(ليس المهم أن تنهي الصفحات، بل المهم أن تتدبر ما تقرأ .توقف عند آية واحدة، اقرأ تفسيرها، وتأمل معناها، واسأل نفسك: ما علاقتي بهذه الآية ؟ كيف أطبقها اليوم؟
· الدرس العملي: حول وردك القرآني من) قراءة أجر (إلى) قراءة تدبر .(اختر آية واحدة كل يوم لتكون محور تدبرك .ستجد أن القرآن أصبح حيًا في قلبك.

المثال الثاني: في مواجهة المشكلات الحياتية (القرآن كمرجعية للحلول)

· الموقف: شخص يواجه مشكلة) مالية، أسرية، نفسية .(يبحث عن الحل في كل مكان) استشارات، كتب تنمية بشرية، فيديوهات(، وينسى أن يرجع إلى القرآن.
· الآية تذكره: القرآن) مبارك(، فيه بركة الهداية والشفاء) .ليدبروا آياته (أي ليجدوا فيها الحلول لمشكلا تهم .تدبر آيات الصبر والفرج والرزق والتوكل، ستجد فيها النور الذي يضيء لك طريقك.
· الدرس العملي: قبل أن تبحث عن حل لمشكلتك خارج القرآن، ابحث عنه في القرآن أولا ً .اقرأ الآ يات المتعلقة بمشكلتك بتدبر، واسأل نفسك: كيف طبق الأنبياء والصالحون هذه الآيات في مواقف مشابهة؟

المثال الثالث: في تربية الأبناء (غرس حب التدبر منذ الصغر)

· الموقف: أب أو أم يريدان تربية أبنائهما على حب القرآن .يكتفيان بتحفيظهم السور وتسميعها.
· الآية ترشدهما: علموهم التدبر ولو في آية واحدة .اسألوهم: "ماذا فهمت من هذه الآية؟ ماذا تحب أن تفعل بعد أن سمعتها؟" .اربطوا لهم الآيات بحياتهم اليومية) آية الصدق، آية بر الوالدين، آية الأ مانة.(
· الدرس العملي: اجعل جلسة أسرية أسبوعية لتدبر آية واحدة من القرآن .دع كل فرد من الأسرة يعبر عن فهمه للآية وكيف يمكن تطبيقها في البيت والمدرسة.
***ما الذي نتعلمه من الآية وما الذي تدعونا إليه في حياتنا العملية؟

هذه الفقرة هي خلاصة التدبر، وهي التطبيق العملي الذي يغير من واقع حياتنا.

.1جدد نيتك عند قراءة القرآن

قبل أن تفتح المصحف، قل: "اللهم إني أقرأ كتابك لِأتدبر آياته، وأتذكر بها، وأعمل بما فيها". استحضر أنك لست مجرد قارئ، بل متدبر و مستمع لكلام ربك.

.2خصص وقتًا للتدبر غير وقت التلاوة

اجعل لك وقتًا خاصًا للتدبر، تركز فيه على آيات قليلة (من 5 إلى 10 آيات)، تقرأ تفسيرها، وتتأمل معانيها، وتكتب خلاصة ما وصلت إليه. هذا الوقت هو استثمار حقيقي في عمرك.

.3اسأل نفسك أسئلة التدبر عند كل آية

تدرب على طرح هذه الأسئلة عند قراءة أي آية:

· ماذا تعلمني هذه الآية عن الله) أسماؤه وصفاته(؟
· ماذا تعلمني هذه الآية عن نفسي وعلاقتي بربي؟
· ما العمل الذي تدفعني إليه هذه الآية؟
· ما الخلق الذي تدعوني إليه هذه الآية؟
هذه الأسئلة تحول القراءة إلى رحلة تفاعلية.

.4استخدم أدوات التدبر) التفسير، المعجم، أسباب النزول(

لا تستح أن ترجع إلى كتب التفسير الميسرة (مثل تفسير السعدي، أو المختصر في التفسير). ابحث عن معاني الكلمات الغريبة. تعرف على أسباب نزول الآيات. هذه الأدوات تفتح لك أبواب التدبر.

.5كن من أولي الألباب الذين يتذكرون

بعد أن تتدبر الآية وتفهم معناها، انتقل إلى مرحلة التذكر: استحضر هذا المعنى في قلبك طوال يومك. إذا قرأت آية عن الصبر، تذكرها عند أول موقف يحتاج إلى صبر. إذا قرأت آية عن الشكر، تذكرها عند تلقي نعمة. هذا هو التذكر العملي.

**أبعاد الآية وآفاقها ودورها في البناء والتنمية وبناء الإنسان والحضارة

هذه الفقرة تنقل الآية من نطاق التفسير إلى نطاق التأسيس الحضاري.

.1البعد المعرفي والتعليمي: تأسيس منهجية) التدبر (كأساس للتعليم

الآية تؤسس لـ منهجية التدبر في التعامل مع النصوص الشرعية، وهذه المنهجية قابلة للتطبيق في كل مجالات المعرفة. فالتدبر يعني النظر العميق و البحث عن العلل والحكم و الربط بين الأجزاء و الكل. هذا هو عين المنهج العلمي الذي يدعو إلى التفكر والبحث. الحضارة التي تربي أبناءها على التدبر (وليس الحفظ والتلقين فقط) هي حضارة تنتج مبدعين ومفكرين.

.2البعد الحضاري والاجتماعي: بناء مجتمع قرآني) مبارك(

الآية تؤكد أن القرآن (مبارك). والمجتمع الذي يجعل القرآن محور حياته، ويتدبر آياته، ويعمل بأحكامه، هو مجتمع تنزل عليه البركات من السماء والأرض. إنه مجتمع تسوده الأخلاق، وينتشر فيه العدل،

وتعمه السعادة. وهذا هو سر قوة الأمة الإسلامية في عصورها الذهبية: لقد كانوا (أولو ألباب) يتدبرون القرآن، فسادوا العالم.

.3البعد التربوي في بناء الإنسان: بناء الإنسان القارئ الواعي) قارئ التدبر(

الآية تبني الإنسان القارئ الواعي، الذي لا يقرأ لمجرد القراءة، بل يقرأ ليفهم، ويفهم ليعمل، ويعمل ليرتقي. هذا الإنسان هو الذي يغير العالم. إنه ليس مجرد مستقبل سلبي للمعلومات، بل هو متفاعل إيجابي مع النص. هذا النوع من البشر هو الذي يصنع الفرق في التاريخ.

.4البعد الإعلامي والدعوي: التركيز على التدبر لا على الكم

في عصرنا، كثير من البرامج القرآنية تركز على الكم (عدد الختمات، سرعة التلاوة) أكثر من الكيف (التدبر والفهم). هذه الآية تعيد توجيه البوصلة: الأهم هو التدبر. فلو أن إعلامنا الإسلامي ركز على تعليم الناس كيفية تدبر القرآن، لحصل تغيير عظيم في واقع الأمة.
**كيف أعيش هذه الآية في واقعي؟) خطة عمل تطبيقية(

.1تحدي) آية واحدة يوميًا(: لا تخرج من يومك قبل أن تتدبر آية واحدة على الأقل .اختر آية، اقرأ تفسيرها، تأملها، واكتب في دفتر خاص خلاصة ما فهمته وكيف ستطبقه.
.2تغيير ورد التلاوة: بدلًا من قراءة جزء كامل بسرعة، اقرأ نصف جزء بتدبر وتأنٍ .ستجد أن الفائدة أعظم، والأثر أعمق.
.3الاستماع إلى تفسير موجز يوميًا: استمع إلى حلقة تفسير قصيرة10) - 15دقيقة (أثناء ذهابك إلى العمل .هذا يفتح لك أبوابًا من التدبر لم تكن تعرفها.
.4تعليم التدبر لمن حولك: في جلسة عائلية أو مع أصدقائك، شاركهم آية تدبرتها اليوم، واسألهم عن فهمهم لها .هذا يرسخ المعنى ويشجع الآخرين على التدبر.
.5الدعاء بفهم القرآن: أكثِر من دعاء: "اللّهم فقهنا في الدين، وعلمنا تأويل كتابك، وارزقنا تدبر آياته، واجعلنا من أولي الألباب المتذكرين".

القسم الثاني
اولا
تأمل معي، وتوقف لحظة، ودع عقلك وقلبك يستقران في رحاب هذه الآية الكريمة من سورة ص . اسمعها أولا ً، اشعر بوقع حروفها: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ ص: .[30 كم كلمة هي ؟ سبع كلمات فقط! ولكنها سبعٌ تفتح لك أبواب السماء والأرض، تزرع في وجدانك دستوراً كاملا ً للحياة .أنا لا أفسر لك كلمات جامدة، بل سأدعوك لتسكن الآية، لترى بعين قلبك كيف تتحول حروفها إلى طاقة تعيد بناء روحك وواقعك .تخيل أنك جالس على ضفاف هذا النص القرآني، نغوص معاً في أعماقه .لن أترك شاردة ولا واردة مما سألت عنه، وسأخاطب العقل ليسكت، والقلب ليثور، والروح لتفيق.

مقدمة: بين يدي الآية ...ما الذي نبحث عنه حقاً؟

لماذا هذه الآية؟ ولماذا في هذا الموضع بالذات بعد قصة داود عليه السلام وابتلائه وسجوده وإنابته؟ الآية ليست مجرد خبرٍ عن ملكٍ نبيٍ وُلد، بل هي تتويج لدرس إلهي عظيم .هدفها الأول أن تطمئنك: كل صبرك على البلاء، كل إنابة صادقة من قلبك، لها ثمن غالٍ عند الله، وثمنها ليس مجرد حل مشكلة، بل هبة تغيّر مسار تاريخك وذريتك .مقصدها أن تنتشلك من وحل اليأس والفردانية، وتضع قدمك على طريق الاستمرارية الحضارية .فهل أنت مستعد لترى كيف؟ تفضل معي...

الأمر الأول:
دلالات الآية ..محددات كبرى للعلاقة بينك وبين خالقك

الآية تضع دستوراً للعلاقة بين العبد وربه، وبين الإنسان وما يملك .دعنا نفك شفرتها رويداً رويداً.

المحور الأول:
﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ﴾ - مكافأة من جنس العمل

اسمع كلمة "وَهَبْنَا" . أتدري لماذا لم يقل "أعطينا" أو "رزقنا"؟ "الوهب" هبة، عطاء بلا مقابل، فضل محض لا تستحقه بالضرورة، بل تتفضل به الرحمة الإلهية .إنها كلمة تنساب إلى قلبك لتعلمك أن أجمل ما يأتيك في الحياة هو ما لم تتوقعه ولم تخطط له، بل هو عطاء من الله لأنك أحسنت في أمر ما.

ولماذا جاءت بعد قصة داود وصبره وإنابته؟
تخيل المشهد: داود عليه السلام في محرابه، يجتهد في العبادة، يصبر على البلاء، ينيب إلى الله ...ثم تأتي الآية التالية مباشرة: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ﴾ .الواو هنا ليست حرف عطف عادي، إنها واو السببية المبطنة .كأن الله يهمس لك: "لأنه صبر، ولأنه أناب ...وهبنا له سليمان" .إنها قاعدة إلهية راسخة: الجزاء من جنس العمل .صبر داود على نفسه وعبادته فكان الجزاء سليمان الذي هو امتداد للعبادة والنبوة.

اللمسة البيانية هنا ساحرة:
تقديم الجار والمجرور "لِدَاوُود" على المفعول به "سُلَيْمَان" يخلق إيقاعاً عاطفياً .إنه يقول لك: العطاء كان خاصاً لداود، موجهاً لقلبه، تشريفاً له قبل أن يكون تشريفاً لسليمان نفسه .فخر الأب بابنه قبل أن يُذكر الابن! ألا تشعر أن الله يريد أن يمسح على قلب داود في هذه اللحظة؟

ما الرسالة التي تطرق باب عقلك وقلبك الآن؟
هل تدرك الآن؟ عندما تخلص في عملك، وتصبر على ابتلائك، ولا تيأس ...لا تظن أن الله يغفل عنك.

· الرسالة النفسية: اطمئن .تعبك الليلة ليس هباءً .صبرك على ابنك العاق، على مشروعك المتعثر، على مرضك المزمن، على ظلم تعرضت له ...كل هذا قد يتحول إلى "سليمان" في حياتك .قد يكون ذرية صالحة تفتخر بها، أو نجاحاً مهنياً يبهرك، أو قبولا ً في الأرض ومحبة في قلوب الناس، أو حتى فكرة تخطر ببالك تغير حياتك وحياة غيرك.
· أثر هذه الدلالة في بناء الإنسان والمجتمع: هنا يكمن سر التوازن .حين تدرك أن النعمة "وَهَبْنَا" ، أي فضل من الله، فإنك ستسجد شكراً لا طغياناً .ستقول في داخلك: "هذا ليس بذكائي أو قوتي، بل بفضل ربي" .هذا الفكر يقتلع جذور الغرور والاستعلاء من قلبك ومن نسيج المجتمع، ويحولك إلى إنسان متواضع يعرف أن الفضل كله لله.
المحور الثاني:

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ﴾ - الذرية الصالحة هبة واستمرارية

تعال نغوص أعمق في كلمة "وَهَبْنَا" . لماذا استخدمها هنا بالذات مع سليمان؟
لأن الأمر أعظم من مجرد ولادة طفل .إنه بيان أن الذرية الصالحة هبة إلهية محضة، وليست مجرد نتيجة طبيعية لزواج أو صحة إنجاب .كم من عاقر رُزقت؟ وكم من ولود حُرمت من صلاح ذريتها؟ إنه تذكير موجع ولطيف معاً: لا تغتر بوجود الأبناء، بل سل الله صلاحهم .إنهم "موهوبون" لك، وأنت مسؤول عنهم.

دلالة الوحدة العضوية بين الأجيال:
انظر إلى جمالية الربط: داود < سليمان .الآية لا تقول: "وولدنا لداود سليمان"، بل "وَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ" .هذه الصياغة تخلق رابطاً روحياً وحضارياً .إنها تقول: النجاح الحقيقي لا ينقطع بموت الفرد . داود سيموت، ولكن هبة الله له) سليمان (ستحمل الراية من بعده.

لمسة بلاغية تدمع لها العين:
الترتيب القرآني هنا عجيب .لاحظ كيف أن سليمان لم يُذكر كملك مستقل في هذا السياق، بل كتابع، لـ "هبة لداود" .هذا يرسخ في النفس أن الأبناء الصالحين هم أجر الوالدين، هم استمرار للذكر الحسن وامتداد للأثر .إنها تهمس في أذن كل أب وأم: "ماتركته من أثر صالح هو ابنك البار، وتلميذك النجيب".

ما الرسالة التي يجب أن تهز كيانك هنا؟

. الرسالة النفسية والتربوية: اسأل نفسك الآن: "ماذا أفعل ليكون لي سليمان؟" .الأبوة ليست توفير الطعام والشراب فقط، إنها استثمار حضاري .أنت مطالب بأن تخطط لاستمراريتك، أن تصنع قادة، أن تورث القيم قبل المال.
. أثر هذه الدلالة في المجتمع: مجتمعنا ينهار حين يرحل المؤسسون ولا يجدون من يحمل الراية .الآ ية تضع أساس التخطيط للاستمرارية الحضارية .المؤسسات الناجحة، الأسر القوية، الأمم العظيمة، هي التي تهيئ "سليمان" لكل "داود" .هذه الدعوة لك: أين مشروعك في توريث العلم، المهارة، الأخلاق؟ هل تفكر في الجيل القادم أم أنت غارق في حاضرك؟
المحور الثالث:
﴿نِعْمَ العَبْدُ﴾ - تحجيم الغرور بأسمى وسام

قف هنا! أمسك بقلبك ."نِعْمَ العَبْدُ" . لم يقل "نعم الملك" مع أنه كان ملكاً لم يعرف البشر ملكاً مثله، سخّرت له الريح والجن .لم يقل "نعم العالم" مع أنه فهم منطق الطير .قال: "نِعْمَ العَبْدُ".

لماذا استخدام كلمة "العبد" هنا؟
هذه دلالة تشريفية هائلة، بل هو أعلى وسام يُمنح لإنسان .كأن الله يقول: "لا يغرنك ملك سليمان، فقيمته عندي ليست في عرشه، بل في عبوديته لي" .إنه تحجيم للغرور البشري بأرقى صورة.

اللمسة البيانية:
تعريف كلمة "العبد" بـ "أل" العهدية .إنه "العبد" الذي نعرفه ونعترف بخصوصية عبوديته .ثم استخدام أسلوب المدح "نِعْمَ" . هذه الصيغة) نِعْمَ (في اللغة العربية تستعمل للمبالغة في المدح .فكأن كل عبودية سليمان كانت مدعاة للفخر في الملأ الأعلى.

ما الرسالة العميقة لك الآن؟

. الرسالة النفسية والفكرية: أنت يا من وهبك الله مالا ً، أو جاهاً، أو علماً، أو قوة ...أين أنت من هذا الميزان؟ هل تلهث وراء لقب "الرئيس" أو "الغني" أو "النجم"؟ أم تلهث لتنال هذا الوسام الإلهي الصامت: "نِعْمَ العَبْدُ" ؟ اعلم أن أصل قوتك ليس في ما تملك، بل في مدى تعلقك بمن ملكك .في العبودية لله وحده تحرر من عبودية المادة، وتحرر من الأنا المتضخمة.
. أثر هذه الدلالة في بناء الإنسان: إنسان هذه الآية لا تملؤه نشوة السلطة، بل سكينة العبودية .حين يصل إلى القمة، ينظر إلى السماء لا إلى من تحت قدميه .هذا المفهوم يبني قائداً متواضعاً، غنياً شاكراً، عالماً منكسراً للحق .هل ترى كم نحن بحاجة لهذا النموذج؟
المحور الرابع:
﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ - ديناميكية الشخصية الحية

وأخيراً، ختمت الآية بوصفٍ هو سر الاستحقاق: ﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.
ما معنى "أوّاب" ؟ هي من صيغة "فَعّال" ، وهي صيغة تدل على المبالغة والتكرار والاحتراف في الفعل .الأواب: كثير الرجوع إلى الله، دائم التوبة والإنابة، محترف في تصحيح المسار.
والفرق بينه وبين "تواب"؟ التواب قد تكون توبة واحدة، أما الأواب فهي حالة دائمة، منهج حياة، رجوع متكرر بعد كل هفوة، وليس فقط بعد المعصية، بل حتى بعد الغفلة عن ذكر الله.

لماذا هذا الوصف بالتحديد بعد "نِعْمَ العَبْد" و"وَهَبْنَا"؟
هنا يكمن عمق العلاقة: النعمة والشكر في حالة ديناميكية مستمرة.

· الدلالة: الأواب ليس شخصاً لا يخطئ .كلا! إنه بشر .لكنه شخص حي يقظ، يراجع نفسه باستمرار . أخطأ في الاجتهاد؟ رجع إلى الحق .شعر بالغفلة؟ عاد إلى الذكر .إنه نموذج للشخصية المرنة التي لا تجمد على الخطأ عناداً، وتملك شجاعة المراجعة الداخلية.

بماذا كان سليمان أواباً حتى استحق هذا الثناء العاطر؟
الروايات تشير إلى قصص عجيبة في حياة سليمان: فتنته بالخيل حتى فاتته صلاة العصر فـ "رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ"، لم يكتف بالندم، بل عالج سبب الفتنة مباشرة .قصته مع الجسد الذي ألقي على كرسيه ثم "أَنَابَ" .إنها عودة سريعة إلى الأصل، إلى النبوة والعبادة قبل أي شيء آخر .
هذا هو سر وراثة داود لسليمان: لقد ورث منه منهج الأوبة قبل أن يرث الملك.

كيف يؤثر هذا في ترتيب أولوياتنا وتربية أبنائنا؟

· الرسالة التربوية والنفسية: لا تظن أنك ستبني ابناً صالحاً بأن تمنعه من الخطأ تماماً، فهذا مستحيل . لكن علمه كيف يكون أواباً .علمه كيف يعود، كيف يعتذر، كيف يصلح ما أفسد .كن أنت أواباً ليراك.
· أثر هذه الدلالة في بناء المجتمع: مجتمع "الأوابين" هو مجتمع يمتلك آلية تصحيح ذاتي .أخطأت الحكومة؟ تعود إلى الحق وتغير السياسة .أخطأ فرد؟ يعتذر ويصلح .هذه المرونة وشجاعة الاعتراف بـ الخطأ هي التي تمنع انهيار النسيج الاجتماعي، وتحول الصراعات إلى فرص للنمو والبناء .إنها دعوة لكي تصبح المراجعة الدورية طقساً يومياً في حياتك: في عملك، في بيتك، مع نفسك.
الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآية؟

والآن وقد رأيت اللوحة بكل ألوانها، ماذا يريد المولى عز وجل منك أنت تحديداً؟ إنها وصايا مباشرة من السماء إلى قلبك:

.1يريدك أن تحسن تربية أبنائك: لا تنظر إليهم كعبء أو كواجب روتيني، بل انظر إليهم كـ "هبة سليمان" لك .هل هم "سليمان" في حياتك أم "بلاء"؟ الفرق هو سعيك أنت .افعل ما يجعلك تستحق هذه الهبة.
.2يريدك أن تدرك أن أعظم مراتبك أن تكون عبداً لله: لا تلهث خلف سراب "الملك" .اجمع الملك و السلطان) إذا أتاك (مع العبودية .وازن بينهما .الملك زائل، ووسام العبودية باق.
.3يريدك أن تكون "أواباً": أن تتصف بصفة المراجعة الدائمة .أن تنمي في نفسك وعقلك القدرة على الاعتراف بالحق والرجوع إليه .أن تكون شاكراً لا مغروراً عند النعم، وصابراً منيباً عند الشدائد.
الأمر الثالث والرابع:
مفاهيم الآية وأبعادها في حياتنا العملية – مدرسة متكاملة

دعنا الآن ننزل من سماء التفسير إلى أرض الواقع، ونصوغ من الآية "دستور حياة".

المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية:

· الهبة والمسؤولية: كل ما بيديك "هبة" . زوجتك، عملك، صحتك، مواهبك ...أنت أمين عليها، ولست م الكاً .هذا الفكر يدفعك للرعاية لا للتملك الجشع.
· التوازن النفسي) الأواب(: أن تكون أواباً يعني أن تمتلك أرقى أنواع الذكاء العاطفي .إنه يعني أنك شخص مرن نفسياً، لا تنهار عند الخطأ، بل تعتبره إشارة للتصحيح والانطلاق من جديد .إنه علاج نفسي رباني ضد جلد الذات واليأس.
· المدح على القيمة لا الذات: في حياتنا العملية، ننجذب للمظاهر .الآية تعيد ضبط بوصلتك: لا تقيّم الناس) أو نفسك (بما يملكون من ماديات أو ألقاب، بل بمدى قربهم من صفات "العبد الأواب".

كيف نعيش هذه الآية في حياتنا العملية؟

.1المراجعة الدورية) الأوبة العملية(: في نهاية كل أسبوع، أو بعد كل مشروع، قف مع نفسك .هل أخطأت في قرار؟ كن شجاعاً كسليمان وتراجع .اعترف بالخطأ أمام فريق عملك أو أسرتك .هذه هي عظمة "الأواب".
.2استثمار المواهب للأجيال: لا تكن ناجحاً فردياً .ابنِ "سليمان" من بعدك .درب من هو أصغر منك، علمه، امنحه خبرتك .نجاحك الحقيقي هو ما يبقى بعد رحيلك.
.3التواضع عند القوة: كلما زاد نفوذك، وكلما كبرت شركتك أو عملك، تذكر: "نِعْمَ العَبْد" . زد تواضعاً، وانكسر للحق، وازهد في مديح الناس وابحث عن ثناء الله.

دور الآية في البناء والتنمية:

· التنمية المستدامة: "الهبة" تعني أن الموارد ليست حقاً مطلقاً لك، بل أمانة للأجيال القادمة .لا تستهلك الموارد الطبيعية أو البشرية، بل استثمرها ونمّها.
· الجودة والإتقان: "نعم العبد" تعني أن العبودية لله تتجلى في إتقان العمل .في عالم الأعمال، عندما يصبح عملك "عبادة"، سترتفع جودته إلى أقصى درجة، لأن رقيبك هو ضميرك الحي الذي يعبد الله لا الخوف من مدير.
· المرونة الإدارية: الأوبة في التنمية تعني القدرة على تعديل الخطط والمشاريع إذا ثبت فشلها، بدلا ً من الإصرار على الخطأ استكباراً .إنها عقلية "النمو" التي تقوم عليها أحدث نظريات الإدارة اليوم.
الأمر الخامس:
أسئلة تقرع باب قلبك - حوار مع الذات

والآن، دعنا نختلي بأنفسنا .لم يعد الكلام عاماً، بل هو لك أنت وحدك .أرجوك ...أجب بصدق .هذه الأ سئلة هي من صلب الآية، وُضعت لك لتكون خارطة طريقك:

· كيف أكون أواباً في عصر المشتتات؟
· اسأل نفسك: هل أستطيع أن أجعل من ذكر الله عادةً بين دقات العمل؟ بعد كل مكالمة هاتفية؟ بعد كل مرة أتصفح فيها هاتفي؟ الأوبة ليست فقط من الذنب الكبير، بل هي العودة السريعة من الغفلة إلى الذكر .جرب أن تقول "أستغفر الله" في أوقات الانتقال بين مهمة وأخرى، وسترى كيف تتحول حياتك إلى صلة دائمة.
· هل توبتي عودة أم استمرار؟
· الأواب يذنب ثم يتوب، ثم قد يذنب مرة أخرى، فيتوب مرة أخرى ...وهكذا .لا يستسلم للمعصية . جهادك الحقيقي هو ألا تترك الزلة تمر لتصبح زلات .اسأل نفسك: هل أجاهد نفسي على قطع حبل الذنب قبل أن يتغلغل في حياتي؟
· كيف أربي أولادي ليكونوا "نعم العبد"؟
· داود وهبه الله سليمان، فكان سليمان عبداً أواباً .علق أبناءك بالرجوع إلى الله .لا تعلمهم الكمال، بل علمهم فن العودة .قل لهم: "إذا أخطأت، فباب الله مفتوح، فأسرع إليه" .هذه التربية تصنع نفوساً قوية لا يخيفها الخطأ، بل يدفعها للتوبة.
· هل أنظر للأبناء على أنهم هبة شكرها أم عبء ومسؤولية فقط؟
· تأمل هذه الجملة جيداً: واجب شكر نعمة الذرية ليس فقط بتوفير المأكل والمشرب، بل بالتربية الصالحة التي تجعلهم مقيمي الصلاة .هل دعوت الله اليوم أن يجعل من ذريتك "سليمان"؟ هل تسعى ليكونوا امتداداً لصلاحك؟ اعلم أن استثمارك في صلاحهم هو أعظم شكر لله على هذه الهبة.
· ماذا يريد الله أن يسمع عني اليوم؟
· قبل أن تنام، قف بين يدي الله واسأل نفسك: "يا رب، هل كنت اليوم عبداً أواباً؟ هل عملي في السوق، في المكتب، مع أهلي ...هل يليق بمن مدحته فقلت فيه نِعْمَ العَبْدُ ؟" هل تبحث عن ثناء الناس في مواقع التواصل، أم عن هذا الثناء الإلهي الخفي الذي يملأ الكون نوراً؟

ختام الرحلة: أفق مفتوح...

يا صاحبي، ألا ترى معي أن هذه الآية لم تعد مجرد نص؟ إنها مرآة ترى فيها نفسك الحقيقية .إنها بوصلة تعرف بها وجهتك .إنها شحنة إيمانية تعيد ترتيب فوضاك الداخلية .اخرج من هذه الرحلة وأنت تحمل لقبك الجديد الذي تسعى له: "عبد أواب" .اجعلها هويتك .كلما نلت نعمة، قل: "هبة ربي" . وكلما زلت قدم، قل: "إنه أواب" . وكلما شعرت بالعظمة، تذكر: "نِعْمَ العَبْد".

افتح عينيك الآن ...وامضِ في طريقك، فأنت تحمل سر سليمان، وسر داود، وسر كل من أراد أن يكون لله عبداً.
أشعر بك وأنت تقلب صفحات المصحف، تبحث عن سرٍ آخر من أسرار سليمان عليه السلام.
ثانيا
لقد رأينا كيف كان "نعم العبد" وكيف كان "أواباً". والآن، يأخذنا السياق القرآني لنرى هذه الأوبة وهي تحدث أمام أعيننا في مشهد مهيب. الآيات (31-33) ليست مجرد قصة عن خيل، بل هي تشريح إلهي لموقفٍ صعبٍ على نفس بشرية، وكيف تحول هذا الموقف إلى نموذج للرجوع السريع إلى الله. تعال، لا تقرأها، بل عِشها معي لحظة بلحظة، ولنرى كيف نستخرج من بين سطورها دستوراً للتعامل مع زلاتنا وفتننا.

مقدمة: السياق يحكي قصة قلب

بعد أن أثنى الله على سليمان بأنه "أواب"، يأتي هذا المشهد ليكون الدليل الحي، الشاهد العملي. إنه يريد أن يقول لك: "تريد أن تعرف كيف يكون الأواب؟ انظر إلى سليمان هنا". الهدف من الآيات: أن تطمئنك أن الكمال ليس ألا تخطئ، بل أن تعرف كيف ترجع. المقصد الأعظم: أن تتعلم فن إدارة الفتنة الداخلية، فتنة حب الخير والجمال، وتحويلها من سبب في الانشغال عن الله إلى وسيلة للتقرب إليه. توقف معي، واستعد لترى نفسك في مرآة سليمان...

الأمر الأول:
دلالات الآيات.. عندما يتحول الخطأ إلى عبادة

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآيات الكريمة: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ * فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ * رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: 31-33].
المحور الأول:
﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ﴾ - فتنة الجمال والقوة

ماذا يعني هذا المشهد؟
تخيل معي: الوقت "العَشِيّ" ، أي قبيل الغروب، وقت السكينة والاصفرار، وقت العبادة والصلاة. وفجأة ، يُعرض على سليمان "الصَّافِنَاتُ الجِيَادُ" . ما هي؟ الخيل الأصيلة التي تقف على ثلاث قوائم وترفع الرابعة على طرف الحافر (الصافنات)، وهي في الوقت نفسه سريعة سبّاقة (الجياد). إنها صورة تجمع بين الجمال الآسر والقوة المدهشة. إنها فتنة من نوع خاص: فتنة ما تحبه النفس وتهواه.

لمسة بيانية ساحرة:
كلمة "عُرِضَ" مبنية للمجهول. من عرضها؟ لا ندري! ربما الملائكة، ربما الجن، ربما هي ملكه الذي سخره الله له. المهم أن الفرصة أتت دون تخطيط منه. إنها مثل لحظات الإغراء التي تأتي فجأة في حياتنا: مال حرام سهل، شهوة متاحة، ثناء يملأ الأذن، عمل يشغلك عن صلاتك. لاحظ أن الله لم يقل "عُرِض عليه شر"، بل عرض عليه خير (الخيل كانت جهاداً في سبيل الله). وهذا هو الأصعب: الفتنة بـ الشيء المباح الذي يلهيك عن الواجب.

ما الرسالة التي يجب أن تدق في عقلك؟

· الرسالة النفسية: لحظة ...هل حدث لك أن انشغلت بأمر مباح وجميل عن صلاتك أو عن وقت عبادتك أو عن واجب عائلي؟ هل ألهاك مشروع ناجح عن ذكر الله؟ هل أنستك متابعة مباراة رياضية أو مسلسل شيق عن وردك القرآني؟ هذا هو "عرض الصافنات الجياد" في عصرنا .اعترف بذلك، فسليمان نفسه ابتُلي بهذا.
المحور الثاني:
﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ - اعتراف الأواب

وهنا المفاجأة العظيمة! سليمان لم يقل: "لم يكن بيدي، أنا ملك". لم يبرر، لم يبحث عن أعذار. لقد واجه نفسه بوضوح مرعب وصادق: "إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي". إنه يعترف بأن حبه لهذا الخير (الخيل) قد ألهاه وشغله عن ذكر الله الذي كان يجب أن يقوم به في ذلك الوقت (وهو صلاة العصر على أرجح الأقوال). ونتيجة هذا الانشغال؟ "حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ" أي حتى غابت الشمس وسترها حجاب الليل.

دلالات عميقة في هذا الاعتراف:

· دلالة الصدق مع النفس: هذه هي أولى خطوات الأوبة .سليمان لم يقل: "أحببت الخير مع ذكر ربي" . كلا! بل قال بكل وضوح: "عَنْ ذِكْرِ رَبِّي" . أي أن حب الخير طغى وأخذني بعيداً .إنه يمارس أعلى درجات الذكاء العاطفي: المراقبة الذاتية الصادقة.
· اللمسة البيانية في "أَحْبَبْتُ حُبَّ" : لم يقل "أحببت الخيل"، بل قال "أحببت حب الخير" . إنه لم يصف حبه للشيء فقط، بل وصف حبه للحالة الشعورية التي وجد نفسه فيها .إنه تحليل نفسي عميق! كأنه يقول: "لقد استغرقني واستهواني هذا الحب نفسه".
· الدلالة الفكرية: اعلم أن الفتنة ليست في الأشياء القبيحة فحسب، بل في حُبّ الخير حين يتجاوز حده .حب المال خير، لكن حبه الذي يلهيك عن الواجب هو البلاء .حب الوطن خير، لكن التعصب الأعمى الذي ينسيك العدل هو البلاء.
المحور الثالث:
·{رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ}· - فعل الأواب الجذري

والآن يأتي المشهد المهيب الذي يجعل القلوب ترتجف إعجاباً وتأثراً. بعد أن فاتته الصلاة، ماذا فعل؟ هل جلس يبكي ويندب حظه؟ هل قال "غداً سأصلي وأعوض"؟ لا! لقد قام بفعل صادم في قوته ورمزيته: "رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ". أمر برد الخيل التي ألهته، ثم أخذ يمسح سوقها وأعناقها بالسيف، أي عقرها وذبحها لتكون قرباناً لله، وطعاماً للفقراء (كما ذهب إليه كثير من المفسرين).

لماذا هذا الفعل؟ وما دلالاته؟

· دلالة الجهاد مع النفس: سليمان لم يكتفِ بالندم القلبي .لقد قطع سبب الفتنة من جذوره .هذا هو "ا لأواب" الحقيقي: ليس من قال "أستغفر الله" ثم عاد للذنب نفسه، بل من يعالج مكمن الداء ويبتر العضو الفاسد .إنه يقول لك بلسان حاله: "لأني أحببتها وألهتني عن الله، سأذبح حبي لها تقرباً إلى الله! سأحولها من سبب في البعد إلى سبب في القرب".
· اللمسة البيانية في "طَفِقَ مَسْحًا" : "طفق" تفيد الشروع في الفعل بسرعة وإصرار .و"مسحاً" مصدر يفيد الاستمرارية والمبالغة .فكأنه بمجرد أن ردت الخيل، انقض عليها بكل قوته يمسح أعناقها وسوقها .هذه السرعة تعبر عن عزم الأواب الذي لا يحتمل التأخير.

مثال تقريبي يمس واقعك:

· أنت مدمن على تصفح الهاتف قبل النوم لساعات، فتفوتك صلاة الفجر .أن تكون أواباً يعني ليس فقط أن تندم، بل أن تحذف التطبيقات التي تسرق وقتك، أو تضع هاتفك خارج غرفة النوم.
· أنت شاب تبتلى بعلاقة محرمة عبر الإنترنت .الأوبة ليست مجرد "أستغفر الله" بلسانك وقلبك معلق، بل هي قطع وسائل التواصل التي تمكن من هذا الذنب.
· أنت صاحب مشروع تجاري به بعض الشبهات .أن تكون أواباً يعني ليس فقط أن تدعو الله بالبركة، بل أن تغير عقدك أو شريكك لتطهير مالك.

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

هذه الآيات ليست قصة للتسلية، بل هي رسالة موجهة من الله إلى قلبك أنت تحديداً:

.1يريد منا أن نعترف بالخطأ صراحة دون تبرير .لا تقل "الظروف أجبرتني" أو "أنا لم أقصد" .تعلم من سليمان وقل: "إني أحببت حب كذا عن ذكر ربي".
.2يريد منا أن نربط بين التوبة النصوح والفعل الحقيقي .الأوبة ليست شعوراً عابراً، بل هي إجراء عملي على أرض الواقع يقطع طريق العودة للذنب.
.3يريد منا أن نفهم أن علاج الفتنة يكون أحياناً بالتضحية بأمر نحبه .عندما يكون حب شيء مباح سبباً في معصية الله، فالتضحية به هي قمة العبودية .إنه يريد أن يختبر: أيهما أحب إليك: الصافنات الجياد أم ذكر الله؟
الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات وأبعادها في حياتنا العملية – دستور التعامل مع الزلات

دعنا ننزل الآن إلى أرض الواقع، ونصوغ من هذا الموقف السليماني منهج حياة عملي.

المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية (مع أمثلة تقريبية):

· مفهوم الفتنة بالخير:
· فكرياً: ليس كل ما يلمع ذهباً، وليس كل ما هو "خير" مادي هو خير مطلق .الخير المطلق هو ما يقربك من الله .مثال: وظيفة براتب خيالي لكنها تمنعك من صلاة الجمعة أو تأخذ كل وقتك مع أسرتك .هل هذه "صافنات جياد" أم سبب شقاء؟
· نفسياً: اعترف بضعفك .نحن بشر نحب الجمال والقوة .سليمان لم ينكر حبه للخيل .الاعتراف هو أول خطوة للعلاج .مثال: أنا أحب كرة القدم) خير رياضي(، لكنني أعترف أنها أحياناً تشغلني عن صلا تي .هذا الاعتراف يجعلني مستعداً للحل.
· مفهوم سرعة الأوبة:
· تربوياً: لا تترك الفاصل الزمني بين الخطأ والتوبة يطول ."طفق مسحاً" أي بدأ فوراً .كلما طال الوقت، قسا القلب وضعفت العزيمة .مثال: إذا شعرت أنك اغتبت أحداً، فبادر فوراً بالاستغفار والدعاء له، وإن استطعت فاذكر حسنة من حسناته أمام من اغتبته عندهم .لا تنتظر لليوم التالي.
· مفهوم التضحية الرمزية:
· نفسياً وعملياً: أحياناً تحتاج إلى فعل رمز قوي لتثبت لنفسك وللشيطان أنك صادق في توبتك . مثال عملي: شخص يريد التوقف عن مشاهدة المحتوى الهابط، فيقوم بإلغاء اشتراكه في القنوات أو الباقات التي تقدم هذا المحتوى، بل ربما يتلف أقراصاً صلبة تحوي هذه المواد .هذا هو "مسح السوق والأعناق" في عصرنا.
الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها (ولن نغفلها هذه المرة)

الآية لا تقف عند حدود الفرد، بل تفتح لك آفاقاً واسعة في الفكر والإدارة والحياة.

.1بعد التراكم الحضاري: إدارة المؤسسات والأزمات

· في العمل والإدارة: تخيل مديراً في شركة يكتشف أن فريقاً كاملا ً قد انشغل بمشروع "صافنات جياد") مشروع جانبي مربح وجميل (وأهملوا المشروع الرئيسي) ذكر الله - الهدف الأساسي للشركة .(المدير "الأواب" لا يكتفي بتوبيخهم، بل يقوم بـ:
1. مراجعة صادقة: لماذا حصل هذا؟ هل كان تخطيطنا خاطئاً؟
2. إجراء جذري: قد يقرر وقف المشروع الجانبي مؤقتاً، أو إعادة توزيع الموارد، لضمان عدم تكرار الإلهاء.
· الأفق: هذه الآية ترسم لنا نموذجاً للقائد الذي لا يتجاهل الأخطاء الاستراتيجية، بل يعالجها بسرعة وحزم قبل أن "تتوارى بالحجاب" فرص النجاح الحقيقية.

.2مفهوم الأوبة كمنهجية علمية وعملية

· في البحث العلمي: العالم الحقيقي هو "أواب" .يجري تجربة ويفشل .ماذا يفعل؟ لا يبرر الفشل، بل يعترف به) "أحببت حب الفكرة الفلانية عن ذكر الحقائق"(، ثم يقوم بتغيير المسار) "ردوها علي" (ويبدأ من جديد بمنهجية معدلة) "مسحاً" .(تقدم العلم قائم على الأوبة الفكرية.
· الأفق: في عصرنا، الشركات التي تملك ثقافة "المراجعة السريعه هي التي تنجو وتزدهر .هذه الثقافة هي تطبيق عملي لصفة "الأواب" في عالم الأعمال.

.3آفاق "نعم العبد" في التنمية البشرية: تحرير النفس من عبودية الممتلكات

· سليمان، الملك العظيم، لم يقل: "كيف أعقر هذه الخيول الثمينة؟ إنها ثروة المملكة!" .قال: "ألهتني عن ربي ...ردوها لأذبحها" .هذه قمة التحرر من عبودية الممتلكات .إنه يثبت أن قيمة الأشياء عنده بقدر ما تقربه إلى الله، لا بقيمتها المالية.
· الأفق في حياتك: هل تستطيع أنت أن تتخلص من شيء غالٍ وتحبه لأنه يضر بعلاقتك مع الله؟ هذه هي الحرية الحقيقية .أن تملك الأشياء ولا تملكك .وهذا يبني مجتمعاً ليس عبداً للمادة، بل يوجهها لخدمة القيم.

.4دور الآية في مواجهة الأزمات: البعد النفسي

· امتصاص الصدمات: سليمان فاته وقت الصلاة، وهو نبي! هذا خطأ كبير .لكن انظر كيف تعامل معه:

لم يدخل في دوامة جلد الذات المدمر، بل حوّل طاقة الندم إلى طاقة إصلاح .هذا يعلمنا أن الفشل ليس نهاية المطاف، بل هو إشارة للتوقف والمراجعة والانطلاق.
· الأفق: في حياتنا، كم مرة أخطأنا وقلنا "لقد انتهيت، أنا إنسان سيء"؟ الآية تعلمنا أن نقول لأنفسنا: "بل أنا إنسان أواب، سأصلح ما أفسدت، وسأبدأ من جديد بقوة أكبر".
الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة - خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه ليست دروساً نظرية، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فوراً:

في مجال... الدرس العملي المستفاد من الآية
التربية الأسرية علم ابنك فن الاعتراف بالخطأ وفن تصحيحه. لا تجبره على المثالية، بل أثنِ عليه عندما يعترف بخطئه ويحاول إصلاحه. قل له: "أنت مثل سليمان، أنت أواب". هذا يبني شخصية قوية مرنة.
الإدارة والقيادة شجع ثقافة "الأوبة" في فريقك. قل لموظفيك: "من يعترف بخطئه مبكراً ويسعى لإصلا حه هو 'نعم الموظف' في فريقي". هذا يخلق بيئة عمل آمنة نفسياً، وتقلل من الكوارث الناتجة عن إخفاء الأخطاء.
التطوير الذاتي قم بعمل "جردة أواب" أسبوعية. اسأل نفسك: ما هي "الصافنات الجياد" التي ألهتني هذا الأسبوع عن هدفي الأساسي؟ ثم اتخذ إجراءً واحداً عملياً لقطع هذا الإلهاء. (مثال: حذف تطبيق يشتتك من هاتفك).
الاستثمار والمال عند اكتشاف أي شبهة في معاملة مالية، لا تقل "سأصلحها لاحقاً". كن أواباً و بادر فوراً بتصحيح الوضع، حتى لو كان ذلك يعني خسارة مالية مؤقتة. البركة في المال الحلال الطيب أثمن من أي ربح حرام.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك - حوار أخير مع الذات

لقد وصلنا إلى نهاية الرحلة، لكن بدايتك الحقيقية تبدأ الآن. أرجوك... أجب عن هذه الأسئلة بصوت ع ال، أو اكتبها على ورقة. هي وصية سليمان لك:

· ما هي "الصافنات الجياد" في حياتك أنت؟ ما هو الشيء المباح الجميل الذي تشعر أنه يسرقك من ذكر الله؟) قد يكون عملك، هاتفك، أصدقاؤك، هواية معينة .(اعترف بها الآن.
· هل تستطيع أن تقول كسليمان: "إني أحببت حب هذا الشيء عن ذكر ربي"؟ هذه المواجهة تحتاج إلى شجاعة .جربها .ستشعر بثقل عجيب يزول عن كاهلك.
· ما هو "المسح بالسوق والأعناق" الذي يمكنك فعله لتثبت صدق توبتك؟ ليس بالضرورة أن تدمر شيئاً، ولكن ما هو الإجراء الحاسم الذي ستتخذه الليلة لقطع طريق العودة إلى هذا الإلهاء؟) تغيير إعدادات هاتفك، التحدث مع شخص معين، إعادة ترتيب وقتك.(
· هل تثق في وعد الله للأوابين؟ سليمان عقر خيله فماذا كانت النتيجة؟ لقد سخر الله له بعد ذلك الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب) آية .(36 إنها قاعدة: من ترك شيئاً لله، عوضه الله خيراً منه . فماذا تنتظر؟

اخرج من هذه الرحلة وأنت تحمل معك هذه الحقيقة: أنت لست معصوماً من الخطأ، ولكن يمكنك أن تكون أواباً محترفاً. وهذا هو عين الكمال البشري. اجعل "رُدُّوهَا عَلَيَّ" صرختك كلما شعرت أن فتنة تجذبك بعيداً. واجعل "طَفِقَ مَسْحًا" فعل عزيمتك الذي لا يتردد. حينها فقط، ستكون أهلا ً لأن يقال عنك في الملأ الأعلى: "نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ"
ثالثا
تحليل الآية 34 من سورة ص
(وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ)

مقدمة: السياق يكشف حكمة الابتلاء بعد مقام الأوبة
بعد أن شهدنا سليمان عليه السلام في مشهد الأوبة الخاطفة، حيث قطع سبب الفتنة بيده وطهّر قلبه بالتضحية، يأتي هذا المقطع القرآني ليفتح أمامنا صفحة جديدة من صفحات الابتلاء الإلهي لصفوته. كأن الله يريد أن يقول لنا: "لا تظنوا أن الأوبة تنتهي بفعل واحد، فالطريق إلى الله ممتد، والتمحيص مستمر، والعبد كلما ارتقى في مقام العبودية ازدادت رقابة الله عليه، وازداد اختباره". الآية (34) ليست مجرد حكاية عن حدث غريب في حياة نبي، بل هي مختبر إلهي لمعنى "الأنابة" حين يبلغ الـ

لاء ذروته، وحين يمسّ أصل النعمة التي كان العبد يظنها جزءًا لا يتجزأ من هويته. إنها دعوة للتأمل في أعماق النفس البشرية وهي ترى ملكها يتحول إلى سراب، وكرسي عزها يتحول إلى مسرح لغيرها، ثم كيف يكون الرجوع إلى الله حين لا يبقى إلا هو.
الأمر الأول:
دلالات الآية – حين يتحول الكرسي إلى مسرح للاختبار

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآية الكريمة:
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾
المحور الأول:
﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ﴾ – إعلان الابتلاء بعد مقام التمكين

ماذا يعني هذا المشهد؟
الواو للاستئناف، واللام للتوكيد، و"قد" للتحقيق. إنه خبر إلهي قاطع: لقد اختبرنا سليمان، ذلك النبي الملك الذي سخرت له الريح والجن والطير. هذا التوكيد يهدف إلى إزالة أي استغراب قد يتسرب إلى قلب المؤمن حين يرى عظماء الرسل يبتلون. الفتنة هنا ليست عقوبة انتقامية، بل هي عملية تربوية إلهية لرفع الدرجات، وإظهار العبودية الخالصة في أبهى صورها حين تتعرى النفس من كل ما كانت تملكه من أسباب مادية.

لمسة بيانية ساحرة:
لم يقل "ابتلينا" أو "امتحنا"، بل قال "فَتَنَّا". والفتنة في أصل اللغة هي إدخال الذهب في النار ليُصفى من خبثه. إنها إشارة إلى أن سليمان عليه السلام – مع جلالة قدره – كان في حاجة إلى هذا التصفية ليبلغ مقامًا أعلى في العبودية. وهذا يعلمنا أن الابتلاء ليس دليل سخط، بل هو دليل حب إلهي أراد به تطهير العبد مما علق به من آثار النعمة.

الرسالة التي يجب أن تدق في عقلك:
لحظة... هل شعرت يومًا أن نعمة سُحبت منك فجأة؟ صحة، مال، منصب، حب الناس؟ هل أصابك ذهول وتساؤل: "لماذا أنا؟ وأنا العبد الطائع؟". هذه الآية تناديك: "لا تنظر إلى البلاء كعقاب، بل انظر إليه كتنقية. فالله يريد أن يراك عاريًا من كل شيء إلا منه. حينئذٍ ستعرف من أنت حقًا".

المحور الثاني:
﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِ جَسَدًا﴾ – ذروة الابتلاء وفقدان رمز الملك

وما قصة الجسد؟
هنا تتعدد روايات المفسرين، ويجب أن نميز بين ما صح من الأخبار وما جاء من الإسرائيليات.

· القول الأول) من الإسرائيليات المنتقدة(: أن الشيطان تمثل في صورة سليمان وجلس على كرسيه يحكم أربعين يومًا، بعد أن استولى على خاتمه الذي كان مصدر ملكه.
· القول الثاني) الراجح والمروي عن ابن عباس وغيره من المحققين(: أن سليمان عليه السلام قال: "لأ طوفن الليلة على تسعين امرأة، كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله"، ولم يقل: "إن شاء الله" .فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد) نصف إنسان .(فألقي هذا الجسد المشوه على كرسيه ليرى عجز قدرته البشرية أمام المشيئة الإلهية.

وفي كلا القولين، الدرس واحد: الابتلاء في أصل الملك ورمز السيادة.
كلمة "جسدًا" نكرة، فلم يقل: "ألقينا شيطانًا" أو "ألقينا شق ولد"، بل اختار لفظًا يوحي بالفراغ و الهشاشة. الجسد هو الهيكل بلا روح، هو المادة بلا معنى. كأن الله يقول لسليمان: "انظر إلى كرسي عزك، هذا الذي ظننته مصدر قوتك، قد صار يحته أو عليه مجرد جسد فارغ لا يضر ولا ينفع".

دلالات عميقة في هذا البلاء:

· دلالة الهشاشة الإنسانية: مهما بلغ العبد من التمكين، فهو لا يملك من أمره شيئًا إلا بإذن الله . النسيان البشري) عدم قول إن شاء الله (كافٍ لسحب أعظم الممالك في لحظة.
· اللمسة البيانية في "على كرسيه": الكرسي هنا رمز الحكم والسلطان .أن يُلقى "عليه" جسد، يعني أن مركز القوة تحول إلى مصدر عبرة وفضيحة .إنه أشبه بأن تفقد اليوم حسابك البنكي فجأة، أو تكتشف أن منصبك قد شغله غيرك، أو أن سمعتك الطيبة قد خدشها اتهام باطل .كل هذه "أجساد" تلقى على كراسينا الحديثة.

الرسالة النفسية:
ماذا لو أصبحت اليوم مجرد "جسد" بلا تأثير، مجرد اسم بلا سلطة، مجرد وجود بلا قيمة مضافة؟ هذا هو الابتلاء الأعظم للقادة والناجحين. هل عبوديتك لله مرتبطة بكرسيك، أم أنها ثابتة حتى لو تحول الكرسي إلى خشبة مسرح لغيرك؟
المحور الثالث:
﴿ثمّ أناب﴾ – رجوع العبد حين لا يبقى إلا الله

وهنا تشرق شمس الأوبة من جديد. بعد كل هذا المشهد المهيب، بعد ذهاب الملك أو ظهور العجز البشري، ماذا فعل سليمان؟
"ثمّ أناب".

· "ثمّ" حرف عطف يفيد التراخي الزمني .لم يقل "فأناب" بالفاء التي تفيد التعقيب المباشر .وهذا يعطينا تصويرًا دقيقًا للحالة النفسية: لا بد أن سليمان مرّ بلحظات ذهول، سؤال، حيرة، ألم .إنها فترة "التراخي" التي يعيشها كل مبتلى قبل أن يقرر العودة إلى الله.
· "أناب" فعل ماضٍ من "الإنابة"، وهي أبلغ من "تاب" .فالإنابة هي رجوع مع إقبال وإسراع وصدق وإخلاص .إنها ليست مجرد ندم على ما فات، بل هي إعادة توجيه كاملة للقلب نحو الله بعد أن أدرك العبد عجزه المطلق.

دلالات عميقة في هذه الأوبة:

· دلالة التحرر من أسباب الدنيا: لم يعد سليمان ليبحث عن الخاتم المفقود، ولم يندب حظه في الولد الذي لم يكتمل .لقد أناب إلى الله مباشرة، متجاوزًا كل الأسباب .وهذا هو سر "الأواب" الحقيقي: أن يكون رجوعك إلى الله لا إلى ما فقد منك.
· اللمسة البيانية في إفراد الفعل: لم يقل "ثم أنابوا" أو "ثم أنبنا"، بل أسند الفعل إلى سليمان وحده . إنها أنابة فردية في لحظة انكشاف عظيمة، وهي تعلمنا أن طريق الرجوع إلى الله طريق شخصي، لا يغني فيه أحد عن أحد.

مثال تقريبي يمس واقعك:

· رجل أعمال أفلس فجأة بعد سنوات من النجاح .يمر بأسابيع من الصدمة) ثم(، ثم فجأة يرفع يديه للسماء ويقول: "اللهم لك الحمد، أخذت ما أعطيت، وأنا راجع إليك لا إلى مالي" .هذه هي "ثم أناب".
· امرأة كانت ترى جمالها مصدر قوتها، ثم أصابها مرض غيّر ملامحها .بعد فترة من الحزن، تقول: "اللهم إني راجعة إليك، فارضني بقضائك" .هذه هي الأوبة.
· شاب كان معجبًا بذكائه وتفوقه، ثم فشل في امتحان مصيري .بعد أيام من الإحباط، يقرر أن يتعلم التوكل ويقول: "ربي، أنا راجع إليك، فعلمني ما ينفعني" .هذا هو "ثم أناب".
الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآية؟

هذه الآية ليست لمجرد القصص التاريخي، بل هي رسالة موجهة من الله إلى قلبك أنت تحديدًا:

.1يريد منا أن نفهم أن الابتلاء ليس عقابًا، بل هو "فتنة" بمعنى تصفية وترقية .فلا تقل حين تصاب: "لماذا فعل الله بي هذا؟"، بل قل: "ماذا يريد الله أن يعلمني من هذا؟".
.2يريد منا أن ندرك أن أسباب النعم) الكرسي، الجسد (ليست ملكًا لنا، بل هي ودائع قد تُسحب في أي لحظة .فلا تتعلق بكرسيك، ولا تأمن لوجودك، وكن مستعدًا لأن ترى "جسدًا" بدلًا من ملكك.
.3يريد منا أن نتعلم أن الأوبة الحقيقية هي التي تتجه إلى الله لا إلى ما فقدناه .فكم من تائب تاب لأنه خسر مالًا أو منصبًا، لا لأنه أدرك عظمة الله! تعلم من سليمان أن يكون رجوعك إلى ربك لا إلى دنياك.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآية وأبعادها في حياتنا العملية – دستور التعامل مع فقدان النعم

دعنا ننزل الآن إلى أرض الواقع، ونصوغ من هذا الموقف السليماني منهج حياة عملي.

المفاهيم التربوية والنفسية والفكرية (مع أمثلة تقريبية):

المفهوم في حياتك العملية
مفهوم الفتنة بالتجريد أن تفقد نعمة كنت تراها جزءًا من هويتك. مثال: موظف كبير يُقال من منصبه فجأة. قد يشعر أن قيمته ذهبت. لكن الآية تقول: "هذه فتنة لترى هل قيمتك عند الله أم عند الكرسي؟". استغل الفترة لتبني هوية جديدة قائمة على العبودية لا على المنصب.
مفهوم "الجسد" الفارغ كثير منا يجلس على "كرسي" في بيته أو عمله، لكنه في الحقيقة "جسد" بلا روح. مثال: أب موجود في البيت لكنه غائب القلب والعقل عن أسرته. هذه الآية تذكره بأن وجوده الجسدي وحده لا يكفي، وأن غياب الروح هو فقدان للبركة.
مفهوم "ثم أناب" وتوقيت الرجوع لا تتعجل الأوبة قبل أن تفهم الدرس. "ثم" تفيد التريث. خذ وقتًا لتتألم وتتأمل وتستوعب حجم الاعتماد على الله. الأوبة المستعجلة قد تكون هروبًا من الألم لا رجوعًا حقيقيًا. مثال: شخص يخسر تجارته فيقول فورًا "أنا تائب لله" وهو يقصد "أنا خائف من الفقر". خذ وقتًا لتصفي النية، ثم قل من قلبك "أنبت إليك".

-الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها (ولن نغفلها هذه المرة)

الآية لا تقف عند حدود الفرد، بل تفتح لك آفاقًا واسعة في الفكر والإدارة والحياة.

.1بعد التراكم الحضاري: سقوط النماذج والأنظمة

· في السياسة والحكم: تاريخ الأمم مليء بـ"كراسي" ألقيت عليها "أجساد" فارغة من الحكمة والعدل . حكام ظنوا أن الكرسي قوة ذاتية، فإذا بالله يريهم أنهم بدون تأييده مجرد هياكل .سليمان نبي، فكيف بمن دونه؟ كل حضارة تبتعد عن منهج الله تجد كرسيها يتحول إلى سراب.
· الأفق: هذه الآية معيار لتقييم القادة والأنظمة .اسأل نفسك: "هل الكرسي في بلدي يحكمه روح العدل أم مجرد جسد؟" .الأواب من الحكام من يعترف بخطئه ويعود إلى الحق.

.2مفهوم الأوبة كمنهجية للتعافي من الصدمات الكبرى

· في علم النفس: "اضطراب ما بعد الصدمة" (PTSD) هو حالة من الجمود وعدم القدرة على تجاوز الحدث المؤلم .الآية تقدم لنا نموذجًا للتعافي: الصدمة) فتنا (- ‹الفقدان) ألقينا جسدًا (- ‹التريث)ثم (- ‹الإنابة) أناب .(هذا مسار صحي: اعترف بالصدمة، تقبل الفقدان، أعط نفسك وقتًا للحزن و التأمل، ثم وجه قلبك نحو المعنى الأسمى) الله .(هذا هو الشفاء الحقيقي.
· الأفق: مراكز الدعم النفسي يمكن أن تستفيد من هذا النموذج القرآني في مساعدة الناس على تجاوز فقدان الوظيفة، الطلاق، المرض، أو الفقد .الأوبة إلى الله هنا ليست مجرد عبادة، بل هي علاج وجودي يملأ الفراغ الذي يتركه الفقدان.

.3آفاق "نعم العبد" في زمن الماديات: تحرير الذات من عبودية "الكرسي"

· سليمان، مع أنه نبي، جُرد من ملكه ليعلمنا أن العبودية لله تعني التحرر من كل شيء حتى من النعم التي وهبها الله .هو لم ييأس حين ذهب ملكه، بل أناب .هذا يعلمنا أن قيمتنا ليست فيما نملك، بل فيمن نعبد.
· الأفق في حياتك: هل تستطيع أن تكون سعيدًا بدون "كرسيك"؟ هل هويتك مرتبطة بمهنتك أم بعبوديتك لله؟ إن فقدت وظيفتك، هل تفقد معنى حياتك؟ الأوبة تعني أن تبني هويتك على أساس لا يهتز: "إني عبد الله".

.4دور الآية في فهم العدل الإلهي: لماذا يبتلى الصالحون؟

· امتصاص التساؤلات الوجودية: كثيرًا ما يسأل الناس: "لماذا يبتلي الله المؤمنين الطيبين ويترك الظالمين؟" .الآية تجيب: الابتلاء للمؤمن هو "فتنة" بمعنى تزكية وتصفية، بينما إمهال الظالم هو استدراج .سليمان ابتُلي ليُرفع مقامه، وليكون قدوة للأمة في الصبر والرجوع.
· الأفق: هذا الفهم يمنح المؤمن صبرًا عجيبًا في البلاء .إنه يعلم أن الله يعامله معاملة خاصة، معاملة تطهير لا معاملة إهانة .وهذا يغير نظرته للألم من كونه لعنة إلى كونه أداة تطهير.
الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه ليست دروسًا نظرية، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا:

في مجال... الدرس العملي المستفاد من الآية
التربية الذاتية قم بعمل "تمرين التجريد" أسبوعيًا. اسأل نفسك: "لو ذهب عني كذا وكذا (مال، صحة، مكانة)، هل سأبقى عبدًا لله شاكرًا؟". هذا التمرين يحررك من التعلق بالأسباب.
القيادة والإدارة عندما يحدث فشل في فريقك، لا تبحث عن "الجسد" الذي ستلقيه على كرسي المسؤولية ككبش فداء. بل اسأل: "ما الذي يريد الله أن يعلمنا إياه من هذا الفشل؟". ثم شجع ثقافة ا لإنابة الجماعية بالعودة إلى القيم الأساسية.
مواجهة الأزمات الشخصية عند فقدان نعمة، لا تقفز فورًا إلى مرحلة "التعويض" أو "النسيان". امنح نفسك وقت "ثم" لتتألم وتفهم. ثم اجعل قرارك الواعي أن تكون "أناب" أي رجعت إلى الله، لا أن تكون "يئس" أو "تمرد".
الاستثمار المالي لا تضع كل ثقتك في "كرسي" أموالك واستثماراتك. تذكر أن الله قد يلقي عليها "جسدًا" من خسارة أو كساد ليعلمك أن الرزاق هو هو. علق قلبك بالله لا بالمحفظة المالية.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

لقد وصلنا إلى نهاية الرحلة، لكن بدايتك الحقيقية تبدأ الآن. أرجوك... أجب عن هذه الأسئلة بصوت ع ال، أو اكتبها على ورقة. هي وصية سليمان لك:

· ما هو "كرسيك" في هذه الحياة؟ هل هو وظيفتك، سمعتك، جمالك، ذكاؤك، أو علاقاتك؟ اعترف به الآن.
· هل حدث أن شعرت أن "جسدًا" ما قد ألقي على هذا الكرسي؟ لحظة شعرت فيها أن كل ما بنيته أصبح فارغًا من معناه .كيف كان رد فعلك؟ هل كان "ثم أناب" أم شيئًا آخر؟
· ما هو الدرس الذي تنتظره من الله في "ثم" الحالية؟ ما الذي تؤجله إلى أن تتعلمه قبل أن تنيب؟
· هل تستطيع أن تقول من قلبك الآن: "اللهم إني أنبت إليك، لا لأني خائف من فقدان كرسيي، بل لأ ني أحبك وأريد وجهك"؟ جرب أن تقولها بصدق، وستشعر بثقل الدنيا يزول عن كاهلك.

اخرج من هذه الرحلة وأنت تحمل معك هذه الحقيقة: أنت ملك بلا كرسي، وغني بلا مال، وقوي بلا سلطان، طالما أنك "أواب" إلى الله. فالله لا ينظر إلى كرسيك، بل إلى قلبك حين يخلو كرسيك. فاجعل إنابتك الآن، قبل أن يُلقى على كرسيك جسد، وقبل أن تبحث عن كرسي آخر في دنيا زائلة.
رابعا
تحليل الآية 35 من سورة ص
(قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ)
مقدمة: السياق... حين يتحول الندم إلى طاقة بناء لا حرق للنفس

بعد أن رأينا سليمان عليه السلام في الآية السابقة يمر بمحطة الابتلاء العظمى، حيث أُلقي على كرسيه جسد، وحيث اهتزت صورة الملك التي عاشها، نراه هنا لا يغرق في بحر الندم العقيم، ولا يختبئ في زاوية الحزن على ما فات. اسمعه... إنه يفتح باب الحوار مع الله مباشرة. هذا المشهد ليس مجرد دعاء نبي، إنه خارطة طريق إلهية توضع بين أيدينا لنعرف كيف نخرج من فوهة البلاء إلى فضاء التمكين. الآية (35) هي الرد العملي على سؤال يتردد في أعماق كل مبتلى: "وماذا بعد أن أنيب؟". إنها تعلمنا أن الأوبة ليست نهاية المطاف، بل هي نقطة انطلاق نحو طلب جديد، حلم جديد، لكن هذه المرة بمواصفات ربانية لا بشرية. أمسك بيدي، ودعنا نقف أمام هذا الدعاء المهيب، لا لنقرأه، بل لنعيشه ونستنطق أسراره.

الأمر الأول:
دلالات الآية – تشريح دعاء أعقب إنابة

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآية الكريمة:
·{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}·
المحور الأول:
·{قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي}· – الأولوية المطلقة لتنقية الوعاء

ماذا يعني هذا البدء بالمغفرة؟
تأمل معي: سليمان عليه السلام فقد ملكه، أو رأى آية عجزه، وكان الرد المتوقع من بشر هو: "ربِ

اردد عليّ ملكي! ربِ أعد لي سلطاني!". لكنه لم يفعل. لقد بدأ بقوله: "رَبِّ اغْفِرْ لِي" . لماذا؟ لأنه أدرك في لحظة التجرد تلك أن أصل المشكلة لم يكن في فقدان الكرسي، بل في الذنب الذي قد يكون سببًا في سحب النعمة. إنه يعالج الجذر قبل أن يطلب الثمرة.

لمسة بيانية وتربوية ساحرة:

· "رَبِّ" : نداء استغاثة فيه معنى التربية والإصلاح .كأنه يقول: "يا من ربيتني بنعمك، لا تتركني لزلتي".
· "اغْفِرْ لِي" : طلب الستر والتجاوز .لم يحدد ذنبًا بعينه، لأنه يعلم أن العبد قد يجهل دقائق أخطائه، فجاء الطلب عامًا شاملًا.
· الترتيب الذكي: المغفرة أولًا، ثم طلب الملك .هذا الترتيب يعلمنا أن أي تمكين في الأرض لا قيمة له ولا بركة فيه إذا كان الوعاء) القلب (مثقلًا بالأوزار .إنها رسالة للقادة، للآباء، لكل من يريد أن يبني مجدًا: "طهّر نيتك واطلب الصفح قبل أن تطلب المنصب".

الرسالة التي يجب أن تدق في عقلك ووجدانك:
لحظة... حين تمر بضائقة مالية أو وظيفية، ما هو أول ما يخطر ببالك؟ هل هو "يارب أرزقني وظيفة" أم "يارب اغفر لي ذنبي الذي حرم الرزق"؟ سليمان يعلمك أن تبدأ بالإصلاح الداخلي قبل طلب الصلاح الخارجي. فالكون كله مسخر للقلب النقي.
المحور الثاني:
·{وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي}· – طلب التفرد الإلهي لا التفرد الأناني

وما سر هذا الطلب العجيب؟
هنا نقف على مطلب يبدو للوهلة الأولى غريبًا. سليمان يسأل الله "مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعدي" . هل هو حب الذات والتفرد؟ حاشاه! إنه نبي كريم. لكن دعنا نغوص في الأبعاد الخفية:

· أولًا: الدافع الإيماني .سليمان يريد معجزة خاصة به تكون برهانًا ساطعًا على قدرة الله، ودليلًا فريدًا على نبوته، بحيث إذا رآها الناس قالوا: "هذا أمر لا يقدر عليه إلا نبي مؤيد من السماء" .إنه يريد ملكًا يكون حجة على الخلق في زمانه وبعد زمانه.
· ثانيًا: الدافع العملي .لقد رأى سليمان كيف يمكن للملك أن يذهب، وكيف يمكن للشيطان أو لغيره أن يتسلط على كرسيه .فطلب من الله أن يمنحه ملكًا معصومًا من التسلط البشري والشيطاني، ملكًا لا يقدر أحد على منازعته فيه أو ادعائه.
· ثالثًا: لطيفة بيانية .قوله: "لَّا يَنبَغِي" أبلغ من "لا يكون" ."لا ينبغي" تعني أنه لا يصح ولا يليق ولا يتيسر لأحد أن يبلغه .إنه طلب ملك تتقاصر عنه همم البشر وطاقاتهم، ملك تسخر له الريح والجن و الطير، كما حصل له لاحقًا.

الرسالة الوجدانية:
تخيل أنك أنت الذي تدعو بهذا. ما هو "ملكك الذي لا ينبغي لأحد من بعدك"؟ إنه ليس بالضرورة مُلك سليمان الحرفي، بل هو بصمتك الفريدة في هذه الحياة. إنه ذلك الشيء الذي وهبك الله إياه من موهبة أو فكرة أو مشروع، بحيث إذا قمت به لم يستطع أحد أن يؤديه مثلك. اسأل نفسك الآن: هل طلبت من الله يومًا أن يمنحك تميزًا فريدًا تكون به نافعًا لدينك وأمتك؟
المحور الثالث:
·{إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ}· – سر الإجابة... تعلق باسم الله الأعظم

وهنا يختم سليمان دعاءه بتوسل عظيم إلى الله باسم من أسمائه الحسنى: "الوَهّاب" . ولم يقل "إنك أنت الكريم" أو "الغفور"، بل اختار الاسم المناسب لطلبه تمامًا. إنه يطلب "هبة" ملك، فيتوسل إلى "الوهاب" الذي يهب بلا مقابل ولا حدود ولا سؤال.

لمسات إيمانية في هذا التوسل:

· "إِنَّكَ" : توكيد يفيد اليقين الجازم .إنه لا يرجو، بل هو موقن بالإجابة .وهذا هو أدب الدعاء: أن تدعو الله وأنت موقن بالإجابة.
· "أَنتَ" : ضمير فصل يفيد الحصر والقصر .كأنه يقول: "أنت وحدك -لا غيرك- الموصوف بكمال الهبة" . فهو يقطع قلبه عن كل الأسباب والمخلوقات، ويعلقه بالله وحده.
· "الوَهَّابُ" : صيغة مبالغة تدل على كثرة الهبات وعظمتها .فالوهاب هو الذي يعطي بلا عوض، ويمنح بـ لا سبب، ويفيض بلا حساب.

الرسالة الروحية:
كم مرة دعوت الله وأنت تشعر في قرارة نفسك أن ما تطلبه "كثير" أو "صعب" أو "مستحيل"؟ سليمان يعلمك أن تتوسل إلى الله باسمه "الوهاب". هذا الاسم وحده كفيل بأن يذيب جبال الاستحالة في قلبك، ويجعلك تطلب ما شئت بثقة ويقين.
الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآية؟

هذه الآية ليست مجرد حكاية دعاء نبي، بل هي منهج إلهي موجه إليك أنت في كل لحظة من حياتك:

.1يريد منا أن نرتب أولوياتنا: المغفرة قبل العطية .لا تطلب من الله أن يوسع عليك في رزقك وأنت غارق في المعاصي .ابدأ بسؤال الصفح والتنقية، ثم اطلب ما شئت من خيري الدنيا والآخرة.
.2يريد منا أن نجرؤ على طلب العظائم منه .الله يحب أن يُسأل، ويحب عباده الذين يطلبون منه أمورًا عظامًا ."المُلك الذي لا ينبغي لأحد" هو رمز لكل ما تعتقد أنه فوق طاقتك أو فوق مقامك .اكسر حاجز الخوف واطلب.
.3يريد منا أن نتوكل عليه باسمه الأعظم المناسب لطلبنا .تعلم أسماء الله الحسنى، وتوسل إليه في دعائك بالاسم الذي يليق بحاجتك .فإن كنت تريد رزقًا، فقل "يا رزاق" .وإن كنت تريد هبة، فقل "يا وهاب" .هذا هو فقه الدعاء.
الأمر الثالث:
مفاهيم الآية في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا ننزل الآن إلى أرض الواقع، ونرى كيف يمكن لهذه المفاهيم أن تبني الإنسان من الداخل، وتؤسس لمجتمع متماسك، وتقود حضارة فريدة.

المفهوم من الآية في حياة الفرد (بناء الإنسان) في حياة المجتمع (بناء الأمة) في مسيرة الحضارة (بناء التاريخ)
المغفرة قبل الطلب يربي الإنسان على المحاسبة الذاتية الدائمة. قبل أن تسعى للنجاح، راجع علاقتك بالله. هذا يخلق فردًا نقيًا، متواضعًا، لا تبطره النعم. يؤسس لمجتمع تكون قيادته وأفراده متطهرين أخلاقيًا، فيقل الفساد، ويزدهر العدل، لأن كل صاحب قرار يبدأ يومه بـ"اغفر لي". كل حضارة قامت على الوازع الأخلاقي استمرت. حضارة بلا غفران ومراجعة ذاتية تحمل بذور فنائها في داخلها. بدء النهضة بالاستغفار هو سر البقاء الحضاري.
طلب "الملك الفريد" يدفع الفرد لاكتشاف موهبته الفريدة ورسالته الشخصية. ما هو "ملكك" الذي لا ينبغي لغيرك؟ اكتشفه واطلب من الله تحقيقه. هذا يخلق إنسانًا مبدعًا، رائدًا، لا مقلدًا. يصنع مجتمعًا من المتخصصين المبدعين، كل فرد في مجاله يسعى للتميز والإتقان. مجتمع لا يكتفي بالتقليد، بل يسعى للريادة في كل ميدان. الحضارة الفريدة لا تولد من الرحم التقليدي. إنها تنشأ عندما تسعى أمة لتحقيق "ملك لا ينبغي لأحد بعدها" في العلوم والفنون والعمران. حضارة الإسلام قامت على طلب التفرد في العبودية والعمران.
التوسل بـ"الوهاب" يغرس في النفس اليقين والثقة المطلقة بالله. الفرد الذي يدعو "يا وهاب" يعيش مطمئنًا، عالمًا أن خزائن الله لا تنفد. هذا يعالجه من القلق والخوف من المستقبل. يبني مجتمعًا متكافلًا كريمًا، لأن أفراده تعلموا الهبة من "الوهاب". فيكون المجتمع سخيًا، معطاءً، يسوده الإيثار لا الأثرة. الحضارة الإنسانية الحقة هي التي تفيض بالعطاء. الأمة التي تتوسل إلى "الوهاب" تصبح أمة واهبة للخير للعالمين، تحمل رسالة النور والهداية للبشرية جمعاء.
الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآية ليست محصورة في زمن سليمان، بل هي تفتح لك آفاقًا واسعة في كل مجال من مجالات الحياة.

.1البعد القيادي والإداري: نموذج القائد الذي يُصلح نفسه أولًا

· في عالم اليوم: كثير من القادة والمديرين يبحثون عن حلول لمشاكل مؤسساتهم في الخارج: في الخطط، في الموظفين، في السوق .لكن الآية تعلمنا أن القائد "السليماني" يبدأ من داخل نفسه: "اغفر لي" .هو يعترف بتقصيره أولًا، ويطلب التطهير قبل أن يطلب التمكين.
· الأفق التطبيقي: تخيل مؤسسة تبدأ اجتماعاتها الإدارية بلحظة صمت للمراجعة الذاتية: "ما أخطأنا

فيه هذا الأسبوع؟ وما الذي نحتاج أن نطلب المغفرة عنه؟" .هذه المؤسسة ستكون عصية على الفشل المستمر، لأنها تعالج أمراضها الداخلية أولًا بأول.

.2البعد الابتكاري والريادي: "ملك لا ينبغي لأحد" هو شعار المبدعين

· في عالم الأعمال والتكنولوجيا: أعظم الشركات وأنجح رواد الأعمال هم أولئك الذين سعوا لخلق شيء "لا ينبغي لأحد من بعدهم" – أي شيء فريد، مبتكر، يصعب تقليده .ستيف جوبز مع آيفون، إيلون ماسك مع سبيس إكس، كلهم طلبوا "ملكًا" في مجالهم لم يسبقهم إليه أحد.
· الأفق الإيماني: الفرق أن المؤمن يطلب هذا التفرد لله وبالله، لا للفخر والخيلاء .هو يريد أن يكون خليفة في الأرض، يعمرها بإبداع فريد يكون آية على عظمة الخالق .فالمؤمن المبدع يقول في سره: " اللهم هب لي فكرة أو مشروعًا لا ينبغي لأحد، لتكون شاهدًا على كرمك وقدرتك".

.3البعد النفسي والتربوي: تحويل الندم إلى حلم

· في معالجة الصدمات: رأينا كيف أن سليمان بعد فتنته لم يبق أسير الماضي .بل حول طاقة الندم إلى طاقة أمل وطلب جديد .هذا هو التعافي النفسي الحقيقي: لا أن تنسى الماضي، بل أن تتعلم منه، ثم تنطلق لبناء مستقبل أفضل بمواصفات إلهية.
· الأفق العملي: حين يفشل شاب في دراسته أو عمله، بدلًا من جلد الذات الذي يؤدي للاكتئاب، يمكنه أن يطبق دعاء سليمان: "اللهم اغفر لي تقصيري، وهب لي نجاحًا في مجال آخر يكون شاهدًا على فضلك، إنك أنت الوهاب" .هذا التحول في العقلية ينقذ الأفراد من مستنقع اليأس.

.4البعد الحضاري والتاريخي: سر التفرد الحضاري للأمة

· في سياق الأمة الإسلامية: هذه الآية تعطي مفتاحًا لفهم كيف يجب أن تكون نهضتنا .نحن لا نريد أن نكون "نسخة" من الحضارة الغربية أو الشرقية .بل يجب أن نسأل الله أن يهبنا "ملكًا لا ينبغي لأ حد من بعدنا" ، أي نموذجًا حضاريًا فريدًا قائمًا على الوحي، يجمع بين الروح والمادة، بين العلم والإ يمان .هذا هو التحدي الحضاري الذي تلقيه الآية في وجوهنا.
· الأفق المستقبلي: مستقبل الأمة ليس في تقليد الآخرين، بل في استلهام روح هذا الدعاء، والاجتهاد في تقديم إسهام حضاري فريد يُعرف به الإسلام في هذا العصر.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه ليست دروسًا نظرية، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك:

في مجال... الدرس العملي المستفاد من الآية
العبادة والدعاء اجعل "اللهم اغفر لي، وهب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي" دعاءً يوميًا. فسر "الملك" بما يناسبك: مشروعًا نافعًا، علمًا ينتفع به، بيتًا عامرًا بالإيمان. واختم دائمًا بـ"إنك أنت الوهاب".
العمل والإنتاج قبل أن تبدأ أي مشروع جديد، اسأل نفسك: "هل طلبت المغفرة والتطهير قبل هذا؟". اجعل استغفارك نية خالصة، ثم انطلق في عملك وأنت تسعى للتميز والإتقان الفريد.
التربية الأسرية علم أبناءك أن يطلبوا من الله "ملكهم الخاص". لا تقارنهم بغيرهم، بل ساعد كل واحد منهم على اكتشاف ما وهبه الله من موهبة فريدة، وادع معه أن يبارك الله فيها وينميها.
مواجهة الأزمات إذا مررت بفشل أو خسارة، لا تكرر دعاء "رد لي ما ضاع". بل جرب دعاء سليمان: " اللهم اغفر لي ما كان سببًا في هذا، وهب لي خيرًا منه مما لا يخطر على بال، إنك أنت الوهاب".
الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... حان وقت الحقيقة. لقد رأيت المشهد، وفهمت الدعاء. لكن هل سيبقى هذا التحليل حبرًا على ورق، أم سيتحول إلى ثورة في أعماقك؟ أجب عن هذه الأسئلة بصوت تسمعه أذنك، أو بخط تكتبه يدك:

· ما هو الذنب أو التقصير الذي تشعر في أعماقك أنه يعيق "ملكك" عنك؟ هل تجرؤ على أن تبدأ الآ ن وتقول من قلبك: "رب اغفر لي"؟ جربها ...اشعر بطعم التطهير.
· ما هو "ملكك الذي لا ينبغي لأحد" الذي تحلم به في قرارة نفسك، ولكنك خجلت أن تطلبه من الله

لظنك أنه كبير جدًا؟ اكتبه الآن، وارفع يديك إلى السماء، واطلبه باسم الله "الوهاب".
· هل أنت واثق حقًا أن الله "الوهاب" قادر على أن يهبك إياه؟ أم أن الشك ما زال يتسلل إلى قلبك؟ انظر إلى سليمان، كيف قال "إنك أنت الوهاب" بيقين .هذا اليقين هو نصف الإجابة.
· ماذا ستغير في أسلوب دعائك بدءًا من الليلة؟ هل ستبدأ بالمغفرة قبل الطلب؟ هل ستتوسل إلى الله بأسمائه الحسنى المناسبة؟

اخرج من هذه الرحلة وأنت تحمل في يمينك صك المغفرة، وفي يسارك وعد الهبة. لقد سمعت دعاء سليمان، فهل تصنع دعاءك الخاص على منواله؟ تذكر دائمًا: أنت تدعو "الوهاب"، فلا تستصغر طلبًا، ولا تيأس من إجابة. اطلب ما شئت، ولكن... ابدأ بـ "رب اغفر لي".

خامسا

تحليل الآيات 36-40 من سورة ص
(فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَٰذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ)
مقدمة: السياق... حين تتحقق الأحلام بمواصفات الوهاب

لقد رأينا سليمان عليه السلام في لحظة التجرد العظمى، يرفع يديه إلى السماء بدعاء يهز الوجدان: "رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِي". والآن، افتح عينيك، وأصغِ بقلبك، فالسماء تستجيب! الآيات التي بين أيدينا ليست مجرد سرد لنعم أعطيها نبي، بل هي تجسيد حي لمعنى "الوهاب"، وهي رد إلهي عملي على دعاء الأواب. إنها تقول لك بصوت يملأ الأرجاء: "هل تريد أن ترى كيف يكون عطاء الوهاب؟ انظر إلى سليمان!". هذه الآيات تنتقل بنا من مشهد الطلب إلى مشهد العطاء، ومن ضيق الابتلاء إلى سعة التمكين، لترسم لنا صورة مذهلة عن ملك لم تشهده الأرض من قبل، وتكشف لنا في الوقت نفسه عن قوانين إلهية ثابتة: أن من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه، ومن طلب المغفرة أولًا، فتحت له خزائن السماء والأرض. استعد، فنحن على أعتاب مشهد كوني مهيب.

الأمر الأول:
دلالات الآيات – حين تتكلم القدرة الإلهية بلغة التسخير والعطاء

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآيات الكريمة، آية آية:
المحور الأول:
·{فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ} – تسخير العناصر لخدمة الولي الصالح

ماذا يعني هذا المشهد الكوني؟
تأمل حرف الفاء في بداية الآية: "فَسَخَّرْنَا". إنها فاء التعقيب السريع، فاء السببية المباشرة. كأن الله يقول: "بمجرد أن قال سليمان: (وهب لي ملكًا)، قلنا: (فعلًا.. فسخرنا له الريح)". إنها استجابة فورية لا تحتمل التأخير. والريح التي سُخرت له ليست أي ريح، بل هي ريح "رُخَاءً"، أي لينة طيعة، لا عاصفة مدمرة ولا ضعيفة عاجزة. إنها تجري "بِأَمْرِهِ" إلى أي اتجاه شاء، فتحمله هو وجنوده إلى حيث أراد.

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "فَسَخَّرْنَا" : فعل ماض مسند إلى الله بضمير العظمة .التسخير هو تذليل الشيء وجعله خادمًا منقادًا . الريح، هذا العنصر الطبيعي الهائل الذي يرعب البشر، صار عبدًا طائعًا لسليمان .وفي هذا إشارة إلى أن الله إذا أراد بعبد خيرًا، سخر له حتى الجمادات والكائنات لخدمته.
· "رُخَاءً" : كلمة واحدة تلخص معنى السهولة واليسر .إنها ريح تحمل البركة لا النقمة .وهذا هو عطاء الوهاب: يمنحك النعمة مع السلامة، القوة مع الرحمة، السرعة مع الطمأنينة.
· "حَيْثُ أَصَابَ" : أي حيث قصد وأراد .لم تكن الريح تخطئ الهدف أو تتأخر .إنه تحكم كامل ودقيق.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
تخيل أن لديك مشروعًا ضخمًا، أو حلمًا كبيرًا. أنت تدعو الله أن ييسره لك. فإذا بالله "يسخر" لك أسبابًا لم تكن في حسبانك: شخصًا يفتح لك بابًا، فكرة تأتي في وقتها، عقبات تزول فجأة. هذا هو تسخير "الريح" في حياتك. إنها الأسباب التي تتذلل لك بأمر الله. مثال: شاب يبحث عن وظيفة، فيجد أن مديرًا سابقًا يتصل به فجأة ويعرض عليه منصبًا ممتازًا. هذا هو "تسخير الريح" – جريان الأقدار برفق وطواعية نحو تحقيق الهدف.

الرسالة الوجدانية:

هل شعرت يومًا أن الأمور تمشي بسلاسة عجيبة نحو تحقيق مرادك؟ تلك هي "الريح الرخاء" التي سخرها الله لك لأنك كنت "أوابًا" صادقًا. فلا تظنها صدفة، بل قل في سرك: "هذا من عطاء ربي، فسخر لي".
المحور الثاني:
﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ﴾ – تسخير العدو لخدمة الوليّ

ماذا يعني هذا المشهد العجيب؟
بعد أن سخر الله لسليمان الريح، سخر له "الشياطين" ، وهم من عالم الغيب، أعداء الإنسان منذ هبوط آدم. لكنه سخرهم له بصورتين مختلفتين:

1.كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ: فريق منهم ماهر في البناء والتشييد، يرفعون له الصروح والمحاريب والتماثيل، وفريق آخر ماهر في الغوص، يستخرجون له اللآلئ والجواهر من قاع البحر.
2.وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ: فريق ثالث متمردون، مكبلون بالقيود والأغلال، مسجونون لا يستطيعون حراكًا.

دلالات عميقة في هذا التسخير:

· دلالة القدرة المطلقة: الله وحده القادر على أن يجعل ألد أعدائك يعملون لصالحك .الشيطان الذي مهمته الإغواء والإضلال، يصبح في خدمة سليمان يبني له ويغوص له .إنه درس بليغ: إذا كان الله معك، فلا تخف من مكر الأعداء، فقد يحولهم إلى أدوات لنفعك.
· دلالة الحكمة في التسخير: تسخير الشياطين كان مناسبًا لطبيعة "الملك الذي لا ينبغي لأحد" .فالبشر لا يستطيعون بناء صروح بهذه العظمة في ذلك الزمن، ولا الغوص إلى أعماق البحار .فجاء التسخير من عالم الغيب ليكون معجزة خارقة.
· اللمسة البيانية في "مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ": هذا المشهد يحمل رسالة أمان للمؤمنين .فالأصفاد والقيود ترمز إلى تحييد الشر .ليس كل شيطان يمكن تسخيره للبناء، فمنهم من يجب أن يُكبل ويُسجن حتى لا يفسد .وهذه إشارة إلى أن الله قادر على أن يقيد شرور أعدائك عنك.

المفهوم النفسي والفكري (مع مثال تقريبي):
في حياتك الشخصية، قد تواجه "شياطين" على هيئة أفكار سلبية، وساوس، أشخاص يحاولون إحباطك، أو ظروف معادية. الله قادر على أن يقلب هذه "الشياطين" إلى أدوات بناء لحياتك. مثال: شخص تعرض للظلم من مديره في العمل، فترك الوظيفة ليبدأ مشروعه الخاص، واكتشف أن نجاحه كان أكبر مما كان سيكون موظفًا. هنا، الظالم (الشيطان) تحول إلى سبب في "بناء" مستقبل جديد لك. أما "المقرنون في الأصفاد"، فهم الأعداء الذين يحاول الله أن يكف أذاهم عنك، فتراهم مقيدين لا يستطيعون الوصول إليك.

الرسالة الوجدانية:
انظر حولك الآن. كم من "عدو" كان سببًا في خروج أفضل ما فيك؟ وكم من "أذى" كُف عنك وأنت لا تدري؟ هذه هي يد الله تسخر وتقيد. قل: "الحمد لله الذي سخر لي ما كنت أظنه ضرًا فإذا هو خير، وقيد عني ما كنت أخافه".

المحور الثالث:
﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ – حرية التصرف المطلقة في ظل العبودية

وما سر هذا الخطاب الإلهي الفريد؟
وهنا تأتي الكلمة التي تزلزل الوجدان. بعد أن أعطى الله سليمان هذا الملك العظيم، التفت إليه بخطاب مباشر: "هَذَا عَطَاؤُنَا" ، ثم أضاف: "فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ" . أي: أعطِ من شئت، وامنع من شئت، فأنت غير محاسب على ذلك عندنا. إنه تفويض إلهي عظيم، وتكريم لا مثيل له.

دلالات مذهلة في هذا التفويض:

· "هذا عطاؤنا": تذكير بأن كل ما بيد سليمان هو عطاء من الله وليس ملكًا ذاتيًا له .وهذا يعلم المؤمن ألا يغتر بما أعطاه الله، بل يظل شاكرًا متواضعًا.
· "فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ": "امنن" من المنّ بمعنى العطاء، أو من المنّ بمعنى الإحسان .أي: لك مطلق الحرية في التصرف بهذا الملك، أعطِ ما شئت لمن شئت، وامنع من شئت .هذه الحرية المطلقة في التصرف هي جزء من "الملك الذي لا ينبغي لأحد" .فملوك الدنيا محاسبون من شعوبهم أو من قوانينهم، أما

سليمان فحسابه عند الله فقط.
· "بِغَيْرِ حِسَابٍ": أي لا نطالبك بحساب عما تعطي أو تمنع .وهذا غاية التكريم والثقة من الله لعبده . إنها شهادة من الله بأن سليمان بلغ من الحكمة والرشد مبلغًا لا يخشى معه أن يسيء استخدام هذه الحرية.

المفهوم التربوي والعملي (مع مثال تقريبي):
في حياتنا، "العطاء" هو كل ما وهبنا الله: مالًا، علمًا، وقتًا، قوة. والله يريدنا أن نتعامل مع عطائه بحكمة وحرية مسؤولة. مثال: رجل أعمال ناجح جدًا، يشعر أن الله فتح عليه أبواب الرزق. هو الآن بين خيارين: أن يبخل ويخاف الفقر، أو أن يجود ويثق بالله. الآية تقول له: "هذا عطاء الله، وأنت حر في أن تعطي أو تمسك، ولكن تذكر أن الحرية الحقيقية هي في العطاء، وأن الله لا يحاسبك على عطائك بل يضاعفه لك". فالحرية هنا مقرونة بالأمانة.

الرسالة الوجدانية:
ما هو "العطاء" الذي أعطاك الله إياه؟ هل تشعر بحرية التصرف فيه بنفس راضية كريمة؟ أم أن الخوف من المستقبل يجعلك تمسك يدك؟ اسمع صوت الله يقول لك: "أنت حر... أعطِ أو أمسك... لا حساب عليك... ولكن انظر، أين تكمن البركة؟".

المحور الرابع:
﴿وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ﴾ – خاتمة المشهد... التذكير بالحقيقة الخالدة

وهنا، بعد هذا البذخ الدنيوي والعطاء المهول، يأتي الختام الإلهي ليذكرنا بحقيقة لا تغيب: كل هذا الملك، بكل ما فيه من تسخير وعطاء، ليس هو نهاية المطاف. فالآخرة أعظم وأبقى. "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ" .

لمسات بيانية وتربوية:

· "وَإِنَّ" للتوكيد، وكأنها تقول: "ولا تظنوا أن هذا هو كل شيء، بل إن الحقيقة الكبرى تنتظره".
· "لَزُلْفَىٰ" : القربى والمنزلة الرفيعة عند الله .وهذا أعظم من كل ملك الدنيا.
· "وَحُسْنَ مَآبٍ" : حسن المرجع والعاقبة، أي الجنة.

دلالة عميقة:
هذه الآية تحافظ على التوازن النفسي والروحي للمؤمن. فهي تذكره بأن عطاء الدنيا، مهما عظم، هو عطاء زائل، وأن العطاء الحقيقي هو زلفى الله وحسن المآب. وهذا يعلمنا ألا نغرق في مباهج النعم، وأن نبقى أعيننا معلقة بما عند الله.

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

هذه الآيات ليست مجرد قصة تمكين لنبي، بل هي رسالة من الله إلى قلبك أنت تحديدًا، تحمل عدة وصايا:

.1يريد منا أن نوقن بأن دعاء "الوهاب" لا يرد .عندما تطلب من الله بصدق، وبعد استغفار، فإن عطاءه قادم لا محالة .قد يتأخر لحكمة، لكنه يأتي في صورة "تسخير" مذهل.
.2يريد منا أن نفهم أن النعم الحقيقية هي التي تأتي مع "الرخاء" والسلامة .ليس كل ما يعطيه الله يصلح أن يكون نعمة إن لم يصحبه الطمأنينة .اسأل الله دائمًا أن يرزقك "رزقًا رخاءً" لا "رزقًا عاصفًا".
.3يريد منا أن نتعامل مع عطائه بحرية وشجاعة وإحسان .فمن أعطاه الله، فعليه أن يعطي غيره، لأ نه ليس محاسبًا على عطائه، بل مأجور عليه.
.4يريد منا أن نبقى أعيننا على "الزلفى وحسن المآب" ولا تخطف أبصارنا زخارف الدنيا .فكل ما في الدنيا، حتى ملك سليمان، هو "عطاء" مؤقت، أما الباقي فهو القرب من الله.
الأمر الثالث:
مفاهيم الآية في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا ننزل الآن إلى أرض الواقع، ونرى كيف يمكن لهذه المفاهيم أن تبني الإنسان من الداخل، وتؤسس لمجتمع متماسك، وتقود حضارة فريدة.

المفهوم من الآيات في حياة الفرد (بناء الإنسان) في حياة المجتمع (بناء الأمة) في مسيرة الحضارة (بناء التاريخ)
تسخير "الريح الرخاء" يعلم الفرد فن إدارة الأسباب والتوكل على الله. يثق بأن الله سيسخر له ما يعينه، فيعمل بجد ويترك النتائج لله. هذا يخلق إنسانًا متوازنًا لا يعتمد على ذكائه فقط. يبني مجتمعًا تتذلل له العقبات. مجتمع إذا توجه نحو هدف نبيل، سخر الله له من الأسباب ما لم يكن في الحسبان، فتتحول الصعاب إلى طاقات دافعة. حضارة التسخير هي الحضارة التي تستثمر موارد الطبيعة والبشر بسلام ورفق. ليست حضارة نهب ودمار (ريح عاصف)، بل حضارة بناء ورخاء (ريح رخاء).
تسخير الشياطين (أعداء) للبناء يعلم الفرد استثمار التحديات لصالحه. الأعداء والظروف الصعبة يمكن أن تتحول إلى محفزات للإبداع والقوة. هذا يصنع إنسانًا صلبًا لا تهزمه الشدائد. يبني مجتمعًا متماسكًا في وجه المؤامرات. فبدل أن تدمره مكائد الأعداء، يستخدم طاقاتهم السلبية لتحفيز أبنائه على العمل والبناء، كما فعلت المقاومة في غزة. الحضارة التي لا تموت هي التي تحول التحديات إلى إنجازات. كم من حضارة قامت على أنقاض احتلال أو عدوان! تسخير "شياطين" الغزاة لبناء الوعي و الهوية.
حرية التصرف بالعطاء يغرس في الفرد ثقافة البذل والعطاء. "امنن أو أمسك" يعني أن الخيار لك، لكن الكريم هو من اختار العطاء. هذا يبني إنسانًا سخيًا، شجاعًا، غير متشبث بالدنيا. يبني مجتمع التكافل والحرية الاقتصادية المسؤولة. مجتمع يعطي فيه الغني للفقير بلا منّ ولا حساب، فتزول الفوارق الطبقية بالحب لا بالقهر. الحضارة الإنسانية الحقة تقوم على مبدأ "العطاء بغير حساب". الحضارة الإس لامية في أوجها كانت تفيض بالعلم والخير على العالم، لأن قادتها وعلماءها كانوا "يمنون" بلا مقابل.
الزلفى وحسن المآب يمنح الفرد البوصلة الحقيقية. يذكره أن النجاح الدنيوي ليس النهاية. هذا يجعله يعمل للدنيا بعينه وللآخرة بقلبه، فلا يأسره الغرور ولا يقتله الطمع. يبني مجتمعًا متوازنًا بين متطلبات الدنيا وقيم الآخرة. مجتمع يبني المصانع والمدارس كما يبني المساجد، ويعمر الأرض وهو يتطلع إلى جنة عرضها السماوات والأرض. الحضارة المستدامة هي التي لا تنهار بعد الوصول إلى القمة المادية، لأن لديها "زلفى وحسن مآب" تمنحها الاستمرار والتجدد الروحي. كل حضارة غابت عنها الآخرة انهارت في لذاتها.
الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآيات تفتح لنا آفاقًا واسعة في فهم علاقتنا بالله وبالكون وبأنفسنا.

.1البعد الكوني والعلمي: تسخير الطاقات لخدمة الإنسان المؤمن

· في العلم الحديث: البشر يسخرون الرياح لتوليد الطاقة) توربينات الرياح(، ويسخرون أعماق البحار لا ستخراج الثروات) منصات النفط والغاز .(هذه الآية تشير إلى أن تسخير الكون للإنسان هو عطاء إلهي مشروط بالإيمان والعمل الصالح .العالم المؤمن يرى في كل اختراع تسخيرًا من الله، فيزداد شكرًا وتواضعًا.
· الأفق المستقبلي: يمكننا أن نتصور مستقبلًا يُسخر الله فيه للإنسان المؤمن طاقات كونية هائلة لم نكتشفها بعد، إذا صلحت النية وزكت النفس ."الريح" هنا قد تكون رمزًا لكل طاقة نظيفة متجددة.

.2البعد الإداري والتنموي: إدارة الموارد البشرية والطبيعية بذكاء

· في عالم الإدارة: سليمان عليه السلام لم يكتف بتسخير الريح، بل أدار موارده البشرية والغير بشرية بحكمة: فريق للبناء) كلّ بَنّاءٍ(، فريق للاستخراج) وَغَوّاصٍ(، وفريق للتحييد) مُقَرّنِينَ فِي الأَصْفَادِ .(هذا نموذج إداري متكامل: تصنيف القدرات، وتوظيفها في المكان الصحيح، وتحييد مصادر التهديد.
· الأفق التطبيقي: قادة المؤسسات الناجحون هم من يستطيعون اكتشاف مواهب موظفيهم) البناء و الغواص (وتوظيفهم لصالح المؤسسة، وفي الوقت نفسه "يكبلون" مصادر الفساد والإحباط في "أصفاد" الأنظمة والقوانين الرادعة.

.3البعد النفسي والروحي: الحرية كمنحة إلهية وليست فوضى

· في علم النفس: الشعور بالحرية والسيطرة على الحياة هو حاجة نفسية أساسية .الآية تعطي المؤمن حرية غير مسبوقة: "فامنن أو أمسك بغير حساب" .لكنها حرية في إطار العبودية لله، وليست فوضى . هذه الحرية المنضبطة تمنح الفرد شعورًا عميقًا بالرضا والثقة، لأنه يعلم أن الله وثق به.
· الأفق العملي: الشخص الذي يعيش بهذا المفهوم لا يعاني من عقدة الذنب عند التمتع بالطيبات، ولا

من الشح عند البذل .هو يعطي بلا حساب لأنه يثق أن رزقه على الله، ويمسك بلا حساب لأنه يثق أن المنع لحكمة .هذا هو التوازن النفسي الذي يبحث عنه الجميع.

4.البعد الاستراتيجي والحضاري: التوازن بين التمكين الدنيوي والزلفى الأخروية

· في الفكر الاستراتيجي: كثير من الأمم حين تصل إلى ذروة القوة والتمكين، تصاب بمرض "الغرور الحضاري" وتنسى القيم التي أوصلتها إلى القمة، فتنهار .الآية تعطينا الترياق: "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ" . هذا التذكير الدائم بأن هناك دارًا أخرى أعظم، يحافظ على توازن الحضارة ويمنعها من الانحلال.
· الأفق المستقبلي: أي مشروع نهضوي للأمة الإسلامية يجب أن يضع نصب عينيه "حسن المآب" كهدف أسمى .لا نهضة اقتصادية أو علمية دون نهضة روحية وأخلاقية .وإلا كنا كمن يبني قصرًا على شفا جرف هار.
الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه ليست دروسًا نظرية، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك:

في مجال... الدرس العملي المستفاد من الآيات
الدعاء والثقة بالله بعد كل دعاء، انتظر "فاء التسخير". قل في نفسك: "اللهم إني دعوتك، فأنا واثق أنك ستسخر لي الريح الرخاء حيث أصاب". هذا اليقين يجعلك تعيش في راحة نفسية عجيبة.
العمل والإنتاج عند مواجهة تحدٍ أو عدو في عملك، لا تنشغل بالصراع معه، بل انظر كيف يمكنك "تسخيره" لصالحك. اسأل نفسك: "ما الذي يمكنني أن أتعلمه من هذا الموقف؟ كيف يمكنني تحويل هذا الضرر إلى فرصة بناء أو غوص في أعماق إمكاناتي؟"
الإدارة المالية طبق مفهوم "امنن أو أمسك بغير حساب" في ميزانيتك. خصص جزءًا للصدقة والعطاء "بغير حساب" أي دون أن تحسب كم تبقى معك، وثق بأن الله سيخلفه. وفي المقابل، لا تشعر بالذنب إذا "أمسكت" عن شراء شيء لا تحتاجه. أنت حر.
التربية الأسرية علم أبناءك أن الله "يسخر" الأشياء لعباده الصالحين. إذا رأيت طفلك يخاف من شيء (ريح، ظلام، حيوان)، قل له: "لا تخف، الله مسخر كل شيء للإنسان الذي يحبه". هذا يبني شخصية قوية لا تعرف الخوف من مخلوق.
التخطيط للمستقبل ضع أهدافًا كبيرة لحياتك، واطلب من الله "ملكًا لا ينبغي لأحد". ولكن تذكر دائمًا أن "الزلفى وحسن المآب" هو الهدف الأكبر. اجعل كل نجاح دنيوي درجة في سلم قربك من الله.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد رأيت كيف استجاب "الوهاب" لدعاء سليمان، وكيف تحول الحلم إلى واقع يفوق الخيال، حان الوقت لتسأل نفسك بصدق:

· ما هي "الريح الرخاء" التي تنتظرها من الله لتسوقك إلى هدفك؟ هل هي وظيفة؟ زواج؟ مشروع؟ تخيلها وهي تجري بأمر الله نحوك، ثم قل: "اللهم سخرها لي رخاءً حيث أصاب".
· هل ترى في حياتك "شياطين" يعملون ضدك؟ هل تستطيع الآن أن تراهم من منظور مختلف؟ ربما هم "بناؤون وغواصون" مقنعون، يدفعونك لتكون أفضل وأقوى .اكتب اسم واحد منهم، وفكر كيف قلب الله كيده لصالحك.
· هل تمارس حريتك في "المنّ والإمساك" بثقة وشجاعة؟ أم أن البخل والخوف من الفقر يسيطران عليك؟ جرب اليوم أن "تمن" على أحدهم بهدية أو مساعدة، دون أن تحسبها .ستشعر بسعادة لم تشعر بها من قبل.
· أين هي "الزلفى وحسن المآب" في معادلة حياتك اليومية؟ هل تعيش وكأن الدنيا هي كل شيء، أم أن قلبك معلق بما عند الله؟ ردد في سجودك الليلة: "اللهم إني أسألك الزلفى عندك وحسن المآب".

اخرج من هذه الرحلة وقد تبدلت نظرتك إلى التحديات، وصارت في عينيك "جنودًا مسخرة" بأمر الله. تذكر أن الكون كله في خدمة العبد الأواب، وأن عطاء الله إذا جاء، جاء معه الأمان و الحرية. فكن لله عبدًا، يكن لك كل شيء.
القسم الثالث
قصه ايوب عليه السلام

اولا
تحليل الآية 41 من سورة ص
(وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ)
مقدمة: السياق... حين ينتقل المشهد من أعالي الملك إلى قاع الابتلاء

بعد أن جُلنا في رحاب ملك سليمان عليه السلام، ورأينا كيف تحول دعاء الأواب إلى تمكين لم تشهده الأرض من قبل، يأخذنا السياق القرآني فجأة إلى مشهد آخر مختلف تمامًا. من قصور مشيدة بـ الجن، وريح مسخرة تأتمر بأمر نبي، ننتقل إلى كوخ بسيط، أو إلى ركن بعيد في أرض مقفرة، حيث يرقد نبي آخر هو أيوب عليه السلام. إنه انتقال مدروس، مقصود، يريد الله به أن يرسم لنا صورة كاملة للعبودية في كل الأحوال: في حال البذخ والتمكين كما رأينا مع سليمان، وفي حال التجريد والبـ لاء كما سنرى مع أيوب.

الآية (41) ليست مجرد آية عابرة، بل هي إعلان إلهي عن نموذج آخر من نماذج "نعم العبد". إنها تقدم لنا أيوب عليه السلام بوصفه المثال الحي للصبر الذي لا ينكسر، وللشكوى التي لا تخرج عن دائرة الأدب مع الله. تأمل معي كيف أن الله لم يقل "واذكر أيوب" فحسب، بل قال: "وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ" . هذا التكريم في مقام النداء هو رسالة لكل مبتلى: "إن البلاء لا يسقط عنك وسام العبودية، بل قد يكون هو ذروة تشريفك بها". دعنا نقترب من هذا المشهد المهيب، لا كمتفرجين، بل كأرواح تبحث عن عزاء في لحظاتها الصعبة.
الأمر الأول:
دلالات الآية – تشريح نداء العبد المبتلى

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآية الكريمة:
·{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ}·
المحور الأول:
·{وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ}· – وسام العبودية في أتون البلاء

ماذا يعني هذا النداء الإلهي؟
الواو هنا للاستئناف والانتقال إلى قصة جديدة، لكن الفعل "اذكر" ليس مجرد أمر بالذكر القصصي. إنه أمر بالتأمل والتدبر والاتعاظ. كأن الله يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولكل مؤمن: "إذا أردت أن ترى نموذجًا للصبر الجميل، فاذكر أيوب. وإذا أردت أن تتعلم كيف تشكو إلى الله دون سخط، فاذكر أيوب". ثم ينسبه الله إلى نفسه بقوله: "عَبْدَنَا" . يا لله! أي تشريف هذا؟ في لحظة كان أيوب فيها مطروحًا على فراش المرض، فاقدًا للمال والولد، معتزلًا في خربة، كان في السماء يُنادى بـ "عبدنا". إنها رسالة قوية: "مكانتك عندنا لا تتغير بتغير أحوالك الدنيوية. أنت عبدنا في السراء و الضراء".

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "اذكر" : الأمر بالذكر هنا هو وصفة علاجية نفسية .الله يأمرنا أن نذكر قصة أيوب لأنها تحمل شفاءً للقلوب المنكسرة .فالتذكر هنا هو تذكر لأن نموذجًا بشريًا سبقك إلى هذا الطريق ونجا.
· "عَبْدَنَا" : الإضافة إلى ضمير الجلالة "نا" تشريف لا يدانيه تشريف .لم يقل "واذكر أيوب" مجردًا، بل قال "عبدنا أيوب" .إنها شهادة ميلاد سماوية جديدة، تمنح في ذروة المحنة.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
تخيل أنك تمر بضائقة مالية شديدة، أو بمرض مزمن، وتشعر أن قيمتك قد تدنت في أعين الناس. ثم تقرأ هذه الآية، فتكتشف أن الله يناديك في تلك اللحظة بالذات "يا عبدي". هذا النداء يعيد تعريف هويتك: أنت لست مجرد "مريض" أو "فقير" أو "منبوذ". أنت "عبد الله" أولًا وأخيرًا. وهذا هو المعنى الحقيقي للعزة. مثال تقريبي: كجندي يحمل وسام الشرف، لا يهمه أن تكون ثيابه ممزقة في المعركة، لأن الوسام على صدره يخبر الجميع عن مكانته الحقيقية.
المحور الثاني:
·{إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ}· – لحظة الصفاء... حين لا يبقى إلا النداء

ماذا يعني هذا النداء؟
ظرف الزمان "إذ" ينقلنا إلى لحظة فارقة في حياة أيوب عليه السلام. إنها اللحظة التي اشتد فيها البـ لاء، وتكالب عليه المرض والفقد. لكنه لم ينقطع عن ربه، بل "نَادَىٰ رَبَّهُ" . الفعل "نادى" يدل على رفع

الصوت بالدعاء. إنه ليس همسًا خافتًا، بل هو نداء قوي، صادر من قلب امتلأ يقينًا. والكلمة الأهم: "رَبَّهُ" . أيوب لم ينادِ "الله" فقط، بل نادى "ربه" الذي رباه بنعمه، والذي يعلم أنه لن يضيعه.

دلالات عميقة في هذا النداء:

· دلالة العلاقة الخاصة: اختيار اسم "رب" بدلًا من غيره من الأسماء الحسنى يشير إلى أن أيوب كان يستشعر معنى التربية الإلهية في كل مراحل عمره .هو يعلم أن الذي ابتلاه هو نفسه الذي رباه، ولذلك فهو يثق بحكمته.
· دلالة الأدب الجمّ: أيوب لم يطلب الشفاء مباشرة، بل عرض حاله بأدب عجيب، كما سيأتي .إنه يمارس أعلى درجات العبودية: الشكوى إلى الله لا من الله.
· اللمسة البيانية في "نادى": الفعل "نادى" يوحي بوجود مسافة أو حجاب، كأن البلاء جعله يشعر بـ البعد، لكنه بصوته اخترق كل الحجب .وهذا يعلمنا أن نرفع أصواتنا بالدعاء في الشدائد، فالله قريب.

الرسالة الوجدانية:
هل شعرت يومًا أن البلاء جعلك لا تقوى حتى على الدعاء؟ اسمع أيوب: لقد "نادى". لا تترك الشيطان يقنعك بأن الله بعيد، أو أن صوتك لن يصل. ارفع صوتك، وقل: "يا رب". هذه الكلمة وحدها تكفي.
المحور الثالث:
{أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ} – شكوى النبي بين الأدب والاعتراف بالضعف

وما سر هذه الصياغة العجيبة؟
هنا يكمن جوهر الدرس. أيوب عليه السلام يقول: "أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" . تأمل كل كلمة في هذه الجملة المعجزة:

· "أَنِّي" : بدأ بحرف التوكيد "أنّ" ليؤكد وقوع البلاء، دون أن يخفف من وطأته كذبًا .إنه صادق في وصف حاله.
· "مَسَّنِيَ" : استخدم الفعل "مسّ" الذي يدل على إصابة خفيفة عابرة .لم يقل "أنزل بي" أو "أصابني" أو "أهلكني" .مع أن البلاء كان عظيمًا: ذهاب المال، موت الأولاد، المرض الشديد حتى نفره الناس . لكنه في أدبه مع الله يصفه بأنه مجرد "مس"! إنه يرى البلاء العظيم صغيرًا بجانب رحمة الله.
· "الشَّيْطَانُ" : نسب البلاء إلى الشيطان .وهذا أدب آخر، فهو لا ينسب السوء إلى الله تأدبًا معه، بل ينسبه إلى عدوه اللدود .وهذا يعلمنا أن نقول عند المصيبة: "هذا من الشيطان" أو "هذا من نفسي"، ونسب الخير كله لله.
· "بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" : النُصْب هو التعب والمشقة في البدن، والعذاب هو الألم النفسي والمعنوي .لقد جمع له البلاء بين ألم الجسد) المرض (وألم الروح) فقد الأهل والمال .(ومع ذلك، هو يصفه بأنه "مس" من الشيطان.

المفاهيم الفكرية والتربوية لهذا الدعاء:

· مفهوم الأدب في الشكوى: أيوب يقدم لنا نموذجًا للشكوى المباحة .فهو يشكو إلى الله، لا يتذمر عليه .الفرق دقيق لكنه عظيم .الشكوى إلى الله هي اعتراف بالضعف وطلب للعون .أما التذمر فهو اعتراض على القدر .مثال تقريبي: كطفل صغير وقع وتعثر، فركض إلى حضن أمه وهو يبكي .هو لا يعترض على أمه، بل يطلب منها الحنان والعون .هذا هو حال أيوب مع ربه.
· مفهوم نسبة الشر لغير الله: في الحديث: "والشر ليس إليك" .أيوب يطبق هذا الأدب عمليًا .هذا المفهوم يحمي المؤمن من سوء الظن بالله في أوقات البلاء .فهو يعلم أن الله أرحم به من أمه، وأن ما أصابه إنما هو بتقدير لحكمة بالغة، وأن الشيطان هو المنفذ الذي أراد به الإضلال.

الرسالة الوجدانية:
كم مرة في حياتنا حين نمرض أو نخسر، تتسرب إلى قلوبنا كلمة: "لماذا فعل الله بي هذا؟". هذه الآ ية تعيد ضبط بوصلتنا: "لا تقل هذا. قل كما قال أيوب: (مسني الشيطان بنصب وعذاب). واعلم أن الله هو القادر على كشفه".

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآية؟

هذه الآية ليست مجرد حكاية نبي، بل هي دستور للتعامل مع البلاء والمحن، وموجهة إليك في كل لحظة ضعف:

.1يريد منا أن نثبت على وصف "العبودية" في كل أحوالنا .أنت عبد لله في الغنى والفقر، في الصحة والمرض، في العز والذل .لا تدع البلاء ينسيك من أنت حقًا: "عبدنا".
.2يريد منا أن نتعلم فن الشكوى إليه .لا تتردد في أن تعرض حالك على الله، وأن تشكو إليه ضعفك وقلة حيلتك .ولكن افعل ذلك بأدب، وبنسبة الخير إليه، ونسبة البلاء إلى أسبابه الظاهرة أو إلى الشيطان.
.3يريد منا أن نرى البلاء على حقيقته: مجرد "مس" عابر .مهما عظم البلاء في عينك، فهو في ميزان رحمة الله شيء يسير .هذه النظرة تخفف وطأة الألم النفسي، وتجعلك تنتظر الفرج بثقة.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآية في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، ، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولًا: مفهوم العبودية المطلقة كملاذ نفسي في الأزمات.
في حياة الفرد، هذا المفهوم هو طوق النجاة من دوامة التساؤلات الوجودية. عندما يفقد الإنسان وظيفته، أو يصاب بمرض عضال، أو يفقد عزيزًا، فإن السؤال الذي يعذب نفسه هو: "لماذا أنا؟". لكن مفهوم "عبدنا أيوب" يجيب: "لأنك عبد، والابتلاء هو أحد تجليات هذه العبودية". هذا يمنح الفرد استقرارًا نفسيًا عميقًا، لأنه يعرف أن البلاء ليس عقابًا عشوائيًا، بل هو جزء من مسار عبوديته. في المجتمع، هذا المفهوم ينشر ثقافة الصبر والتكافل. فالمجتمع الذي يعلم أفراده أن قيمة الإنسان لا تقاس بماله أو صحته، بل بكونه "عبدًا لله"، هو مجتمع لا ينهار عند الشدائد، ولا يفرز نخبة على حساب المستضعفين. وفي مسيرة الحضارة، الأمم التي تبني هويتها على "العبودية لله" لا تنهار بعد الرفاهية، لأنها لا ترى في الثراء غاية، بل وسيلة، فتحافظ على قيمها في السراء والضراء. حضارة "عبدنا" هي حضارة متواضعة في انتصاراتها، صابرة في محنها.

ثانيًا: مفهوم النداء كأداة اتصال مباشر في زمن العزلة.
أيوب كان معتزلًا في خربة، بعيدًا عن الناس. لكنه كان قريبًا من الله لأنه "نادى ربه". في حياتنا العملية، كثيرًا ما نشعر بالوحدة في وسط الزحام، أو بالعزلة بسبب ظروفنا. هذا المفهوم يعلمنا أن العزلة الحقيقية هي أن تقطع حبل النداء مع الله. فمهما ابتعد عنك الناس، ومهما ضاقت بك الأسباب، فإن خط "النداء" مفتوح دائمًا. هذا يبني إنسانًا متصلًا بمصدر قوته، لا يشعر بالخذلان. في المجتمع، انتشار ثقافة "النداء" (الدعاء) بين أفراده يخلق نسيجًا اجتماعيًا مترابطًا روحيًا. مجتمع يلجأ أفراده جميعًا إلى قوة واحدة عليا، تجمعهم قيم مشتركة وتخفف من تناحرهم على المصالح الدنيوية. حضاريًا، الأمم التي تحافظ على "النداء" لله في أفراحها وأتراحها، هي أمم تمتلك مناعة روحية ضد ا لأمراض الاجتماعية كاليأس والإلحاد والانتحار، لأن الإنسان فيها يعرف أن هناك من يسمع شكواه دائمًا.

ثالثًا: مفهوم "المس" كاستراتيجية لتقليل الألم النفسي.
أيوب وصف البلاء العظيم بأنه "مس". هذا ليس إنكارًا للواقع، بل هو إعادة تعريف له. في علم النفس الحديث، يُعرف هذا بـ"إعادة التأطير المعرفي". أي تغيير نظرتك للمشكلة لتخفيف أثرها عليك. فبدل أن تقول: "أنا مدمر، حياتي انتهت"، تقول: "هذه مجرد عثرة، هذا مجرد مس من الشيطان". هذا المفهوم يبني إنسانًا صلبًا مرنًا، قادرًا على مواجهة الصدمات دون أن تنكسر نفسه. في المجتمع، انتشار هذه النظرة يقلل من حالات الهلع الجماعي عند الكوارث. مجتمع يقول أفراده عند الزلزال أو الوباء: "هذا مس من الشيطان، وسيزول بإذن الله"، هو مجتمع يبقى متماسكًا وقادرًا على التعافي السريع. حضاريًا، الحضارات التي تواجه تحدياتها الكبرى (غزوات، أوبئة، كوارث طبيعية) بعقلية "المس" لا تنهار، بل تخرج منها أقوى. لأنها لا تستهلك طاقتها في الندب والبكاء على الأطلال، بل في العمل على تجاوز الأزمة.

رابعًا: مفهوم نسبة الشر للشيطان لحماية الإيمان بالقدر.
أيوب نسب النَصْب والعذاب للشيطان، مع إيمانه الكامل بأن ذلك بقدر الله. هذا التوازن الدقيق يحمي عقيدة المؤمن من الزلل. فكريًا، هذا المفهوم يقدم حلا ً لمشكلة الشر في العالم. فالله خلق الخير و الشر لحكمة، ولكن الشر في ذاته منسوب إلى مخلوقاته (الشيطان والنفس الأمارة بالسوء)، بينما الخير كله بيد الله. هذا يبني إنسانًا مطمئن العقيدة، لا يحمل في قلبه سوء ظن بربه. في المجتمع، هذا المفهوم يحمي من ظاهرة التكفير أو الاعتراض على القدر. فبدل أن يقول الناس عند المصيبة: "أين الله من هذا؟"، يقولون: "هذا من عمل الشيطان وكيده، والله أرحم بنا". وهذا يحافظ على وحدة

المجتمع وإيمانه الجماعي. حضاريًا، الحضارة التي تحل مشكلة الشر بهذه الصيغة الإيمانية تقدم للعالم نموذجًا فريدًا للتعامل مع الألم. بينما تغرق حضارات أخرى في العبثية والعدمية (لأنها لم تجد تفسيرًا للشر)، تقدم الحضارة الإسلامية تفسيرًا يريح العقل والقلب معًا.

الأمر الرابع:

أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآية تفتح لنا آفاقًا واسعة في فهم علاقتنا باللّٰه وبأنفسنا وبالبلاء.

.1البعد النفسي والعلاجي: نموذج أيوب في العلاج بالدعاء والتعبير عن الألم.

في العلاج النفسي الحديث، يُعرف أن كبت المشاعر وتجاهل الألم يزيد من حدته. والتعبير عن الألم بطريقة صحية هو جزء أساسي من التعافي. أيوب عليه السلام لم يكبت ألمه، بل عبر عنه بأدب في حضرة اللّٰه: "مسني الشيطان بنصب وعذاب". هذا هو التعبير الروحي الصحي. إنه لم يتذمر، بل شكا. هذا البعد النفسي يعطينا منهجًا في التعامل مع أزماتنا: لا تكبت ألمك، ولكن عبّر عنه في المكان الصحيح وبالطريقة الصحيحة. المكان الصحيح هو حضرة اللّٰه، والطريقة الصحيحة هي الشكوى لا الا عتراض. تخيل عيادة نفسية تطبق هذا النموذج، حيث تشجع المريض على أن يفرغ همومه في سجادة الصلاة والدعاء، بعد أن يعيد تعريف مشكلته بأنها "مس من الشيطان". هذا يمنح المريض شعورًا بالتمكين والتحكم، بدل أن يكون ضحية مستسلمة.

.2البعد الاجتماعي والإنساني: إعادة دمج المنبوذين والمهمشين.

أيوب عليه السلام حين اشتد به المرض، نفره الناس وتركوه وحيدًا. هذه مأساة اجتماعية تتكرر في كل زمان: مريض الجذام قديمًا، مريض الإيدز اليوم، أو حتى الفقير الذي أفلس. المجتمع يميل إلى نبذ من تسقط عنه النعم. لكن اللّٰه في هذه الآية يرفع من شأن أيوب في أشد لحظات نبذه، فيصفه ب-"عبدنا". هذا البعد يحمل رسالة اجتماعية ثورية: قيمة الإنسان ليست فيما يملك أو في صحته، بل في عبوديته لله. هذا المفهوم إذا ساد في مجتمع، فإنه يخلق مجتمعًا رحيمًا، يحتضن المرضى و الفقراء والمهمشين، ويرى فيهم "عبادًا لله" لا "حالات إنسانية". المجتمع الذي يقوم على هذا الأساس يكافح وصمة العارالملحقة بالمرض والفقر، ويسعى لإعادة دمج هؤلاء في النسيج الاجتماعي بكرامة.

.3البعد الفكري والعقدي: حل إشكالية وجود الألم في عالم يخلقه رحيم.

من أعظم الإشكاليات الفلسفية التي واجهت البشر: "إذا كان اللّٰه رحيمًا، فلماذا يوجد الألم؟". قصة أيوب كما تقدمها الآية تقدم حلا ً عمليًا وروحيًا لهذه الإشكالية. فهي لا تقدم تفسيرًا فلسفيًا جافًا، بل تقدم نموذجًا للتعامل مع الألم. الألم موجود، وهو "مس من الشيطان" (سبب مباشر)، لكنه يقع في إطار "العبودية" (غاية عظمى). فالغاية من وجود الألم ليست إيلام الإنسان، بل اختبار عبوديته وصقلها. هذا البعد الفكري يحرر العقل المؤمن من حيرة التشكيك، ويمنحه إطارًا مرجعيًا واضحًا: "أنا عبد، وهذا ابتلاء، والشيطان يحاول أن يستغل ابتلائي ليكفرني، ولكن ربي أرحم بي من أن يتركني". هذه القناعة الفكرية هي حصن منيع ضد موجات الإلحاد التي تستغل معاناة البشر لتزرع الشك في رحمة اللّٰه.

.4البعد الحضاري والتاريخي: الأمة الصابرة تصنع التاريخ.

إذا نظرنا إلى مسيرة الأمم والحضارات، نجد أن جميعها مرت بلحظات "نصب وعذاب" عظيمة. حروب، مجاعات، أوبئة، احتلالات. الفرق بين أمة تنهض من تحت الركام وأخرى تندثر هو فلسفتها في التعامل مع الألم. الأمة التي تتبنى نموذج أيوب في الصبر، وفي نسبة البلاء للشيطان مع اليقين بأن اللّٰه سيرفع البلاء، هي أمة قادرة على النهوض الحضاري. لأنها لا تستهلك طاقتها في لوم القدر أو لوم اللّٰه، بل توجه طاقتها كلها للصبر والعمل والتغيير. في التاريخ الإسلامي، بعد سقوط بغداد على يد المغول، لم يقل المسلمون: "لقد تخلى اللّٰه عنا". بل قال علماؤهم: "هذا بذنوبنا، وهذه فتنة". ثم انطلقوا من جديد ليبنوا حضارة إسلامية أخرى في الأناضول والهند ومصر. هذا هو الأفق الحضاري لقصة أيوب: أن تكون الأمة "عبدًا لله" في حال ضعفها، فتستحق أن يرفع اللّٰه عنها البلاء ويمكن لها من جديد.

الأمر الخامس:

الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال الصحة النفسية: عندما تشعر بضيق أو ألم نفسي، لا تكتمه. اذهب إلى مكان هادئ، وارفع

يديك إلى السماء، وقل بصوت مسموع: "يا رب، إني مسني الشيطان بنصب وعذاب، وأنت أرحم الراحمين". عبر عن ألمك بالكلمات التي تخرج من قلبك. ستجد أن مجرد البوح بهذه الشكوى لله يخفف ثقلًا عظيمًا عن صدرك.

في مجال العلاقات الاجتماعية: إذا رأيت شخصًا قد أصابه بلاء (مرض، فقر، فضيحة)، فلا تنظر إليه نظرة شفقة أو احتقار. تذكر أن الله يناديه في السماء ب"عبدنا". اذهب إليه، واجلس معه، وذكره بهذه الآية. قل له: "إن مكانتك عند الله لا تتغير. أنت عبد الله". هذا الكلام قد يكون له أثر الشفاء في نفسه.

في مجال التربية الأسرية: عندما يمرض طفلك، أو يخفق في دراسته، أو يكسر لعبته المفضلة، لا تقل له: "لماذا أنت مهمل؟" أو "لماذا فعلت هذا بنفسك؟". بل علمه أدب الشكوى. قل له: "تعال يا بني، ارفع يديك معي، وقل: يا رب، مسني الشيطان بنصب". سيتعلم الطفل أن يلجأ إلى الله في كل صغيرة وكبيرة، وستتكون لديه مناعة نفسية ضد اليأس.

في مجال مواجهة الأزمات: إذا مررت بفقدان عزيز، أو خسارة مالية، أو مشكلة عائلية، اكتب على ورقة بخط كبير: "أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ" . ثم اكتب تحت ذلك: "ولكني لا أزال عَبْدَ الله" . علق الورقة حيث تراها كل يوم. هذه الممارسة البسيطة ستذكرك دائمًا بهويتك الحقيقية، وستمنحك قوة عجيبة على تجاوز المحنة.

في مجال الدعوة والإصلاح: حين تدعو الناس إلى الله، لا تعدهم بحياة خالية من المشاكل. بل علمهم قصة أيوب. قل لهم: "الإيمان لا يمنع البلاء، ولكنه يعطيك المفتاح لتجاوز البلاء. هذا المفتاح هو أن تظل (عبدًا) لله في كل الأحوال، وأن تعرف كيف تشكو إليه". هذا الأسلوب يجعل الدعوة واقعية، ويبني إيمانًا عميقًا لا يتزعزع عند أول ريح محنة.
الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد جلست في محراب أيوب عليه السلام، وسمعت نداءه الخافت الذي بلغ عنان السماء، حان الوقت لتخلو بنفسك وتجيب بصدق:

· ما هو "النُصْب والعذاب" الذي تشعر به الآن في حياتك؟ أهو مرض في جسدك؟ همّ في قلبك؟ دين يثقل كاهلك؟ وحدة تحاصرك؟ اعترف به الآن .اكتبه .لا تخف من الاعتراف، فأيوب اعترف.
· هل تستطيع أن تقول كما قال أيوب: "مسني الشيطان بهذا"؟ هل تستطيع أن تنسب هذا الألم للشيطان وللأسباب، وتبقي نظرتك إلى ربك نقية مليئة بالرجاء؟ جرب أن تقولها بصوت عالٍ ."اللهم إني لا أنسب هذا الألم إليك، بل هو من الشيطان، وأنا أعوذ بك منه".
· هل تشعر أن البلاء قد سرق منك هويتك؟ هل نسيت أنك لا تزال "عبد الله"؟ أغمض عينيك الآن، وتخيل أن الله يناديك من فوق سبع سماوات: "يا عبدي ...يا عبدي" .تخيل وسام العبودية على صدرك .هل تشعر بشيء من العزة يعود إليك؟
· إلى من كنت تشكو همك قبل اليوم؟ إلى الناس الذين قد يشفقون عليك وقد يشمئزون؟ أم كنت تكتمه في صدرك حتى كاد يقتلك؟ من الآن فصاعدًا، اجعل وجهة شكواك الأولى والأخيرة إلى "ربك" . فهو وحده الذي يسمع النداء من قلب المنبوذ في الخراب.

اخرج من هذه الرحلة وقد تبدلت نظرتك إلى بلائك. أنت لست وحدك. أنت تسير على خطى أيوب، نبي الله "عبدنا". اصبر، وادع، وانتظر. فما بعد "مسني الشيطان" يأتي "اركض برجلك" (كما سنرى في ا لآية التالية). وما بعد النصب والعذاب يأتي مغتسل بارد وشراب. ثق بالله، فهو "ربك"
ثانيا
تحليل الآيتين 42 و43 من سورة ص
(ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)

مقدمة: السياق... حين ينطق الفرج بعد الصمت الطويل

بعد أن وقفنا في الآية السابقة على مشهد أيوب عليه السلام وهو ينادي ربه بأدب العبيد: "أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ"، يأتي الرد الإلهي سريعًا، حاسمًا، محمّلًا بفيض من الرحمة. لم يترك الله نبيه أيوب يتقلب على فراش البلاء طويلًا بعد أن رفع شكواه. بل نزل الفرج في صورة أمر مباشر، وفي صورة عطاء مضاعف. الآيتان (42-43) ليستا مجرد نهاية سعيدة لقصة نبي، بل هما إعلان إلهي عن

قانون رباني ثابت: أن الصبر الجميل، والأدب في الشكوى، والثبات على وصف العبودية، كلها مفاتيح تفتح بها خزائن الرحمة والعطاء. إنهما تقولان لكل مهموم، لكل مكروب، لكل من ضاقت به السبل: "لا تيأس، فما بعد النداء إلا الإجابة، وما بعد الركض إلا الارتواء". دعنا نعيش هاتين الآيتين لحظة بلحظة ، لنرى كيف يحول الله المحنة إلى منحة، وكيف يكتب النهاية التي تليق ب"عبدنا" أيوب.
الأمر الأول:
دلالات الآيات – من الأمر بالحركة إلى فيض العطاء

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هاتين الآيتين الكريمتين:

المحور الأول:
﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ – الفرج يبدأ بخطوة

ماذا يعني هذا المشهد الانتقالي العجيب؟
تأمل معي: أيوب عليه السلام الذي أضناه المرض حتى صار عاجزًا عن الحركة، يسمع الأمر الإلهي: "ارْكُضْ بِرِجْلِكَ" . الركض هو الضرب بالرجل على الأرض بشدة. إنه أمر بالحركة، بالفعل، ببذل الجهد، مع أنه في قمة الضعف. لم يقل الله له: "سأشفيك"، بل أمره أن يفعل شيئًا. وفي لحظة امتثاله للأمر، تنفجر المعجزة: "هَٰذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" . من تحت قدمه التي ركض بها، نبع ماء! ماء بارد يغتسل به فيشفي ظاهر جسده، وماء عذب يشربه فيشفي باطنه.

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "ارْكُضْ" : فعل أمر، يدل على الانتقال من حالة السكون والمرض إلى حالة الحركة والفعل. إنه يعلمنا أن الفرج لا ينزل على القاعدين اليائسين، بل على الذين يتحركون ويسعون، ولو بجهد بسيط. الركضة هنا رمز لكل خطوة عملية نخطوها لعلاج مشاكلنا، بعد أن نكون قد فوضنا أمرنا إلى الله.
· "بِرِجْلِكَ" : تخصيص الرجل. الرجل هي آلة الحركة والسعي. لقد أصاب المرض جسد أيوب كله، لكنه استجاب بأول ما يملك: رجله التي يضرب بها الأرض. وهذا يعلمنا أن نبدأ من حيث نحن، بما نملك، ولو كان ضعيفًا.
· "هَٰذَا" : اسم إشارة للقريب. بمجرد أن ركض برجله، وجد الماء أمامه. إنه فرج قريب جدًا، نابع من تحت قدمه هو، وليس من مكان بعيد. وهذا يعطينا يقينًا أن الحل قد يكون أقرب إلينا مما نتصور، قد يكون مدفونًا تحت أقدامنا، ننتظر منا "ركضة" صادقة.
· "مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ" : لم يكن ماءً واحدًا، بل ماءين: ماء للاغتسال (شفاء الظاهر)، وماء للشرب (شفاء الباطن). إنه شفاء كامل متكامل. وكلمة "بارد" تحمل معنى اللذة والراحة بعد "النصب والعذاب" (الحرارة والتعب). إنها لذة الفرج التي تبرد حرارة البلاء.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
كم منا ينتظر الفرج أن يأتيه على طبق من ذهب، دون أن يحرك ساكنًا؟ هذه الآية تعلمنا أن الأخذ با لأسباب هو شرط لنزول العطاء الإلهي. مثال تقريبي: شخص يعاني من ضائقة مالية شديدة ويظل ج السًا في بيته يدعو الله فقط. نقول له: "اركض برجلك". اخرج، ابحث عن عمل، اطرق الأبواب، قدم سيرتك الذاتية، تعلم مهارة جديدة. في أثناء سعيك، سيفتح الله لك "مغتسلًا باردًا وشرابًا"، أي رزقًا ح لالًا طيبًا يريح بالك ويشبع جوعتك. الركضة هي رمز السعي، والماء هو رمز الرزق.

الرسالة الوجدانية:
هل تشعر أنك عاجز عن حل مشكلتك؟ ابدأ بأول خطوة. "اركض". لا تقل: "أنا ضعيف جدًا". أيوب كان أضعف منك، لكنه أطاع الأمر. تحرك، وسيظهر "المغتسل البارد" من تحت أقدامك.
المحور الثاني:
﴿وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾ – مضاعفة العطاء بعد ذروة البلاء

وما سر هذه الهبة المضاعفة؟
بعد أن شفى الله أيوب، لم يقف العطاء عند الصحة. بل تجاوزه إلى ما هو أعظم: "وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ" . أيوب كان قد فقد أهله، أو فارقوه بسبب مرضه. فأعادهم الله إليه، ثم زاده ضعفهم! إنها هبة لا تقتصر على التعويض، بل تتجاوزه إلى التفضّل والإكرام.

دلالات عميقة في هذه الهبة:

· "وَوَهَبْنَا" : الفعل "وهبنا" يعيدنا إلى اسم الله "الوهاب" الذي دعا به سليمان. هنا يتجلى "الوهاب" في

قصة أيوب. العطاء هنا ليس مجرد إعادة حق أو تعويض عن خسارة، بل هو هبة محضة، تفضل من الله بلا استحقاق.
· "أَهْلَهُ" : إعادة الأهل (الزوجة والأولاد). هذا هو رد الاعتبار الاجتماعي والعاطفي. لقد عادت إليه سنداته البشرية، عادت إليه الأسرة التي كانت ملاذه.
· "وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ" : هنا المضاعفة. لم يردهم كما كانوا، بل زادهم ضعفًا. قيل إن الله رد إليه أهله الذين ماتوا أو فارقوه، ثم رزقه بأولاد جدد، فصار له ضعف ما كان. إنها لمسة كرم إلهي تليق بـ"الوهاب".

اللمسة البيانية في العطف بـ"وَمِثْلَهُمْ":
هذه الكلمة تختصر فلسفة الجزاء الإلهي: "من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه" . أيوب صبر، فكان عطاؤه مضاعفًا. سليمان أناب وطلب، فكان عطاؤه ملكًا لا ينبغي لأحد. إنها سنة ماضية.

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
في حياتنا، قد نفقد أشياء عزيزة: مال، وظيفة، علاقة. إذا صبرنا واحتسبنا، فثق أن الله سيعوضنا. ولكن العوض قد يأتي مضاعفًا في صورة أخرى. مثال تقريبي: شاب فُصل من وظيفته ظلمًا، فصبر واحتسب، وسعى (ركض). بعد فترة، لم يجد وظيفة واحدة، بل وجد فرصتين أفضل من وظيفته السابقة. هذا هو "ووهبنا له أهله ومثلهم معهم" في عالم الوظائف. التعويض مضاعف.

الرسالة الوجدانية:
ما الذي فقدته في حياتك وتظن أنه لن يعود؟ تذكر أيوب. الله قادر أن يرده إليك، بل وأن يزيدك أضعافه. فقط كن "عبدًا" صابرًا، و"اركض" في طريق السعي الحلال.
المحور الثالث:
﴿رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ – ختم الآية ببيان الحكمة الكبرى

لماذا هذا الختام؟
بعد هذا البذل والعطاء، يأتي التعقيب الإلهي: "رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" . أي أن كل ما جرى لأيوب من شفاء وعطاء مضاعف كان رحمة خاصة من الله به، وفي الوقت نفسه هو ذكرى وعبرة لأصحاب العقول الراجحة.

دلالات مذهلة في هذا التعقيب:

· "رَحْمَةً مِّنَّا" : مفعول لأجله، أي فعلنا ذلك لأجل رحمتنا به. إنها إشارة إلى أن البلاء نفسه، ثم الفرج، كان كله ضمن دائرة الرحمة. فالبلاء كان رحمة لتكفير الذنوب ورفع الدرجات، والفرج كان رحمة لإظهار الكرم الإلهي. المؤمن يعيش بين رحمتين.
· "وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ" : أي تذكرة وعبرة لأصحاب العقول الخالصة التي تتفكر وتعتبر. فالعقل السطحي يرى في قصة أيوب مجرد حكاية غريبة. أما "أولو الألباب" (أصحاب لباب العقول) فهم الذين يستخرجون الدروس، ويطبقونها في حياتهم. وهذا يفسر لماذا نحن هنا نحلل هذه الآيات! إننا نتدرب لنكون من "أولي الألباب".

اللمسة البيانية في "ذِكْرَىٰ":
كلمة "ذكرى" توحي بأن هذه القصة ليست جديدة على الفطرة الإنسانية، بل هي تذكير بحقيقة منسية: أن الصبر مفتاح الفرج، وأن الله لا يضيع أجر من أحسن. إنها توقظ العقول من غفلتها.

المفهوم التربوي والعملي (مع مثال تقريبي):
كل واحد منا يمر بقصته الخاصة مع البلاء. لكن "أولي الألباب" هم من يجعلون قصص الآخرين – وخاصة قصص الأنبياء – مرآة يرون فيها أنفسهم. مثال تقريبي: عندما تمر بضيق، وتقرأ قصة أيوب، فبدل أن تقول "هذه قصة قديمة"، تقول: "هذه رسالة لي. الله يعلمني أن أركل الأرض بقدمي، وأنتظر العطاء المضاعف". هذا التحول في التفكير هو علامة "أولي الألباب".

الرسالة الوجدانية:
أنت الآن تقرأ هذه الكلمات. هل أنت من "أولي الألباب" الذين سيجعلون من قصة أيوب "ذكرى" تغير مسار حياتهم؟ أم أنك ستقرأ وتمضي كأن شيئًا لم يكن؟ القصة نزلت لتكون ذكرى لك أنت.
الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟

هاتان الآيتان الكريمتان ليستا مجرد خاتمة لقصة أيوب، بل هما منهج حياة للمؤمن:

.1يريد منا أن نفهم أن الأخذ بالأسباب) الركض (هو جزء لا يتجزأ من التوكل .لا تنتظر المعجزة وأنت قاعد .قم، تحرك، اسع، واثق أن الله سيبارك في سعيك ويخرج لك الخير من تحت أقدامك.
.2يريد منا أن نوقن بأن العوض من الله يأتي مضاعفًا .إذا أخذ الله منك شيئًا، فثق أن ما سيعطيك إياه سيكون أضعافًا مضاعفة، إن صبرت واحتسبت .هذا اليقين يهوّن عليك مرارة الفقد.
.3يريد منا أن نكون من "أولي الألباب" الذين يتعظون بالآيات .لا تكن سطحيًا في تعاملك مع قصص القرآن .اغص في أعماقها، واستخرج دررها، وطبقها في حياتك اليومية.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولًا: مفهوم "الركض" كقيمة للعمل والأخذ بالأسباب في مواجهة الشدائد.
في حياة الفرد، هذا المفهوم هو مضاد حيوي لليأس والخمول. كثير من الناس إذا اشتدت بهم الأ زمات، أصيبوا بالشلل النفسي والحركي. يجلسون في بيوتهم يندبون حظهم، ويقولون: "لم يبق لي حيلة". لكن الأمر الإلهي "اركض" يأتي ليصعق هذا الجمود. إنه يقول لك: "افعل شيئًا! أي شيء! تحرك!". هذا يبني إنسانًا فاعلًا لا منفعلًا، يملك روح المبادرة حتى في أحلك الظروف. في المجتمع، انتشار هذه الثقافة يخلق مجتمعًا منتجًا متعافيًا من الصدمات. مجتمع إذا أصابته أزمة اقتصادية أو كارثة طبيعية، لا يجلس ينتظر الإغاثة فقط، بل يبدأ أفراده بالعمل والبناء بما تبقى لديهم من موارد. هذا هو مجتمع "الركض". وفي مسيرة الحضارة، الحضارات العظيمة قامت على أكتاف أناس "ركضوا" في لحظات الانهيار. بعد سقوط الأندلس، لم يركض المسلمون للوراء، بل ركضوا نحو آفاق جديدة في أفريقيا وآسيا. الحضارة التي تتبنى مفهوم "الركض" هي حضارة متجددة لا تعرف الشيخوخة.

ثانيًا: مفهوم "المغتسل البارد والشراب" كرمز لحلول تخرج من عمق الأزمة ذاتها.
هذا المفهوم بديع جدًا. الماء لم ينزل من السماء، بل نبع من تحت قدم أيوب، من نفس الأرض التي ضربها برجله. هذا يعلمنا أن الحلول لمشاكلنا قد تكون كامنة في صميم الأزمة ذاتها. فبدل أن نبحث عن حلول خارجية مستوردة، قد نجد "المغتسل البارد" تحت أقدامنا إذا تأملنا واجتهدنا. في حياة الفرد، هذا يعني أن تبحث عن مصادر قوتك في داخلك وفي بيئتك القريبة. مثال تقريبي: شاب يعاني من البطالة، فيكتشف أن لديه موهبة في الخياطة أو النجارة أو الطبخ، ويبدأ مشروعًا صغيرًا من منزله. لقد نبع "المغتسل البارد" من تحت قدمه، من موهبته التي أهملها. في المجتمع، هذا المفهوم يشجع على الاعتماد على الذات والموارد المحلية. مجتمع بدل أن يستورد حلولًا لمشاكله، يبدأ في استثمار طاقاته البشرية وموارده الطبيعية القريبة. هذا يبني اقتصادًا قويًا ومستدامًا. حضاريًا، الحضارات التي قامت على استغلال مواردها الذاتية وابتكار حلول من داخلها هي التي استمرت. أما التي اعتمدت على الخارج، فقد كانت عرضة للانهيار السريع.

ثالثًا: مفهوم "وهبنا له أهله ومثلهم معهم" كقانون إلهي في التعويض المضاعف.
هذا المفهوم يبث في النفس الطمأنينة والثقة بالله. إنه يحرر الإنسان من الخوف من الفقد، لأنه يعلم أن ما عند الله أعظم. هذا يبني إنسانًا كريمًا سخيًا، لا يبخل بماله ولا بجهده، لأنه يوقن أن ما ينفقه سيعوضه الله أضعافًا. في المجتمع، انتشار هذا اليقين يخلق مجتمعًا متكافلًا، يبذل فيه الأغنياء أموالهم للفقراء بثقة، ويعطي فيه الأقوياء من وقتهم للضعفاء باطمئنان. هذا يؤدي إلى تضييق الفجوة بين الطبقات، وإشاعة روح المحبة والأخوة. حضاريًا، الحضارة التي تؤمن بالتعويض المضاعف هي حضارة معطاءة. تنفق على العلم، على الفنون، على مساعدة الأمم الأخرى، واثقة أن الله سيبارك في عمرانها ويزيدها. تاريخ الحضارة الإسلامية مليء بالأوقاف التي كانت تنفق على المستشفيات و المدارس والجسور والطرق، وكانت هذه الأوقاف سببًا في ازدهار الحضارة واستمرارها قرونًا.

رابعًا: مفهوم "ذكرى لأولي الألباب" كدعوة للتفكر العميق واستخلاص العبر.
هذا المفهوم يبني عقلية نقدية تحليلية لدى الفرد. "أولو الألباب" ليسوا مجرد قراء أو سامعين، بل هم مفكرون، محللون، مستنبطون. هذا يخلق إنسانًا لا يمر على الأحداث مرور الكرام، بل يقف عندها، يتأمل، يتساءل، يتعلم. في المجتمع، هذه العقلية تنتج مجتمعًا واعيًا لا تنطلي عليه الأكاذيب، ولا يسهل التلاعب به. مجتمع يقرأ التاريخ، ويفهم الواقع، ويخطط للمستقبل بناءً على سنن الله في الكون. حضاريًا، الأمم التي تربي "أولي الألباب" هي التي تنتج العلماء والمفكرين والفلاسفة والمبدعين. هؤلاء هم وقود التقدم الحضاري. حضارة بلا "أولي ألباب" هي حضارة جوفاء، تستهلك ما ينتجه الآ خرون دون أن تنتج فكرًا خاصًا بها. قصة أيوب ليست للتسلية، بل هي مختبر للعقول، ومدرسة للأ

ألباب.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هاتان الآيتان تفتحان لنا آفاقًا واسعة في فهم علاقتنا باللّٰه وبأنفسنا وبالكون.

.1البعد الإيماني والروحي: تجسيد معية اللّٰه في الشدة والرخاء.
اللّٰه لم يترك أيوب في محنته، بل كان معه خطوة بخطوة. أمره أن يركض، فأجرى له الماء. ثم وهبه أهله مضاعفين. هذا البعد يعمق في قلب المؤمن الإحساس بالمعية الإلهية الدائمة. اللّٰه ليس بعيدًا في عليائه يرقب فقط، بل هو قريب، يتدخل، يوجه، يعطي. هذا الإحساس يمنح المؤمن سكينة عجيبة. فهو يعلم أن الذي يدبر الأمر معه في كل لحظة. وحتى "الركضة" التي أمره بها هي دليل على القرب، فاللّٰه يوجهه إلى الحل بنفسه. هذا البعد الروحي يجعل العبد يعيش في حالة حوار مستمر مع ربه، في الشدة والرخاء.

.2البعد العلمي والطبي: إشارات إلى قوانين الشفاء والعلاج.
الأمر "اركض برجلك" فيه إشارة لطيفة إلى أهمية الحركة والرياضة في العلاج الطبيعي. أيوب كان مريضًا، ومع ذلك أمر بالحركة. اليوم، العلاج الطبيعي هو أساس في علاج كثير من الأمراض المزمنة وإعادة التأهيل بعد الإصابات. والماء "المغتسل البارد" فيه إشارة إلى العلاج بالماء ، حيث يستخدم الماء البارد لتنشيط الدورة الدموية وعلاج الالتهابات. هذا البعد العلمي لا يعني أن الآية وصفة طبية بالمعنى الحرفي، بل هي إشارة إلى أن اللّٰه جعل في الأسباب التي خلقها (الحركة والماء) خصائص شفائية. وهذا يفتح أفقًا للبحث العلمي في أسرار الشفاء في الطبيعة. "أولو الألباب" هم الذين ينظرون إلى هذه الإشارات ويستلهمون منها قوانين الكون.

.3البعد النفسي والاجتماعي: التعافي من صدمة الفقد والنبذ.
أيوب لم يفقد صحته فقط، بل فقد أهله ومجتمعه. عطاء اللّٰه له كان شاملاً: شفاء جسدي (المغتسل والشراب)، ورد اعتبار اجتماعي وعاطفي (وهبنا له أهله). هذا يقدم نموذجًا متكاملاً للتعافي من الصدمات. التعافي ليس فقط زوال الألم الجسدي، بل يشمل إعادة بناء العلاقات، واستعادة المكانة، وتعويض الخسائر. هذا البعد النفسي مهم جدًا في علاج ضحايا الحروب والكوارث والمصابين بأمراض مزمنة تسبب العزلة (مثل مرضى الجذام قديمًا، أو بعض الأمراض النفسية حديثًا). الآية تعلمنا أن خطة التعافي يجب أن تشمل البعد الجسدي والنفسي والاجتماعي معًا. وهو ما يعرف اليوم بمفهوم "الشفاء الشامل".

.4البعد الحضاري والتاريخي: سنة التعويض المضاعف للأمم الصابرة.
على مستوى الأمم، تمر الأمم بفترات "نصب وعذاب" قد تطول: احتلال، استعمار، حروب أهلية، فقر، تخلف. لكن إذا صبرت الأمة، وثبتت على هويتها (عبدنا)، و"ركضت" في ميدان العمل والبناء، فإن اللّٰه سيهبها "أهلها ومثلهم معهم". أي سيعيد لها وحدتها وأرضها وكرامتها، بل ويزيدها قوة ومنعة. التاريخ يشهد: ألمانيا واليابان خرجتا من الحرب العالمية الثانية مدمرتين تمامًا، لكنهما "ركضتا" في ميدان الصناعة والعلم، فعادتا أقوى مما كانتا. هذه سنة إلهية في الأمم. لكن الفرق أن الأمة المؤمنة تضيف إلى ذلك "رحمة منا"، أي بركة إلهية في العمران. هذا البعد الحضاري يمنحنا الأمل في أن أمتنا الإسلامية، بعد مرحلة "النصب والعذاب"، قادرة على النهوض، إذا صدقت "ركضتها"، وصبرت، واستحقت أن تكون "ذكرى لأولي الألباب".

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال الصحة البدنية والنفسية: إذا شعرت بضيق أو خمول أو بداية مرض، لا تستسلم للفراش طويلًا. "اركض" بما تستطيع: قم، امش، تحرك، اخرج في الهواء الطلق. اشرب ماءً باردًا، واغتسل. هذه "الركضة" البسيطة قد تكون سببًا في انفراج همك وشفاء بدنك بإذن اللّٰه. اجعل الحركة عبادة.

في مجال العمل والبحث عن الرزق: إذا كنت عاطلًا عن العمل، أو تريد تحسين دخلك، فلا تجلس في البيت تنتظر أن يطرق أحد بابك. "اركض برجلك": اخرج، تعلم مهارة جديدة، قدم طلبات، اسأل معارفك، ابدأ مشروعًا صغيرًا من منزلك حتى لو كان بسيطًا. الماء (الرزق) ينتظر من يضرب الأرض

برجله.

في مجال العلاقات الأسرية والاجتماعية: إذا حدث جفاء أو قطيعة بينك وبين أحد أهلك أو أصدقائك ، وكنت تشعر أنك "فقدتهم"، فلا تنتظرهم ليأتوا إليك. "اركض" نحوهم. ابدأ أنت بالاتصال أو الزيارة أو كلمة طيبة. قد تكون "الركضة" منك هي سبب في "وهب أهلك" من جديد، وربما "مثلهم معهم" من المحبة والمودة التي كانت مفقودة.

في مجال التعامل مع الخسائر المالية: إذا خسرت في تجارة أو استثمار، فلا تقل: "لقد انتهيت". "اركض" في ميدان آخر. ابحث عن فرصة جديدة، تعلم من خطئك، وابدأ من جديد بخطة أفضل. ثق أن الله سيعوضك. اكتب في دفترك: "ووهبنا له أهله ومثلهم معهم". هذه الآية وعد من الله بالتعويض المضاعف لمن صبر وسعى.

في مجال التربية والتعليم: علم أبناءك وطلابك أن الحلول لا تأتي وهم جالسون. إذا استصعب عليهم درس، أو واجهتهم مشكلة، قل لهم: "اركضوا بأرجلكم". ابحثوا في الكتب، اسألوا المعلمين، ناقشوا الزملاء، جربوا الحلول بأنفسكم. ولا تنس أن تذكرهم دائمًا أن هذه القصص هي "ذكرى لأولي الألباب"، أي أنها تنتظر من يستخدم عقله ليستفيد منها.
الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد رأيت كيف انتهى مشهد البلاء إلى مشهد العطاء، وكيف تحول "النصب والعذاب" إلى "مغتسل بارد وشراب"، حان الوقت لتسأل نفسك بصدق:

· ما هي "الأرض" التي تنتظر منك أن "تركض" عليها؟ ما هو المجال الذي تعاني فيه، وتشعر أن الحل مدفون تحته، ولكنك تحتاج أن تضرب بقدمك لتنبعه؟ حدده الآن. (عمل، دراسة، علاقة، عادة سيئة تريد تركها).
· هل أنت مستعد "للركض" بكل ما أوتيت من قوة، ولو كنت ضعيفًا؟ أيوب ركض وهو في قمة المرض. ما عذرك أنت؟ ما هي الخطوة الأولى التي ستخطوها اليوم؟
· ما هو "الأهل" الذين فقدتهم أو ابتعدوا عنك وتتمنى عودتهم؟ هل ستجلس تنتظرهم، أم ستركض أنت نحوهم بقلبك ودعائك وسعيك؟ تذكر أن الله قادر أن يردهم إليك "ومثلهم معهم" من الخير.
· هل تشعر أنك من "أولي الألباب" الذين ستجعلون هذه الآيات "ذكرى" تغير حياتهم؟ أم أنك ستنسى كل هذا بمجرد أن تغلق الصفحة؟ اكتب لنفسك وعدًا: "سأجعل من قصة أيوب ذكرى. سأركض، وسأنتظر العطاء المضاعف".

اخرج من هذه الرحلة وقد عرفت أن البلاء ليس النهاية، بل هو بداية الطريق إلى عطاء أعظم. لا تجلس وحدك في خربة الأحزان. انهض، اركض، اضرب الأرض بقدمك. سترى "المغتسل البارد و الشراب" ينبع من تحتك. وسترى أهلك يعودون إليك، ومثلهم معهم. فالله هو "الوهاب"، وما بعد الصبر إلا الفرج، وما بعد الليل إلا الفجر. كن أيوبيًا في صبرك، وكن أيوبيًا في ركضك..
ثالثا
تحليل الآية 44 من سورة ص
(وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ)

مقدمة: السياق... حين تختم القصة بأجمل ألقاب العبودية

بعد أن رأينا أيوب عليه السلام في مشهد البلاء العظيم، ثم في مشهد الفرج والشفاء والعطاء المضاعف، تأتي هذه الآية لتضع اللمسة الأخيرة على لوحة الصبر الجميل. إنها ليست مجرد تفصيلة فقهية أو حكم شرعي، بل هي رسالة إلهية عميقة تكشف عن جوهر رحمة الله بعباده الصابرين، وعن تكريمه الخاص لمن يثبت على العهد. الآية (44) تأتي كختام مسك لقصة أيوب، لتخبرنا أن الله لم يكتفِ بشفاء نبيه وإعادة أهله ومضاعفة ماله، بل أراد أن يرفع عنه الحرج من يمين أقسمه في لحظة غضب أو ضيق، وأن يختم سيرته بأرفع وسام يمكن أن يناله بشر: "نِعْمَ العَبْدُ إنّهُ أوّابٌ" . دعنا نقترب من هذه الآية الكريمة، لنرى كيف يمزج الله بين التشريع الميسر، وبين الثناء العاطر، في مشهد يفيض رحمة وحكمة.
الأمر الأول:
دلالات الآية – تشريع الرحمة ووسام التكريم

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآية الكريمة:

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾
المحور الأول:
﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ﴾ – حين ينزل التشريع رحمة بالصابرين

ما قصة هذا الأمر الإلهي؟
يُروى أن أيوب عليه السلام، في أثناء مرضه، غضب على زوجته لسبب ما، فحلف ليضربنها مئة سوط إن شفاه الله. وقيل إنها تأخرت عليه يومًا، أو أنها فعلت شيئًا أغضبه، فكان هذا القسم. فلما شفاه الله وأراد أن يفي بيمينه، أنزل الله عليه هذا الحكم الخاص: "وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ". والضغث هو حزمة من الحشيش أو القضبان الرفيعة، تجمع مئة عود، فيضرب بها ضربة واحدة، فيكون قد أوفى بيمينه دون أن يؤذي زوجته التي صبرت معه طوال محنته.

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "وَخُذْ بِيَدِكَ" : أمر إلهي مباشر .وتخصيص "بيدك" يشير إلى أن الحل في متناول يده، سهل يسير، من الطبيعة حوله .لم يأمره بشيء عسير.
· "ضِغْثًا" : كلمة توحي بالتجميع والضم .فبدل أن يفرق الضربات مئة مرة، جمعها في حزمة واحدة . هذا الجمع هو تخفيف من الله.
· "فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ" : "لا تحنث" أي لا تكسر يمينك .هذا هو المقصد: أن يبرّ قسمه دون أن يقع في الحرج أو الظلم .فالله يريد لعبده أن يفي بوعده وعهده، ولكن في إطار الرحمة واليسر.

دلالات عميقة في هذا التشريع:

· دلالة رحمة الله بالصابرين: أيوب صبر سنين على البلاء، فكافأه الله بأن يسر له الخروج من يمينه بأيسر سبيل .وهذا يعلمنا أن الصبر يجلب التيسير .فمن صبر لله، يسر الله له أموره.
· دلالة تكريم الزوجة الصابرة: زوجة أيوب بقيت معه تخدمه في محنته .فلم يشأ الله أن يكون جزاؤها الضرب المبرح بعد الشفاء .فجاء التشريع رحمة بها أيضًا .وهذا درس للأزواج: رفقًا بمن صبر معك في شدتك.
· دلالة الوفاء بالعهد: لم يقل الله لأيوب: "دع يمينك، أنت معذور" .بل علمه كيف يفي بيمينه بطريقة شرعية .وهذا يعظم من قيمة الوفاء بالوعود والأيمان.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
في حياتنا، قد نقع في أيمان أو عهود نندم عليها لاحقًا، ونشعر أن الوفاء بها صعب أو مؤذٍ. هذه الآية تعلمنا أن نبحث عن المخارج الشرعية برفق وحكمة. مثال تقريبي: رجل حلف ألا يأكل طعامًا معينًا ، ثم وجد نفسه في موقف حرج. يمكنه أن يبحث عن رخصة شرعية (كأن يطعم مساكين كفارة) أو يجد مخرجًا كالذي وجده أيوب. المهم ألا نستهين بالأيمان، وأن نبحث عن حلول ترفع الحرج دون أن نكسر عهدنا مع الله.

الرسالة الوجدانية:
هل تشعر أنك في ضيق من أمر حلفت عليه؟ ثق أن الله، الذي فتح لأيوب هذا المخرج، قادر أن يفتح لك مخرجًا. فقط اطلب منه الهداية، وابحث عن حل في إطار شرعه. الله لا يريد أن يعنت عباده، بل يريد بهم اليسر.
المحور الثاني:
﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ الْعَبْدُ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ – وسام العبودية في ختام الرحلة

وما سر هذا الثناء العاطر في نهاية القصة؟
بعد ذكر الرخصة والتيسير، يلتفت الله إلى أيوب بثناء عظيم، ويكرر نفس الأوصاف التي مدح بها سليمان وداود عليهما السلام: "نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" ، لكنه هنا يضيف وصفًا جديدًا: "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا" . أي أن الله اختبره وامتحنه، فوجده صابرًا ثابتًا.

دلالات مذهلة في هذا الثناء:

· "إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا" : التعبير بـ"وجدناه" يدل على أن الله علم منه الصبر علمًا يقينيًا بعد الاختبار . لم يقل "إنه صابر"، بل قال "إنا وجدناه صابرًا" .وكأن الصبر كان مخبوءًا في قلبه، فأظهره البلاء . وهذا معنى عظيم: البلاء يكشف معادن الرجال.
· "نِعْمَ الْعَبْدُ" : أداة مدح عظيمة .أيوب في حال بلائه كان "عبدنا"، وفي حال شفائه وغناه صار "نعم

العبد" .لم يتغير وصفه، بل تأكد وارتقى .فهو عبد في الحالين، ونعم العبد فيهما.
· "إِنَّهُ أَوَّابٌ" : الأواب هو كثير الرجوع إلى الله في كل الأحوال .أيوب كان أوابًا في بلائه، وأوابًا في رخائه .وهذا هو سر مدحه.

اللمسة البيانية في تكرار وصف "أواب":
سبق أن وصف الله داود وسليمان بأنهما "أواب". وهنا يصف أيوب بذلك. إنه رابط خفي بين قصص ا لأنبياء في هذه السورة. كأن الله يريد أن يقول لنا: "هذه هي صفة العظماء من عبادي: الأوبة. فكونوا منها". الأوبة ليست مجرد توبة من ذنب، بل هي حالة قلبية دائمة من الرجوع والإنابة إلى الله.

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
الصبر ليس صفة فطرية فحسب، بل هو ثمرة يجدها الله في قلب المؤمن بعد الاختبار. أنت قد لا تعرف أنك صبور حتى تمر بالمحنة. مثال تقريبي: طالب يظن أنه ضعيف في مادة معينة، فإذا به يجتهد ويصبر على المذاكرة الطويلة وقت الامتحان، ويكتشف أن لديه قدرة على الصبر لم يكن يعرفها. الله "يجدنا" صابرين بعد أن نمر بالاختبار. وهذا يعلمنا ألا نيأس من أنفسنا قبل التجربة.

الرسالة الوجدانية:
تخيل أن الله ينظر إليك الآن، وإلى ما مررت به من بلاءات، ثم يقول عنك: "إنا وجدناه صابرًا". هل هناك تكريم أعظم من هذا؟ اجعل هذه الآية نصب عينيك في كل محنة، واعلم أن الصبر هو الذي سيجعل الله "يجدك" عنده من الصابرين، ويمدحك في ملأ الملائكة.
الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآية؟

هذه الآية الكريمة، رغم قصرها، تحمل رسائل متعددة من الله إلى كل مؤمن:

.1يريد منا أن نوقن بأن دينه يسر وليس عسرًا .إذا وجدت نفسك في مأزق بسبب يمين أو عهد، فاعلم أن الله قد جعل في شرعه مخارج ورخصًا ترفع الحرج عنك .لا تيأس من رحمة الله، وابحث عن المخرج الحلال.
.2يريد منا أن نعظم قيمة الوفاء بالعهود والأيمان .لم يلغِ الله يمين أيوب، بل علمه كيف يفي بها بأيسر طريق .وهذا يدل على أن الوفاء بالوعد والعهد من صفات "نعم العبد".
.3يريد منا أن نتعلم أن الصبر هو الطريق إلى المدح الإلهي ."إنا وجدناه صابرًا" هي نتيجة الاختبار . فإذا أردت أن يمدحك الله، فاصبر في محنتك، واثبت على عبوديتك، وكن "أوابًا" دائم الرجوع إليه.
الأمر الثالث:
مفاهيم الآية في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولًا: مفهوم التيسير في الأحكام كأساس للشريعة الرحيمة.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يمنحه الطمأنينة والسكينة. المسلم يعلم أن الشريعة لم تأتِ لتشق عليه، بل لتيسر له حياته. إذا وقع في ضائقة من أمر يمين، أو عجز عن عبادة، وجد رخصة ترفع عنه الحرج. هذا يبني إنسانًا محبًا لدينه، واثقًا في ربه، لا يخاف من تعقيدات الفقهاء، بل يعيش في رحاب "يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر". في المجتمع، هذا المفهوم يخلق مجتمعًا مرنًا متسامحًا. مجتمع لا يتعامل مع نصوص الشريعة بجمود، بل بفهم مقاصدها الرحيمة. فبدل أن يعاقب كل من حنث بيمينه بأشد العقوبات، يبحث عن المخارج الشرعية التي تحقق العدل والرحمة معًا. وهذا يقلل من النزاعات والخصومات. حضاريًا، الحضارة التي تقوم على شريعة الرحمة والتيسير هي حضارة جاذبة للناس. تاريخ الإسلام يشهد أن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا لأنهم رأوا رحمته ويسره. بينما الحضارات التي تقوم على قوانين جافة قاسية تنفر الناس وتدفعهم للتمرد.

ثانيًا: مفهوم الوفاء بالعهد كقيمة أخلاقية عليا.
أيوب لم يتحلل من يمينه رغم أنه كان في حالة مرض وغضب. بل أوفى بها، ولكن بالطريقة التي أرادها الله. هذا يعلمنا أن الوفاء بالوعد والعهد هو خلق المؤمن. في حياة الفرد، هذا يبني شخصية موثوقة. الناس يأمنون جانبه، ويعتمدون على كلمته، لأنه معروف بوفائه. في المجتمع، انتشار هذه القيمة يبني مجتمعًا قويًا متماسكًا، حيث العقود والعهود محترمة، والثقة متبادلة بين الأفراد و المؤسسات. هذا هو أساس الاقتصاد القوي والعلاقات الاجتماعية المستقرة. حضاريًا، الأمم التي تحترم عهودها ومواثيقها هي التي تنجح في بناء تحالفات دولية قوية، وتكسب احترام العالم. أما الأمم التي

تنقض عهودها، فإنها تفقد مصداقيتها وتنعزل. وفي هذا درس للأمة الإسلامية اليوم: أن تكون وفية بعهودها حتى مع أعدائها، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم وفيا بعهد الحديبية.

ثالثًا: مفهوم "إنا وجدناه صابرًا" كمعيار إلهي لتقييم الرجال.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يغير معيار النجاح. نحن نقيس نجاح الناس بما يحققونه من إنجازات مادية (مال، شهرة، منصب). لكن الله يقيسهم بالصبر. "إنا وجدناه صابرًا" هي شهادة نجاح عليا. هذا يبني إنسانًا متحررًا من عبودية المقاييس المادية، مهتمًا ببناء داخله وصبره. في المجتمع، انتشار هذا المقياس يخلق مجتمعًا يقدر القيم الأخلاقية أكثر من القيم المادية. فبدل أن يكون البطل هو المليونير أو المشهور، يكون البطل هو الصابر على البلاء، والمجاهد في سبيل الحق. هذا يغير هرم القيم في المجتمع. حضاريًا، الحضارات التي ترفع من شأن الصابرين والثابتين على المبادئ هي التي تدوم. لأنها تربي أجيالًا قادرة على تحمل الشدائد وبناء النهضة بعد الكبوات. تاريخ الإسلام مليء بنماذج الصابرين الذين غيروا وجه الأرض: صلاح الدين، محمد الفاتح، عمر المختار... كلهم ممن "وجدهم الله صابرين".

رابعًا: مفهوم "نعم العبد إنه أواب" كخاتمة تكرر للتأكيد.
تكرار هذا الوصف في السورة (لداود وسليمان وأيوب) يبني عقيدة مركزية في نفس المؤمن: أن العبودية الحقة والأوبة الدائمة هما مناط المدح الإلهي. هذا المفهوم يجعل الفرد دائم المراجعة لنفسه، دائم الرجوع إلى الله، لا يغتر بطاعة، ولا ييأس من معصية، لأنه "أواب". في المجتمع، هذا يخلق مجتمعًا تائبًا منيبًا، مجتمع لا يصر على الخطأ، بل يعترف به ويرجع. مجتمع يربي أبناءه على أن الكمال ليس ألا تخطئ، بل أن تكون أوابًا. حضاريًا، الحضارة "الأواب" هي التي تتعلم من أخطائها وتنهض من جديد. فالأمة التي تكرر أخطاءها ولا تتعلم من التاريخ هي أمة ليست "أواب". أما الأمة ا لأواب فهي التي تراجع مسارها باستمرار، وتصحح أخطاءها، وتعود إلى رشدها، فتبقى في حالة تجدد حضاري دائم.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآية، رغم قصرها، تفتح لنا آفاقًا واسعة في الفقه والأخلاق وعلم النفس والتاريخ.

.1البعد الفقهي والتشريعي: فتح باب الرخص الشرعية في الأيمان والعهود.
الآية أصل في مشروعية الحيلة الشرعية لرفع الحرج، بشرط ألا تؤدي إلى إبطال حكم شرعي أو إضرار بالغير. الفقهاء استنبطوا من هذه الآية جواز التحايل في الأيمان إذا كان القصد رفع المشقة مع بقاء الوفاء بصورة اليمين. هذا البعد الفقهي يظهر مرونة الشريعة الإسلامية واتساعها لاستيعاب ظروف الناس المختلفة. وهو يفتح باب الاجتهاد للعلماء في كل عصر لإيجاد حلول لمشكلات الناس المعاصرة في أبواب الأيمان والنذور والعقود. فهذا يعطي الشريعة قدرة على البقاء والصالحية لكل زمان ومكان.

.2البعد الأخلاقي والتربوي: التوازن بين الوفاء بالعهد والرحمة بالنفس والغير.
أيوب كان أمام خيارين: إما أن يضرب زوجته مئة سوط (وفاءً بالقسم ولكن مع أذى كبير لمن صبرت معه)، وإما أن يحنث (راحة للزوجة ولكن مع إثم الحنث). فجاء الحل الإلهي ليجمع بين الحسنيين: الوفاء بالقسم والرحمة بالزوجة. هذا البعد الأخلاقي يعلمنا فن الموازنة بين الواجبات المتعارضة. ففي حياتنا، كثيرًا ما نواجه مواقف نكون فيها بين أمرين: الوفاء بوعد قطعناه، والرحمة بمن حولنا. الآية تعلمنا أن نبحث عن الحلول الإبداعية التي تحقق المقاصد دون ضرر. هذا يبني عقلية متوازنة ناضجة ، لا تتعامل مع الأمور بالأبيض والأسود فقط، بل تبحث عن درجات الرمادي الرحيمة.

.3البعد النفسي والعلاجي: رفع الضغط النفسي عن المبتلى.
أيوب كان مريضًا، ثم شُفي، ثم واجه مشكلة يمينه. هذا الضغط النفسي الإضافي بعد الشفاء قد يكون مرهقًا. فأنزل الله هذه الرخصة لتريح قلبه. هذا البعد النفسي يبين لنا أن الله يراعي الحالة النفسية لعباده. فهو لا يثقل عليهم بما لا يطيقون، حتى في التكاليف الشرعية. وفي هذا تطمين لكل من يعاني من وساوس أو ضغوط بسبب أيمان أو عهود: "الله يعلم حالك، وقد جعل لك مخرجًا". هذا يعطي راحة نفسية عظيمة للمؤمن، ويحميه من أمراض القلق والاكتئاب التي قد تنتج عن الشعور بـ الذنب والحرج.

.4البعد التاريخي والاجتماعي: تجريم العنف الأسري والتأكيد على الرحمة الزوجية.
قد يظن البعض أن الأمر "فاضرب به" يبيح ضرب النساء! لكن السياق العام والخاص يظهر العكس

تمامًا. القصة الأصلية هي أن أيوب حلف أن يضرب زوجته في لحظة غضب. فجاء التشريع ليخفف هذا الضرب إلى أقصى درجة ممكنة (ضغث من حشيش). فهذا ليس تشريعًا للضرب، بل هو تشريع لتخفيف أثر يمين سابق. ثم إن الثناء على أيوب جاء بعد أن امتثل هذا الأمر الرحيم، مما يدل على أن مقصود الشرع هو الرحمة بالزوجة. هذا البعد الاجتماعي مهم جدًا في عصرنا. فهو يبين أن الرحمة بالنساء هي من صفات "نعم العبد" ، وأن الشريعة تبحث عن كل وسيلة لحمايتهن حتى من أيمان أزواجهن. وهذا ينسف أي فهم خاطئ يبرر العنف الأسري باسم الدين.
الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال الوفاء بالوعود والعهود: إذا وعدت أحدًا بشيء، فاحرص على الوفاء به. وإذا وجدت صعوبة في الوفاء، فابحث عن حل وسط يحقق مقصود الوعد دون ضرر. وتذكر أن الوفاء من صفات عباد الله الصالحين.

في مجال العلاقات الزوجية: إذا حدث خلاف بينك وبين زوجتك، لا تدع الغضب يجعلك تحلف أيمانًا قد تندم عليها. وإن حدث وحلفت، فابحث عن المخرج الرحيم، ولا تجعل الوفاء بيمينك سببًا في إيذاء شريكة حياتك. كن رحيمًا كما كان أيوب.

في مجال التعامل مع الأخطاء الشخصية: إذا حلفت على شيء ثم تبين لك أن الوفاء به صعب أو فيه ضرر، فلا تيأس. ابحث عن رخصة شرعية، واستشر أهل العلم. فالله لم يجعل علينا في الدين من حرج. هذه الآية تعلمك أن المخرج موجود.

في مجال التربية الأسرية: علم أبناءك أن "كسر اليمين" ليس بالأمر الهين، بل يجب الوفاء به أو إيجاد مخرج شرعي. واشرح لهم قصة أيوب ليروا كيف أن الله يسر على نبيه. هذا يغرس فيهم احترام العهود منذ الصغر.

في مجال الصبر على البلاء: كلما مررت بضيق، تذكر أن الله "يجد" الصابرين. واجعل شعارك: "اللهم اجعلني ممن إذا ابتليتهم صبروا، وإذا وجدتهم قلت فيهم: نعم العبد إنه أواب". اجعل الصبر صفة تتحلى بها حتى "يجدك" الله أهلا ً للمدح.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد سمعت خاتمة قصة أيوب، وأدركت معنى "نعم العبد إنه أواب"، حان وقت المصارحة:

· هل هناك يمين أو عهد قطعته على نفسك، وتشعر الآن أن الوفاء به صعب أو مرهق؟ ما هو؟ هل بحثت عن مخرج شرعي رحيم؟ أم أنك لا تزال حائرًا؟
· كيف تتعامل مع أهلك وزوجك وأولادك في لحظات الغضب؟ هل تقول كلامًا أو تحلف أيمانًا قد تندم عليها لاحقًا؟ تعلم من أيوب أن يكبح جماح غضبه، وأن يبحث عن الرحمة حتى في حال الوفاء بيمينه.
· هل تعتقد أن الله "يجدك" صابرًا في محنتك الحالية؟ لو كان هناك امتحان للصبر، هل ستنجح فيه؟ ماذا يمكنك أن تفعل اليوم لترتقي في مقام الصابرين؟
· هل يمكنك أن تقول عن نفسك "إني أواب"؟ هل ترجع إلى الله بسرعة إذا أخطأت؟ هل تراجع نفسك باستمرار؟ الأوبة هي صفة عباد الله الممدوحين .اجعلها شعارك.

اخرج من هذه الرحلة وقد حفظت في قلبك هذا الوسام الإلهي: "نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ" . إنه وسام أيوب ، وسام سليمان، وسام داود. وهو وسام ينتظرك أنت أيضًا. فاصبر، وأوفِ بعهدك، وكن رحيمًا، وارجع إلى الله في كل أحوالك. حينها، ستستحق هذا الوسام، وستكون من "أولي الألباب" الذين يذكرون بهذه الآيات
نموذج ابراهيم واسحاق ويعقوب
تحليل الآيات 45-47 من سورة ص
(وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ)
مقدمة: السياق... حين يجتمع مجد النبوة في ثلاثة أجيال

بعد أن أبحرنا في محيط قصة أيوب عليه السلام، ورأينا كيف يُكرم الله عبده الصابر الأواب، ينتقل بنا الخطاب القرآني إلى لوحة جديدة، مشرقة بنور الاصطفاء والاجتباء. إنه مشهد يجمع ثلاثة من عظماء الرسل: إبراهيم، وابنه إسحاق، وحفيده يعقوب، عليهم صلوات الله وسلامه. هذا الانتقال ليس عشوائيًا، بل هو جزء من نسيج محكم في سورة "ص"، حيث تعرض السورة نماذج متنوعة من "عبادنا" المكرمين: داود وسليمان وأيوب، والآن إبراهيم وآله. يفتح لنا معرضًا للصور الإيمانية المشرقة، كل صورة تحمل درسًا فريدًا.

في هذه الآيات الثلاث، يتجلى تكريم من نوع آخر. إنه ليس تكريم صبر على البلاء كما في قصة أيوب، ولا تكريم تمكين وملك كما في قصة سليمان، بل هو تكريم اصطفاء واجتباء وتزكية إلهية. إنها تكشف لنا عن سر القوة الحقيقية (أولي الأيدي والأبصار)، وعن جوهر الإخلاص (ذكرى الدار)، وعن ذروة الشرف (المصطفين الأخيار). دعنا نقف أمام هذا المشهد المهيب، لنرى كيف يصف الله عباده المخلصين، ولنستلهم من أوصافهم ما يبني فينا معاني القوة والبصيرة والصفاء.

الأمر الأول:
دلالات الآيات – أوصاف العباد المصطفين

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآيات الكريمة، آية آية:

المحور الأول:
﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ – القوة والبصيرة جناحا العبودية

ماذا يعني هذا الجمع العجيب بين القوة والبصيرة؟
يأمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من بعده أن يذكروا هؤلاء الأنبياء الثلاثة، وينعتهم بوصفين عظيمين: "أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ" . "الأيدي" جمع "يد"، وهي كناية عن القوة والقدرة على العمل والفعل. و"الأبصار" جمع "بصر"، وهي كناية عن العلم والفهم والنفاذ إلى حقائق الأمور. هذان الوصفان يجتمعان ليكونا صفات كمال في الإنسان: القوة العملية مع البصيرة العلمية.

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "عِبَادَنَا" : لاحظ أن الإضافة إلى ضمير الجلالة "نا" تتكرر في السورة (عبدنا داود، عبدنا أيوب، عبادنا إبراهيم...). إنها شهادة ملكية إلهية، تمنح هؤلاء الرسل أعلى أوسمة الشرف. فالعبودية لله هي أصل كل فضيلة.
· "أُولِي الْأَيْدِي" : لم يقل "أقوياء"، بل قال "أولي الأيدي"، إشارة إلى أنهم يملكون زمام الأمور بأيديهم، فهم أهل عمل وجهاد وبذل، ليسوا متواكلين ولا عاجزين. قوتهم في أيديهم التي يبنون بها وينشرون بها الخير ويدفعون بها الباطل.
· "وَالْأَبْصَارِ" : ولم يقل "علماء" فقط، بل "أولي الأبصار"، أي الذين يملكون بصيرة نافذة ترى حقائق الأ شياء، ولا تقف عند ظواهرها. هم ليسوا مجرد حملة معلومات، بل أصحاب رؤية وفهم عميق.
· الربط بين القوة والبصيرة: الأداة "واو" العطف تجمع بين الصفتين معًا، وتشير إلى أن الكمال هو في اجتماع القوة مع البصيرة. فالقوة بلا بصيرة طيش وتهور، والبصيرة بلا قوة عجز وضعف. هؤلاء الأنبياء جمعوا الحسنيين، فكانوا قادرين على الفعل، ومبصرين لمواضع الفعل الصحيح.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
في حياتنا، نحتاج إلى "الأيدي" و"الأبصار" معًا. مثال تقريبي: شاب متحمس للعمل الخيري (لديه أيدي: قوة وطاقة)، لكنه قد يفتقر إلى "البصيرة" في كيفية إدارة المشاريع أو اختيار الأولويات، فيبذل جهدًا كبيرًا في غير محله. أو على العكس، شخص لديه علم واسع وفهم عميق (بصيرة)، لكنه لا يحرك ساكنًا ولا يعمل بما يعلم (يفتقد الأيدي). النموذج الإبراهيمي يعلمنا أن نسعى لامتلاك الاثنين: أن نتعلم ونعمل، أن نفهم وننفذ، أن نخطط ونبني.

الرسالة الوجدانية:
انظر إلى يديك الآن. هل هما "أيدي" بالمعنى الإلهي؟ أي هل تستخدمهما في طاعة الله وخدمة عباده وبناء الحياة؟ وانظر إلى بصيرتك. هل لديك "بصر" نافذ يميز الحق من الباطل، والأهم من المهم؟ هؤ لاء الأنبياء كانوا "أولي الأيدي والأبصار"، فكن على آثارهم.
المحور الثاني:
﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾ – سر الإخلاص... تذكر الآخرة

وما هي هذه الخالصة التي أخلصهم الله بها؟
بعد وصفهم بالقوة والبصيرة، يذكر الله سببًا جوهريًا لاصطفائهم: "إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ" . أي أننا خصصناهم واصطفيناهم بخصلة عظيمة، هي أنهم جعلوا تذكر الدار الآخرة شغلهم الشاغل، فكانت قلوبهم معلقة بها، وأعمالهم موجهة إليها.

دلالات عميقة في هذا الإخلاص:

· "أَخْلَصْنَاهُم" : الفعل "أخلص" هنا بمعنى "خصص واصطفى". فالله اختارهم لنفسه، وجعلهم خالصين لعبادته، ليس في قلوبهم شائبة شرك أو رياء أو حب للدنيا.
· "بِخَالِصَةٍ" : الخالصة هي الخصلة البالغة الصفاء والنقاء. وهي هنا مفسرة بقوله: "ذِكْرَى الدَّارِ" . أي أن تذكرهم الدائم للدار الآخرة (الجنة والنار) هو تلك الخصلة التي صفت بها قلوبهم من حظوظ النفس ومن التعلق بالدنيا الفانية.
· "ذِكْرَى الدَّارِ" : "الدار" اسم جنس، والمقصود به الدار الآخرة. و"ذكرى" مصدر بمعنى التذكر الدائم، وليس مجرد ذكر عابر. قلوبهم معمورة بتذكر لقاء الله والوقوف بين يديه، فكان هذا التذكر هو محركهم في كل أعمالهم.

اللمسة البيانية في التعبير "بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ":
الآية تقول: "أخلصناهم بخالصة هي ذكرى الدار". أي أن تذكر الآخرة هو أداة التصفية والتنقية للقلب. فمن يملأ قلبه بتذكر الآخرة، يصفو من أدران الدنيا، ويصبح خالصًا لله. هذا سر عظيم: إذا أردت الإخلاص، فأكثر من تذكر الموت والقبر والحساب والجنة والنار.

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
في عصر الماديات والشهوات، كيف نحافظ على نقاء قلوبنا؟ الآية تعطينا الوصفة: "ذكرى الدار" . مثال تقريبي: شاب يعمل في مجال المال والأعمال، وتحيط به إغراءات الربا والرشوة والكسب الحرام. إذا كان قلبه مليئًا بـ"ذكرى الدار"، فإنه سيحاسب نفسه قبل كل صفقة، وسيقول: "ماذا سأقول لربي يوم القيامة عن هذا المال؟". هذا التذكر الدائم سيجعله "خالصًا" لله في عمله، وسيدفعه لاختيار الحلال الطيب. أما إذا غفل عن ذكرى الدار، فسيقع في الحرام بسهولة.

الرسالة الوجدانية:
ما هو نصيب "ذكرى الدار" في يومك وليلتك؟ هل تجلس لحظة قبل النوم تتخيل فيها وقوفك بين يدي الله؟ هل تمر ببالك الجنة ونعيمها، والنار وعذابها، وأنت تقدم على أي عمل؟ اجعل "ذكرى الدار" خالصتك التي تطهر بها قلبك، وتستحق بها أن تكون من عباد الله المخلصين.
المحور الثالث:
﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ – ذروة الشرف في ملكوت الله

وما هو هذا الوسام الختامي؟
بعد أن وصفهم بالقوة والبصيرة، وذكر سر إخلاصهم، يختم الله الآيات بوسام رفيع: "وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ" . أي أنهم في الملأ الأعلى، في علم الله وحكمه، هم من جملة الذين اصطفاهم الله واختارهم وفضلهم على العالمين، وجعلهم من الأخيار المبرزين في الخيرية.

دلالات مذهلة في هذا الوسام:

· "وَإِنَّهُمْ" : "إن" للتوكيد، تفيد القطع واليقين بأن هذا شأنهم عند الله.
· "عِندَنَا" : هذا هو أعظم ما في الآية. لم يقل "وإنهم لمن المصطفين" فقط، بل أضاف "عندنا" . أي في حضرتنا، في ملكوتنا، في علمنا وحكمنا. هذه المنزلة "عند الله" هي ما يجب أن يسعى إليه كل مؤمن، لا المنزلة عند الناس. فالناس قد يرفعون من لا يستحق، ويخفضون من يستحق، لكن الميزان الحقيقي هو ما "عند الله".
· "الْمُصْطَفَيْنَ" : اسم مفعول من "الاصطفاء"، وهو الاختيار والانتقاء. فالله اختارهم من بين خلقه، واجتباهم لرسالته. إنهم صفوة الخلق.
· "الْأَخْيَارِ" : جمع "خير"، وهم الذين بلغوا الغاية في الخيرية، فصار الخير سجية لهم وطبعًا.

اللمسة البيانية في الجمع بين "المصطفين" و"الأخيار":
"المصطفين" إشارة إلى اختيار الله لهم، و"الأخيار" إشارة إلى تحقق الخيرية في ذواتهم وأعمالهم. فجمع الله لهم بين الاصطفاء من عنده، وبين كونهم أهلًا لهذا الاصطفاء بما جبلهم عليه من خير.

المفهوم التربوي والعملي (مع مثال تقريبي):
كثير من الناس يسعى ليكون "مصطفى" عند الناس: يريد أن يكون المفضل، المختار، المقدم في المجالس والوظائف. لكن الآية تعلمنا أن نسعى لنكون "مصطفين عند الله". وهذا الاصطفاء الإلهي له ع لامات ذكرتها الآيات نفسها: أن نكون "أولي الأيدي والأبصار"، وأن تكون لنا "خالصة ذكرى الدار". مثال تقريبي: موظف يؤدي عمله بإتقان وقوة (أيدي)، وبفهم وحكمة (أبصار)، ولا ينتظر مدح المدير أو ترقية سريعة، بل همه الأكبر أن يرضي الله ويتذكر حسابه يوم القيامة (ذكرى الدار). هذا الموظف هو "مصطفى" عند الله، حتى لو كان مغمورًا عند الناس.

الرسالة الوجدانية:
أين تريد أن تكون "مصطفى"؟ عند الناس أم "عند الله"؟ اعمل لتكون من "الأخيار" في علم الله. اجعل سعيك لمرضاة الله، لا لمرضاة الخلق. فما "عند الله" هو الباقي، وما عند الناس هو الفاني.
الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

هذه الآيات الثلاث هي دستور لبناء الشخصية الإيمانية المتكاملة:

.1يريد منا أن نجمع بين القوة العملية) الأيدي (والبصيرة العلمية) الأبصار .(فلا نكون ممن يعلم ولا يعمل، ولا ممن يعمل بلا علم .هذه هي صفة "عباد الله" المكرمين.
.2يريد منا أن نجعل "ذكرى الدار") الآخرة (هي الخالصة التي تصفي قلوبنا .فكلما تذكرنا الموت و الحساب، صفت نياتنا، وأخلصت أعمالنا، وابتعدنا عن حظوظ النفس.
.3يريد منا أن نسعى لنكون "مصطفين أخيارًا" عنده، لا عند الناس .فالقيمة الحقيقية هي ما نكون عليه في علم الله وملكوته، لا ما نبدو عليه في أعين البشر.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولًا: مفهوم "أولي الأيدي والأبصار" كمعادلة للتكامل بين العلم والعمل.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يبني شخصية متوازنة منتجة. الفرد الذي يملك "الأيدي" القوية العاملة، و "الأبصار" النافذة العالمة، هو فرد قادر على تحقيق أهدافه بكفاءة وحكمة. إنه لا يهدر طاقته في أعمال غير مدروسة، ولا يكتفي بالمعرفة النظرية دون تطبيق. هذا النموذج الإبراهيمي يقدم لنا القدوة في الجمع بين العلم والعمل، بين الفكر والحركة. في المجتمع، انتشار هذا النموذج يخلق مجتمعًا قويًا منتجًا ومتحضرًا. مجتمع يملك "الأيدي" التي تبني العمران وتزرع الأرض وتصنع التقنية، ويملك "الأ بصار" التي تخطط للمستقبل وتدير الموارد بحكمة وتبتكر الحلول. مجتمع "أولي الأيدي والأبصار" هو مجتمع لا يعرف التخلف، لأنه يسخر العلم لخدمة العمل، والعمل لتحقيق العلم. حضاريًا، الحضارة التي تقوم على هذه المعادلة هي حضارة راسخة الأقدام. التاريخ يشهد أن الحضارة الإسلامية في أوجها جمعت بين قوة "الأيدي" (الفتوحات، العمران، الصناعة) وبصيرة "الأبصار" (العلوم، الفلسفة، الترجمة، الا ختراعات). فلما انفصلت الأيدي عن الأبصار، وضعفت البصيرة، ضعفت القوة وانهارت الحضارة. نهضتنا المعاصرة لن تقوم إلا إذا أعدنا الجمع بين هذين الجناحين.

ثانيًا: مفهوم "ذكرى الدار" كمحرك للإخلاص ومناعة ضد الفساد.
في حياة الفرد، هذا المفهوم هو مركز تصفية النوايا. كثيرًا ما تتشعب بنا النوايا وتختلط فيها حظوظ النفس: حب الظهور، طلب الثناء، الخوف من النقد. "ذكرى الدار" تأتي لتجرد القلب من هذه الشوائب. عندما يتذكر الإنسان أنه سيقف وحده أمام الله، وأن عمله سيعرض عليه، فإنه يخلص النية لله وحده. هذا يبني إنسانًا صادقًا مع نفسه ومع ربه، لا يغش ولا يرائي، لأن همه الأكبر هو الحساب الأ خروي. في المجتمع، انتشار "ذكرى الدار" يبني مجتمعًا نزيهًا. مجتمع يخاف أفراده من يوم تظهر فيه الخفايا، فيقل فيه الغش والرشوة والفساد الإداري والمالي. الرقابة الداخلية (تذكر الآخرة) أقوى من أي رقابة خارجية. هذا المجتمع يكون أهلا ً للثقة والاستقرار والازدهار. حضاريًا، الحضارة التي تغيب عنها "ذكرى الدار" تتحول إلى حضارة مادية استهلاكية، تنتشر فيها الأمراض الأخلاقية، وتنهار من الداخل رغم قوتها المادية الظاهرة. أما الحضارة التي تجعل "ذكرى الدار" حية في ضمير أبنائها، فهي حضارة مستدامة، لأن لديها وازعًا داخليًا يحافظ على نقائها وقيمها عبر الأجيال.

ثالثًا: مفهوم "المصطفين الأخيار" كهدف أسمى للتنافس الإنساني.

في حياة الفرد، هذا المفهوم يعيد توجيه بوصلة الطموح. بدل أن يكون طموح الإنسان أن يكون "مصطفى" عند مديره، أو عند جمهوره، أو عند أقرانه، يصبح طموحه أن يكون "مصطفى" عند الله. هذا التحول في الطموح يمنح الإنسان حرية داخلية عظيمة. فهو لا يصبح أسيرًا لآراء الناس وتقييماتهم، بل يعمل لهدف أسمى وأبقى. هذا يحرره من القلق والتوتر ومن التملق والنفاق. في المجتمع، انتشار هذا المفهوم يخلق مجتمعًا متساميًا، مجتمعًا يتنافس أفراده في الخيرات لا في المظاهر. فيكون السؤال المطروح: "ماذا قدمت لدينك وأمتك؟" لا "كم رصيدك في البنك؟" أو "كم متابعًا لك؟". هذا يغير هرم القيم الاجتماعية نحو الأفضل. حضاريًا، الحضارة التي تربي أبناءها على أن يكونوا "مصطفين أخيارًا عند الله" تنتج قادة ومفكرين وعلماء مخلصين. هؤلاء هم من يصنعون الفارق في التاريخ، لأنهم لا يعملون لمصلحة شخصية أو حزبية ضيقة، بل يعملون لله وللأمة وللإ نسانية. تاريخنا مليء بنماذج من هؤلاء: علماء وقفوا أوقافًا عظيمة، قادة فتحوا بلدانًا ولم يأخذوا منها شيئًا لأنفسهم، لأنهم كانوا يريدون أن يكونوا "مصطفين عند الله".

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآيات تفتح لنا آفاقًا واسعة في الفكر والتربية وعلم الاجتماع والتاريخ.

.1البعد التربوي والتعليمي: منهجية "الأيدي والأبصار" في بناء الإنسان.
الآية تقدم نموذجًا تربويًا متكاملا ً: لا يكفي أن نربي "الأبصار" (العقول) بالعلم والمعرفة، بل يجب أن نربي "الأيدي" (المهارات والقدرات العملية) أيضًا. هذا البعد ينقد أنظمة التعليم التي تركز على الحفظ و التلقين (تغذية الأبصار فقط)، وتهمل التدريب العملي والمهني والحرفي (الأيدي). كما ينقد الاتجاهات التي ترفع من شأن العمل اليدوي وتهمل العلم والفكر. التوازن هو المطلوب. هذا الأفق يفتح بابًا لإصلا ح أنظمتنا التعليمية لتجمع بين العلوم النظرية والتطبيقية، وبين التكوين الفكري والتدريب المهني، لتخرج أجيالا ً من "أولي الأيدي والأبصار".

.2البعد النفسي والروحي: "ذكرى الدار" كعلاج للأمراض القلبية.
في عصر القلق والاكتئاب والتعلق المفرط بالدنيا، تأتي "ذكرى الدار" كعلاج نفسي وروحي فعال. تذكر الموت يخفف من وطأة هموم الدنيا، لأن الإنسان يدرك أن كل هذه المشاكل زائلة. وتذكر الجنة يبعث الأمل والطمأنينة، وتذكر النار يردع عن المعاصي. هذا البعد يجعل من "ذكرى الدار" علاجًا سلوكيًا معرفيًا يغير نظرة الإنسان للحياة، فيعيش في الدنيا كمسافر لا كمقيم دائم. علماء النفس اليوم يتحدثون عن أهمية "الوعي بالموت" في تحقيق الصحة النفسية والتركيز على الأولويات الحقيقية. القرآن سبق إلى هذا المعنى بأسلوب إيماني رفيع.

.3البعد الاجتماعي والسياسي: الاصطفاء الإلهي مقابل الاصطفاء البشري.
المجتمعات البشرية تميل إلى اصطفاء نخب على أسس مادية أو قبلية أو حزبية. "المصطفين" في ع الم البشر قد يكونون من الأغنياء أو الأقوياء أو أصحاب النفوذ، بغض النظر عن أخلاقهم. الآية تقدم معيارًا مختلفًا تمامًا: الاصطفاء عند الله، وهو اصطفاء مبني على القوة بالحق، والبصيرة بالعلم، والإخلا ص بتذكر الآخرة. هذا البعد يطرح سؤالا ً على كل مجتمع: "من هم مصطفوكم؟ ومن هم قادتكم ونخبكم؟ هل هم ممن يرجون لقاء الله، أم ممن يريدون الحياة الدنيا وزينتها؟". هذا يفتح أفقًا للإص لاح السياسي والاجتماعي بأن تكون معايير الاختيار للقيادة والمسؤولية مستمدة من هذه الصفات القرآنية.

.4البعد الحضاري والتاريخي: الأسرة الإبراهيمية كنموذج للبركة الممتدة.
جمعت الآيات بين إبراهيم وابنه إسحاق وحفيده يعقوب في سياق المدح والاصطفاء. هذا يبرز قيمة الأسرة الممتدة في المشروع الحضاري. إبراهيم لم يكن فردًا معزولا ً، بل ربى أبناءه وأحفاده على ا لإيمان والتوحيد، فامتدت البركة في ذريته عبر الأجيال. هذا البعد يعطينا درسًا في أهمية التربية الأ سرية المستمرة، وأن بناء الحضارة يبدأ من البيت، ومن توارث القيم والمبادئ عبر الأجيال. الأمم التي تهمل التربية الأسرية وتقطع الصلة بين الأجيال، تفقد استمراريتها الحضارية. الأسرة الإبراهيمية هي نموذج لـ "الحضانة الحضارية" التي تخرج القادة والمصلحين.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال تطوير الذات: ضع لنفسك هدفًا مزدوجًا هذا الأسبوع: أن تتعلم شيئًا جديدًا (تنمية "الأبصار")، وأن تطبق ما تعلمته عمليًا (تنمية "الأيدي"). مثلا ً: اقرأ كتابًا في مهارة ما، ثم ابدأ فورًا في ممارسة هذه المهارة ولو بشكل بسيط. اجعل شعارك: "علم وعمل".

في مجال العبادة والروحانيات: خصص خمس دقائق يوميًا قبل النوم لـ "ذكرى الدار". أغمض عينيك، وتخيل للحظات أنك في قبرك، أو أنك واقف بين يدي الله للحساب، أو أنك على الصراط. هذا التمرين القصير اليومي سيحدث تغييرًا عميقًا في قلبك ويزيد من إخلاصك.

في مجال العمل والمهنة: عندما تؤدي عملك، اسأل نفسك: "هل أنا أستخدم (الأيدي) بإتقان وقوة؟ وهل أستخدم (الأبصار) بفهم وتخطيط؟". ثم اسأل نفسك السؤال الأهم: "هل أخلص في عملي هذا لله ، متذكرًا أنني سأسأل عنه يوم القيامة؟". هذا السؤال المزدوج سيجعلك موظفًا أو صاحب عمل متميزًا.

في مجال التربية الأسرية: اجتمع مع أبنائك، واقرأ عليهم هذه الآيات، واشرح لهم معاني "أولي الأيدي والأبصار" و"ذكرى الدار" و"المصطفين الأخيار". ثم اطلب من كل واحد منهم أن يذكر مثالا ً عمليًا من حياته كيف يمكن أن يطبق هذه المعاني. هذا يبني فيهم الوعي بهذه القيم منذ الصغر.

في مجال العلاقات الاجتماعية: عندما ترى شخصًا يحظى باصطفاء الناس (شهرة، منصب، مال)، لا تنظر إليه بعين الحسد، بل قل لنفسك: "الاصطفاء الحقيقي هو ما عند الله". واجعل همك أن تكون من "المصطفين الأخيار" في علم الله، ولو كنت مغمورًا بين الناس.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد وقفت على أعتاب هذا المشهد الإبراهيمي المهيب، ورأيت أوصاف عباد الله المصطفين، حان وقت الصدق مع النفس:

· أين أنت من "الأيدي"؟ هل تستخدم يديك وقدراتك في عمل نافع، في بناء، في خدمة، في جهاد؟ أم أن "يديك" معطلتان أو موجهتان لغير ما يرضي الله؟
· أين أنت من "الأبصار"؟ هل تسعى لزيادة علمك وفهمك وبصيرتك في الدين والدنيا؟ هل تقرأ، تتعلم، تتفكر، تستشير؟ أم أنك تعيش على سطح الحياة دون تعمق؟
· ما هو نصيب "ذكرى الدار" من تفكيرك اليومي؟ متى كانت آخر مرة تذكرت فيها الموت بصدق، فغيرت من سلوكك أو نيتك؟ هل يمكنك أن تجعل "ذكرى الدار" خالصتك التي تنقي بها قلبك؟
· أي اصطفاء تطلب؟ هل تلهث وراء اصطفاء الناس، أن تكون المفضل في العمل، أو المشهور في وسائل التواصل؟ أم أن همك أن تكون من "المصطفين الأخيار" عند الله؟ أين بوصلة قلبك؟

اخرج من هذه الرحلة وقد حملت في قلبك هذه الأوسمة الثلاثة: قوة الأيدي، وبصيرة الأبصار، وصفاء ذكرى الدار. إنها أوسمة "عباد الله" المصطفين الأخيار. فاسعَ لتحصيلها، واجعلها نبراسك في حياتك، تكن من الفائزين "عند الله" في الدار الآخرة.

نموذج اسماعيل واليسع وذا الكفل

.تحليل الآية 48 من سورة ص

(وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ)

مقدمة: السياق... حين تختصر العظمة في اسم ووسام

بعد أن وقفنا في الآيات السابقة على مشهد الاصطفاء العظيم لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، ورأينا كيف وصفهم الله بأنهم "أولي الأيدي والأبصار" وأنهم "من المصطفين الأخيار"، تأتي هذه الآية القصيرة في مبناها، العميقة في معناها، لتذكر ثلاثة أسماء أخرى من أنبياء الله: إسماعيل، واليسع، وذا الكفل. إنها آية عابرة في نظر المتعجل، ولكنها في الحقيقة رسالة إلهية مكثفة تحمل في طياتها تكريمًا بالغًا، ودرسًا بليغًا في مفهوم العظمة الحقيقية.

في هذه الآية، لا يذكر الله تفاصيل قصص هؤلاء الأنبياء، ولا يعدد معجزاتهم، ولا يسهب في بلائهم، بل يكتفي بذكر أسمائهم، ثم يختمها بوسام واحد جامع: "وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ" . هذا الأسلوب القرآني المعجز يريد أن يقول لنا شيئًا عظيمًا: "ليست العبرة بكثرة ما يُعرف عنك من تفاصيل في الدنيا، بل بماذا أنت مسجل به في سجل السماء. ويكفيك من الشرف أن تكون ممن يطلق الله عليهم لقب (الأ

أخيار)". دعنا نقف أمام هذه الآية القصيرة، لنستخرج من بين كلماتها القليلة معاني العظمة الخالدة.
الأمر الأول:
دلالات الآية – تحليل الاسم والوسام

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآية الكريمة:
﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾
المحور الأول:
﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ﴾ – أسماء لامعة في سجل الأخيار

من هم هؤلاء الأنبياء؟

· إسماعيل عليه السلام: هو ابن إبراهيم البكر، الذبيح الذي فداه الله بذبح عظيم، جد النبي محمد صلى الله عليه وسلم .نبي عظيم، ضرب أروع أمثلة الطاعة لله ولأبيه .قصته معروفة مشهورة.
· اليسع عليه السلام: هو إليشع بن أخطوب، تلميذ إلياس عليه السلام، وقد أوحى الله إليه بعد إلياس ، وأيده بالمعجزات .وهو من أنبياء بني إسرائيل.
· ذو الكفل عليه السلام: اختلف في نبوته، والراجح أنه نبي .قيل إنه تكفل ببعض أعمال نبي قبله فوفى بها، فسمي ذا الكفل .وقيل هو ابن أيوب عليه السلام.

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "وَاذْكُرْ" : الأمر بالذكر يتكرر في السورة) واذكر عبدنا داود، واذكر عبدنا أيوب، واذكر عبادنا إبراهيم .(...هذا التكرار هو بمثابة إشارات مرور إلهية تلفت انتباهنا: "قف هنا، وتأمل .لا تمر مرور الكرام على هؤلاء العظماء" .فالذكر هنا ليس مجرد استحضار، بل هو تدبر واتعاظ.
· ذكر الأسماء مجردة: الآية لم تذكر معهم أوصافًا تفصيلية كالسابقين، بل اكتفت بأسمائهم .هذا يعلمنا أن العظمة لا تحتاج دائمًا إلى تفاصيل مسهبة .قد يكون الشخص عظيمًا عند الله، وعمله خفيًا بين الناس، لا يعرفه إلا القليل .فالله يعلمه، ويكفيه ذلك شرفًا.
· التنوع في الأسماء: إسماعيل) اسم عربي(، اليسع) اسم أعجمي(، ذو الكفل) لقب .(هذا التنوع يشير إلى أن الخيرية لا ترتبط بعرق أو لغة أو لقب، بل بالعمل الصالح والتقوى.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
في حياتنا اليومية، ننجذب نحو المشاهير وأصحاب السير الذاتية الطويلة المليئة بالإنجازات الظاهرة. لكن الآية تلفتنا إلى أن هناك "أخيارًا" كثيرين لا نعرف عنهم شيئًا، قد يكونون جيراننا، أو زملاءنا، أو أقاربنا. مثال تقريبي: عامل نظافة بسيط يؤدي عمله بإتقان وإخلاص، لا يعرفه أحد، لكنه عند الله من "الأخيار". أو أم مخلصة تربي أبناءها في صمت، لا يذكرها التاريخ، لكن اسمها مكتوب في سجل الأ خيار. هذه الآية تكرم كل المجهولين الذين أخلصوا لله.

الرسالة الوجدانية:
لا تحزن إذا كنت مجهولا ً بين الناس، وإذا لم تكن سيرتك الذاتية حافلة بالإنجازات المادية. فالله يعلمك، ويكفيه أن يذكرك في كتابه، وأن يدخلك في زمرة "الأخيار". فلتكن همتك أن تكون من "الأ خيار" عند الله، لا من المشهورين عند الناس.

المحور الثاني:
﴿وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ﴾ – وسام جامع لعظماء متعددين

ما سر هذا الوسام الختامي؟
بعد ذكر أسمائهم، يأتي التعقيب الإلهي: "وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ". هذه الجملة القصيرة تحمل دلالات عظيمة:

· "وَكُلٌّ" : لفظ شامل يؤكد أن كل واحد من هؤلاء الثلاثة، على اختلاف ظروفهم وأزمنتهم وقصصهم، قد بلغ مقام "الأخيار".
· "مِّنَ الْأَخْيَارِ" : "الأخيار" جمع "خير"، وهم الذين بلغوا الغاية في الخيرية .وقد سبق وصف إبراهيم وإسحاق ويعقوب بأنهم "من المصطفين الأخيار" .وهنا يلحق بهم إسماعيل واليسع وذو الكفل، ليؤكد أنهم من نفس الطراز الرفيع .إنهم صفوة الصفوة.

لمسات بيانية في ربط الآية بما قبلها:
الآية السابقة ختمت بقوله: "وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ". والآية هذه تقول: "وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ".

هذا الربط البياني البديع يدل على أن هؤلاء الثلاثة هم أيضًا من المصطفين، ولكن الآية أوجزت في وصفهم اكتفاءً بذكر الخيرية التي هي ثمرة الاصطفاء. فالخيرية هي الصفة الظاهرة فيهم، والاصطفاء هو سرها الباطن.

دلالات عميقة في وصف "الأخيار":

· دلالة الشمولية: الخيرية هنا ليست في جانب واحد، بل هي خيرية شاملة في الأقوال والأفعال و النيات .هم أخيار في علاقتهم مع الله) عبادتهم(، ومع أنفسهم) تزكيتهم(، ومع الناس) معاملتهم.(
· دلالة الثبات: وصفهم بـ"الأخيار" بصيغة الجمع الدالة على الثبات، يعني أن الخيرية صارت صفة لا زمة لهم، وسجية في طباعهم .ليسوا ممن يفعل الخير أحيانًا، بل هم عين الخير أينما حلوا.
· دلالة القدوة: وصفهم بهذا الوصف يجعلهم قدوة لنا .فنحن مأمورون أن نذكرهم، أي أن نتذكر سيرتهم ونتأسى بهم، لنسعى أن نكون مثلهم من "الأخيار".

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
في عصر التخصصات الدقيقة، قد يتفوق الإنسان في مجال معين (خير جزئي) ولكنه يكون مقصرًا في جوانب أخرى. وصف "الأخيار" القرآني يدعونا إلى الخيرية الشاملة. مثال تقريبي: طبيب بارع في مهنته (خير في مجاله)، لكنه قاس في معاملة المرضى، أو مقصر في حق أسرته. هذا ليس من "الأ خيار" بالمعنى القرآني الشامل. أما من يجمع بين إتقان العمل، وحسن الخلق، والعبادة، وصلة الرحم، فهو الذي يستحق هذا الوسام.

الرسالة الوجدانية:
تخيل أن الله يصفك بأنك من "الأخيار". ماذا يعني هذا؟ يعني أن حياتك كلها قد تحولت إلى خير. أن تكون خيرًا في بيتك، في عملك، في مسجدك، في سوقك. أينما كنت، فأنت تحمل الخير وتنشره. هذا هو الوسام الذي يمنحه الله لمن أخلص له. فاسعَ أن تكون من "الأخيار" في علم الله.

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآية؟

هذه الآية، رغم قصرها، تحمل رسائل إلهية عميقة:

.1يريد منا أن نعرف أن العبرة بالخيرية عند الله لا بالشهرة عند الناس .قد يكون الإنسان خامل الذكر في الأرض، معروفًا في السماء .فلا تحزن إن كنت مجهولا ً، واعمل لترفع اسمك في سجل الأ خيار.
.2يريد منا أن نتذكر عظماء هذه الأمة وخيارها .الأمر "واذكر" هو أمر بالاقتداء .اذكر سيرتهم، واتبع هديهم، واستلهم من حياتهم القوة في العبادة والثبات على الحق.
.3يريد منا أن نكون من "الأخيار" الشاملين .لا تكتفِ بأن تكون خيرًا في جانب واحد من حياتك، بل اسعَ أن تكون خيرًا في كل جوانبها .الخيرية الحقة هي التي تشمل القول والعمل والنيات.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآية في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولا ً: مفهوم "الأخيار" كمعيار إلهي للقيمة الإنسانية.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يحرر الإنسان من ضغط التقييم الاجتماعي. كثير من الناس يعيشون في قلق دائم بشأن صورتهم أمام الآخرين: ماذا يقول الناس عني؟ هل أنا مشهور؟ هل أنا معروف؟ أما من يسعى ليكون من "الأخيار" عند الله، فإنه يتحرر من هذا القلق، ويصبح همه الأوحد أن يكون خيرًا في عين الله. هذا يمنحه سكينة نفسية وثقة عالية، لأنه يعمل لمعيار ثابت لا يتغير بتغير أهواء البشر. في المجتمع، انتشار هذا المفهوم يخلق مجتمعًا متوازنًا، لا تهيمن عليه قيم الشهرة والنجومية الزائفة. فبدل أن يكون المثل الأعلى للشباب هو الممثل أو المغني أو المؤثر الذي قد يكون فارغًا من الخيرية الحقة، يصبح المثل الأعلى هو الإنسان التقي النقي الخلوق، ولو كان مغمورًا. هذا يغير أولويات المجتمع نحو القيم الأخلاقية والإيمانية. حضاريًا، الحضارة التي ترفع من شأن "الأخيار" الحقيقيين، وتقدمهم كنماذج، هي حضارة صالحة ومستقرة. لأنها تبني على أساس متين من الخلق و القيم. أما الحضارة التي ترفع الأشرار أو الفارغين، فهي حضارة تحمل عوامل سقوطها في داخلها.

ثانيًا: مفهوم "الذكر" الموجز كدليل على كفاية العلم الإلهي.
الله لم يذكر تفاصيل عن حياة هؤلاء الأنبياء، ومع ذلك فهم مكرمون غاية التكريم. هذا يعلمنا أن قيمة الإنسان ليست فيما يُعرف عنه، بل فيما يعلمه الله منه. في عصر المبالغة في السير الذاتية (CV) والتسويق الشخصي، تأتي هذه الآية لتقول لنا: "لا يهم كم يعرف الناس عنك، بل ماذا يعلم الله عنك". هذا المفهوم يبني إنسانًا صادقًا مع نفسه ومع ربه، لا ينشغل بتضخيم ذاته أمام الناس، بل يركز على تحسين جوهره أمام الله. في المجتمع، هذا يقلل من ظاهرة الرياء والنفاق الاجتماعي، حيث يتسابق الناس لإظهار ما ليس فيهم. مجتمع يقيس الأفراد بميزان "الأخيار" الرباني هو مجتمع تنتشر فيه الثقة، لأن الظاهر فيه يعكس الباطن غالبًا. حضاريًا، الحضارة التي تبني على الإخلاص و الصدق الداخلي هي حضارة ذات جوهر قوي، لا تنخدع بالمظاهر البراقة. إنها تنظر إلى الأعماق، وتقيم الأمور بحقائقها لا بصورها.

ثالثًا: مفهوم "كل من الأخيار" كجامع للأمة الواحدة.
هؤلاء الأنبياء عاشوا في أزمنة وأمكنة مختلفة: إسماعيل في مكة، واليسع في بني إسرائيل، وذو الكفل في العراق أو الشام. ومع ذلك جمعتهم كلمة واحدة: "كل من الأخيار" . هذا يعلمنا أن الأخيار في كل زمان ومكان هم أمة واحدة، تجمعهم رابطة الخيرية والإيمان، حتى لو تباعدت ديارهم وأزمانهم. هذا المفهوم يبني في الفرد شعورًا بالانتماء إلى جماعة إيمانية ممتدة عبر التاريخ. فالمؤمن اليوم يشعر أنه جزء من سلسلة طويلة من الأخيار، تبدأ من آدم وتنتهي بآخر مؤمن على وجه الأ رض. هذا يعزز هويته وثقته. في المجتمع، هذا المفهوم يوحد الأمة الإسلامية على اختلاف أجناسها وألوانها وألسنتها. فكل من تحقق فيه وصف "الأخيار" فهو منا ونحن منه، في مشارق الأرض ومغاربها. وهذا يبني أمة عالمية متماسكة روحيًا. حضاريًا، الحضارة الإسلامية في عظمتها كانت تجمع تحت رايتها أجناسًا وأقوامًا شتى، توحدهم رابطة الإيمان والخيرية. هذا هو سر القوة الحضارية: الوحدة في إطار القيم العليا.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآية، رغم قصرها، تفتح لنا آفاقًا واسعة في الفكر والتاريخ وعلم النفس.

.1البعد التاريخي والوجودي: قيمة المغمورين في صناعة التاريخ.
كثير من "الأخيار" الذين ذكرتهم الآية (اليسع وذو الكفل) لا نعرف عنهم تفاصيل كثيرة في المصادر الإ سلامية، ومع ذلك هم مذكورون في القرآن بتكريم. هذا يطرح سؤالا ً تاريخيًا مهمًا: كم من "أخيار" مجهولين ساهموا في بناء الحضارة الإنسانية دون أن تذكرهم كتب التاريخ؟ كم من عالم، ومعلم، وأم، وأب، ومصلح، كان لهم دور عظيم في تربية الأجيال ونشر الخير، ولكنهم ظلوا في الظل؟ هذه الآية تمنحهم تكريمًا وجوديًا، وتقول لنا: "إن التاريخ الإلهي غير التاريخ البشري. ففي سجل السماء، هؤلاء المغمورون هم أعلام". هذا البعد يدعونا إلى التواضع، وإلى تقدير كل من يساهم في الخير بصمت. كما يدعو المؤرخين والباحثين إلى إعادة كتابة التاريخ من منظور "الأخيار" المغمورين، وليس فقط من منظور الملوك والقادة المشهورين.

.2البعد النفسي والتربوي: تربية النفس على الإخلاص وعدم طلب الظهور.
في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، حيث يسعى الجميع للظهور ولفت الانتباه، تأتي هذه الآية كـ ترياق نفسي وتربوي. إنها تعلمنا أن نربي أنفسنا وأبناءنا على أن قيمة الإنسان لا تكمن في عدد المتابعين أو الإعجابات، بل في كونه من "الأخيار" عند الله. هذا البعد النفسي مهم جدًا لعلاج أمراض الشهرة والنرجسية التي تفتك بالمجتمعات الحديثة. الشخص الذي يتربى على مفهوم "الأخيار" لا يحتاج إلى تصفيق الجماهير ليشعر بقيمته، بل يكفيه أن الله يعلمه ويراه. هذا يبني شخصية متزنة، قوية من الداخل، غير مهزوزة بالتقييمات الخارجية.

.3البعد الدعوي والإعلامي: كيف نقدم نماذج القدوة؟
الآية تقدم لنا نموذجًا في عرض القدوات. فبدل الإسهاب في تفاصيل قد لا تكون مفيدة، تختصر في ذكر الاسم والصفة الجامعة: "الأخيار". هذا الأسلوب يعلمنا أن نقدم قدواتنا للشباب بإبراز جوهر الخيرية فيهم، لا بالتركيز على مظاهرهم أو تفاصيل حياتهم الشخصية. في الإعلام الإسلامي، ينبغي أن نبرز "أخيار" الأمة، علماءها ومفكريها ومصلحيها، ونقدمهم كنماذج يحتذى بها، مع التركيز على صفاتهم الأخلاقية والإيمانية التي جعلتهم من "الأخيار". هذا البعد يفتح أفقًا لإصلاح الإعلام ليكون إع لامًا يبني القيم لا يهدمها.

.4البعد التكاملي للسورة: حلقة في سلسلة "عبادنا" المكرمين.
تأتي هذه الآية كحلقة في سلسلة التكريم التي تعرضها سورة "ص": داود، سليمان، أيوب، إبراهيم، إسحاق، يعقوب، والآن إسماعيل واليسع وذو الكفل. كلهم "عبادنا" وكلهم "من الأخيار". هذا البعد التكاملي يرسخ في الذهن أن الطريق إلى الله واحد، وأن صفات العبودية والخيرية مشتركة بين كل هؤلاء العظماء على تنوع عصورهم ورسالاتهم. فالمؤمن حين يقرأ السورة، يرى نفسه مدعوًا للانضمام إلى هذا الركب المبارك، ركب "عباد الله الأخيار". وهذا يعطيه دافعًا قويًا للسير على نهجهم.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال النية والإخلاص: راجع نيتك في كل عمل تقوم به. هل تفعله ليقال عنك إنك فاعل خير؟ أم تفعله لأنك تريد أن تكون من "الأخيار" في علم الله؟ جدد نيتك الآن، وقل في سرك: "اللّهم إني أسألك أن تجعلني من الأخيار، ولو كنت عند الناس من الأغمار".

في مجال التعامل مع الآخرين: انظر إلى الناس من حولك بعين "الأخيار". قد يكون بينهم من هو عظيم عند الله وأنت لا تدري. لا تحتقر أحدًا لفقره أو لقلة شهرته. وأحسن الظن بإخوانك المؤمنين، فلعل فيهم من هو من "الأخيار".

في مجال التربية والتوجيه: إذا كنت مربيًا أو معلمًا، فلا تركز على إبراز المتفوقين دراسيًا أو الموهوبين فقط. ابحث عن "الأخيار" بين طلابك: أولئك الذين يتصفون بالأخلاق الحسنة، والإخلاص في العمل، والصدق في القول. قدمهم كنماذج، وقل لطلابك: "هؤلاء هم أخيارنا".

في مجال استهلاك الإعلام: قلل من متابعة المشاهير الذين لا يقدمون خيرًا حقيقيًا. وابحث عن قصص "الأخيار" المغمورين: العلماء العاملين، الدعاة المخلصين، المحسنين الخفاء. تابعهم، وتعلم منهم، وادع لهم.

في مجال تقييم الذات: في نهاية كل يوم، اسأل نفسك: "هل اقتربت اليوم من أن أكون من الأخيار؟". لا تسأل: "كم كسبت؟" أو "كم أنجزت؟"، بل "كم أخلصت؟" و"كم كنت خيرًا في هذا اليوم؟". هذا السؤال اليومي سيبني فيك شخصية "الأخيار".
الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد سمعت ذكر هؤلاء الأنبياء "الأخيار"، وتأملت في سر ذكرهم الموجز، حان وقت الصدق مع النفس:

· هل ترضى أن تكون من "الأخيار" في علم الله، حتى لو كنت مجهولا ً في الأرض؟ أم أن نفسك تتوق للشهرة والظهور؟ أيهما أهم عندك: أن يمدحك الناس، أم أن يمدحك الله في ملأ الملائكة؟
· من هم "الأخيار" الذين تعرفهم في حياتك؟ اذكر أسماءهم في قلبك، وادع لهم .قد يكونون آباءك، أو معلميك، أو أصدقاءك المخلصين .فكر في صفاتهم التي تجعلهم من الأخيار، وحاول أن تقتدي بهم.
· ما هو الجانب الذي تشعر أنك بحاجة لتطويره لتكون من "الأخيار" الشاملين؟ هل هو جانب العبادة؟ أم الأخلاق؟ أم العلاقات؟ أم العمل؟ حدد جانبًا واحدًا، واعمل على تحسينه هذا الأسبوع.
· هل تستطيع أن تعيش بقناعة أن "الخيرية" غاية في حد ذاتها، حتى لو لم تحقق الشهرة أو الثروة؟ هذه القناعة هي سر السعادة الحقيقية .فكر فيها مليًا، وردد في قلبك: "حسبي أن أكون عند الله من ا لأخيار".

اخرج من هذه الرحلة القصيرة في رحاب هذه الآية العظيمة، وقد حملت في قلبك يقينًا بأن العظمة الحقيقية هي أن تكون من "الأخيار" في سجل السماء. فاسعَ أن تكون منهم، واجعل حياتك كلها خيرًا. تذكر دائمًا أن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم. فليكن قلبك قلب "خيّر"، وعملك عمل "خيّر"، تكن بإذن الله من "الأخيار".

المقطع الثالث
تتحدث ايات هذا القسم عن حال المتقين فى الجنه وحال الفجار فى النار وما بين الكفار من خصام
اولا

تحليل الآيات49 - 54من سورة ص
)هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ * وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ(

مقدمة: السياق ...حين تفتح أبواب الجنة بعد رحلة الأخيار

بعد أن طوف بنا القرآن الكريم في رحاب "عباد الله" المكرمين: داود وسليمان وأيوب وإبراهيم وإسحاق ويعقوب وإسماعيل واليسع وذا الكفل، ورأينا كيف اصطفاهم الله، وكيف ابتلاهم فصبروا، وكيف أنابوا إليه فأكرمهم، يأتي هذا المقطع الختامي ليخبرنا عن المصير النهائي الذي ينتظر من سار على دربهم .إنه ليس مجرد وصف للجنة، بل هو إعلان عن الجائزة الكبرى التي أعدها الله للمتقين، أولئك الذين اتعظوا بذكرى الأنبياء، واقتفوا آثارهم في العبودية والصبر والأوبة.

الآيات49) - (54هي بمثابة حفل تتويج لكل من جعل "ذكرى الدار" نصب عينيه .إنها تنقلك من عالم ا لابتلاء والتعب والنصب، إلى عالم النعيم والراحة والخلود .وكأن الله يقول لنا بعد أن عرض لنا نماذج العبودية: "هذا هو الطريق، وهؤلاء هم سالكوه، وهذه هي نهاية المطاف التي تنتظركم إن سلكتموه" . دعنا ندخل معًا إلى هذه الجنة الموعودة، لا كمجرد قارئين، بل كأرواح مشتاقة، تريد أن ترى بأبصار قلوبها ما أعد الله لها.

الأمر الأول:
دلالات الآيات – جولة في رحاب النعيم المقيم

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآيات الكريمة، آية آية:

المحور الأول:
﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ﴾ – الانتقال من العبرة إلى البشرى

ماذا يعني هذا الإعلان الإلهي؟
بعد ختام قصة "الأخيار"، يقول الله: "هَٰذَا ذِكْرٌ" . أي أن كل ما سبق من قصص الأنبياء وأوصافهم هو ذكرى وتذكرة لكم أيها المؤمنون .ليس المقصود مجرد القصص التاريخي، بل هو زاد روحي يذكركم بحقيقة الدنيا والآخرة .ثم ينتقل مباشرة إلى الجزاء: "وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ" . أي إن للذين اتقوا الله في السراء والضراء، وساروا على نهج هؤلاء الأنبياء، لمرجعًا حسنًا، ومصيرًا جميلا ً، هو الجنة.

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "هَٰذَا ذِكْرٌ" : اسم الإشارة "هذا" للقريب .وكأن الله يقول: "هذا الذي تلوت عليكم قريب من عقولكم وقلوبكم، وهو تذكرة كافية لمن كان له قلب" .إنه ليس بشيء بعيد المنال، بل هو بين أيدينا نتلوه ونتدبره.
· "لِلْمُتَّقِينَ" : هذه الكلمة هي مفتاح الجنة ."المتقون" هم الذين جعلوا بينهم وبين عذاب الله وقاية، بفعل الأوامر واجتناب النواهي .إنهم ثمرة رحلة الذكرى .فمن اتعظ بذكرى الأنبياء أصبح من المتقين.
· "لَحُسْنَ مَآبٍ" : اللام للتوكيد ."حسن مآب" أي حسن المرجع والمصير .وقد ورد هذا الوصف لأيوب عليه السلام في الآية(40) : "وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ" .وهنا يعمم الله هذا الجزاء على جميع المتقين .فكل متقٍ له نصيب من هذا الحسن المآب.

المفهوم النفسي والتربوي) مع مثال تقريبي(:
كثيرًا ما نقرأ قصص الأنبياء، ونشعر بالإعجاب، ولكننا قد نظن أن هذه القصص خاصة بهم، وأننا بعيدون عن مقاماتهم .تأتي هذه الآية لتربطنا بهم مباشرة: "هذا ذكر لكم .فإذا اتعظتم به وكنتم من المتقين، فلكم حسن مآب مثلهم" .مثال تقريبي: كطالب يقرأ سيرة عالم عظيم، فيشعر بالإحباط أنه لن يصبح مثله .فيقول له المعلم: "هذه السيرة لتتعلم منها، وليس بالضرورة أن تكون نسخة عنه .اجتهد، واتبع المبادئ التي سار عليها، وستصل إلى النجاح الذي يناسبك" .هذا هو حال الآية معنا: هي تذكرنا

بنماذج، وتعدنا بأننا إن اقتدينا بهم في التقوى، فسننال حسن المآب.

الرسالة الوجدانية:
هل تشعر أنك بعيد عن أولئك العظماء؟ لا تبتئس .فالطريق مفتوح لك .اجعل القرآن "ذكرى" لك، واعمل به، وكن من المتقين .حينها، سيكون لك "حسن مآب" كما كان لهم.

المحور الثاني:
﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ – ترحيب إلهي عند الوصول

ما سر هذه الأبواب المفتحة؟
"حسن المآب" يفسره الله هنا بأنه "جَنَّاتِ عَدْنٍ" . عدن هي الإقامة الدائمة، التي لا ظعن فيها ولا رحيل .ثم يصفها بوصف عجيب: "مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ" . الأبواب مفتحة لهم قبل وصولهم! إنه مشهد استقبال مهيب .كأن الجنة في شوق إليهم، تفتح لهم ذراعيها وأبوابها ترحيبًا وإكرامًا.

دلالات عميقة في هذا الوصف:

· دلالة الإكرام المسبق: الأبواب لم تكن مغلقة حتى يطرقوها، بل هي مفتحة على مصراعيها، إشارة إلى أنهم منتظرون، وأن مكانهم جاهز .هذا يزيل عنهم عناء الانتظار أو الخوف من الرد.
· دلالة الأمان المطلق: في الدنيا، الأبواب المفتحة قد تكون مدعاة للخوف من اللصوص أو الأعداء . أما في الجنة، فالأبواب مفتحة، ولا خوف عليهم، لأنها دار أمان وسلام.
· دلالة السعة والانشراح: الأبواب المفتحة ترمز إلى سعة الرحمة، وإلى انشراح الصدور، وإلى زوال كل حجاب بينهم وبين نعيمهم.

اللمسة البيانية في "مُفَتَّحَةً":
كلمة "مفتحة" بصيغة اسم المفعول تدل على أن فتحها ليس بفعلهم هم، بل هي مفتحة لهم من قبل الله وملائكته .وهذا منتهى الكرم.

المفهوم الفكري والتربوي) مع مثال تقريبي(:
في حياتنا، نعاني من الأبواب المغلقة: باب الوظيفة، باب الزواج، باب الصحة، باب التوفيق .نشعر أحيانًا أن الدنيا كلها أبواب موصدة في وجوهنا .هذه الآية تفتح لنا نافذة أمل: "اصبر، وكن من المتقين، فإن هناك دارًا أبوابها مفتحة لك دائمًا، ليس عليك أن تطرقها، بل هي تنتظرك" .مثال تقريبي: كطالب اجتهد ونجح بتفوق، ووصل إلى حفل التكريم، فوجد أبواب القاعة مفتحة له، والمنظمون ينتظرونه ليدخلوه إلى مقعده المخصص .هذا هو حال المتقي عند وصوله إلى الجنة.

الرسالة الوجدانية:
تخيل نفسك وأنت تقترب من الجنة .ترى أبوابها الثمانية مشرعة، والملائكة تستقبلك: "سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين" .هذا هو حسن المآب الذي ينتظرك .أليس جديرًا بك أن تسعى إليه؟

المحور الثالث:
﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ – راحة الملوك وخدمتهم

ما هذا النعيم الموصوف؟
بعد أن دخلوا من الأبواب المفتحة، نجدهم في حالة من الراحة المطلقة: "مُتَّكِئِينَ فِيهَا" . الاتكاء هو جلسة المترفين المنعمين، الذين لا يعانون من تعب أو نصب .وهم في هذا النعيم "يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ" . أي أنهم بمجرد أن يشتهوا فاكهة أو شرابًا، يأتيهم مسرعًا ."يدعون" بمعنى يطلبون، فإذا هم قد طلبوا، جاءتهم الخدم بكل ما يشتهون.

دلالات مذهلة في هذا المشهد:

· دلالة الراحة التامة: "متكئين" تنفي عنهم مشقة الدنيا: الجلوس على الأرض، الانحناء، التعب في العمل .إنها راحة أبدية بلا انقطاع.
· دلالة تحقيق الشهوات: "يدعون" تعني أنهم لا يشتهون شيئًا إلا وجدوه أمامهم .وهذا غاية الكمال في النعيم .ففي الدنيا، قد تشتهي شيئًا ولا تجده، أو تجده بعد عناء .أما في الجنة، فالشهوة مقترنة بـ التحقيق الفوري.
· دلالة الكثرة: "فاكهة كثيرة وشراب" .الكثرة في الأنواع والأصناف، بحيث لا يتكرر طعام، ولا يملون

من شراب .إنه تجدد دائم في النعيم.

اللمسة البيانية في "يدعون فيها":
تعبير "يدعون" فيه إشارة إلى أنهم في مقام العزة والكرامة .فهم يدعون فيأتيهم ما يريدون، كالملوك الذين تأتيهم الأوامر ممتثلة .ولكن بلا كبر ولا خوف من زوال الملك.

المفهوم النفسي والتربوي) مع مثال تقريبي(:
في الدنيا، الراحة التي ننشدها دائمًا مشوبة بالتعب: تأخذ إجازة لتستريح، ولكنك تفكر في هموم العمل بعد الإجازة .تشتهي طعامًا، فتتعنى في إعداده أو شرائه .الجنة تقدم نموذجًا للراحة المطلقة: راحة جسدية) متكئين + (تحقيق فوري للشهوات) يدعون + (تجدد مستمر) فاكهة كثيرة .(هذا المشهد يهون علينا تعب الدنيا، ويجعلنا نتذكر أن تعبنا هنا مؤقت، وراحتنا هناك دائمة .مثال تقريبي: كعامل يتعب طوال اليوم تحت الشمس، ثم يعود إلى بيته حيث الطعام مهيأ والفراش وثير .هذا الشعور بـ الراحة بعد التعب هو جزء يسير من معنى "متكئين" .فكيف براحة لا يسبقها تعب ولا يعقبها نصب؟

الرسالة الوجدانية:
وأنت تقرأ هذا، هل تشعر بآلام جسدك؟ بتعب يومك؟ تذكر "متكئين فيها" .هذا هو أجر تعبك إن كنت من المتقين .قل لنفسك: "صبرًا قليلا ً، فإن الموعد الجنة".

المحور الرابع:
﴿وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ﴾ – النعيم العاطفي والروحي

وما سر هذا الوصف الجميل؟
بعد أن وصف النعيم الحسي من طعام وشراب وراحة، يصف النعيم العاطفي والروحي: "وَعِندَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ" . "قاصرات الطرف" هن نساء الجنة) الحور العين (اللاتي يقصرن أبصارهن على أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم .و"أتراب" أي متقاربات في السن، وهن في سن الشباب الدائم .وهذا غاية الكمال في الجمال والوفاء.

دلالات عميقة في هذا الوصف:

· دلالة الوفاء والمحبة الخالصة: "قاصرات الطرف" تعني أن حبهن مقتصر على أزواجهن .لا تلتفت قلوبهن ولا أبصارهن إلى سواهم .هذا هو الحب الآمن، الخالي من الغيرة والشك والخيانة.
· دلالة دوام الشباب والجمال: "أتراب" تعني أن أعمارهن متقاربة، وهذا يعني أنهن في سن واحدة هي سن الشباب والنضارة .لا هرم ولا شيخوخة ولا تغير في الجمال .هذا يعالج ما في الدنيا من خوف من فقدان الجمال أو تقدم العمر.
· اللمسة البيانية في "وَعِندَهُمْ":
التعبير بـ"عندهم" يفيد القرب والاختصاص .فهن ملازمات لهم، قريبات منهم، في خدمتهم ومؤانستهم.

المفهوم الفكري والتربوي) مع مثال تقريبي(:
في الدنيا، العلاقات الزوجية قد يشوبها الملل، أو الخيانة، أو تغير المشاعر مع تقدم العمر .الجنة تقدم نموذجًا للعلاقة المثالية: حب دائم، ووفاء مطلق، وجمال لا يذبل، وشباب لا يزول .هذا الوصف يعطي المؤمن والمؤمنة طمأنينة بأن كل نقص في علاقات الدنيا سيكمل في الجنة .مثال تقريبي: امرأة تخاف من تقدم العمر وتغير جمالها، أو تخاف من أن ينظر زوجها لغيرها .تقرأ هذه الآية فتعلم أن في الجنة جمالا ً لا يزول، ووفاءً لا يخون .هذا يمنحها سكينة ورضا.

الرسالة الوجدانية:
هل اشتقت إلى حب دائم، إلى رفيق لا يمل ولا يخون، إلى جمال لا يشيخ؟ كل هذا هناك، في الجنة ، "عند" المتقين .فلتكن رغبتك في هذا النعيم دافعًا لك لتكون من أهله.

المحور الخامس:
﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾ – تأكيد الوعد وإزالة الشك

لماذا هذا التأكيد بعد الوصف؟
بعد أن وصف الله الجنة هذا الوصف البديع، التفت إلى المخاطبين فقال: "هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ" . أي هذا النعيم الذي وصفته لكم هو ما وعدتم به على ألسنة الرسل، وهو الذي ستنالونه

في يوم القيامة، يوم الحساب.

دلالات هذا التأكيد:

· دلالة قطع الشك: "هذا ما توعدون" خطاب مباشر لتثبيت اليقين في القلوب .فالنفس البشرية قد تستبعد هذا النعيم العظيم، فيأتي الخطاب الإلهي ليزيل الاستبعاد.
· دلالة ربط الجزاء بالحساب: "ليوم الحساب" تذكير بأن هذا النعيم ليس مجانًا، بل هو ثمرة للعمل الصالح والتقوى التي ستوزن في ميزان الحساب .فاليوم عمل بلا حساب، وغدًا حساب بلا عمل.
· دلالة التحفيز: هذا الخطاب هو حافز للمؤمن ليجتهد في العمل، لأنه يعلم أن هناك يومًا سيوفى فيه وعده.

المفهوم التربوي والعملي) مع مثال تقريبي(:
كثير من الناس يعملون بجد في الدنيا لأنهم يرون نتيجة عملهم فورًا) راتب، ترقية، مدح .(لكن العمل للآخرة يحتاج إلى يقين بالغيب .هذه الآية تبني هذا اليقين .مثال تقريبي: كمقاول يبني عمارة ضخمة ، ويقول للناس: "هذه العمارة ستكون لكم بعد سنة" .الناس تصدق إذا رأت المصداقية .الله هو أصدق القائلين، وهو يخبرنا عن الجنة، ثم يقول: "هذا ما توعدون" .ألا نصدق؟ ألا نعمل؟

الرسالة الوجدانية:
"هذا ما توعدون" .هل تسمع النداء؟ إنه نداء موجه إليك أنت .الجنة تنتظرك .وعدك بها الله .فماذا أعددت لها؟

المحور السادس:
﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ﴾ – ختام المسك ...رزق لا ينقطع

وما سر هذا الختام؟
بعد وصف النعيم وتأكيد الوعد، تأتي خاتمة الآيات بهذا الإعلان الإلهي المهيب: "إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ" . أي أن هذا النعيم هو عطاؤنا الخاص، وهو رزق دائم لا ينقطع ولا ينفد ولا يزول.

دلالات مذهلة في هذا الختام:

· "إِنَّ هَٰذَا" : التوكيد ب-"إن" واسم الإشارة للتعظيم.
· "لَرِزْقُنَا" : اللام للتوكيد .وإضافة "رزق" إلى ضمير الجلالة "نا" تشريف عظيم .فهو ليس رزقًا عاديًا، بل هو رزق الله الخاص لأوليائه.
· "مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ" : "نفاد" بمعنى فناء وانقطاع .هذا هو الفارق الجوهري بين رزق الدنيا ورزق الجنة . رزق الدنيا مهما كثر فهو إلى زوال .أما رزق الجنة فلا يفنى أبدًا ."مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ" أي لا نفاد له ألبتة.

اللمسة البيانية في "مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ":
استعمال "من" الزائدة لتأكيد النفي .فالنفي هنا مطلق مؤكد .لا خوف من نفاده، ولا احتمال لانقطاعه . إنه أبدي سرمدي.

المفهوم الوجودي والنفسي) مع مثال تقريبي(:
الخوف الأكبر لدى الإنسان هو الفناء والانقطاع: الخوف من نفاد المال، من نفاد الصحة، من نفاد العمر، من انقطاع الحب .كل ما في الدنيا إلى نفاد .هذه الآية تعطينا الأمان المطلق: هناك رزق لا ينفد .هذا الشعور يريح النفس من قلق المستقبل .مثال تقريبي: شخص لديه بئر ماء محدودة، يعيش في قلق دائم من نفادها .وآخر بجواره نهر جارٍ لا ينقطع، يعيش مطمئنًا .هذا هو حال المؤمن الذي يوقن بأن رزق الجنة لا ينفد، فهو يعمل لها مطمئنًا، ولا يجزع من فوات شيء من الدنيا.

الرسالة الوجدانية:
"ما له من نفاد" ...كررها في نفسك .كل ما تخاف عليه من فناء، سيفنى .لكن هذا الرزق الإلهي باقٍ . فاجعل همك للباقي، لا للفاني .إنه "رزقنا"، فمن يمنحه إلا الكريم الوهاب؟

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

هذه الآيات الخمس تحمل رسائل إلهية موجزة ولكنها جامعة:

.1يريد منا أن ننظر إلى قصص الأنبياء على أنها "ذكرى" لنا، لا مجرد حكايات تاريخية .وأن نستلهم منها طريق التقوى.
.2يريد منا أن نشتاق إلى "حسن المآب" .أن نعيش في الدنيا بأجسادنا، وقلوبنا معلقة بالجنة، ننتظر تلك الأبواب المفتحة، وذلك النعيم المقيم.
.3يريد منا أن نطمئن إلى أن رزقه لا ينفد .فلا نبخل بما في أيدينا من رزق الدنيا الفاني، ونسخو به، ونحن موقنون أن ما عند الله خير وأبقى.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولا ً: مفهوم "حسن المآب" كهدف أسمى يوجه سلوك الإنسان.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يمنح بوصلة أخلاقية دائمة .الإنسان الذي يعيش وفي ذهنه "حسن المآب" لا يقدم على معصية إلا وتذكره بهذا الهدف، ولا يتوانى عن طاعة إلا ويحفزه شوقه إلى حسن المآب .هذا يبني إنسانًا متوازنًا، يعمل لدنياه ولكن بعين على آخرته .في المجتمع، انتشار هذا المفهوم يبني مجتمعًا أخلاقيًا .فإذا كان أفراد المجتمع يسعون جميعًا إلى "حسن المآب"، فإنهم سيتنافسون في الخيرات، ويتعاونون على البر والتقوى، ويقل بينهم الظلم والعدوان، لأنهم يدركون أن هناك حسابًا ومآبًا .حضاريًا، الحضارة التي تجعل "حسن المآب" هدفًا أسمى، تقدم للعالم نموذجًا في الا ستدامة الأخلاقية .فهي لا تنهار بعد الرفاهية، لأن لديها هدفًا أكبر من الرفاهية المادية .إنها تبني الدنيا لتكون مزرعة للآخرة، وهذا يعطي للعمران بُعدًا روحيًا يمنعه من التحول إلى غاية في ذاته.

ثانيًا: مفهوم "الأبواب المفتحة" كرمز للترحيب والقبول الإلهي.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يخفف من شعور القلق من المجهول .كثيرًا ما نخاف من الموت وما بعده .هذه الآية تصور لنا الموت ليس كجدار مسدود، بل كباب مفتوح على مصراعيه إلى نعيم مقيم . هذا يبدد الخوف، ويملأ القلب طمأنينة وسلامًا .في المجتمع، هذا المفهوم يساعد في مواجهة الكوارث والموت الجماعي .مجتمع يؤمن بأن الموت هو باب مفتوح إلى "حسن مآب"، يواجه المصائب بثبات ورضا، ولا يصاب بالانهيار النفسي الجماعي .حضاريًا، الحضارات التي تنظر إلى الموت كفناء مطلق تصاب بالرعب الوجودي، وتنغمس في الملذات هروبًا من هذه الحقيقة .أما الحضارة الإسلامية، فتنظر إلى الموت كجسر إلى النعيم الدائم، فتواجه تحدياتها بشجاعة، وتستمر في البناء والعمران دون أن تشغلها فكرة الفناء.

ثالثًا: مفهوم "الرزق الذي لا ينفد" كمحرر من عبودية المال والقلق الاقتصادي.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يحرره من عبودية المال والحرص .عندما يعلم المؤمن أن له رزقًا لا ينفد في الجنة، فإنه لا يلهث وراء الدنيا لهث الجائع، ولا يبخل بما في يده، بل ينفق بثقة .هذا يبني إنسانًا كريمًا سخيًا مطمئنًا .في المجتمع، انتشار هذا اليقين يخلق اقتصادًا رحيمًا ومتكافلا ً .الأغنياء ينفقون أموالهم في وجوه الخير واثقين بالخلف من الله، والفقراء لا يحسدونهم، بل يوقنون أن ما عند الله خير وأبقى .هذا يقلل من الفجوة الطبقية النفسية، ويخلق توازنًا اجتماعيًا .حضاريًا، الحضارة التي تبني اقتصادها على فلسفة "ما له من نفاد" تكون حضارة غير استهلاكية جشعة .إنها تستثمر الموارد بحكمة، لأنها تعلم أن موارد الدنيا محدودة، وتسعى للاستدامة، بينما تعلم أن نعيم الآخرة غير محدود .هذا يعطي بُعدًا أخلاقيًا للاقتصاد، ويمنع النهب والاستغلال.

رابعًا: مفهوم "الذكرى" كوظيفة أساسية للقرآن والقصص.
الآية تبدأ بـ "هذا ذكر" .هذه اللفتة تعيد تعريف علاقتنا بالقرآن .إنه ليس كتاب معلومات فقط، بل هو كتاب تذكرة .وظيفته أن يوقظ القلوب الغافلة .هذا المفهوم يبني إنسانًا متأملا ً متدبرًا .لا يقرأ القرآن كأي كتاب، بل يقرأه ليتذكر، ليحدث رجة في قلبه، لتتجدد إيمانه .في المجتمع، هذا يبني أمة واعية، لا تكتفي بتلاوة الحروف، بل تتأثر بالمعاني .حضاريًا، الحضارة التي تجعل من النص المقدس "ذكرى" متجددة، تظل حية الروح .لا تتحول نصوصها إلى تراث ميت، بل تبقى نصوصًا فاعلة تشكل الوعي وتوجه السلوك.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآيات تفتح لنا آفاقًا واسعة في الروح والفكر والحياة.

.1البعد الروحي والإيماني: ترسيخ عقيدة البعث والجزاء.
الآيات تصور مشاهد القيامة والجنة بأسلوب حسي مؤثر، مما يجعل الإيمان باليوم الآخر ليس مجرد فكرة نظرية، بل حقيقة حية في وجدان المؤمن .هذا البعد الروحي يقوي صلة المؤمن بالله، ويزيد من خوفه ورجائه .فهو يعيش بين الخوف من الحساب والرجاء في حسن المآب .هذا التوازن هو الذي يصنع الشخصية الإيمانية القوية.

.2البعد النفسي والعلاجي: العلاج بالتصور الإيجابي.
علم النفس الحديث يستخدم تقنية "التصور الإيجابي" لتخفيف التوتر وزيادة الدافعية .حيث يتخيل الإنسان نفسه وهو يحقق أهدافه .الآيات هنا تقدم للمؤمن أعلى صور التصور الإيجابي: أن يتخيل نفسه وهو يدخل الجنة، والأبواب تفتح له، وهو متكئ على الأرائك، يدعو بما يشتهي .هذا التصور لا يخفف التوتر فقط، بل يعيد شحن الطاقة الإيمانية، ويزيد من دافعية الإنسان لتحمل مشاق الدنيا . تخيل أنك في قمة الضيق، ثم تقرأ هذه الآيات وتتخيل ذلك المشهد .ألا تشعر بأن همومك قد صغرت ؟

.3البعد الجمالي والفني: وصف الجنة بأسلوب سينمائي آسر.
الآيات تنتقل من مشهد إلى مشهد بسلاسة عجيبة: من الأبواب المفتحة، إلى الداخل حيث المتكئون، إلى حركة الخدم وهم يقدمون الفاكهة والشراب، إلى لقطة مقربة للحور العين "قاصرات الطرف أتراب" .إنه إخراج فني رباني يأخذ بالألباب .هذا البعد الجمالي يوقظ فينا الإحساس بالجمال المطلق، ويدفعنا إلى استحضار المشهد بكل تفاصيله في صلواتنا ودعائنا .إنه ليس مجرد وصف، بل هو دعوة للتأمل الجمالي الذي يرفع الروح.

.4البعد الحضاري المقارن: مفهوم النعيم في الإسلام مقابل الحضارات الأخرى.
تصورات النعيم في الحضارات القديمة) اليونانية، الفارسية، الهندية (كانت تدور حول الملذات الحسية المجردة، أو الذوبان في الوجود المطلق .أما القرآن فيقدم نموذجًا متكاملا ً للنعيم: نعيم حسي)فاكهة وشراب(، ونعيم نفسي) راحة واتكاء وأمن(، ونعيم عاطفي) قاصرات الطرف أتراب(، ونعيم روحي) رضوان الله الذي هو أكبر .(والأهم أنه نعيم خالد لا ينفد .هذا التصور المتكامل يلبي كل احتياجات الإنسان الفطرية، ويمنحه هدفًا واضحًا ومحددًا يسعى إليه، مما ينعكس إيجابًا على سلوكه في الدنيا.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال الروحانيات والعبادة: قبل أن تبدأ صلاتك، توقف لحظة .تخيل أن هذه الصلاة هي خطوة تقربك من "حسن المآب" .تخيل وأنت ساجد أنك تدنو من تلك الأبواب المفتحة .هذا الاستحضار سيحدث فرقًا عظيمًا في خشوعك.

في مجال مواجهة الهموم والضغوط: كلما شعرت بضيق أو هم، افتح المصحف واقرأ هذه الآيات . تخيل نفسك في ذلك النعيم .قل لنفسك: "هذا ما وعدني الله به إن صبرت واتقيت" .هذا التمرين البسيط سيخفف من وطأة الهم، ويجدد طاقتك.

في مجال التعامل مع المال: عندما تخرج صدقة أو تنفق على أهلك، تذكر أن ما تنفقه هو من "رزق" فان .وأنك تتركه لتأخذ بدله "رزقًا ما له من نفاد" .هذا سيجعلك تنفق بوجه طلق، وتشعر بسعادة العطاء.

في مجال العلاقات الزوجية: اقرأ أنت وزوجتك وصف "قاصرات الطرف أتراب" .تعاهدا أن يكون وفاؤكما في الدنيا تدريبًا على وفاء الجنة .اجعلا هذا الوصف نبراسًا لعلاقتكما، تسعيان فيه إلى الإخلا ص والمودة والرحمة، لتكونا من أهل هذا النعيم معًا.

في مجال التربية: علم أبناءك أن الجنة ليست مجرد مكان، بل هي "حسن مآب" .اسألهم: "ماذا تحب أن تجد في حسن مآبك؟" .دعهم يتخيلون ويصفون .ثم اربط ذلك بالأعمال الصالحة: "لكي تجد هذا، ماذا يجب أن تفعل اليوم؟" .هذا يبني فيهم دافعية ذاتية للخير.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن ...وقد تجولت في رحاب الجنة، ورأيت أبوابها المفتحة، وذقت من ثمارها وشرابها بقلبك، حان وقت الصدق مع النفس:

· ما هو "حسن المآب" الذي تحلم به؟ هل تستطيع أن ترسمه في خيالك؟ تخيله الآن ...أكتب وصفًا له في دفترك.
· هل أبواب الجنة المفتحة تشتاق إليك كما تشتاق أنت إليها؟ هل أعمالك اليوم تجعلك ممن يقال لهم: "ادخلوها بسلام آمنين"؟ راجع يومك: كم عملًا صالحًا قدمت؟
· أي رزق أنت متعلق به أكثر: رزق الدنيا الفاني، أم رزق الله الذي "ما له من نفاد"؟ انظر إلى مخاوفك .هل هي مخاوف من نفاد المال، أم مخاوف من عدم بلوغ ذلك الرزق الباقي؟
· إذا كان "هذا ذكر"، فبماذا ذكرك هذا التحليل اليوم؟ ما هي الآية التي لامست قلبك أكثر؟ اجعلها شعارك لهذا الأسبوع.

اخرج من هذه الرحلة وقد زاد شوقك إلى الجنة، وصغرت الدنيا في عينيك .تذكر أن كل تعب هنا يزول، وكل ألم هنا يشفع، وكل دمعة هنا تمسح، هناك ...في "حسن المآب" .هناك، حيث الأبواب تفتح، والرزق لا ينفد .فاعمل لهذا الباقي، ولا تغرنك زينة الفاني ."هذا ما توعدون ليوم الحساب ...إن هذا لرزقنا ما له من نفاد"
ثانيا.
تحليل الآيات 55-58 من سورة ص
(هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ * هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ)
مقدمة: السياق... حين يقابل النعيمَ الجحيمُ، وتكتمل الصورة

بعد أن فتح الله لنا أبواب جنته، وأرانا مقعد المتقين في "حسن المآب"، يأبى القرآن إلا أن يكمل لنا المشهد. إنه لا يريد أن يتركنا في راحة النعيم الموصوف دون أن يهزنا من الجانب الآخر. إنها سنة القرآن في الترغيب والترهيب، في التبشير والإنذار، ليكتمل البناء الإيماني في النفس بين الرجاء و الخوف.

الآيات (55-58) هي الوجه الآخر للمشهد. بعد أن قال: "هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ"، يعود ليقول: "هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ". إنه الانتقال الطبيعي في عدل الله المطلق: كما أن للمحسنين جنات، فللمسيئين نار. وكما أن للأخيار نعيمًا لا ينفد، فللأشرار عذابًا لا ينقطع.

هذه الآيات ليست مجرد وعيد، بل هي رحمة في طيها تحذير. إنها صرخة إلهية توقظ الغافل قبل فوات الأوان: "انظر إلى ما أعد للمتقين، وانظر إلى ما أعد للطاغين... واختر لنفسك أي الدارين تريد". دعنا نقف مع هذه الآيات بقلوب خائفة طامعة، لنرى ماذا أعد الله لمن طغى وتجبر ونسي يوم الحساب.

الأمر الأول:
دلالات الآيات – مشهد من الجحيم يقشعر له الجلد

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآيات الكريمة، آية آية:

المحور الأول:
·{هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ} – إعلان القسم الآخر من المصير

ماذا يعني هذا الإعلان المقابل؟
تبدأ الآية بـ "هَٰذَا" ، وهو عائد على ما تقدم من ذكر حسن مآب المتقين. كأنه يقول: "هذا الذي وصفته لكم هو حال فريق المتقين. أما الفريق الآخر، الطاغين، فلهم شر مآب". الطغيان هو مجاوزة الحد، والعلو والتكبر، والخروج عن أمر الله. والطاغون هم الذين تجاوزوا حدود الله في الكفر و العصيان والظلم.

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· المقابلة البلاغية: "حسن مآب" مقابل "شر مآب" .في "حسن مآب" إضافة للحُسن، وفي "شر مآب" إضافة للشر .وكما أن "حسن مآب" هو غاية ما يتمناه المؤمن، فإن "شر مآب" هو غاية ما يخافه الكافر.
· "وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ" : اللام للتوكيد ."الطاغين" اسم فاعل يفيد الثبوت، أي أن الطغيان صار وصفًا لازمًا لهم .لم يقل "الطاغون" فقط، بل أضاف "لشر مآب" بعد توكيد، ليكون الوعيد مؤكدًا لا شك فيه.
· التنكير في "شر": "شر مآب" نكرة، للتعظيم والتهويل .أي أنه مرجع شر عظيم لا يمكن وصفه.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
في حياتنا، قد نرى أناسًا يعيشون في طغيان: ظالمين، متكبرين، عاصين، ومع ذلك تبدو حياتهم الدنيا ظاهرها النعيم. تأتي هذه الآية لتقول لنا: "لا تغتروا بذلك. فمآلهم شر مآب". هذا يعطينا توازنًا نفسيًا، فلا نحسد الظالم على ظلمه، ولا نغبط الطاغي على طغيانه، لأن عاقبته وخيمة. مثال تقريبي: كمن يرى مجرمًا يسرق أموالا ً طائلة ويعيش في قصور، ثم يأتي الخبر أنه قبض عليه وحُكم عليه بـ السجن المؤبد. تلك القصور لم تمنع عنه سوء المآل. هذا هو حال الطاغين في الآخرة.

الرسالة الوجدانية:
هل في قلبك ذرة من طغيان؟ كبر على الحق؟ ظلم للآخرين؟ تجاوز لحدود الله؟ احذر... "شر مآب" ينتظر من مات على ذلك. بادر بالتوبة قبل أن تلقى هذا المصير.

المحور الثاني:
·{جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ}· – تعريف بالمصير الأسود

ما هو هذا "شر المآب"؟
يجيب الله مباشرة: "جَهَنَّمَ" . إنها كلمة تقشعر لها الأبدان. جهنم هي النار العظيمة التي أعدها الله للكافرين والطاغين. ثم يصف حالهم فيها: "يَصْلَوْنَهَا" أي يدخلونها ويقاسون حرها مباشرة، ويحترقون بها. ثم يختم الآية بتقريع: "فَبِئْسَ الْمِهَادُ" . المهاد هو الفراش والوطاء. أي بئس الفراش الذي مهدوه لأ نفسهم بأعمالهم، وبئس المستقر الذي صاروا إليه.

دلالات عميقة في هذا الوصف:

· "يَصْلَوْنَهَا" : الفعل "يصلى" يدل على المباشرة والمقاساة .إنهم لا يرونها من بعيد، بل هم داخلها، محاطون بلهيبها من كل جانب.
· "فَبِئْسَ الْمِهَادُ" : هذا تعبير عن شدة السوء ."المهاد" في الأصل ما يُمهد لينام عليه الإنسان ويرتاح . فإذا كان المهاد هو جهنم، فكيف يكون النوم؟ وكيف تكون الراحة؟ إنه سخرية مريرة بحالهم: لقد أعددتم لأنفسكم في الدنيا فراشًا وثيرًا بالحرام، فهذا فراشكم في الآخرة.
· اللمسة البيانية في "فبئس": الفاء تفيد التعقيب والتسبب .أي أن نتيجة صليهم جهنم هي أن يقال: بئس المهاد .وهو أسلوب ذم وتحقير.

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
في الدنيا، نهتم كثيرًا بأن يكون "مهادنا" مريحًا: فراش وثير، بيت فخم، حياة ناعمة. هذه الآية تذكرنا أن المهاد الحقيقي هو ما نعده لأنفسنا في الآخرة بأعمالنا. مثال تقريبي: شخص يبني لنفسه بيتًا فاخرًا على أرض مغتصبة، ثم ينهار به البيت بسبب أساساته الفاسدة. لقد ظن أنه مهد لنفسه الراحة، فإذا به يهوي في الخراب. هذا هو حال من يبني دنياه على معصية الله، يظن أنه يمهد لنفسه السعادة، فإذا بمهاده في الآخرة جهنم.

الرسالة الوجدانية:
ما هو "المهاد" الذي تمهده لنفسك الآن؟ هل هو طاعة الله، أم معصيته؟ تذكر أن كل ليلة تنام فيها على فراشك، هي تذكرة بأن هناك مهادًا آخر ينتظرك. فليكن سعيك لتجعل مهادك في الآخرة جنات عدن، لا جهنم.

المحور الثالث:
·{هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ * وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ}· – أنواع العذاب وألوانه

ما هذا العذاب المذاق؟
بعد ذكر جهنم كمهاد، ينتقل إلى وصف ما فيها من عذاب: "هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ" . الحميم: ماء حار بلغ الغاية في الحرارة، يقطع أمعاءهم. والغساق: صديد أهل النار، وما يسيل من جلودهم، وهو

في غاية البرودة والنتن. وقد قيل إنه ضد الحميم في الحرارة، فهو بارد لا يستطاع من شدة برودته. ثم يضيف: "وَآخَرُ مِن شَكلِهِ أَزْوَاجٌ" . أي وعذاب آخر من مثل هذا النوع، أصناف وألوان متعددة.

دلالات مذهلة في هذا العذاب:

· "هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ" : الأمر هنا للتهكم والتقريع ."هذا العذاب فليذوقوه"، كأنه يقال لهم: هذا ما كنتم تكذبون به، فذوقوه الآن.
· الجمع بين الضدين) الحميم والغساق(: الحميم في غاية الحرارة، والغساق في غاية البرودة والنتن . الجمع بينهما عذاب مضاعف: مرة يحرقون بالحميم، ومرة يكوى جلدهم بالغساق البارد الذي يخترق العظام .إنه عذاب لا راحة فيه.
· "وَآخَرُ مِن شَكلِهِ أَزْوَاجٌ" : أي أن هناك أصنافًا أخرى من العذاب من جنس هذا، متعددة ومزدوجة .فا لآية تفتح الباب لتصور عذابات لا حصر لها، كلها من نفس القبيل: أليم، مهين، متجدد.

اللمسة البيانية في "أزواج":
"أزواج" جمع "زوج" بمعنى صنف ونوع. وهذا يدل على تنوع العذاب، فمنه ما هو حار، ومنه ما هو بارد، ومنه ما هو روحي، ومنه ما هو جسدي. إنه عذاب شامل.

المفهوم التربوي والعملي (مع مثال تقريبي):
في الدنيا، قد نستهين بالذنوب ونقول: "ذنب صغير، لن يضر". هذه الآية تخبرنا أن لأهل النار عذابات متعددة، بعضها قد يكون بسبب ذنوب استصغرناها. مثال تقريبي: كمن يأكل طعامًا فاسدًا قليلا ً، فيصاب بتسمم بسيط. ثم يأكل مرة أخرى، فيزداد التسمم. وهكذا تتراكم الذنوب حتى تهلك صاحبها. العذاب في الآخرة "أزواج" أي أنواع، كل نوع مقابل نوع من الذنوب. فلا تستصغرن ذنبًا.

الرسالة الوجدانية:
تخيل أنك في مكان يُسقى فيه الحميم الذي يشوي الوجه، ويُصب عليه الغساق الذي ينتن ويحرق ببرودته. ثم يُقال لك: "هذا فليذوقوه". أي استحقاق منك لهذا؟ اللهم أجرنا من هذا العذاب. ولكن... هل نعمل لذلك؟ هل نخاف حقًا؟

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

هذه الآيات ليست للتخويف المجرد، بل لتحقيق غايات تربوية عظيمة:

.1يريد منا أن نكمل الصورة في أذهاننا .فكما نتصور الجنة ونشتاق إليها، يجب أن نتصور النار ونخاف منها، ليكتمل إيماننا باليوم الآخر، وليتوازن الرجاء والخوف في قلوبنا.
.2يريد منا أن نعرف أن الطغيان عاقبته وخيمة ."للطاغين لشر مآب" .فليحذر كل من في قلبه كبر أو ظلم أو تجاوز لحدود الله، أن يكون من هؤلاء.
.3يريد منا أن نستعيذ بالله من النار بصدق .ليس مجرد كلمة نقولها، بل إيمان يتبعه عمل .أن نستعيذ من النار بأعمالنا قبل ألسنتنا.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولا ً: مفهوم "الطغيان" كآفة فردية واجتماعية.
في حياة الفرد، الطغيان هو مرض قلبي يبدأ بالاستغناء عن الله والاستكبار عن الحق. هذا المرض يفسد على الإنسان دينه ودنياه، ويجعله يعيش في وهم القوة، حتى يلقى الله فيلقى "شر مآب". هذا المفهوم يبني إنسانًا متواضعًا، يعرف قدر نفسه، ويلتزم حدود الله، لأنه يخاف عاقبة الطغيان. في المجتمع، الطغيان هو سبب التفرقة والظلم. مجتمع ينتشر فيه الطغاة: حكام ظالمون، أغنياء متكبرون، علماء فاسدون. هذا المجتمع ينهار، لأن أفراده يأكل بعضهم بعضًا. التحذير من "شر مآب" الطاغين هو دعوة لإقامة مجتمع عادل، يقوم على المساواة والرحمة والالتزام بحدود الله. حضاريًا، الحضارات التي قامت على الطغيان والاستبداد، مهما بلغت من قوة مادية، فإنها إلى زوال. لأن سنة الله في الطاغين هي الهلاك. والتاريخ يشهد بذلك: عاد وثمود وفرعون... كلهم طغوا فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر. هذا البعد يعطينا معيارًا لتقييم الحضارات: الحضارة الحقة هي التي تقوم على العدل لا الطغيان.

ثانيًا: مفهوم "بئس المهاد" كمعيار لتقييم الأعمال.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يجعله يراجع مهاده الذي يعده لنفسه. كل إنسان يمهد لنفسه في الآخرة بعمله. فإما مهاد كريم في الجنة، وإما مهاد سيئ في النار. هذا السؤال اليومي: "ما هو المهاد الذي أعدده اليوم؟" يبني إنسانًا مستحضرًا للآخرة، دائم المراقبة لأعماله. في المجتمع، انتشار هذا الوعي يبني مجتمعًا مسؤولا ً. فكل فرد يعلم أنه مسؤول عن مهاده الأخروي، فلا يلقي باللوم على غيره، بل يسعى لإصلاح عمله. وهذا يقلل من التواكل والاتكال، ويزيد من الإيجابية والعمل. حضاريًا، الحضارة التي تبني على الشعور بالمسؤولية الفردية أمام الله، تنتج أفرادًا مبدعين ومنتجين، لأنهم يعملون بإتقان وإخلاص، خوفًا من "بئس المهاد".

ثالثًا: مفهوم "أزواج من العذاب" كتحذير من التهاون بالذنوب.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يعالج ظاهرة الاستهانة بالمعاصي. كثير من الناس يقع في الذنوب الصغيرة ويقول: "هذه سهلة، الله غفور رحيم". نعم الله غفور رحيم، ولكن يجب أن نعلم أن للعذاب ألوانًا وأزواجًا، بعضها قد يكون جزاء لما استصغرناه. هذا يبني إنسانًا دقيقًا في محاسبة نفسه، لا يمرر الذنوب بسهولة، بل يسارع إلى التوبة والاستغفار. في المجتمع، هذا يخلق مجتمعًا نقيًا، يقل فيه الفساد والانحراف، لأن الأفراد يخافون من تنوع العذاب في الآخرة. حضاريًا، الحضارات التي تنهار غ البًا ما تبدأ انهيارها من التفكك الأخلاقي، والتهاون في الذنوب والفواحش. فإذا تذكر الناس أن للعذاب "أزواجًا"، فإنهم يرتدعون، ويسود المجتمع حياء وخوف من الله، مما يحفظ تماسكه.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآيات تفتح لنا آفاقًا في الفكر والتربية وعلم النفس.

.1البعد التربوي: مبدأ الثواب والعقاب في بناء الشخصية.
التربية الحديثة تعترف بأهمية الثواب والعقاب المتوازنين. الآيات تقدم نموذجًا ربانيًا متكاملا ً: عرض الثواب العظيم (جنات عدن) ثم عرض العقاب الشديد (جهنم). هذا التوازن يبني في النفس دافعية مزدوجة: دافعية الرغبة في النعيم، ودافعية الرهبة من العذاب. وكلاهما ضروري لضبط السلوك الإ نساني. فالذي لا تؤثر فيه الرغبة، تؤثر فيه الرهبة، والعكس. هذا البعد يمكن تطبيقه في التربية الأ سرية والتعليمية: أن نقدم لأبنائنا وطلابنا صورًا من النجاح والفلاح، وفي المقابل نحذرهم من عواقب الفشل والإهمال، بأسلوب متوازن غير مرعب.

.2البعد النفسي: دور الخوف في الحفاظ على الصحة النفسية.
قد يظن البعض أن الخوف من النار يسبب أمراضًا نفسية! لكن الحقيقة أن الخوف المتوازن هو وقاية نفسية. الخوف من عاقبة الطغيان يمنع الإنسان من الظلم، والظلم يسبب القلق والاضطراب. الخوف من "بئس المهاد" يدفع الإنسان لفعل الخيرات، وفعل الخيرات يمنح السعادة والطمأنينة. إذن، الخوف من النار هنا ليس خوفًا مرضيًا، بل هو خوف بناء، يدفع الإنسان إلى السلوك القويم الذي يحقق له الصحة النفسية. أما الخوف المرضي فهو الذي يؤدي إلى اليأس والقنوط، وهذا ليس من الإسلام. ف القرآن يوازن بين الترهيب والترغيب، فلا يترك المؤمن في رعب دائم، بل يشفع ذلك بوعد الجنة و المغفرة.

.3البعد الاجتماعي: "الطاغين" كنموذج للفئة المفسدة في المجتمع.
كل مجتمع فيه "طاغون": أشخاص يتجاوزون حدودهم، يعتدون على حقوق الآخرين، يستكبرون عن الحق. الآية تصف مآلهم بأنه "شر مآب". هذا البعد يعطي تحذيرًا اجتماعيًا لهذه الفئة، ويمنح المظلومين عزاءً نفسيًا. فعندما يرى المظلوم أن ظالمه وإن علا في الدنيا، فإن مصيره إلى جهنم، فإن ذلك يخفف من ألمه، ويمنعه من اليأس والانتقام. وهذا يساهم في الاستقرار الاجتماعي. فالمجتمع الذي يؤمن أفراده بالعدالة الإلهية في الآخرة، يكون أكثر صبرًا وتحملًا في الدنيا، وأقل عرضة للا نفجارات والعنف.

.4البعد الوجودي: فلسفة الألم في المفهوم الإسلامي.
الآيات تعرض الألم في الآخرة (الحميم والغساق) كنتيجة للطغيان والكفر. هذا يعطينا تفسيرًا وجوديًا ل لألم في العالم. الألم في الدنيا ابتلاء وتكفير، والألم في الآخرة جزاء عادل. لا يوجد ألم عبثي في الكون. هذا الفهم يريح العقل البشري من حيرة "لماذا نعاني؟". فالمؤمن يعلم أن معاناته في الدنيا إن صبر عليها كانت سببًا في رفع درجاته وتكفير سيئاته. وأما الطاغي فسيذوق العذاب الأكبر في الآخرة

جزاءً وفاقًا. هذا البعد الوجودي يجعل المؤمن متصالحًا مع فكرة الألم، لا يعترض على قدر الله، بل يسلم ويصبر.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال محاسبة النفس: كل ليلة، قبل أن تنام على فراشك، تذكر "المهاد". قل لنفسك: "هذا مهادي الليلة في الدنيا. فماذا أعددت لمهادي غدًا في القبر والآخرة؟". هذا السؤال سيجعلك تراجع يومك، وتستغفر عن تقصيرك، وتجدد نيتك.

في مجال التعامل مع الظلم: إذا تعرضت لظلم من شخص ما، فلا تحمل في قلبك حقدًا أو رغبة في الانتقام. تذكر أن هذا الظالم إن استمر في طغيانه، فله "شر مآب". فوض أمرك إلى الله، وادع له بـ الهداية أو القصاص العادل في الدنيا والآخرة.

في مجال التربية الأسرية: اقرأ لأبنائك وصف الجنة ووصف النار بأسلوب متوازن. لا ترعبهم بالنار فقط، بل شوقهم للجنة، وحذرهم من النار. قل لهم: "هذان طريقان، فأي طريق تختارون؟". هذا يبني فيهم وعيًا واختيارًا، لا خوفًا مَرَضيًا.

في مجال الدعوة إلى الله: عندما تدعو الناس، لا تكتفِ بذكر الرحمة والمغفرة، بل اذكر أيضًا العدل و العقاب. فبعض القلوب لا تلين إلا بالتخويف. ولكن ليكن ذلك بحكمة ورفق، كما فعل القرآن.

في مجال الاستعاذة: أكثر من دعاء: "اللهم أجرني من النار". قل هذا الدعاء في صلاتك، بعد أذكارك، عند نومك. واجعله دافعًا لك لتجتنب ما يقربك من النار من قول وعمل.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد عرضنا لوجه المخيف من الحقيقة، حان وقت الصدق مع النفس:

· هل في قلبك شعبة من طغيان؟ كبر على فقير، أو احتقار لضعيف، أو رد للحق، أو ظلم لغيرك؟ ابحث في أعماقك، واستغفر.
· أي مهاد تمهد لنفسك اليوم؟ اكتب عملًا واحدًا صالحًا ستفعله غدًا ليكون لبنة في مهادك الجميل في الجنة.
· هل استهنت ببعض الذنوب؟ تذكر "وآخر من شكله أزواج" .ما هو الذنب الذي تكرره وتظنه صغيرًا؟ اعزم على تركه اليوم.
· إذا كان هذا مصير الطاغين، فهل تطمئن على نفسك وأهلك؟ ماذا تفعل لتنجي نفسك وأهلك من "شر مآب"؟

اخرج من هذه الرحلة وقد اكتملت في نفسك صورة اليوم الآخر: جنة عرضها السماوات والأرض، ونار وقودها الناس والحجارة. واعلم أنك بين هذين المصيرين، وأن كل لحظة في حياتك تقربك من أحدهما. فاختر لنفسك، واعمل لما يبقى. "فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز". اللهم زحزحنا عن النار، وأدخلنا الجنة مع الأبرار
ثالثا
تحليل الآيات 59-61 من سورة ص
(هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ * قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ * قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ)

مقدمة: السياق... حين يتحول الجحيم إلى ساحة محكمة وخصام

بعد أن وصف الله تعالى "شر مآب" الطاغين، وما فيه من حميم وغساق وأزواج من العذاب، يفتح لنا القرآن نافذة أخرى، لا على منظر العذاب الجسدي فحسب، بل على مشهد العذاب النفسي والاجتماعي داخل النار. إنه مشهد حيّ نابض، تكشف فيه الأستار، وتتقطع فيه الأواصر التي كانت في الدنيا، وتنقلب العلاقات إلى عداوة ولعنات متبادلة.

الآيات (59-61) تصور حوارًا صاخبًا بين فريقين من أهل النار: القادة والكبراء الذين أضلوا الناس، والأتباع والمقلدون الذين اتبعوهم. إنها ليست مجرد قصة، بل هي عرض حي للعاقبة الوخيمة لعلاقات قائمة على غير طاعة الله. إنها تحذير لكل من يسير في ركاب الضالين المضلين، ولكل من يتخذ قادة يوردونه موارد الهلاك. دعنا نعيش هذا المشهد المهيب، ونسمع بأذن قلوبنا حوار أهل النار، لعلنا نعتبر قبل فوات الأوان.

الأمر الأول:
دلالات الآيات – مشهد التخاصم واللعنة في أتون الجحيم

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآيات الكريمة، آية آية:

المحور الأول:
﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾ – استقبال باللعنة لا بالترحيب

ماذا يعني هذا المشهد الافتتاحي للحوار؟
تخيل المشهد: زمرة من الطاغين الكبار (القادة، الرؤساء، المضلين) قد دخلوا النار، واستقروا في طبقاتها. ثم يأتي بعدهم "فَوْجٌ" ، أي جماعة كثيرة من أتباعهم، "مُّقْتَحِمٌ" أي داخلون معهم النار بقوة وازدحام. فإذا بهم يستقبلون بأبشع استقبال. تقول الملائكة، أو يقول كبراؤهم: "لَا مَرْحَبًا بِهِمْ" . أي لا أهلا ً ولا سهلا ً بهم، بل ضاقت بهم الرحاب. ثم تأتي الجملة الحاسمة: "إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ" ، أي هم داخلوها ذائقو حرها لا محالة.

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "هَٰذَا فَوْجٌ" : اسم الإشارة "هذا" للتحقير والتهوين. فمع كثرة هذا الفوج، إلا أنه حقير في ذلك المقام. والمقصود بالفوج هنا: الأتباع والدهماء الذين اتبعوا الرؤساء.
· "مُّقْتَحِمٌ" : اسم فاعل من "اقتحم"، يدل على الدخول بشدة ومشقة وزحام. فهم لا يدخلون برفق، بل يدفعون دفعًا إلى النار. وهذا يصور هول الموقف حيث تتدافع الجماهير إلى الهاوية.
· "لَا مَرْحَبًا بِهِمْ" : هذه كلمة كانت تقال في الدنيا للترحيب بالضيف. وهنا تستعمل في معناها الحقيقي: لا سعة لهم ولا رحمة. إنه طرد وإهانة من أول لحظة.
· "إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ" : جملة تعليلية، كأنهم يقولون: "لِمَ هذا الاستقبال الفظ؟" فيأتي الرد: "لأنهم صالوا النار"، أي هم من أهل النار المستحقين لها، فلا كرامة لهم.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
في الدنيا، قد نرى زعماء وقادة يحيط بهم الأتباع والمريدون، يهللون لهم ويرحبون بهم أينما حلوا. هؤلاء الأتباع يظنون أن مكانتهم عند زعمائهم كبيرة، وأنهم سيحظون بمكانة خاصة يوم القيامة. لكن هذه الآية تكشف الحقيقة: في الآخرة، سينقلب الحال. القادة سيكونون أول من يتبرأ من أتباعهم، بل ويسبونهم ويطردونهم. مثال تقريبي: كمرؤوس في شركة يزين لرئيسه كل قراراته خوفًا من غضبه، ويظن أن هذا الرئيس سيحميه يوم المحنة. فإذا بالشركة تنهار، ويكون أول من يلقي باللوم على المرؤوسين هو ذلك الرئيس نفسه! هذا هو حال الأتباع مع قادتهم في النار.

الرسالة الوجدانية:
انظر إلى نفسك. هل أنت تابع لأحد في باطل؟ هل تقدم طاعة مخلوق على طاعة الخالق؟ تذكر أن هذا المخلوق سيتبرأ منك في أشد أوقات حاجتك إليه. فلا تكن تابعًا أعمى، واجعل ولاءك الأول لله وحده.

المحور الثاني:
﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ – رد الأتباع واتهام القادة

وكيف يرد الأتباع على هذا الاستقبال المهين؟
يأتي الرد سريعًا من الأتباع. إنهم لا يستسلمون للإهانة صامتين، بل يردون الصاع صاعين. يقولون لقادتهم: "بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ" . أي: "لا، بل أنتم الأحق بعدم الترحيب، فأنتم سبب بلائنا". ثم يوجهون إليهم التهمة الصريحة: "أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا" . أي أنتم الذين زينتم لنا طريق الضلال، وأوردتمونا هذا العذاب الذي نحن فيه. ثم يختمون كلامهم بتقريع مشترك: "فَبِئْسَ الْقَرَارُ" . أي فبئس هذا المستقر الذي صرنا إليه جميعًا، متبعين ومتبوعين.

دلالات عميقة في هذا الحوار:

· "بَلْ أَنتُمْ" : أسلوب قصر، يفيد توجيه التهمة إليهم وحدهم. كأنهم يقولون: "لا تستقبلونا بهذا الكلام، فـ العار كله عائد عليكم أنتم".
· "قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا" : فعل "قدمتم" يدل على أنهم كانوا في الدنيا يقدمون لهم الضلال على أنه خير وهدى ، ويسوقونهم إليه. فكانوا بمثابة من يقدم الطعام المسموم لضيوفه.
· "فَبِئْسَ القَرَارُ" : هذا حكم من الفريقين على مصيرهما المشترك. إنها لحظة اعتراف متبادل بأن النار بئس المستقر، بعد أن كانوا في الدنيا يتنافسون على القصور والدور.

اللمسة البيانية في "أنتم قدمتموه لنا":
هذه الجملة تلخص العلاقة بين القادة والأتباع في الضلال. القادة لم يجبروهم على الكفر، لكنهم زينوه وأغووهم، وسهلوا لهم طرقه. والأتباع اتبعوهم باختيارهم. وفي النهاية، كلاهما يتحمل المسؤولية، ولكن الأتباع يتذكرون أن القادة كانوا سببًا رئيسيًا في إغوائهم.

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
هذا الحوار يعلمنا خطورة الدعوة إلى الضلال. فكل من يدعو إلى منكر، أو يزين للناس طريق الغواية، فهو "يقدم" لهم هذا العذاب. مثال تقريبي: شخص ينشر فيديوهات أو منشورات تحرض على الفسق و الفجور أو الإلحاد، ويجذب إليها آلاف الشباب. في الآخرة، هؤلاء الشباب سيتعلقون به ويقولون: "أنت قدمت هذا لنا! أنت أضللتنا!". فليحذر كل صاحب كلمة أو قناة أو منصة مما يقدمه للناس، فإنه سيحاسب عن كل من تبعه في ضلاله.

الرسالة الوجدانية:
هل أنت "مقدم" خير أم "مقدم" شر للناس من حولك؟ بكل كلمة تقولها، وبكل فعل تفعله، وبكل محتوى تشاركه، أنت تقدم شيئًا للآخرين. فانظر ماذا تقدم، فإنه سيعود عليك يوم القيامة إما شفيعًا وإما خصيمًا.

المحور الثالث:
·{قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ}· – ذروة العداء... الدعاء بمضاعفة العذاب

وإلى أين يصل بهم هذا الخصام؟
بعد أن تبادلوا اللعنات والتهم، يتجه الأتباع – أو كلا الفريقين – إلى الله بطلب واحد، طلب لا يتصوره عقل: "رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ" . أي: يا ربنا، أي شخص كان سببًا في تقديم هذا العذاب إلينا، فضاعف له العذاب في النار. إنهم لا يطلبون تخفيفًا عن أنفسهم، فقد يئسوا من ذلك، بل يطلبون الانتقام ممن أضلوهم.

دلالات مذهلة في هذا الدعاء:

· "رَبَّنَا" : نداء لله، فيه اعتراف بربوبيته، ولكنه نداء يأتي في وقت لا ينفع فيه الندم. إنه نداء اليائس الذي لا يرجو لنفسه خيرًا، بل يريد أن يشفي غليله بمضاعفة عذاب غيره.
· "مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا" : "من" عامة تشمل كل من كان سببًا في إضلالهم: الشيطان، رؤساء الكفر، الآباء المضلون، الأصدقاء المغوون.
· "فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا" : العذاب الضعف هو المضاعف. فهم لا يكتفون بعذابه الأصلي، بل يطلبون له الزيادة والمضاعفة. وهذا هو غاية الحقد والعداوة التي انقلبت إليها علاقاتهم الدنيوية.
· "فِي النَّارِ" : تأكيد لمكان العذاب المضاعف، فهو في النار نفسها، أي أنه عذاب على عذاب.

اللمسة البيانية في "ضِعْفًا":
"ضعف" الشيء هو مثله مرة أو مرات. وهم يطلبون أن يكون عذاب المضلين مضاعفًا. وهذا مطابق للعدل الإلهي، كما قال تعالى: "لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ". فالضال يحمل وزر نفسه ووزر من أضله.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
هذا المشهد يصور أقصى درجات اليأس والحقد. هؤلاء الأتباع كانوا في الدنيا يحبون قادتهم ويوالونهم، وقد يضحون بأموالهم وأنفسهم من أجلهم. وفي النار، يتحول هذا الحب إلى أشد أنواع الكره، لدرجة أنهم يدعون بمضاعفة عذابهم. مثال تقريبي: كشريكين في جريمة، قبض عليهما، فكل

منهما يلقي باللوم على الآخر، ويتمنى أن ينزل به العقاب الأشد، لاعتقاده أنه هو الذي تسبب في توريطه. هذا هو حال أهل النار، لكن على نطاق أبدي مرعب.

الرسالة الوجدانية:
يا من تتبع قائدًا أو رمزًا في معصية الله... أتظن أن هذا القائد سينفعك يوم القيامة؟ أتظن أن حبك له اليوم سيبقى غدًا؟ لا والله، بل ستكون أول من يدعو عليه بمضاعفة العذاب. فانج بنفسك، ولا تكن تبعًا لأحد في الباطل. وليكن ولاؤك وحبك لله وفي الله فقط.

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

هذه الآيات ليست مجرد مشهد من مشاهد الآخرة، بل هي رسائل إنذار عاجلة لكل حي يرزق:

.1يريد منا أن ننتبه لمن نتخذهم قادة وأسوة .فلا نتبع أحدًا في معصية الله، مهما كان شأنه في الدنيا، لأن عاقبة التبعية العمياء هي هذا الخصام واللعنة الأبدية.
.2يريد منا أن نتحمل مسؤولية اختياراتنا .الأتباع لم يعذروا بكونهم أتباعًا، بل عذبوا لأنهم اختاروا طريق الضلال باختيارهم .فالعذر بجهل أو تقليد لا ينفع صاحبه يوم القيامة.
.3يريد منا أن نكون دعاة خير لا دعاة شر ."من قدم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا" .هذه الجملة يجب أن ترن في أذن كل صاحب كلمة أو منصب أو تأثير، ليعلم أن كل من يضله سيكون خصمًا له يوم القيامة.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولا ً: مفهوم التبعية العمياء كآفة اجتماعية مدمرة.
في حياة الفرد، التبعية العمياء تعني تعطيل العقل والضمير. الإنسان الذي يتبع غيره دون تفكير، يفرغ نفسه من جوهر الإنسانية وهو الاختيار الواعي. هذا يبني إنسانًا مسلوب الإرادة، سهل القياد إلى الهاوية. في المجتمع، انتشار التبعية العمياء يصنع مجتمعًا قطيعيًا، يسهل قيادته نحو الفساد والخراب. فإذا كان القادة صالحين صلح المجتمع، وإذا فسدوا فسد المجتمع، لأن الأفراد لا يملكون وعيًا نقديًا. هذه الآيات تحرر الفرد والمجتمع من هذه الآفة، وتدعو إلى الوعي والاختيار الشخصي المسؤول. حضاريًا، الحضارة التي تقوم على الأتباع المقلدين لا تنتج إبداعًا ولا تقدمًا. لأن الإبداع يتطلب عقلا ً ناقدًا، وشجاعة في مخالفة السائد الباطل. الحضارة الإسلامية في أوجها قامت على عقول حرة ناقدة، تناظر وتجادل بالتي هي أحسن. فلما ساد التقليد الأعمى، توقفت عجلة الإبداع الحضاري.

ثانيًا: مفهوم "الاستقبال باللعنة" كعقاب نفسي مضاعف.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يبين أن عذاب الآخرة ليس جسديًا فقط. "لا مرحبًا بهم" هو عذاب نفسي قاس: الإهانة، الطرد، التحقير. هذا يبني إنسانًا يخاف من العار الأخروي، لا من الألم الجسدي فقط. فا لإنسان بفطرته يكره الإهانة، ويسعى للكرامة. فإذا علم أن من يتبع الضلال سيهان ويطرد، فإنه يرتدع. في المجتمع، هذا المفهوم يبني مجتمعًا عزيزًا كريمًا. مجتمع يحرص أفراده على كرامتهم، ويأبون أن يكونوا أذنابًا للضالين، لأنهم يخافون عار الآخرة. حضاريًا، الحضارة التي تنتج "أفواجًا مقتحمة" في النار، هي حضارة أذلت أبناءها في الدنيا قبل الآخرة، وسلبتهم كرامتهم وإنسانيتهم. أما الحضارة التي تربي على العزة بالله وكرامة الإيمان، فهي تنجو بهم من هذا المصير المهين.

ثالثًا: مفهوم "فبئس القرار" كحكم مشترك على علاقات الدنيا الفاسدة.
هؤلاء كانوا في الدنيا يتنافسون على أفضل القرار: أفضل البيوت، أفضل المناصب. وفي النار، يجتمعون على كلمة واحدة: "فبئس القرار". هذا المفهوم يعيد تقييم مفهوم "القرار" في حياتنا. ما هو القرار الحسن؟ أهو البيت الفخم والمنصب العالي؟ أم هو جنة عرضها السماوات والأرض؟ هذا المفهوم يبني إنسانًا زاهدًا في زخارف الدنيا، لا يغتر بقراره فيها، بل يسعى لقرار الآخرة. في المجتمع، هذا يقلل من التنافس المادي المدمر، ويوجه الطاقات نحو التنافس في الخيرات. حضاريًا، الحضارة التي تعلي من شأن "القرار" الأخروي، تبني عمرانها الدنيوي بمنظور استخلافي، لا بمنظور استهلاكي، فيكون عمرانها متوازنًا مستدامًا.

الأمر الرابع:

أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآيات تفتح لنا آفاقًا واسعة في الفكر والاجتماع وعلم النفس.

.1البعد النفسي والاجتماعي: سيكولوجية الجلاد والضحية في النار.
هذا الحوار هو دراسة نفسية عميقة لطبيعة العلاقة بين القادة والأتباع في الشر. في الدنيا، هناك نوع من التكامل النفسي: القائد يريد السلطة والتمجيد، والتابع يريد الأمان والانتماء. في الآخرة، تنكشف هذه العلاقة على حقيقتها: استغلال متبادل. القائد استغل التابع لتعزيز سلطته، والتابع استغل القائد للهروب من مسؤولية التفكير. وعندما يقع البلاء، ينقلب كل منهما على الآخر. هذا البعد يفسر ظاهرة "اللوم المتبادل" في كل انهيار جماعي: كل فريق يلقي باللائمة على الآخر. وهو درس لنا لنعيش علا قات صحية قائمة على الصدق والنصح، لا على الاستغلال والتبعية.

.2البعد الإعلامي والدعوي: كيف نتعامل مع "المؤثرين" في عصرنا؟
في عصر وسائل التواصل، أصبح للمؤثرين سلطة هائلة على عقول الشباب. الآية توجه رسالة لهؤلاء: "أنتم قدمتموه لنا". كل محتوى يقدمه مؤثر، هو بمثابة "تقديم" لطريق، إما إلى الجنة وإما إلى النار. هذا البعد يضع مسؤولية أخلاقية كبرى على عاتق المؤثرين وصناع المحتوى. وعليهم أن يتذكروا أن كل متابع لهم سيكون حجة لهم أو عليهم. كما أنها رسالة للمتابعين: "لا تمنحوا ثقتكم وعقولكم لكل من هب ودب، واختاروا قدواتكم بعناية".

.3البعد التربوي: تعليم النشء التفكير النقدي وعدم التقليد الأعمى.
من أعظم ما نستفيده من هذه الآيات تربويًا: تعليم أبنائنا أن يقولوا "لا" للخطأ، حتى لو صدر ممن يحبون ويحترمون. التربية على التفكير النقدي، والسؤال عن الدليل، وعدم قبول أي فكرة دون تمحيص. هذا هو صمام الأمان الذي يحميهم من أن يكونوا "فوجًا مقتحمًا" في النار. التربية الإيمانية الصحيحة لا تصنع أتباعًا مقلدين، بل تصنع أحرارًا في عبادة الله.

.4البعد العقدي: عدالة الله في توزيع المسؤولية والعقاب.
الآيات تظهر أن الله لم يظلمهم، بل هم الذين ظلموا أنفسهم باتباعهم الضلال. ومع ذلك، فإنهم يعترفون بأن القادة "قدموا" لهم هذا، فيطلبون لهم مضاعفة العذاب. وهذا يدل على أن المسؤولية مشتركة، ولكنها متفاوتة. القائد عليه وزر أكبر لأنه تسبب في إضلال غيره. هذا البعد العقدي يريح النفس المؤمنة، ويملؤها يقينًا بعدل الله المطلق، حيث يأخذ لكل مظلوم حقه، حتى ولو كان المظلوم مشتركًا في الذنب.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال اختيار القدوات: راجع قائمة الأشخاص الذين تتابعهم وتتأثر بهم في حياتك (معلمين، أصدقاء، مشاهير، شيوخ). اسأل نفسك عن كل واحد: "هل هو يقدمني إلى الجنة أم يقدمني إلى النار؟ ". فإن كان من النوع الثاني، فاقطع متابعته أو قلل من تأثيره عليك فورًا.

في مجال تحمل المسؤولية: إذا دعاك أحد إلى معصية، فلا تقل: "هو الذي دعاني". تذكر أن الأتباع في النار لم يعذروا، بل عذبوا مع أنهم قالوا: "أنتم قدمتموه لنا". أنت مسؤول عن اختيارك، فلا تلق باللوم على غيرك.

في مجال التأثير على الآخرين: قبل أن تنشر معلومة، أو توصي صديقًا بفعل شيء، أو تعلق على منشور، توقف واسأل نفسك: "هل أنا بهذا أقدم للناس خيرًا أم أقدم لهم عذابًا؟". تذكر دعاء أهل النار: "ربنا من قدم لنا هذا فزده عذابًا ضعفًا". لتكن كلمتك دائمًا بوابة خير.

في مجال التربية: علم أبناءك أن الحب الحقيقي هو أن تنصح لمن تحب، لا أن تطيعه في كل شيء. قل لهم: "إذا أحببت صديقك، فامنعه من الخطأ، ولا تشجعه عليه، لئلا تكون سببًا في عذابه وعذابك".

في مجال التوبة: إذا كنت قد "قدمت" لأحد طريق ضلال في الماضي، فبادر بتصحيح ذلك. اتصل به، أو راسله، وقل له: "لقد كنت مخطئًا في كذا وكذا، وأنا تائب إلى الله، فارجع أنت أيضًا". سعيك لإنقاذ من أضللت هو من أعظم التوبة.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد سمعت حوار أهل النار، ورأيت كيف تنقلب العلاقات إلى عداوة أبدية، حان وقت الصدق مع النفس:

· من هم "قادتك" في هذه الحياة؟ من هم الذين تمشي وراءهم دون تفكير؟ هل هم يقدمون لك طريق الهدى أم طريق الردى؟
· هل أنت "فوج مقتحم" وراء أحدهم؟ هل أنت تابع أعمى لأي شخص أو جماعة أو فكر دون تمحيص؟ متى كانت آخر مرة خالفت فيها رأي من تحترم لأنه خالف شرع الله؟
· ما هو الشيء الذي "تقدمه" للناس من حولك؟ بلسانك، بقلمك، بحسابك في وسائل التواصل؟ هل ستكون ممن يُدعى لهم بمضاعفة العذاب، أم ممن يقال لهم: "ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون"؟
· إذا كان هذا هو مصير العلاقات القائمة على الباطل، فهل تطمئن إلى علاقاتك الحالية؟ هل تحب في الله وتبغض في الله، أم أن علاقاتك قائمة على مصالح دنيوية زائلة؟

اخرج من هذه الرحلة وقد تغيرت نظرتك إلى التبعية والقيادة. لا تكن ذيلًا لأحد في الباطل، وكن قائدًا في الخير. تذكر أن يوم القيامة، ستقف وحدك، ولن ينفعك قائد ولا أتباع. فليكن رصيدك هناك عملك الصالح، وعلاقاتك التي كانت في الله. "الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين". فكن من المتقين، تكن خلتك يوم القيامة نعيمًا لا عذابًا

رابعا .
تحليل الآيات 62-64 من سورة ص
(وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ * أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ * إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ * قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)

مقدمة: السياق... حين يبحث أهل النار عن المؤمنين فلا يجدونهم

بعد أن شهدنا في الآيات السابقة مشهد التخاصم المهيب بين القادة والأتباع في النار، وما تبادلوه من لعنات ودعوات بمضاعفة العذاب، تأتي هذه الآيات لتكشف لنا مشهدًا آخر من مشاهد الحسرة والندامة. إنه مشهد التفتيش عن المؤمنين الضعفاء الذين كانوا في الدنيا موضع سخرية واستهزاء.

أهل النار، وهم في غمرة عذابهم، يلتفتون فجأة فلا يرون وجوهًا كانوا يظنون أنهم سيرونها معهم في النار. إنهم يبحثون عن أولئك "الأشرار" - كما كانوا يسمونهم في الدنيا - فلا يجدونهم. إنها لحظة صدمة إضافية، تزيد من حسرتهم: لقد كانوا يظنون أنهم على حق، وأن أولئك المؤمنين على باطل، فإذا بالحقيقة تنكشف عكس ما ظنوا تمامًا.

ثم تأتي الآية الأخيرة لتختم هذا المقطع من السورة بتوجيه مباشر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإلى كل داعية: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" . إنها خلاصة الرسالة: الإنذار والتوحيد. دعنا نعيش هذا المشهد الأخير من مشاهد النار في سورة ص، ونستمع إلى حوار الحسرة و الندم، لعلنا نعتبر قبل فوات الأوان.

الأمر الأول:
دلالات الآيات – مشهد البحث عن المفقودين وانقلاب الموازين

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآيات الكريمة، آية آية:

المحور الأول: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ﴾ – السؤال المحير في أتون الجحيم

ماذا يعني هذا السؤال المفاجئ؟
بينما أهل النار يتقلبون في عذابهم، ويتخاصمون فيما بينهم، يلتفت أحدهم، أو يلتفتون جميعًا، فإذا بهم يفتقدون وجوهًا كانوا يتوقعون رؤيتها. إنهم يسألون بدهشة وحيرة: "مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ" . أي: ما بالنا لا نرى في النار معنا أولئك الرجال الذين كنا نعدهم في الدنيا من ا لأشرار والأراذل؟ أين هم؟ لماذا لم يدخلوا معنا النار؟

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "مَا لَنَا" : استفهام يعبر عن الحيرة والدهشة. إنهم في حالة ذهول، وكأنهم يبحثون عن شيء مفقود كانوا على يقين من وجوده.
· "لَا نَرَى" : الفعل مضارع يدل على استمرار البحث والتلفت. إنهم لا يزالون يبحثون، ولم يجدوا بعد.
· "رِجَالًا" : وصفهم بالرجال يدل على أنهم كانوا يعرفونهم بأعيانهم، وكانوا رجالا ً كاملي الرجولة في إيمانهم، ولكن الطاغين كانوا ينظرون إليهم نظرة احتقار.
· "كُنَّا نَعُدُّهُم" : الفعل "نعد" بصيغة المضارع في الدنيا، يدل على أن هذا كان وصفًا دائمًا لهم. كانوا يضعونهم في قائمة "الأشرار" باستمرار.
· "مِّنَ الْأَشْرَارِ" : الأشرار جمع شرير. كانوا يصفون المؤمنين الفقراء والضعفاء بأنهم أشرار، لأنهم خالفوا دين آبائهم، أو لأنهم لم يكونوا من طبقة الأغنياء والكبراء.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
في الدنيا، كثيرًا ما تنعكس الموازين. قد ينظر أهل الباطل إلى أهل الحق على أنهم "متخلفون"، "رجعيون"، "متطرفون"، "فقراء معقدون". يضعونهم في خانة "الأشرار" أو "المعطلين للتقدم". هذه الآية تكشف أن هذه النظرة ستنقلب في الآخرة. مثال تقريبي: شاب ملتزم بدينه، يحافظ على صلاته، يرفض الاختلاط المحرم، قد ينظر إليه بعض زملائه على أنه "معقد" أو "متزمت". في الآخرة، سيبحث هؤلاء الزملاء عنه في النار - إن دخلوها - فلا يجدونه، ويسألون: "أين فلان؟ كنا نظنه منا، فإذا به قد سبقنا إلى الجنة!". هذا المشهد يجب أن يغير نظرتنا لأنفسنا وللآخرين اليوم.

الرسالة الوجدانية:
لا تحزن إذا وصفك أهل الباطل بأنك من "الأشرار" لأنك تمسكت بدينك. فهذه شهادة لك أنك على الحق. وتذكر أنهم سيبحثون عنك يوم القيامة فلا يجدونك في النار. فاثبت، واستمسك بدينك، ولو سخر منك العالم كله.

المحور الثاني: ﴿أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ﴾ – حيرة بين سببين

وما هي الاحتمالات التي يطرحونها؟
بعد أن فتشوا فلم يجدوهم، طرحوا احتمالين لتفسير غيابهم:
الاحتمال الأول: "أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا" . أي: هل كان خطؤنا أننا اتخذناهم في الدنيا موضع سخرية واستهزاء، فكانوا في الحقيقة على حق ونحن على باطل؟ وهذا اعتراف ضمني بخطئهم، ولكن بصيغة الاستفهام المتردد.
الاحتمال الثاني: "أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ" . أي: أم أنهم موجودون معنا في النار، ولكن أبصارنا زاغت عنهم فلم نرهم؟ أي لم تقع أبصارنا عليهم وهم في مكان ما من النار؟

دلالات عميقة في هذه الحيرة:

· "أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا" : الاستفهام هنا للتوبيخ الذاتي والندم. هم يدركون في قرارة أنفسهم أن السبب هو أنهم كانوا يسخرون من أهل الحق، ولكنهم ما زالوا في حالة إنكار جزئي، فيطرحونه كسؤال.
· "أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ" : هذا الاحتمال يعكس رغبة دفينة في ألا يكونوا مخطئين تمامًا. كأنهم يتمنون أن يكون المؤمنون معهم في النار، ولكنهم لم يروهم. إنها أمنية كاذبة لتهوين المصيبة.
· اللمسة البيانية في "زَاغَتْ": "زاغت" بمعنى مالت وانحرفت. كأن الأبصار كانت تنظر إليهم لكنها لم تلتقطهم. وهذا يصور شدة حيرتهم وذهولهم.

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
هذا الحوار يصور آلية الدفاع النفسي حتى في الآخرة. الإنسان يرفض الاعتراف بخطئه الفادح بسهولة ، فيبحث عن أعذار وتفسيرات بديلة. مثال تقريبي: كطالب رسب في الامتحان، بدل أن يعترف بتقصيره، يقول: "هل أنا فعلا ً لم أذاكر جيدًا؟ أم أن المصحح أخطأ في تصحيح ورقتي؟". هذا هو حال أهل النار: يبحثون عن أي تفسير يخفف عنهم مرارة الحقيقة المرة: أنهم كانوا على باطل، وأن المؤمنين الذين سخروا منهم هم الفائزون.

الرسالة الوجدانية:
لا تكن ممن يبرر أخطاءه ويبحث عن أعذار. اعترف بخطئك اليوم قبل غد. فالاعتراف بالخطأ في الدنيا هو طريق التوبة والنجاة. أما في الآخرة، فلا ينفع الاعتراف ولا التبرير.

المحور الثالث:

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ – تعقيب إلهي يقطع الشك

لماذا هذا التعقيب الإلهي؟
بعد عرض هذا الحوار المؤثر، يأتي التعقيب الإلهي الحاسم: "إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ" . أي: إن هذا الذي قصصناه عليك من حوارهم وتخاصمهم هو الحق الذي لا مرية فيه. إنه واقع سيكون، وليس مجرد تمثيل أو خيال.

دلالات مذهلة في هذا التعقيب:

· "إِنَّ ذَٰلِكَ" : التوكيد ب-"إن" واسم الإشارة "ذلك" للدلالة على عظم هذا الخبر وأهميته.
· "لَحَقٌّ" : اللام للتوكيد. "حق" أي ثابت واقع لا شك فيه. هذا رد على أي شك قد يخامر النفس البشرية من استبعاد هذه المشاهد.
· "تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ" : "تخاصم" مصدر يدل على وقوع الخصومة والجدال بينهم. وهذا يعطينا صورة عن الحياة الاجتماعية في النار: إنها حياة خصام دائم، لا ألفة ولا محبة، عكس حياة أهل الجنة الذين "لا يسمعون فيها لغوًا ولا تأثيمًا إلا قيلا ً سلامًا سلامًا".

اللمسة البيانية في إضافة "تخاصم" إلى "أهل النار":
هذا الأسلوب يصور التخاصم وكأنه صفة ملازمة لهم، جزء من هويتهم في النار. فهم "أهل النار" و "أهل الخصام" في آن واحد.

المفهوم التربوي والعملي (مع مثال تقريبي):
هذه الآية تؤكد مصداقية كل ما ورد في القرآن عن اليوم الآخر. إنه ليس أساطير الأولين، بل هو حق يقيني. هذا اليقين يجب أن يغير سلوكنا في الدنيا. مثال تقريبي: عندما تقرأ في الجريدة عن كارثة حلت بقوم، قد تشعر بالحزن، لكنك لا تغير حياتك. أما عندما تؤمن أن هذه المشاهد الأخروية "حق"، فإنها تدفعك لتغيير مسار حياتك بالكامل.

الرسالة الوجدانية:
آمنت بأن هذا "حق"؟ إذا كان جوابك نعم، فكيف تنام وفي قلبك ذرة من كبر أو سخرية من عباد الله المؤمنين؟ كيف تستهين بمعصية وأنت تعلم أن هذا المصير ينتظر أصحابها؟ الإيمان بأنه "حق" يجب أن يزلزل كيانك، ويدفعك للعمل.

المحور الرابع:
﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ – خلاصة الرسالة ومنتهى البلاغ

وما سر ختم هذا المقطع بهذا الأمر الإلهي للنبي؟
بعد هذا العرض المرعب لمشاهد النار، يأمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يعلن مهمته بوضوح: "قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ" . أي: لست وكيلا ً عليكم، ولا مسؤولا ً عن هدايتكم، وإنما أنا منذر، أحذركم من هذا المصير الذي رأيتم مشاهد منه. ثم يعلن حقيقة التوحيد الكبرى: "وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" . هذا هو جوهر الرسالة: الإنذار والتوحيد.

دلالات مذهلة في هذا الختام:

· "قُلْ" : أمر إلهي مباشر للنبي صلى الله عليه وسلم، وفي ضمنه أمر لكل داعية أن يبلغ هذه الرسالة.
· "إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ" : أسلوب قصر، أي: أنا مقصور على مهمة الإنذار، ولست بمسيطر ولا بجبار. هذا يريح قلب الداعية، فهو ليس مسؤولا ً عن النتائج، بل عن البلاغ.
· "وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا اللَّهُ" : هذا هو أساس الرسالة. لا معبود بحق إلا الله. ومن أقر بهذا نجا، ومن أنكره هلك.
· "الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ" : هذان الاسمان العظيمان يختمان الآية والسورة (في هذا المقطع). "الواحد" الذي لا شريك له في ألوهيته وربوبيته. "القهار" الذي يقهر كل شيء، ولا يغلبه شيء. فمن آمن بهذا الواحد القهار، أمن عذابه. ومن كفر به، فسينزل به قهره.

اللمسة البيانية في الربط بين "الواحد" و"القهار":
الجمع بين هذين الاسمين في ختام هذا السياق له دلالة عظيمة. فمن توحد الله بالعبودية، أمّنه الله من قهره يوم القيامة. ومن أشرك به، فسيلقى قهره وعذابه. وفي هذا إشارة إلى أن النجاة من أهوال النار التي سبق وصفها إنما تكون بتوحيد الله الواحد القهار.

المفهوم الوجودي والدعوي (مع مثال تقريبي):
هذه الآية تعطينا منهج الداعية. مهمته الإنذار والتبليغ، لا الإكراه ولا التحكم في القلوب. وهو يقدم ا لإنذار على أساس التوحيد. مثال تقريبي: كطبيب يخبر مريضه بخطورة مرضه (إنذار)، ثم يصف له الدواء الناجع (التوحيد). الطبيب لا يضمن شفاء المريض إن لم يلتزم، لكنه أدى واجبه. هذا هو حال النبي والدعاة من بعده.

الرسالة الوجدانية:
يا من تقرأ هذه الآيات... هذا هو الإنذار. وهذا هو الدواء: "لا إله إلا الله". فهل قبلت الإنذار؟ هل حققت التوحيد في قلبك وعملك؟ تذكر أن الله هو "الواحد القهار"، فاجعله وحده ملاذك، ووحدك قهرك له بالعبودية، تنج من قهره يوم القيامة.

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

هذه الآيات تختم مشاهد النار في سورة ص برسائل مركزة:

.1يريد منا أن نصحح موازيننا في الدنيا .فلا ننظر إلى المؤمنين المستضعفين نظرة احتقار أو سخرية، فهم في ميزان الله أثقل من جبال الدنيا .ولنحذر أن نكون ممن يعدون المؤمنين من "الأ شرار".
.2يريد منا أن نوقن بحقيقة ما يحدث في الآخرة ."إن ذلك لحق" .هذه الكلمة يجب أن تكون نصب أعيننا، تحركنا للعمل، وتمنعنا من الغفلة.
.3يريد منا أن نحدد مهمتنا في الحياة .نحن منذرون، شاهدون بالحق، داعون إلى التوحيد .لسنا مسؤولين عن هداية الناس، بل عن بلاغهم.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولا ً: مفهوم "انقلاب الموازين" كقيمة إيمانية لتقويم النظر.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يحرره من عبودية المقاييس الاجتماعية الزائفة. في الدنيا، يُقاس الناس بالمال والجاه والمنصب والجمال. لكن الآخرة تكشف أن المقياس الحقيقي هو التقوى. هذا يبني إنسانًا لا يغتر بزخارف الدنيا، ولا يحتقر الضعفاء والفقراء. في المجتمع، انتشار هذا المفهوم يقضي على الطبقية والاستعلاء. فيصبح المجتمع متآخيًا، يقدر أفراده بعضهم بعضًا بإيمانهم وأخلاقهم، لا بأموالهم. حضاريًا، الحضارة التي تقوم على مبدأ "انقلاب الموازين" الإيماني هي حضارة إنسانية عادلة. لأنها تمنح كل إنسان قيمته الحقيقية، وتسخر الموارد لخدمة الجميع، لا لفئة قليلة تظن نفسها من "الأخيار" بينما هي في الحقيقة من "الأشرار" في الميزان الإلهي.

ثانيًا: مفهوم "السخرية" كجريمة قلبية ولسانية عظيمة.
أهل النار تساءلوا: "أتخذناهم سخريًا؟". هذا يدل على أن السخرية من المؤمنين كانت من كبائر ذنوبهم التي أوردتهم النار. في حياة الفرد، هذا المفهوم يبني إنسانًا طاهر اللسان والقلب. يعلم أن الاستهزاء بخلق الله هو استهزاء بالخالق، لأنهم عباده. في المجتمع، انتشار ثقافة احترام الآخر وترك السخرية يبني مجتمعًا آمنًا نفسيًا. فالناس لا يخافون من التنمر والاحتقار بسبب دينهم أو فقرهم أو شكلهم. هذا المجتمع يكون متماسكًا متحابًا. حضاريًا، الحضارة التي تنتشر فيها السخرية والاستهزاء هي حضارة مريضة متفككة، لأنها تقوم على أنقاض كرامة الإنسان. أما الحضارة الإسلامية فقامت على احترام الإنسان لإنسانيته وتقواه.

ثالثًا: مفهوم "الإنذار" كمسؤولية فردية وجماعية.
كل مؤمن هو "منذر" في دائرته. هذا المفهوم يبني إنسانًا إيجابيًا، لا يكتفي بصلاح نفسه، بل يسعى لإنقاذ غيره. في المجتمع، هذا يخلق مجتمعًا حيًا متفاعلا ً، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فتنتشر فيه الفضيلة وتنحسر الرذيلة. حضاريًا، الحضارة التي يتحول أبناؤها من مجرد متلقين إلى "منذرين" و "شاهدين" هم حراس الحضارة. إنهم يراقبون مسارها، ويصححون اعوجاجها، ويحمونها من الانهيار الأ خلاقي.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآيات تفتح لنا آفاقًا في الفكر والاجتماع وعلم النفس.

.1البعد النفسي والاجتماعي: ظاهرة "البحث عن كبش فداء" في الأزمات.
أهل النار عندما وقعوا في العذاب، بدأوا يبحثون عن سبب تخفيف لعذابهم النفسي، فكان سؤالهم عن المؤمنين. هذا يشبه ما يحدث في المجتمعات عند الكوارث: يبحث الناس عن "كبش فداء" يلقون عليه اللوم. الآية تكشف أن هذه الآلية النفسية لا تنفع في الآخرة، بل تزيد من الحسرة. هذا البعد يعلمنا أن نتحمل مسؤولية أخطائنا، لا أن نبحث عن شماعة نعلق عليها فشلنا.

.2البعد الفكري والعقدي: خطورة الكبر والتصنيف الخاطئ للناس.
تصنيفهم للمؤمنين بأنهم "من الأشرار" كان ناتجًا عن كبر وعجب. هذا البعد يحذرنا من التصنيفات الجاهزة للناس بناءً على مظاهرهم أو وضعهم الاجتماعي. ففي عصرنا، نرى تصنيفات كثيرة: "إرهابي"، "رجعي"، "متطرف"، تطلق جزافًا على المتمسكين بدينهم. هذه الآية تقول: احذروا، فقد تكونون أنتم "ا لأشرار" في ميزان الله، وهم "الأخيار".

.3البعد الدعوي: التوازن بين "الإنذار" و"التبشير".
الآية ختمت بـ"إنما أنا منذر"، ولكن القرآن مليء بالبشارة أيضًا. هذا البعد يعلم الدعاة أن يقدموا رسالتهم متوازنة. لكن في سياق الحديث عن النار وأهوالها، يكون التركيز على الإنذار مناسبًا. والمهم أن تصل الرسالة واضحة: هناك جنة ونار، والخيار لكم.

.4البعد التكاملي للسورة: "الواحد القهار" في مواجهة "الأنداد".
سورة "ص" عرضت نماذج من عباد الله المخلصين، وقصتهم مع التوحيد. وختمت هذا المقطع باسم "الواحد القهار". هذا البعد يربط السورة كلها بمحور التوحيد. فكل الانحرافات التي أودت بالأمم السابقة كانت بسبب الشرك. والنجاة من كل ما وُصف من عذاب إنما تكون بتوحيد "الواحد القهار". وهذا هو محور الرسالة الخاتمة.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال التعامل مع الآخرين: احذر أن تسخر من أحد أو تحتقره بسبب فقره أو قلة حيلته أو شكله. فقد يكون هذا الشخص من "الأخيار" عند الله، وأنت لا تدري. عامل الناس كلهم باحترام، فربما كان فيهم من هو خير منك عند الله.

في مجال تقييم الذات: لا تغتر بمدح الناس لك، أو بمنصبك ومالك. واسأل نفسك: "أين أنا في ميزان الله؟". واجعل همك أن تكون من الفائزين في الميزان الإلهي، لا في ميزان البشر.

في مجال الدعوة: إذا رأيت منكرًا، أو أردت أن تنصح أحدًا، فانظر إليه كـ"منذر" رحيم، لا كقاضٍ جبار. قل له: "أنا أحبك، وأخاف عليك من عذاب الله". هذا الأسلوب أقرب للقبول.

في مجال الإيمان بالآخرة: خصص كل يوم بضع دقائق لتتأمل في مشهد من مشاهد الآخرة. تأمل وأنت تقرأ القرآن كأنك ترى هذه المشاهد أمامك. هذا التمرين يجدد إيمانك، ويدفعك للعمل.

في مجال التوحيد: أكثر من ترديد "لا إله إلا الله الواحد القهار" في يومك. وتأمل في معناها. فهي كلمة النجاة، وهي التي تنجيك من قهر الله يوم القيامة.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد سمعت حوار أهل النار، ورأيت بحثهم عن المؤمنين الذين كانوا يسخرون منهم، حان وقت الصدق مع النفس:

· هل في قلبك شيء من احتقار الآخرين أو السخرية منهم؟ راجع نفسك. هل سخرت يومًا من شخص لفقره، أو لتمسكه بدينه، أو لشكله؟ استغفر الله، واعزم على احترام كل عباد الله.
· هل أنت مستعد لأن تكون ممن "يفتقده" أهل النار فلا يجدونه معهم؟ ماذا فعلت اليوم لتكون من الفائزين بالجنة، لا من الخاسرين في النار؟
· هل قمت بواجب "الإنذار" في أهلك وأصحابك؟ هل حذرت من تحب من عاقبة الغفلة والذنوب؟ ابدأ اليوم بكلمة طيبة، أو رسالة نصح.
· هل "الواحد القهار" هو وحده ملاذك؟ هل توكلت عليه حق التوكل؟ هل وحدته في خوفك ورجائك وحبك؟

اخرج من هذه الرحلة وقد اكتملت في نفسك صورة "أهل النار" و"أهل الجنة". وتذكر أن الله "الواحد القهار" قد أقام عليك الحجة بهذا القرآن. فإما أن تكون من الذين "نعدهم من الأشرار" في أعين الناس، ولكنهم "الأخيار" في ميزان الله، وإما أن تكون ممن يبحث عنهم في النار فلا يجدهم، فتزداد حسرة. اختر لنفسك، ف-"إن ذلك لحق"..

المقطع الرابع
القسم الاول
اولا
تحليل الآيتين 65 و 66من سورة ص
)قُلْ إِنَمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَا اللَهُ الوَاحِدُ القَهَارُ * رَبُ السَمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ العَفَارُ(

مقدمة: السياق ...حين يبلغ الإنذار ذروته في جلال التوحيد

بعد أن طاف بنا المقطع السابق في مشاهد مؤثرة من أحوال أهل النار: تخاصمهم، لعناتهم، بحثهم الحسير عن المؤمنين الذين كانوا يسخرون منهم، يأتي هذا النداء الإلهي الخاتم ليجمع كل خيوط السورة في عقدة واحدة مضيئة .إنه ليس مجرد أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يقول كلمة، بل هو إعلان كوني يهز أركان الوجود، ويضع النقاط على الحروف في رحلة سورة "ص" كلها.

بعد أن رأينا مصارع الطاغين، ونعيم المتقين، يأتي البيان الشافي: "إنما أنا منذر" .وبعد أن رأينا تنوع البلاء والتمكين والاصطفاء، يأتي التوحيد الخالص: "وما من إله إلا الله" .ثم تتجلى الأسماء الحسنى في ختام مهيب: "الواحد القهار ...رب السماوات والأرض ...العزيز الغفار" .إنهما آيتان تختزلان الدين كله: العقيدة، والرسالة، والجزاء .دعنا نقف أمامهما بقلوب خاشعة، لنستمع إلى النداء الأخير في هذا المقطع العظيم.

الأمر الأول:
دلالات الآيتين – جوهر الرسالة في كلمات

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هاتين الآيتين الكريمتين، آية آية:

المحور الأول:
{قُلْ إِنَمَا أَنَا مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَا اللَهُ الوَاحِدُ القَهَارُ} – تحديد المهمة وإعلان التوحيد

ماذا يعني هذا الإعلان المزدوج؟
يأمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يقول للناس جميعًا: "إِنَمَا أَنَا مُنذِرٌ" . "إنما" أداة قصر وحصر .أي أن وظيفتي محصورة في الإنذار والتحذير من عذاب الله، ولست بمسيطر عليكم، ولا بوكيل عنكم، ولا أملك لكم نفعًا ولا ضرًا .إنها كلمة تريح قلب النبي وقلب كل داعية، فليس عليه هداية الخلق، بل عليه البلاغ المبين.

ثم ينتقل مباشرة إلى جوهر الرسالة: "وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَا اللَهُ الوَاحِدُ القَهَارُ" . هذا هو أساس الإنذار ومصدره .فلماذا ينذر؟ لأنه لا إله إلا الله، فمن أشرك به أو عصاه، استحق عقاب "القهار" .ومن وحده وأطاعه، نجا بقدرة "الواحد".

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "قُلْ" : أمر إلهي صريح .هذا الأمر يجعل من هذه الكلمات واجبًا على النبي، وواجبًا على الأمة من بعده أن تبلغ هذا الدين.
· "إِنَمَا أَنَا مُنذِرٌ" : القصر هنا يفيد التواضع وتفويض الأمر إلى الله .كأنه يقول: "لا تنتظروا مني المعجزات حسب أهوائكم، ولا تظنوا أني أملك خزائن الله، أنا فقط نذير".
· "وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَا اللَهُ" : "من" زائدة لتأكيد النفي .فلا يوجد أي إله، لا صغير ولا كبير، إلا الله .إنه نفي قاطع لكل ألوهية مزعومة.
· "الوَاحِدُ القَهَارُ" : الجمع بين هذين الاسمين العظيمين في هذا المقام له سر بديع ."الواحد" الذي لا شريك له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته ."القهار" الذي قهر كل شيء، ودان له كل مخلوق .فهو وحده المستحق للعبادة، وهو وحده القادر على إنزال العقاب بالطاغين .وفي هذا رد على كل من زعم أن لله شريكًا في ملكه، ووعيد لكل من استكبر عن عبادته.

المفهوم النفسي والتربوي) مع مثال تقريبي(:
في حياتنا، قد نشعر أحيانًا بعبء الدعوة وثقل المسؤولية تجاه من نحب، فنحزن إذا لم يستجيبوا . هذه الآية تخفف عنا: "لست مسؤولا ً عن هدايتهم، بل عن إنذارهم" .مثال تقريبي: كممرض يعتني

بمريض، ويقدم له الدواء والنصائح .إذا رفض المريض الدواء، فالممرض ليس مسؤولا ً عن شفائه، بل قد أدى واجبه .هذا هو حالنا: ننذر وننصح، والهداية بيد الله "الواحد القهار".

الرسالة الوجدانية:
يا من تحمل همّ الدعوة ...ألق بالك على الله .أنت "منذر" فقط .أما القلوب فبيد "القهار" .ثق أن كلمتك ستؤتي ثمارها بإذنه، ولا تحمل فوق طاقتك.

المحور الثاني:
﴿رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا العَزِيزُ الغَفَّارُ﴾ – تفصيل أسماء الجلال والجمال

ما سر هذه الإضافة العظيمة؟
بعد أن وصف الله نفسه بأنه "الواحد القهار"، أضاف وصفًا آخر يكمله: "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا" . أي أن هذا "الواحد القهار" هو نفسه المالك المدبر لكل هذا الكون الفسيح .ثم ختم باسمين كريمين: "العَزِيزُ الغَفَّارُ".

دلالات مذهلة في هذه الصفات:

· "رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا" : هذه إشارة إلى ربوبيته الشاملة .فمن خلق هذا الكون العظيم، وأتقن صنعه، هو وحده المستحق للعبادة .وكيف يخاف الإنسان من شيء في السماوات والأرض وربها هو الله؟
· "العَزِيزُ" : العزيز هو الغالب الذي لا يُغلب، القوي الذي لا يرام .وهذا الاسم مناسب لسياق الحديث عن "القهار" .فالعزة المطلقة لله وحده.
· "الغَفَّارُ" : هذا الاسم هو الفيصل .إنه يفتح باب الأمل بعد كل هذا الوعيد والإنذار .فالله ليس فقط "قهارًا" منتقمًا، بل هو "غفار" لمن تاب وأناب .وهذا هو التوازن القرآني البديع بين الخوف والرجاء.

اللمسة البيانية في الجمع بين "العزيز" و"الغفار":
هذان الاسمان يجمعان بين الجلال والجمال ."العزيز" يملأ القلب هيبة وخوفًا ."الغفار" يملؤه رجاءً وطمعًا .فالمؤمن يعيش بينهما: يخاف عزة الله وسطوته، فيجتنب معاصيه، ويرجو مغفرته وستره، فيقبل على طاعته .وهذا هو سر العبودية.

المفهوم الفكري والتربوي) مع مثال تقريبي(:
في حياتنا، قد نرى عظمة الكون ونتأمل في إبداعه، فنشعر بضآلتنا .هذه الآية تعلمنا أن هذا الكون العظيم له رب واحد: هو الله .فتأمل الكون يصبح عبادة، لأنه يقودنا إلى معرفة "رب السماوات والأرض" .مثال تقريبي: كمن يدخل قصرًا فخمًا، فيرى إتقان البناء وجمال التصميم، فيسأل: من باني هذا القصر؟ فإذا قيل له: إنه الملك العظيم، ازداد احترامًا للملك .هذا هو حالنا مع الكون: ننظر إليه فنعرف عظمة "رب السماوات والأرض".

الرسالة الوجدانية:
أنت لست ذرة تائهة في كون فسيح .أنت عبد لـ"رب السماوات والأرض" .هذا الرب هو "العزيز" الذي يحميك، وهو "الغفار" الذي يغفر لك زلاتك .أفلا تطمئن؟ أفلا تتوب؟

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟

هاتان الآيتان الكريمتان تحملان خلاصة رسالة سورة ص، وتوجهان نداءً خالدًا لكل قارئ:

.1يريد منا أن نعرف حدود مسؤوليتنا .نحن منذرون، لسنا مسيطرين .هذا يعفينا من عنت النتائج، ويدفعنا للإخلاص في العمل.
.2يريد منا أن نوحد الله حق التوحيد ."وما من إله إلا الله" .هذه هي الكلمة التي قامت عليها السماوات والأرض، وهي كلمة النجاة من النار.
.3يريد منا أن نعبده بأسمائه الحسنى ."الواحد القهار رب السماوات والأرض العزيز الغفار" .هذه الأ سماء تملأ القلب معرفة بالله، وتوجه سلوكنا في الحياة.
الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولا ً: مفهوم "الإنذار" كمسؤولية جماعية.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يجعله عنصرًا فاعلا ً .لا يكتفي بصلاح نفسه، بل يحمل همّ إنقاذ غيره . وهذا يبني إنسانًا إيجابيًا، يتحرك في محيطه ناصحًا ومحذرًا برفق .في المجتمع، إذا تحول كل فرد إلى "منذر" في دائرته، فإن المجتمع يتحول إلى حصانة أخلاقية متحركة .فبدل أن ننتظر من الدولة أو المؤسسات أن تصلح الناس، يصبح الإصلاح عملًا شعبيًا مترامياً .حضاريًا، الحضارة التي يتحول أبناؤها إلى "منذرين" هم حراس الحضارة .إنهم يراقبون مسارها، ويحذرون من الانحرافات قبل وقوعها، وبذلك تستمر الحضارة في طريقها الصحيح.

ثانيًا: مفهوم "الواحد القهار" كتحرير من الخوف والعبودية لغير الله.
في حياة الفرد، الإيمان بأن الله هو "الواحد القهار" يحرره من الخوف من المخلوقين .فمن ذا الذي يخاف وهو يعلم أن الله هو القاهر فوق عباده؟ هذا يبني إنسانًا شجاعًا، لا يخاف في الحق لومة لا ئم .في المجتمع، هذا الإيمان يقضي على ظاهرة الخضوع للطغاة والمستبدين .فالمجتمع الذي يوقن بأن الله هو القهار، لا يخضع لقهار الأرض، بل يثور على الظلم، ويقيم العدل .حضاريًا، الحضارة التي تقوم على هذا المفهوم هي حضارة عزيزة، لا تقبل الذل والهوان، لأنها تعلم أن العزة لله جميعًا، وأنه لا عزيز إلا من أعزه الله.

ثالثًا: مفهوم "رب السماوات والأرض" كتأصيل للنظرة الكونية الشاملة.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يوسع أفقه .فلا ينحبس في مشاكله الصغيرة، بل يتذكر أنه جزء من كون فسيح يدبره رب عظيم .هذا يخفف من وطأة الهموم، ويمنح الطمأنينة الوجودية .في المجتمع، هذا المفهوم يبني مجتمعًا علميًا .فالتأمل في السماوات والأرض يدعو إلى البحث والاكتشاف، ويجعل العلوم الكونية عبادة .حضاريًا، الحضارة التي تجعل الكون كتابًا مفتوحًا للتدبر، تنتج علومًا وفنونًا وفلسفة تنطلق من الإيمان، ولا تتصادم معه.

رابعًا: مفهوم "العزيز الغفار" كمنهج للتوازن في الحياة.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يبني شخصية متوازنة بين الخوف والرجاء .لا يأمن مكر الله فيغتر، ولا ييأس من رحمته فيقنط .هذا هو سر الاستقامة والثبات .في المجتمع، انتشار هذا التوازن يبني مجتمعًا آمنًا مطمئنًا .لا تطغى فيه قسوة القانون على رحمة الأخلاق، ولا تطغى رحمة التسامح على هيبة العدل .حضاريًا، الحضارة التي توازن بين "العزيز" و"الغفار" هي حضارة إنسانية رحيمة وقوية في آن واحد .إنها لا تسحق الضعفاء بقوتها، ولا تتسامح مع الظلم تسامحًا يهدم كيانها.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هاتان الآيتان تفتحان لنا آفاقًا واسعة في الفكر والعقيدة والحياة.

.1البعد العقدي: وحدة الألوهية والربوبية.
الآيتان تجمعان بين توحيد الألوهية) وما من إله إلا الله (وتوحيد الربوبية) رب السماوات والأرض .(وهذا هو أساس العقيدة الإسلامية .فالله واحد في ذاته، واحد في صفاته، واحد في أفعاله .هذا البعد العقدي يبني تصورًا واضحًا للكون والحياة: إله واحد، ورب واحد، ونظام واحد .وهذا يمنح المسلم ثباتًا فكريًا في زمن التيه والتشتت.

.2البعد النفسي والوجودي: من أين جئنا؟ وإلى أين نذهب؟
الآية تخبرنا أن الله "رب السماوات والأرض وما بينهما" .فهو الخالق المبدع .ثم إنه "الغفار" للتائبين، و "العزيز" الذي سيجازي كل نفس بما كسبت .هذا يعطي إجابة شافية عن الأسئلة الوجودية الكبرى . وبذلك يرتاح العقل والقلب، ويعيش الإنسان في هذا الكون وهو يعرف موقعه ومصيره.

.3البعد الدعوي: بلاغ الرسالة بأسلوب الجمع بين الترغيب والترهيب.
الآيات تجمع بين "القهار" و"الغفار" .هذا هو منهج القرآن في الدعوة: لا يرهب بلا ترغيب، ولا يرغب بـ لا ترهيب .فالنفس البشرية تحتاج إلى السوط والمكافأة معًا .هذا البعد يعلم الدعاة أن يكونوا متوازنين في خطابهم، فلا ييأسوا الناس من رحمة الله، ولا يؤمنوهم من مكره.

.4البعد التكاملي للسورة: عودة إلى بداية السورة.
سورة "ص" بدأت بقوله: "ص وَالقرْآنِ ذِي الذّكرِ" .وها هي تختم بالإعلان عن مهمة النبي: "إنما أنا

منذر" .فالقرآن "ذكر"، والنبي "منذر" بهذا الذكر .ثم تذكر السورة في بدايتها عناد المشركين واستكبارهم ، وتختم ببيان أن الله هو "الواحد القهار" الذي سيجازيهم .هذا النسيج المحكم يبهر العقول، ويشهد بأن هذا القرآن من عند الله.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال الدعوة والبلاغ: لا تحزن إذا لم يستجب الناس لنصحك .تذكر أنك "منذر" فقط .أخلص النية، وأحسن العرض، ثم فوض الأمر إلى الله .هذا سيريح بالك، ويزيدك إصرارًا.

في مجال التوحيد والإيمان: جدد إيمانك بـ "لا إله إلا الله" كل يوم .تأمل في معاني "الواحد القهار" . قل في سجودك: "يا واحد يا قهار، قهر أعداءك وأعدائي، وثبتني على توحيدك".

في مجال التأمل في الكون: اخرج في ليلة صافية، وانظر إلى السماء .تأمل في "رب السماوات والأ رض" .قل في نفسك: "هذا كله بيد ربي، وهو ربي، فما الذي أخافه؟".

في مجال التوبة والرجاء: إذا أذنبت، فلا تيأس .تذكر أن ربك هو "الغفار" .بادر بالتوبة، وأحسن الظن بالله .ولكن في نفس الوقت، تذكر أنه "العزيز"، فاحذر أن تتجرأ على معاصيه.

في مجال مواجهة الطغاة والظالمين: لا تخف من جبروتهم .تذكر أنهم تحت قهر "القهار" .ثق أن الله "العزيز" سينتقم لك ولو بعد حين .عش عزيزًا بدينك، ولا تذل لأحد.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن ...وقد سمعت النداء الأخير في هذا المقطع من سورة ص، وقد تجلى الله لك بأسمائه الحسنى، حان وقت الصدق مع النفس:

· هل أديت واجب "الإنذار" في محيطك؟ من هو الشخص الذي تخاف عليه من النار ولم تحذره بعد؟ قم بواجبك، ولو بكلمة.
· هل "الواحد القهار" هو مالك قلبك حقًا؟ هل خوفك من قهره أكبر من خوفك من قهر البشر؟ اختبر نفسك: إذا خيرت بين رضا الله ورضا الناس، أيهما تختار؟
· هل أنت على صلة بـ "رب السماوات والأرض"؟ هل تتأمل في خلقه؟ هل *تستشعر* عظمته في كل نعمة؟ اجعل لك وردًا يوميًا من التفكر في ملكوت الله.
· أي اسم يغلب على قلبك: "العزيز" أم "الغفار"؟ التوازن مطلوب .لكن قس قلبك: هل أنت غارق في الرجاء لدرجة التهاون؟ أم غارق في الخوف لدرجة اليأس؟ عدل ميزانك.

اخرج من هذه الرحلة وقد علق قلبك بالله "الواحد القهار رب السماوات والأرض العزيز الغفار" .هذه ا لأسماء هي حصنك في الدنيا، وشفيعك في الآخرة .فاجعلها ذكرك الدائم، ودثارك الذي تلتف به في ليل البلاء ونهاره .وتذكر أنك "منذر"، فكن نذير خير، لا نذير شر .بلغ رسالة ربك، وكن عبدًا صالحًا، تكن من "الأخيار"

ثانيا

.تحليل الآيات 67-70 من سورة ص

(قلْ هُوَ نبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ * مَا كانَ لِيَ مِنْ عِلمٍ بِالمَلإِ الأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ * إِن يُوحَىٰ إِلَيّ إِلا أَنمَا أَنا نذِيرٌ مُبِينٌ)

مقدمة: السياق... حين يبلغ القرآن ذروة البيان عن مصدره وغايته

بعد أن أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يعلن حقيقة مهمته: "قلْ إِنمَا أَنا مُنذِرٌ"، وأن يصدع بكلمة التوحيد العظمى: "وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللهُ الوَاحِدُ القَهّارُ * رَبُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْض..."، تأتي هذه الآيات لترسخ معنى عظمة هذا القرآن الذي يتلوه، ولتكشف عن مدى غفلة المعرضين عنه، ولتؤكد أن هذا النبأ العظيم ليس من عند محمد نفسه، بل هو وحي من عالم الغيب، من "الملأ الأعلى".

إنها آيات تنتقل بنا من وصف مهمة النبي إلى وصف طبيعة الرسالة ذاتها. إنها تجيب عن سؤال يتردد في صدور المكذبين: "من أين لمحمد هذا الكلام؟". فيأتي الجواب قاطعًا: إنه "نبأ عظيم" من أنباء السماء، أنتم عنه معرضون، وليس لي به علم من ذاتي، بل هو وحي من الله إليّ. إنها آيات ترسم حدود المعرفة النبوية، وتغلق كل أبواب الشك، وتؤكد أن محمدًا صلى الله عليه وسلم ليس إلا "نذيرًا مبينًا". دعنا نعيش مع هذه الآيات الأربع، لنقف على عظمة "النبأ العظيم"، ولنرى كيف نتعامل مع الوحي الإلهي.

الأمر الأول:
دلالات الآيات – النبأ العظيم ومصدره الغيبي

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآيات الكريمة، آية آية:

المحور الأول:
﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ – إعلان عظمة الخبر وإدانة الإعراض

ما هو هذا "النبأ العظيم"؟
يأمر الله نبيه أن يقول للمشركين: "هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ" . "هو" ضمير يعود إلى القرآن الكريم، أو إلى خبر البعث والجزاء الذي جاء به القرآن، أو إلى ما اشتمل عليه من قصص وأخبار الغيب. وكلها متلازمة. فهو نبأ عظيم الشأن، جليل القدر، ليس كسائر الأنباء التي يتناقلها الناس في دنياهم. ثم يضيف الله تقريعًا للمشركين: "أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ" . أي أنتم يا من تسمعون هذا النبأ العظيم، لا تلتفتون إليه، بل تعرضون عنه إعراض الجاهلين المستكبرين.

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "قُلْ" : الأمر الإلهي يتكرر في هذا المقطع) قل إنما أنا منذر ...قل هو نبأ عظيم .(هذا التكرار يبرز أن النبي مأمور من الله بكل حرف يقوله، وأنه ليس له من الأمر شيء، بل هو مبلغ عن ربه.
· "نَبَأٌ" : النبأ هو الخبر ذو الشأن العظيم .ووصفه بأنه "عظيم" يزيده تفخيمًا وتعظيمًا .فما هو هذا النبأ الذي يستحق هذا الوصف؟ إنه كلام الله، إنه خبر البعث والحساب والجنة والنار، إنه قصة آدم وإبليس، وقصة الخلق والأمر.
· "عَظِيمٌ" : نكرة للتعظيم .فهو عظيم في ذاته، عظيم في مصدره) من عند الله(، عظيم في أثره)يهدي للتي هي أقوم(، عظيم في عاقبته) من آمن به سعد، ومن كفر به شقي.(
· "أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ" : الجملة الاسمية تفيد الثبوت والدوام .فإعراضهم ليس عارضًا، بل هو دأبهم وديدنهم .وهذا الإعراض هو قمة الجحود والغفلة.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
في حياتنا، قد نتعامل مع القرآن على أنه مجرد كتاب نقرؤه للبركة أو في المناسبات، دون أن نستشعر أنه "النبأ العظيم". هذه الآية توقظنا: "انتبه! هذا الكتاب الذي بين يديك ليس كأي كتاب. إنه نبأ عظيم". مثال تقريبي: كمن يحمل في جيبه رسالة من ملك عظيم فيها سر حياته ومستقبله، ثم يهملها ولا يقرأها. هذا هو حال من يهجر القرآن ولا يتدبره.

الرسالة الوجدانية:
أين موقع القرآن من حياتك؟ هل هو "نبأ عظيم" تلقاه بقلبك قبل سمعك؟ أم أنك "معرض" عنه بمشاغل الدنيا؟ إن عظمة القرآن تستوجب منك إقبالًا عظيمًا.

المحور الثاني:
﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ – شهادة النبي بجهله الذاتي وعلمه الوهبي

وما قصة "الملأ الأعلى" واختصامهم؟
هذه الآية تنتقل إلى برهان آخر على أن القرآن وحي من الله. يقول الله لنبيه: قل لهم يا محمد: "مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ" . "الملأ الأعلى" هم الملائكة. و"إذ يختصمون" إشارة إلى ما حدث في عالم الغيب من اختصام وتخاصم بين الملائكة حول قصة خلق آدم، كما ورد في أول السورة: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ..." وما تبع ذلك من حوار مع إبليس.

دلالات مذهلة في هذا الإقرار:

· "مَا كانَ لِيَ مِنْ عِلمٍ" : هذا اعتراف صريح من النبي صلى الله عليه وسلم بأنه لم يكن يعلم شيئًا من أخبار الغيب هذه لولا أن أوحى الله إليه بها .وهذا دليل على صدقه وأمانته، فهو لا يدعي علمًا من عند نفسه.
· "بِالمَلَإِ الأَعْلَى" : هذا تعبير يدل على عالم آخر غير عالمنا، عالم الملائكة المقربين، وهم "الملأ" أي الجماعة الممتلئة جلالا ً وجمالا ً، و"الأعلى" أي في المكانة والمنزلة .وهذا يوسع مدارك المؤمن، فيعلم أن هناك عالماً غيبياً عظيماً لا نعلم عنه إلا ما أخبرنا به الله.
· "إِذْ يَخْتَصِمُونَ" : الفعل "يختصمون" يدل على تبادل الحجج والجدال .والقرآن أخبرنا عن هذا الا ختصام: عندما قال الله للملائكة: "إني جاعل في الأرض خليفة"، قالوا: "أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء..." .هذا الحوار الغيبي لا يمكن لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يعلمه من تلقاء نفسه.

اللمسة البيانية في ربط الآية بأول السورة:
سورة "ص" بدأت بقصة خلق آدم واختصام الملائكة مع إبليس. ثم مرت بنا قصص الأنبياء والجنة و النار. والآن، في أواخر السورة، يعود السياق ليذكرنا بـ"الملأ الأعلى" واختصامهم، وكأنه يقول: "هذا الذي سمعته في أول السورة من أخبار الغيب هو من ذلك النبأ العظيم الذي أوحينا به إليك، وما كنت تعلمه من قبل".

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
هذه الآية تعلّمنا حدود العلم البشري. نحن لا نعلم من الغيب إلا ما أطلعنا الله عليه. وهذا يحمي العقل المؤمن من الخوض في الغيبيات بغير دليل. مثال تقريبي: كمن يسأل عن تفاصيل الملائكة وأحوالهم وعددهم وأسمائهم، فيخوض في ذلك بغير علم. الآية تقول: حتى النبي صلى الله عليه وسلم ما كان له علم بالملأ الأعلى لولا الوحي. فكيف بنا نحن؟! فلنقف عند ما ورد به النص، ولا نتكلف.

الرسالة الوجدانية:
هذا القرآن ليس من عند بشر. إنه وحي من عالم "الملأ الأعلى". فإذا قرأته، فاستشعر أنك تستمع إلى خبر قادم من السماء. اقبل عليه بقلب يدرك عظمة مصدره.

المحور الثالث:
·{إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ}· – حصر الوحي في مهمة الإنذار المبين

وما خلاصة هذا الوحي؟
بعد أن نفى عن نفسه علم الغيب الذاتي، يؤكد أن كل ما يوحى إليه إنما هو لهدف واحد واضح: "إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ" . أي: ما يوحى إليّ من ربي إلا لأجل أن أكون نذيرًا لكم، مبينًا للحقائق، واضحًا في تحذيري وبلاغي.

دلالات مذهلة في هذا الحصر:

· "إِنْ ...إِلَّا" : أسلوب حصر وقصر .فكل ما أوحي إليه، من قصص وأخبار غيب وأوامر ونواهٍ، كله يصب في قالب "الإنذار المبين" .ليس الغرض منه التسلية أو الترف الفكري، بل هو إنذار وتحذير.
· "أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ" : "أنما" تفيد القصر أيضًا .أي أنا مقصور على مهمة النذارة، ولست بمسيطر ولا بجبار و لا بموكل بهدايتكم قسرًا.
· "مُّبِينٌ" : أي واضح في نذارته، بين في دعوته .فلا غموض في رسالته، ولا التباس في تحذيره .إنه يخاطب العقول والقلوب ببيان لا لبس فيه.

اللمسة البيانية في تكرار وصف "النذير":
سبق في الآية (65) قوله: "إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ". وهنا يقول: "أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ". هذا التكرار يؤكد على محورية مهمة النبي في هذه السورة وفي القرآن كله: إنه نذير. وجاء هنا بوصف "مبين" لزيادة التوكيد على وضوح البلاغ، مما يقطع حجة المعرضين.

المفهوم التربوي والعملي (مع مثال تقريبي):
القرآن كله يهدف إلى "الإنذار المبين". أي أنه يريد أن يوقظنا من غفلتنا، وينبهنا إلى الخطر المحدق بنا إن انحرفنا. مثال تقريبي: كلوحات تحذيرية على الطريق السريع مكتوب عليها: "خطر – منعطف حاد – خفف السرعة". هذه اللوحات ليست للتزيين، بل للإنذار. القرآن كذلك: لوحات إلهية على طريق الحياة، تنذرنا من منعطفات الشهوات والضلال، وتدلنا على طريق النجاة.

الرسالة الوجدانية:
يا من تقرأ القرآن... هل استقبلته على أنه "إنذار مبين" لك أنت شخصيًا؟ أم أنك تقرؤه كأي كتاب قصص وتاريخ؟ إذا كان إنذارًا مبينًا، فما هو التغيير الذي أحدثه في حياتك؟ ماذا فعلت بعد أن سمعت التحذير؟

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

هذه الآيات الأربع ترسم معالم علاقتنا بالقرآن وبرسول الله صلى الله عليه وسلم:

.1يريد منا أن نعظم القرآن ."هو نبأ عظيم" .لا تتعامل مع القرآن كأي كتاب، بل استقبله بتعظيم وإج لال، فهو كلام رب العالمين.
.2يريد منا أن نقبل على القرآن ولا نعرض عنه ."أنتم عنه معرضون" هو ذم للمشركين .فاحذر أن تكون من المعرضين عن تدبر كتاب الله والعمل به.
.3يريد منا أن نؤمن بأن القرآن وحي من الله ."ما كان لي من علم بالملأ الأعلى" .هذه شهادة صدق على أن القرآن ليس من عند بشر، بل من عند علام الغيوب.
.4يريد منا أن نتعامل مع القرآن على أنه "إنذار مبين" .أي أنه موجه إلينا لإنقاذنا .فلنتلقه بروح الطاعة والخوف والرجاء.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولا ً: مفهوم "النبأ العظيم" كمركز للوعي الإنساني.
في حياة الفرد، اعتبار القرآن "نبأ عظيمًا" يجعله المصدر الأول للتلقي والمعرفة. فبدل أن يلهث وراء ا لأخبار اليومية الزائلة، يتجه إلى "النبأ العظيم" الذي يمنحه رؤية واضحة للحياة والموت وما بعدهما. هذا يبني إنسانًا صاحب رسالة، لا تلهيه التوافه عن الغايات العظمى. في المجتمع، إذا أصبح القرآن "النبأ العظيم" الذي يجتمع عليه الناس، فإنه يشكل مرجعية عليا تمنح المجتمع وحدته وتماسكه. ف المجتمعات التي تدور حول "أنباء" زائلة تفرقها الأهواء، أما المجتمع الذي يتمحور حول "النبأ العظيم" فيوحد صفوفه. حضاريًا، الحضارة التي تقوم على "النبأ العظيم" تنتج حضارة ذات رسالة خالدة. لأنها تستمد قيمها ومبادئها من مصدر إلهي ثابت، لا يتغير بتغير الأزمان. وهذا ما أعطى للحضارة الإسلامية عمقها واستمراريتها.

ثانيًا: مفهوم "الإعراض" كمرض قلبي خطير.
في حياة الفرد، الإعراض عن القرآن هو انتحار روحي. لأنه يقطع صلة الإنسان بمصدر النور والهداية. وهذا المفهوم يبني إنسانًا يقظًا، يحذر من أن يتسلل إليه الإعراض عن كلام ربه. في المجتمع، انتشار الإعراض عن القرآن يؤدي إلى التيه والضياع. مجتمع يهجر أفراده كتاب الله، يسهل قياده للأهواء و الشهوات، وتكثر فيه الأمراض الاجتماعية كالفساد والظلم. حضاريًا، الحضارة التي تعرض عن "النبأ العظيم" وتستبدله بأنباء البشر، تفقد بوصلتها الأخلاقية، وتتخبط في ظلمات المادية والعدمية، مهما بلغت من تقدم تقني.

ثالثًا: مفهوم "الملأ الأعلى" كتوسيع للمدارك الإيمانية.
في حياة الفرد، الإيمان بوجود "الملأ الأعلى" يحرره من المادية الضيقة. فهو يعلم أن هناك عالمًا غيبيًا أسمى وأعظم من عالم المادة. هذا يمنحه بعدًا روحيًا، ويجعله يرى أن للحياة معنى يتجاوز المأكل و المشرب. في المجتمع، الإيمان بالغيب يبني مجتمعًا متوازنًا بين المادة والروح. فلا يكون همه الوحيد هو النمو الاقتصادي، بل يسعى أيضًا إلى السمو الروحي والأخلاقي. حضاريًا، الحضارة التي تؤمن ب الغيب هي حضارة منفتحة على المطلق. لا تنغلق على نفسها في محسوساتها، بل تسعى للكشف عن أسرار الكون انطلاقًا من إيمانها بأن هناك "ملأ أعلى" وربًا يدبر الأمر.

رابعًا: مفهوم "النذير المبين" كمسؤولية فردية وأممية.
في حياة الفرد، فهمه أن النبي "نذير مبين" يعني أنه يجب عليه أن يطيع هذا النذير. فالإنذار قد بلغه ، والحجة قامت عليه. وهذا يبني إنسانًا مستجيبًا لأوامر الله ونواهيه. في المجتمع، هذا المفهوم يجعل من الأمة كلها أمة شاهدة. فكما أن النبي نذير مبين، فعلى الأمة أن تكون "منذرة" للعالمين، تحمل رسالة الإسلام وتبلغها ببيان ووضوح. حضاريًا، الحضارة الإسلامية هي حضارة الإنذار والتبشير.

إنها لا تكتفي بالعمران المادي، بل تحمل همّ هداية البشرية، وهذا يعطيها ديناميكية وحيوية دائمة.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآيات تفتح لنا آفاقًا واسعة في الفكر والعقيدة والحياة.

.1البعد المعرفي: مصادر المعرفة بين الوحي والعقل.
الآية "ما كان لي من علم بالملأ الأعلى" تحدد مصدرًا أساسيًا للمعرفة هو الوحي. هناك أمور لا يمكن للعقل البشري أن يصل إليها بمفرده، كأخبار الغيب واليوم الآخر والملائكة. هذا البعد المعرفي يبين تكامل مصادر المعرفة في الإسلام: العقل يدرك المحسوسات ويستنبط القوانين، والوحي يخبرنا بما وراء الطبيعة. وهذا يحمي العقل من الخوض فيما لا طاقة له به، ويمنحه اليقين في القضايا المصيرية.

.2البعد التاريخي: قصة الخلق والصراع بين الخير والشر.
الإشارة إلى اختصام "الملأ الأعلى" تعيدنا إلى قصة خلق آدم، التي تمثل بداية الصراع بين الإنسان و الشيطان. هذا البعد التاريخي (تاريخ ما قبل التاريخ البشري) يعطينا فهمًا عميقًا لطبيعة وجودنا على ا لأرض. نحن هنا في امتحان، والشيطان عدو لنا، كما كان عدوًا لأبينا آدم. والقرآن هو دليلنا في هذا الصراع.

.3البعد الإعلامي: وضوح الرسالة الإسلامية.
وصف النبي بـ "النذير المبين" يؤكد أن الإسلام دين واضح لا غموض فيه. رسالته بينة، لا تحتاج إلى تأويلات باطنية أو أسرار خفية. هذا البعد الإعلامي يبين أن الإسلام دين يمكن عرضه على كل العقول، وأن حجته قائمة على الناس جميعًا.

.4البعد التكاملي للسورة: من البدء إلى الختام.
سورة "ص" بدأت بالحديث عن القرآن "ذي الذكر"، وذكرت قصة "الملأ الأعلى" واختصامهم، ثم ساقت قصص الأنبياء، ثم وصفت مصير المتقين والطاغين. وها هي تختم بالتأكيد على أن هذا كله "نبأ عظيم" من "الملأ الأعلى"، وأن مهمة النبي هي "النذارة المبينة". هذا الربط الدائري البديع يجعل السورة كاللؤلؤة المكنونة، يشد بعضها بعضًا.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال التعامل مع القرآن: غير نظرتك إلى القرآن. لا تقرأه كأي كتاب. قبل أن تفتح المصحف، قل لنفسك: "أنا مقبل على النبأ العظيم". استحضر عظمة الكلام، وعظمة المتكلم. هذا الاستحضار سيغير خشوعك وتدبرك.

في مجال التبليغ والدعوة: تذكر أن مهمتك هي "الإنذار المبين". لا تعقد الأمور، ولا تغرق في مصطلحات قد تنفر الناس. كن واضحًا، مباشرًا، محذرًا برفق. بلغ رسالة الله بأسلوب مبين.

في مجال التعامل مع الغيبيات: لا تخض فيما لا تعلم. إذا سألك أحد عن أمور غيبية لم يرد بها دليل ، فقل: "ما كان لي من علم، والعلم عند الله". هذه الكلمة تريحك، وتظهر تواضعك وصدقك.

في مجال مراجعة الذات: اسأل نفسك كل ليلة: "هل كنت اليوم من المعرضين عن القرآن؟". كم من الوقت قضيته في قراءة الأخبار ووسائل التواصل، وكم قضيته مع "النبأ العظيم"؟ حاسب نفسك، وعدل جدول يومك.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد استمعت إلى وصف القرآن بأنه "النبأ العظيم"، وإلى شهادة النبي بأنه لا يعلم الغيب، وإلى تحديد مهمته بالإنذار المبين، حان وقت الصدق مع النفس:

· هل "النبأ العظيم" هو مشروع حياتك؟ كم ساعة تخصصها لقراءة القرآن وتدبره في أسبوعك؟ هل هذا القدر يليق بـ "نبأ عظيم"؟
· هل أنت من المعرضين؟ بصراحة، هل تجد في نفسك ثقلا ً عند فتح المصحف، وسرعة في إغلاقه ؟ هل تشعر أن قلبك متعلق بكل شيء إلا القرآن؟ هذه علامة إعراض، فاستغفر الله وأقبل.
· هل أنت واثق أن هذا القرآن وحي من الله؟ إذا كنت واثقًا، فلماذا لا تطبق أوامره بجدية؟ لماذا لا تخاف نواهيه كما تخاف من إنذار مبين؟
· ما هو الإنذار الذي وجهه إليك القرآن اليوم؟ في قراءتك اليومية، قف عند آية تشعر أنها إنذار لك . اكتبها، واعمل على تغيير ما حذرك منه.

اخرج من هذه الرحلة وقد عظم القرآن في قلبك. تذكر أنك تحمل بين يديك "نبأ عظيمًا" جاء من "الملأ الأعلى" على لسان "نذير مبين". فإما أن تكون من المقبلين عليه، الفائزين به، وإما أن تكون من المعرضين عنه، الخاسرين بسببه. فاختر لنفسك، وكن من أهل القرآن الذين هم أهل الله وخاصته
القسم الثاني
اولا
تحليل الآيتين 71 و72 من سورة ص
(إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ)

مقدمة: السياق... حين يعود بنا المشهد إلى أول الوجود

بعد أن قطعنا شوطًا طويلا ً في رحاب سورة "ص"، متنقلين بين قصص الأنبياء وأحوال المتقين و الطاغين، ومشاهد الجنة والنار، يأخذنا السياق القرآني فجأة إلى الوراء، إلى ما قبل التاريخ، إلى اللحظة الأولى التي بدأ فيها خلق الإنسان. إنه ليس تراجعًا، بل هو عودة إلى الجذور، إلى أصل القصة الإنسانية، ليكتمل بناء السورة، ولنفهم سر الصراع الأزلي بين الحق والباطل، ولماذا كانت مهمة النبي "النذير المبين".

في الآيتين (71-72) نجد أنفسنا أمام مشهد مهيب من مشاهد "الملأ الأعلى" الذي أخبرنا الله عنه قبل قليل: "مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ". ها نحن الآن نسمع طرفًا من ذلك الاختصام، وها نحن نرى الحوار الإلهي مع الملائكة حول خلق آدم. إنها الآيات التي تكشف لنا عن سر التكريم ا لإلهي للإنسان، وعن بداية العداوة بينه وبين إبليس، وعن الحكمة العظمى من وراء هذا الخلق. دعنا نعيش هذا المشهد البدئي، ونقف بخشوع أمام هذا الإعلان الرباني العظيم.
الأمر الأول:
دلالات الآيات – مشهد الخلق الأول والتكريم الإلهي

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هاتين الآيتين الكريمتين:

المحور الأول:
·{إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ}· – الإعلان الإلهي عن خلق الإنسان

ماذا يعني هذا المشهد الافتتاحي؟
يذكر الله تعالى نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم، ويذكره بذلك المشهد العظيم: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ" . "إذ" ظرف للزمن الماضي، وكأنه يقول: "اذكر يا محمد حين قال ربك للملائكة". إنه مشهد من عالم الغيب، من "الملأ الأعلى"، حيث يقف الملائكة صفوفًا، فيخاطبهم رب العزة سبحانه: "إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ" .

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "رَبُّكَ" : الخطاب للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وإضافة الرب إليه تشريف عظيم. وهو يذكره بأن الله هو مربيه ومدبر أمره، الذي أوحى إليه هذا النبأ العظيم من الملأ الأعلى.
· "لِلْمَلَائِكَةِ" : الملائكة هم خلق عظيم من نور، لا يعصون الله ما أمرهم. وإخبارهم بهذا الأمر يدل على عظمة الحدث. فالله يعلن في ملأ الملائكة عن خلق مخلوق جديد: "البشر".
· "إِنِّي خَالِقٌ" : "إني" للتوكيد. و"خالق" اسم فاعل يدل على الاستقبال. إنه إعلان عن إرادة إلهية جازمة. فالله يخلق ما يشاء، متى شاء، كيف شاء.
· "بَشَرًا" : البشر هو الإنسان. وسُمي بشرًا من "البشرة" أي الجلد الظاهر، إشارة إلى ماديته وحسه، وإلى

أنه مخلوق من طين الأرض.
· "مِّن طِينٍ" : بيان لأصل خلقته المادية. إنه من طين، من عناصر الأرض. وهذا يذكره بأصله، لئلا يتكبر. فأنت يا آدم، ويا بني آدم، أصلكم من طين.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
هذه الآية ترسخ في الإنسان التواضع وعدم الاغترار. فمهما بلغ الإنسان من علم أو قوة أو جاه، فإن أصله من طين. مثال تقريبي: كمن يبني قصرًا فخمًا على أرض سبخة، ثم يمشي في القصر متبخترًا ناسيًا أن أساسه على أرض ضعيفة. هذا هو حال الإنسان: أصله من طين، فعلام الكبر؟! تذكر أصلك يورثك التواضع.

الرسالة الوجدانية:
أنت من طين... يا ابن آدم. هذا التراب الذي تدوس عليه بقدميك هو أصل أبيك. فكيف تتكبر على عباد الله؟ كيف تظلم وتطغى وأنت تعلم أنك من طين وإلى طين تعود؟ تواضع لله، يرفعك.

المحور الثاني:
·{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}· – مراحل الخلق وسر التكريم

وما هي مراحل هذا الخلق العجيب؟
بعد أن أعلن الله للملائكة عن إرادته في خلق البشر من طين، حدد لهم الموعد الذي عنده يتحقق الأ مر: "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ" أي: أتممت خلقه، وعدلت صورته، وأكملت أعضاءه، وجعلته بشرًا سويًا كاملا ً. ثم المرحلة الثانية: "وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي" . عندها يصبح هذا الجسد الطيني إنسانًا حيًا، له روح تسري فيه. فإذا تم ذلك، يأتي الأمر الإلهي: "فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" . أي: اسجدوا له سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة.

دلالات عميقة في هذه المراحل:

· "فَإِذَا سَوَّيْتُهُ" : التسوية تعني الإتقان والإحكام. فالله لم يخلق آدم دفعة واحدة مشوهًا، بل سواه وأحسن صورته. وهذا يدل على عناية الله بهذا المخلوق الجديد.
· "وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي" : هذه هي اللحظة الفارقة! نفخ الله في هذا الجسد الطيني من روحه. إضافة الروح إلى الله إضافة تشريف وتكريم. فهذه الروح هي سر الحياة، وهي التي جعلت هذا الطين إنسانًا مكرمًا. وفي الحديث: "إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض...".
· "فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ" : الفاء للتعقيب. فبمجرد أن دبت فيه الروح، صدر الأمر الإلهي للملائكة بالسجود. وهذا السجود هو تتويج لخلق الإنسان، وإعلان عن منزلته الرفيعة. فالملائكة الأطهار الأبرار يسجدون لهذا المخلوق الطيني! لماذا؟ لأنه يحمل من روح الله، ولأن الله خلقه بيديه وسواه.

اللمسة البيانية في "من رُّوحي":
"من" هنا للتبعيض، وقيل لابتداء الغاية. والمعنى: أن الله نفخ في آدم من الروح التي هي ملكه وخلقه، فأضافها إلى نفسه تشريفًا. وليس معنى "من روحي" أن الله جزء منه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. فالروح مخلوقة من مخلوقات الله، ولكن إضافتها إليه إضافة ملك وتشريف.

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
هذه الآية ترسخ كرامة الإنسان في التصور الإسلامي. الإنسان ليس مجرد جسد مادي، بل هو جسد من طين، ونفخة من روح الله. هذا المزيج يجعله كائنًا فريدًا في هذا الكون. مثال تقريبي: كقطعة فخار صنعها صانع ماهر، ثم وضع فيها عطرًا نفيسًا، فأصبحت القطعة ذات قيمة عالية. جسد الإنسان هو الفخار، والروح هي العطر النفيس. فمن يحافظ على هذه الروح طاهرة، يحافظ على كرامته. ومن يدنسها بالمعاصي، يفقد قيمته.

الرسالة الوجدانية:
يا أيها الإنسان... لقد كرمك الله. لم يخلقك عبثًا. سواك بيديه، ونفخ فيك من روحه، وأمر ملائكته بـ السجود لك. فهل تقبل هذا التكريم؟ هل تستجيب لأمر ربك كما استجابت الملائكة؟ أم أنك تعصيه وتستكبر كما فعل إبليس؟ إن كرامتك عند الله لا تعني أن تتكبر على الله، بل أن تخضع له وحده.
الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هاتين الآيتين؟

هاتان الآيتان الكريمتان ليستا مجرد قصة تاريخية، بل هما إعلان عن هويتنا الإنسانية وموقعنا في هذا الكون:

.1يريد منا أن نعرف أصلنا، فنكون متواضعين ."من طين" .هذه الكلمة تذكرة دائمة للإنسان بعدم الكبر والعلو في الأرض .فمن كان أصله من طين، كيف يتجبر ويتكبر؟!
.2يريد منا أن نعرف قدرنا، فنكون شاكرين ."ونفخت فيه من روحي" .هذه الكرامة الإلهية تستوجب منا شكرًا دائمًا لله، وحفظًا لهذه الروح بطاعته.
.3يريد منا أن نفهم أن السجود الحقيقي لله وحده .الملائكة سجدوا لآدم بأمر الله .فالواجب علينا أن نسجد لله وحده، ونطيع أوامره كما أطاعته الملائكة.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولا ً: مفهوم "الأصل الطيني" كعلاج للكبر والعنصرية.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يقتلع من قلبه جذور الكبر والاستعلاء. فإذا علم أن أصله من طين، وأن جميع البشر من هذا الأصل، فلماذا يتكبر على أحد؟ هذا يبني إنسانًا متواضعًا، يقبل الحق، ويلين جانبه لإخوانه. في المجتمع، انتشار هذا المفهوم يقضي على العنصرية والطبقية. فالناس جميعًا سواسية كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى. هذا يبني مجتمعًا متماسكًا متآخيًا. حضاريًا، الحضارة التي تقوم على مبدأ المساواة الإنسانية هي حضارة عادلة ومستقرة. أما الحضارات التي تقوم على التمييز العنصري أو الطبقي، فتحمل عوامل انهيارها في داخلها.

ثانيًا: مفهوم "نفخة الروح" كأساس لكرامة الإنسان وحقوقه.
في حياة الفرد، هذا المفهوم يجعله يحترم ذاته. فهو ليس مجرد مادة، بل يحمل نفخة من روح الله. هذا يمنحه شعورًا بالقيمة، ويدفعه للحفاظ على نفسه من التدنس بالرذائل. في المجتمع، هذا المفهوم هو أساس حقوق الإنسان في الإسلام. فكرامة الإنسان مستمدة من كونه حاملا ً لنفخة الروح الإلهية ، وليس من عرقه أو لونه أو ماله. وهذا يضمن لكل فرد حقه في الحياة الكريمة. حضاريًا، الحضارة ا لإسلامية قدمت نموذجًا فريدًا في احترام الإنسان. فحتى أسرى الحرب كانوا يعاملون معاملة كريمة لأ نهم بشر، فيهم نفخة من روح الله.

ثالثًا: مفهوم "السجود" كرمز للامتثال لأمر الله.
الملائكة سجدوا لآدم فور صدور الأمر: "فقعوا له ساجدين". لم يترددوا، ولم يناقشوا، ولم يستكبروا. هذا المفهوم يبني في الفرد روح الطاعة والامتثال لأوامر الله. فالمؤمن الحق هو الذي إذا سمع أمر الله قال: سمعنا وأطعنا. في المجتمع، انتشار هذه الروح يبني مجتمعًا منضبطًا، يحترم القوانين و التشريعات الإلهية، مما يؤدي إلى استقراره وأمنه. حضاريًا، الحضارة التي تلتزم بأوامر الله تنتظم حياتها، وتزدهر، لأنها تسير على النهج القويم الذي يضمن لها الفلاح.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هاتان الآيتان تفتحان لنا آفاقًا واسعة في فهم الإنسان والوجود.

.1البعد الفلسفي والوجودي: من هو الإنسان؟
الآيتان تقدمان تعريفًا دقيقًا للإنسان: هو كائن مزدوج الطبيعة. جسده من طين، فيه ثقل المادة وضعفها. وروحه من نفخة إلهية، فيها سر الحياة وسمو الروح. هذا التعريف يفسر الصراع الداخلي في الإنسان بين الخير والشر، بين العلو والسفل. وهو أساس الفلسفة الإسلامية في فهم النفس البشرية.

.2البعد العلمي: التوافق مع نظريات الخلق والتطور.
القرآن يثبت أن أصل الإنسان من طين، أي من عناصر الأرض. وهذا يتوافق مع العلم الحديث الذي يثبت أن جسم الإنسان يتكون من نفس العناصر الموجودة في التربة (كربون، هيدروجين، أوكسجين، نيتروجين، كالسيوم... إلخ). أما "نفخة الروح" فهي السر الذي لم ولن يستطيع العلم أن يصل إليه. فهي من أمر الله، لا تخضع للتجربة المختبرية. وهذا يعطينا التكامل بين العلم والإيمان.

.3البعد التربوي: التربية على التواضع والعزة معًا.
الآية تربي في الإنسان التواضع (من طين) وفي الوقت نفسه العزة (نفخة الروح وأمر الملائكة بـ السجود). هذا التوازن العجيب يصنع شخصية المسلم: متواضع لله ولعباده، لا يتكبر، وعزيز بدينه وكرامته، لا يذل لغير الله. وهذا هو سر قوة الشخصية الإسلامية.

.4البعد التكاملي للسورة: العودة إلى أصل الحكاية.
سورة "ص" ذكرت "الملأ الأعلى إذ يختصمون"، ثم فصلت في الآيات (71-72) قصة هذا الاختصام. وهذا يربط آخر السورة بأولها، حيث كانت الآيات الأولى في السورة تحكي بقية القصة: "إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ...". هذا الربط يبين لنا أن هذا "النبأ العظيم" هو قصة واحدة متكاملة، من بدء الخلق إلى يوم المعاد.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال تهذيب النفس: كلما شعرت في نفسك كبرًا أو عجبًا، تذكر قول الله: "إني خالق بشرًا من طين". قل لنفسك: "أنت من تراب، وإلى تراب تعود. فعلام الكبر؟". هذا التذكير اليومي يطهر قلبك.

في مجال التعامل مع الآخرين: عامل الناس جميعًا باحترام. تذكر أن في كل إنسان نفخة من روح الله. حتى من تظنه أقل منك، قد يكون أكرم عند الله منك. فلا تحتقر أحدًا.

في مجال الطاعة والعبادة: تذكر سرعة استجابة الملائكة للأمر: "فقعوا له ساجدين". حاول أن تكون استجابتك لأوامر الله بنفس السرعة والإخلاص. إذا سمعت "حي على الصلاة"، قم فورًا.

في مجال الحفاظ على الكرامة: أنت مكرم. فلا تضع نفسك في مواطن الذل والمعاصي. حافظ على كرامة الروح التي فيك، بطاعة الله، والترفع عن الدنايا.

في مجال التربية: علم أبناءك أن أصلهم من طين، ليتواضعوا. وعلمهم أن الله كرمهم، ليعتزوا بدينهم. وازرع فيهم روح الطاعة والاستجابة السريعة لله.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد شهدت مشهد خلق أبيك آدم، وسمعت الملائكة تسجد له بأمر الله، حان وقت الصدق مع النفس:

· هل تواضعت لله بعد أن علمت أن أصلك من طين؟ أم أن الكبر ما زال له مكان في قلبك؟
· هل تشعر بقيمة "نفخة الروح" التي فيك؟ كيف تحافظ على هذه الروح طاهرة نقية؟ ما هي الذنوب التي تدنس روحك وتثقلها؟
· هل أنت سريع الاستجابة لأوامر الله كما استجابت الملائكة؟ أم أنك تسوف وتتكاسل؟
· هل أدركت لماذا خلقك الله؟ لماذا جعلك خليفة في الأرض؟ ماذا تفعل لتؤدي هذه الأمانة؟

اخرج من هذه الرحلة وقد تجدد في قلبك الشعور بالتواضع لله، والعزة بالإيمان، والاستجابة السريعة لأمر الله. وتذكر أنك لست مجرد جسد من طين، بل أنت روح من نفخة الله. فكن كما أراد الله لك: خليفة صالحًا في أرضه، وساجدًا له وحده..

ثانيا
تحليل الآيات 73-78 من سورة ص
(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ)

مقدمة: السياق... حين يسقط أول مستكبر في الامتحان الأكبر

بعد أن شهدنا في الآيتين السابقتين ذلك المشهد المهيب، حيث أعلن الله في الملأ الأعلى عن خلق

البشر من طين، وأمر ملائكته بالسجود لهذا المخلوق الجديد بمجرد أن ينفخ فيه من روحه، تأتي هذه الآيات لتكمل المشهد. إنها لا تروي فقط استجابة الملائكة، بل تسلط الضوء على الاستثناء الوحيد: إبليس. إنها قصة العصيان الأول، والاستكبار الأول، والطرد الأول من رحمة الله.

هذه الآيات ليست مجرد حكاية تاريخية، بل هي تشريح إلهي لأصل كل شر في هذا الكون. إنها تكشف لنا عن طبيعة الصراع بين الحق والباطل، وعن سر سقوط إبليس، وعن العدالة الإلهية في محاسبة العاصين. إذا أردت أن تفهم لماذا يحدث كل هذا الفساد في الأرض، ولماذا يوجد صراع بين الخير والشر، فارجع إلى هذا المشهد. هنا، في "الملأ الأعلى"، بدأت الحكاية. دعنا نعيش هذه اللحظات المصيرية، ونرى كيف واجه إبليس أمر ربه، وكيف كان الرد الإلهي الحاسم.

الأمر الأول: دلالات الآيات – قصة العصيان والاستكبار والطرد

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآيات الكريمة، آية آية:

المحور الأول:
·{فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ}· – الطاعة المطلقة للملأ الأعلى

ماذا يعني هذا المشهد الجماعي؟
بعد أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، جاء التنفيذ فوريًا وكاملا ً: "فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ" . "فسجد" الفاء للتعقيب السريع. لم يترددوا لحظة. "الملائكة" كلهم، لم يتخلف أحد. "كلهم" توكيد. "أجمعون" توكيد بعد توكيد. إنه حشد لغوي يؤكد أن جميع الملائكة امتثلوا للأمر دون استثناء... إلا واحدًا!

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· التوكيدات المتتالية: "كلهم" و"أجمعون" تفيدان الإحاطة والشمول .لا يوجد ملاك واحد لم يسجد .هذا المشهد يعكس كمال طاعة الملائكة، وهم القدوة في العبودية.
· سرعة الاستجابة: الفاء في "فسجد" تدل على المبادرة .لم تكن هناك مراجعة ولا تردد ولا تلكؤ . وهذا هو أدب العبودية الحق: الامتثال الفوري.
· التمهيد للاستثناء: هذا التأكيد المبالغ فيه على شمول السجود يهيئ النفس لصدمة الاستثناء: "إلا إبليس" .فكأنه يبرز شذوذ إبليس عن هذا الجمع العظيم، وفرادته في العصيان.

المفهوم التربوي والعملي (مع مثال تقريبي):
الملائكة نموذج للطاعة المطلقة. في حياتنا، نحتاج أن نتعلم هذه الطاعة. مثال تقريبي: في مؤسسة عسكرية، عندما يصدر الأمر، يتحرك الجميع فورًا وبانضباط. هذا جزء من النجاح. وكذلك في علاقتنا مع الله: الأمر الإلهي يجب أن يقابل ب"سمعنا وأطعنا" دون تردد. هل نحن كذلك مع الصلاة مثلا ً؟

الرسالة الوجدانية:
أين أنت من "فسجد الملائكة"؟ هل تستجيب لأوامر الله بهذه السرعة وهذا الكمال؟ تأمل في سرعة استجابتك للصلاة، للاستغفار، لترك المعصية. كن ملكيًا في طاعتك.

المحور الثاني:
·{إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}· – الاستثناء المشؤوم

من هو إبليس؟ ولماذا امتنع؟
بعد التأكيد على سجود الملائكة جميعًا، يأتي الاستثناء: "إِلَّا إِبْلِيسَ" . إبليس كان من الجن، وكان مع الملائكة في الملأ الأعلى لعبادته وطاعته، فشملهم الأمر بالسجود. لكنه "اسْتَكْبَرَ" أي تكبر ورفض السجود. ثم تعلن الآية عن مصيره النهائي: "وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" . أي كان في علم الله الأزلي أنه من الكافرين، أو صار بسبب استكباره من الكافرين الجاحدين.

دلالات عميقة في هذا الاستثناء:

· "إِلَّا إِبْلِيسَ" : أداة الاستثناء "إلا" تفصل إبليس عن جنس الملائكة في هذا الموقف، مع أنه كان بينهم . لقد خرج عن الصف بسبب عناده.
· "اسْتَكْبَرَ" : هذا هو الداء الأول .الاستكبار هو رفض الحق مع القدرة على قبوله، ترفعًا وتعاظمًا .إبليس

رأى الأمر واضحًا، ولكنه رأى نفسه أكبر من أن يسجد لآدم .الكبر هو أول ذنب عُصي الله به.
· "وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ" : هنا سر آخر .كأن الآية تقول: إن استكباره لم يكن مفاجئًا، بل هو تعبير عن حقيقة كامنة فيه .وقد يكون المعنى: أن استكباره هذا جعله يلتحق بزمرة الكافرين.

اللمسة البيانية في استخدام "كان":
"وَكَانَ مِنَ الكَافِرِينَ" بصيغة الماضي، قد تدل على علم الله السابق به، أو تدل على أن كفره قد تحقق وصار وصفًا ثابتًا له. وهذا تحذير من أن المعصية قد تجر إلى الكفر.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
الكبر هو بوابة كل شر. عندما ترى شخصًا يرفض الحق مع وضوحه، فاعلم أن في قلبه كبرًا. مثال تقريبي: طالب يعرف أن الجواب الصحيح في الامتحان هو كذا، ولكن المعلم أخطأ وأعطاه درجة على جواب خاطئ، فيرفض الطالب أن يصحح للمعلم خوفًا من أن تنقص درجته، أو لأنه يرى نفسه أعلم من المعلم. هذا كبر خفي.

الرسالة الوجدانية:
فتش في قلبك... هل هناك ذرة من كبر؟ هل ترفض نصيحة لأن من قدمها لك أقل منك؟ هل تتأفف من خدمة أهلك لأنك ترى ذلك دون مستواك؟ احذر، فالكبر أول خطوة في طريق إبليس.

المحور الثالث:
·{قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ}· – الاستجواب ا لإلهي وتكريم آدم

ما سر هذا السؤال الإلهي مع علمه بكل شيء؟
الله يعلم ما في نفس إبليس، ولكنه يسأله لتقريره بالذنب، ولإظهار علة عصيانه أمام الملأ. يقول له: "مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" . أي ما الذي صرفك ومنعك من السجود لآدم الذي شرفته فخلقته بيدي؟ ثم يعرض عليه خيارين لا ثالث لهما: "أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ" . أي: هل كان سبب امتناعك هو الاستكبار، أم كنت ممن علوا وارتفعوا عن هذا الأمر؟ وفي هذا توبيخ ضمني، لأن كلا الأمرين مذموم.

دلالات مذهلة في هذا الحوار:

· "لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ" : هذا تشريف عظيم لآدم .الله يضيف خلقه إلى "يديه" تكريمًا له .وهذا يزيد من بشاعة جرم إبليس، لأنه استكبر عن السجود لمن خلقه الله بيديه.
· "أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ العَالِينَ" : هذا السؤال يعرض على إبليس احتمالين كلاهما وبال عليه .الا ستكبار ذنب، وكونه من "العالين" أي المتكبرين الرافعين أنفسهم فوق الحق، هو ذنب أيضًا .إنه سؤال يقطع عليه كل حجة.

اللمسة البيانية في "خَلَقْتُ بِيَدَيَّ":
في القرآن الكريم، إضافة خلق آدم إلى "يديه" خاصة بآدم، مما يدل على عناية خاصة به. وفي الحديث: "إن الله خلق آدم بيده". وهذا يرد على من زعم أن آدم مخلوق كسائر المخلوقات دون تميز.

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
الله يسأل إبليس رغم علمه، وهذا يعلمنا أدب الاستجواب والإنصاف. فحتى المذنب الظاهر الذنب، يُسأل عن عذره. مثال تقريبي: مدير اكتشف خطأ موظف، فبدل أن يعاقبه فورًا، يسأله: "لماذا فعلت كذا؟". هذا يعطي الموظف فرصة لشرح موقفه، وربما يكون هناك ظرف مخفف.

الرسالة الوجدانية:
يا من عصيت الله... تذكر أن الله يسألك، وسيسألك يوم القيامة. فماذا أعددت للجواب؟ هل ستتكبر وتجادل، أم ستقر بذنبك وتستغفر؟ كن كآدم الذي قال: "ربنا ظلمنا أنفسنا"، ولا تكن كإبليس الذي قال: "أنا خير منه".

المحور الرابع:
·{قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ}· – منطق الكبر والقياس الفاسد

كيف رد إبليس على سؤال ربه؟

بدل أن يعترف بخطئه، ويطلب المغفرة، أجاب إبليس بكل وقاحة: "أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ" . ثم قدم دليله المزعوم: "خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ" . إنه القياس الفاسد! إنه يظن أن عنصر النار أشرف من عنصر الطين، متجاهلًا أن الله هو الذي شرف الطين بنفخ الروح فيه، وهو الذي أمر بالسجود.

دلالات عميقة في هذا الرد:

· "أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ" : هذه الجملة تلخص فلسفة إبليس: الأنانية والاستعلاء .هو يرى نفسه الأفضل، فلماذا يسجد لمن هو دونه؟! إنه قلب الموازين، وجعل معيار التفاضل هو المادة لا التقوى ولا الأمر الإلهي.
· "خَلَقْتَنِي مِن نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ" : هذا هو القياس الفاسد بعينه .النار ليست أشرف من الطين بإط لاق .فالنار فيها حرق وإفساد، والطين فيه بركة وإنبات .ولكن إبليس قاس بغير أمر الله.
· اللمسة البيانية: رد إبليس لم يذكر السجود ولا الأمر، بل ركز على التفضيل المادي .وهذا هو شأن المستكبرين دائمًا: يغفلون عن الأمر الإلهي، ويركزون على حظوظهم الدنيوية.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
القياس الفاسد هو آفة عقلية وقلبية. كثير من الناس يتركون أوامر الله بحجج واهية من هذا القبيل.
مثال تقريبي: شاب يرفض مصاحبة رجل فقير صالح، ويقول: "أنا خير منه، أنا غني وهو فقير!". أو امرأة ترفض نصح زوجها لأنه أقل منها تعليمًا. هذا هو منطق إبليس! العبرة ليست بالمادة، بل بالتقوى والعمل الصالح.

الرسالة الوجدانية:
كم مرة قلت في قلبك: "أنا خير منه"؟ كم مرة احتقرت شخصًا لفقره أو لونه أو أصله؟ احذر... هذا هو داء إبليس. إياك والقياس الفاسد. ميزان الله غير ميزان البشر.

المحور الخامس:
{قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ} – الحكم الإلهي العادل

وما هو جزاء هذا الاستكبار والقياس الفاسد؟
بعد هذا الحوار الذي كشف حقيقة إبليس، جاء الحكم الإلهي القاطع: "فَاخْرُجْ مِنْهَا" . أي من الجنة، أو من الملأ الأعلى، أو من الرحمة. "فَإِنَّكَ رَجِيمٌ" أي مطرود من كل خير، مرجوم باللعنة. ثم أكد الطرد بلعنة مستمرة: "وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ" . اللعنة هي الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وهي مستمرة عليه إلى يوم القيامة.

دلالات مذهلة في هذا الحكم:

· "فَاخْرُجْ مِنْهَا" : الفاء للتعقيب السريع .فبمجرد أن أظهر كبره وعناده، جاء الطرد فورًا .لا إمهال بعد إقامة الحجة.
· "فَإِنَّكَ رَجِيمٌ" : "رجيم" بمعنى مرجوم، أي مطرود ملعون .وهذا وصف ثابت له.
· "وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي" : "إن" للتوكيد، و"عليك" تفيد الوجوب واللزوم ."لعنتي" مضافة إلى الله، فهي لعنة عظيمة لا كغيرها.
· "إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ" : أي يوم الجزاء .وهذا يعني أن لعنته مستمرة في الدنيا والآخرة .وفي الآخرة يخلد في النار.

اللمسة البيانية في "لَعْنَتِي":
إضافة اللعنة إلى الله تشعرك بعظمتها. إنها ليست لعنة من مخلوق، بل من الخالق القهار. وهذا أشد ما يكون من الإهانة والعقوبة.

المفهوم التربوي والعملي (مع مثال تقريبي):
هذا الحكم يبين أن عاقبة الكبر وخيمة جدًا. إبليس كان في أعلى عليين، فهوى إلى أسفل سافلين بسبب كبره. مثال تقريبي: موظف في أعلى المناصب، بسبب كبره وغروره، يخطئ في حق مديره، فيُطرد من عمله، ويفقد كل شيء. هكذا يفعل الكبر بأصحابه.

الرسالة الوجدانية:
يا من تخاف من لعنة الله... انظر إلى إبليس. لقد لعنه الله إلى يوم الدين. فهل ترضى أن تكون ملعونًا مثله؟ كلا... فتواضع لله، واخضع لأمره. لا تكن من المستكبرين، فتكون من الخاسرين.
الأمر الثاني:

ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

هذه الآيات الكريمة ليست لمجرد القصص، بل هي دروس عظيمة:

.1يريد منا أن نتعلم خطورة الكبر .الكبر هو أول معصية عُصي الله بها .وهو سبب طرد إبليس من رحمة الله .فاحذر الكبر في قلبك، ولو كان ذرة.
.2يريد منا أن نطيع أوامره دون تردد أو قياس فاسد .الملائكة سجدوا فورًا، إبليس توقف وقاس . كن مع الملائكة في سرعة الاستجابة.
.3يريد منا أن نعرف قيمة آدم وتكريم الله له .لقد خلقه الله بيديه، ونفخ فيه من روحه .فلا تحتقر أحدًا من بني آدم، فكلهم من ذرية هذا المكرم.
.4يريد منا أن نأخذ حذرنا من إبليس .هو عدو لنا، وقد أقسم على إغوائنا .فكونوا على حذر دائم من مكائده.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولا ً: مفهوم "الاستكبار" كأصل كل انحراف فردي واجتماعي.
في حياة الفرد، الاستكبار هو مرض قلبي يمنعه من قبول الحق والنصح. يرى نفسه دائمًا على صواب، ولا يعترف بخطئه. هذا يبني إنسانًا معزولا ً عن التطور والتحسن، مكروهًا من الناس. في المجتمع، ا لاستكبار هو سبب الظلم والاستبداد. الطغاة والمستبدون إنما يظلمون الناس لأنهم يرون أنفسهم خيرًا منهم. هذا يبني مجتمعًا قائمًا على القهر والإذلال. حضاريًا، الحضارة التي ينتشر فيها الكبر والاستعلاء هي حضارة في طريقها إلى الانهيار. فالتاريخ يشهد أن الأمم التي استكبرت في الأرض وأفسدت، أهلكها الله. التواضع هو أساس البناء الحضاري، لأنه يسمح بالتعاون وتبادل المنافع والاعتراف بالخطأ وتصحيحه.

ثانيًا: مفهوم "القياس الفاسد" كآفة عقلية وتربوية.
إبليس قاس المادة بالمادة (النار والطين)، وأهمل الأمر الإلهي. في حياتنا، كثيرًا ما نقع في القياس الفاسد: نقارن أنفسنا بغيرنا في الأمور الدنيوية، وننسى معيار الله. هذا يبني إنسانًا حسودًا غير راض. في المجتمع، القياس الفاسد يؤدي إلى التمييز والعنصرية، حيث يقاس الناس بأصولهم وألوانهم وأموالهم، لا بتقواهم. حضاريًا، الحضارة التي تقيس التقدم بالمادة فقط (ناطحات سحاب، تكنولوجيا) وتهمل القيم والأخلاق، هي حضارة غير متوازنة، قد تنهار من الداخل رغم مظاهر قوتها.

ثالثًا: مفهوم "اللعنة" كعقوبة اجتماعية ووجودية.
لعنة الله على إبليس هي طرد من الرحمة. في حياة الفرد، من يرتكب الكبائر ويصر عليها، قد يصيبه نوع من "اللعنة" المعنوية: قسوة القلب، ظلمة في الوجه، نفور من الناس. هذا يبني إنسانًا شقيًا حتى في دنياه. في المجتمع، انتشار الفساد والظلم يجلب "لعنة" مجتمعية: قلة البركة، كثرة المشاكل، انعدام الأمن. حضاريًا، الحضارة التي تستحق اللعنة الإلهية بسبب طغيانها وظلمها، يُعجّل لها العقاب في الدنيا قبل الآخرة، كما قال تعالى: "وَمَا كانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ". لكن إذا فسدوا، حلت بهم اللعنة والعقوبة.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآيات تفتح لنا آفاقًا واسعة في فهم الإنسان والصراع بين الخير والشر.

.1البعد الفلسفي والوجودي: تفسير وجود الشر في العالم.
قصة إبليس تقدم تفسيرًا إيمانيًا لوجود الشر. الشر ليس من خلق الله المباشر كعين مستقلة، بل هو ناتج عن الاختيار الحر للمخلوقات. الله خلق إبليس، وأعطاه القدرة على الطاعة والمعصية، فاختار المعصية بكبره. وهكذا البشر: فيهم قابلية الخير والشر، وباختيارهم يكون مصيرهم. هذا البعد يريح العقل المؤمن من إشكالية "لماذا خلق الله الشر؟"، فالله خلق الخير، والشر حدث باختيار المخلوق.

.2البعد النفسي: سيكولوجية الكبر عند إبليس وتحليلها.
إبليس كان عابدًا لله سنين طويلة. فكيف تحول إلى كافر؟ التحليل النفسي القرآني يبين أن الكبر كان

الداء الخفي. ربما كان إبليس معجبًا بعبادته، يرى لنفسه فضلا ً على غيره. فلما جاء الاختبار الحقيقي، ظهر ما كان مخبوءًا في نفسه. هذا درس نفسي عميق: العبادات الظاهرة قد تخفي وراءها أمراضًا قلبية كالرياء والكبر، ولا يظهر حقيقتها إلا عند الابتلاء.

.3البعد التربوي: خطورة تزكية النفس.
قول إبليس "أنا خير منه" هو تزكية للنفس، وقد نهى الله عنها: "فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ". تزكية النفس هي أصل الكبر. التربية الإسلامية تحذر من مدح الإنسان لنفسه، وتدعو إلى التواضع ونسبة الفضل لله. "وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ".

.4البعد التكاملي للسورة: من الملأ الأعلى إلى الأرض.
الآيات السابقة تحدثت عن "الملأ الأعلى إذ يختصمون". وها نحن نرى جزءًا من هذا الاختصام: حوار الله مع الملائكة، ومع إبليس. وهذا يربط آخر السورة بأولها. ثم ستعود السورة في الآيات التالية لتحكي بقية القصة في الأرض: هبوط آدم وإبليس، وبداية الصراع البشري. وهذا يعطي للسورة وحدة موضوعية مذهلة.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال محاربة الكبر: خصص كل يوم وقتًا للتذلل لله. اسجد في صلاتك بخشوع، وتذكر أن أعلى خلق الله (الملائكة) سجدوا لآدم، فأنت أولى بالسجود لله. قل في سجودك: "اللّهم إني أعوذ بك من الكبر".

في مجال التعامل مع الأوامر الشرعية: إذا سمعت أمرًا من الله أو رسوله، بادر بتنفيذه. لا تسوف، ولا تقل: "سأفعل لاحقًا". تدرب على سرعة الاستجابة، كالملائكة.

في مجال تقييم الناس: احذر من تفضيل نفسك على الآخرين بسبب مظاهر دنيوية. إذا رأيت فقيرًا، فقل: "لعل هذا الفقير خير عند الله مني". هكذا تحمي قلبك من داء إبليس.

في مجال الحذر من الشيطان: تذكر أن إبليس عدو لك، وقد أقسم على إغوائك. إذا وسوس لك بمعصية، فاستعذ بالله فورًا. واعلم أن كل خطوة نحو المعصية هي خطوة في طريق إبليس.

في مجال التربية: علم أبناءك قصة إبليس بأسلوب مبسط. قل لهم: "إبليس تكبر فطرده الله. فلا تتكبروا على أحد، وكونوا متواضعين". هذا يغرس فيهم التواضع منذ الصغر.

الأمر السادس:
أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد شهدت سقوط إبليس من أعلى عليين إلى أسفل سافلين بسبب الكبر، حان وقت الصدق مع النفس:

· هل في قلبك ذرة من كبر؟ هل تشعر أنك أفضل من غيرك؟ هل ترفض النصيحة؟ هل تتأفف من خدمة أهلك؟ ابحث في أعماقك، وطهّر قلبك.
· هل تستجيب لأوامر الله فورًا كما استجابت الملائكة؟ أم أنك تسوّف وتتلكأ كإبليس؟ متى كانت آخر مرة سمعت فيها "حي على الصلاة" فقمت فورًا؟
· هل تقيس الناس بمقاييس إبليس) المال، النسب، الشكل (أم بمقياس الله) التقوى(؟ راجع نظرتك للناس .هل تحتقر أحدًا لفقره أو عمله البسيط؟
· هل أنت على حذر من عدوك إبليس؟ كم مرة استعذت بالله منه اليوم؟ هل تشعر بخطورته، أم أنك غافل عن مكائده؟

اخرج من هذه الرحلة وقد عرفت أن التواضع هو طريق النجاة، وأن الكبر هو طريق الطرد واللعنة. كن من جند الملائكة في الطاعة، ولا تكن من حزب الشيطان في المعصية. تذكر أن الله خلقك بيديه، ونفخ فيك من روحه، فلا تبيع هذه الكرامة بطاعة إبليس. كن عبدًا لله، تكن من المكرمين.

ثالثا
تحليل الآيات 79-85 من سورة ص
(قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)

مقدمة: السياق... حين يتحول الطرد إلى حرب معلنة وعهد إلهي

بعد أن شهدنا في الآيات السابقة المشهد المهيب لطرد إبليس من رحمة الله، ولعنته إلى يوم الدين، لا تنتهي القصة عند هذا الحد. بل تأخذ منعطفًا جديدًا، يتحول فيه إبليس من مجرد عاصٍ مطرود، إلى عدوّ معلن للبشرية، يتحدى الله بعزته، ويقسم على إغواء بني آدم. وفي المقابل، يأتي الرد الإلهي الحاسم: "فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ". ثم تختم السورة بتوجيه من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يعلن براءته من طلب الأجر أو التكلف، وأن هذا القرآن ما هو إلا "ذكر للعالمين"، وسيعلم الناس نبأه بعد حين.

الآيات (79-85) هي ختام مسك لسورة "ص". إنها تضع النقاط على الحروف في قصة الصراع الأزلي بين الحق والباطل، وتكشف عن طبيعة المعركة التي يخوضها كل إنسان في هذه الحياة. إنها تحذير من إبليس، وتذكير بعدل الله، وتأكيد على عالمية الرسالة الخاتمة. دعنا نعيش هذه الآيات الخواتم، لنرى كيف يرسم القرآن خارطة الصراع، وكيف يوجهنا للنجاة فيه.

الأمر الأول:
دلالات الآيات – حوار التحدي والوعيد والختام المبين

لنبدأ رحلتنا في فك شفرة هذه الآيات الكريمة، آية آية:

المحور الأول:
﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ – طلب الإمهال والاستجابة المشروطة

ماذا يعني طلب إبليس هذا؟
بعد أن طرده الله ولعنه، لم يتب إبليس، بل اتجه إلى طلب آخر: "رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" . أي: يا رب، أمهلني وأخر موتي إلى يوم القيامة، يوم يبعث الناس من قبورهم. لم يطلب الإنظار توبةً واستغفارًا، بل طلبه لهدف آخر سيعلنه بعد قليل. فيستجيب الله له، ولكن ليس إلى يوم البعث كما طلب، بل "إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ" ، وهو يوم النفخة الأولى، يوم يموت الخلائق كلهم قبل البعث.

لمسات بيانية وتربوية ساحرة:

· "رَبِّ" : ينادي إبليس ربه، مع أنه في حالة تمرد وعصيان .وهذا يدل على أنه مقر بربوبية الله، لكنه جاحد لألوهيته وطاعته .وهذا حال كثير من العصاة: يقرون بأن الله ربهم، ولكنهم لا يعبدونه حق عبادته.
· "فَأَنظِرْنِي" : الفاء للسببية .كأنه يقول: بسبب أنك لعنتني وطردتني، أمهلني لأثبت لك أني سأنتقم من هذا المخلوق الذي كان سببًا في طردي) يعني آدم وذريته.(
· "إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ" : يريد أن يبقى حيًا حتى يوم القيامة، ليكون في ذلك إمهال طويل جدًا، يظل فيه يغوي بني آدم ولا يموت.
· "فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ" : الله استجاب له، ولكن ليس إلى يوم البعث، بل إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم النفخة الأولى حين يصعق من في السماوات والأرض .وهذا فيه حكمة: أنه لن يبقى إلى يوم البعث فيظن أنه نجا، بل سيموت قبل البعث ثم يبعث ويعذب في النار .وفيه أيضًا تقليل لمهلة إغوائه.

المفهوم النفسي والتربوي (مع مثال تقريبي):
إبليس يعلم أن الله قادر على إهلاكه فورًا، لكنه يطلب الإمهال ليتمادى في غيه. وهذا حال المصرين على المعاصي: يستغلون إمهال الله لهم ليزدادوا إثمًا. مثال تقريبي: كمريض أعطاه الطبيب فرصة للعلاج، فبدل أن يلتزم بالدواء، يستغل الفرصة ليزيد من أكل ما يضره، ظانًا أن صحته ستدوم. هذا هو

غرور إبليس وأتباعه.

الرسالة الوجدانية:
إمهال الله لك ليس دليل رضا. قد يمهل الله الظالم والعاصي ليأخذه أخذ عزيز مقتدر. فلا تغتر بالإمهال، وتب إلى الله قبل أن يأتي "الوقت المعلوم".

المحور الثاني:
﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ – إعلان الحرب بقسم بعزة الله

وما هو الهدف الذي من أجله طلب الإنظار؟
بعد أن حصل على الإمهال، أعلن إبليس تحديه الصريح: "فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ" . أقسم بعزة الله! إنه يعلم أن الله عزيز لا يُغلب، ومع ذلك يقسم بعزته ليضل عباده. إنه تحدي عجيب. لكنه يعترف بضعفه أمام فئة واحدة: "إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" . أي الذين أخلصتهم لعبادتك، واصطفيتهم، وطهرت قلوبهم. هؤلاء لا قدرة لي عليهم.

دلالات مذهلة في هذا القسم والتحدي:

· "فَبِعِزَّتِكَ" : قسم بعزة الله .وهذا يدل على أن إبليس يعرف عظمة الله، لكنه يستعمل هذه المعرفة في تحدي الله! إنه غاية الوقاحة والعناد.
· "لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ" : "لأغوينهم" أي لأضلنهم عن طريق الهدى، ولأزينن لهم المعاصي والشهوات . "أجمعين" أي كلهم، وهذا يدل على عزمه على إضلال البشر كلهم .لكنه يستثني.
· "إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ" : هذا استثناء مهم ."المخلصين") بفتح اللام (أي الذين أخلصتهم واجتبيتهم .أو "المخلصين") بكسر اللام (أي الذين أخلصوا لك العبادة .وفي كلا القراءتين، هم فئة محفوظة من الله، لا يصل إليها إبليس.

اللمسة البيانية في "إِلَّا عِبَادَكَ":
إبليس يعترف بأنه لا سلطان له على عباد الله المخلصين. وهذا تكريم عظيم لهذه الفئة. فمن أراد أن ينجو من إبليس، فليكن من عباد الله المخلصين.

المفهوم الفكري والتربوي (مع مثال تقريبي):
إبليس لا يستطيع إغواء من أخلص دينه لله. فالنجاة من الشيطان ليست بقوة الجسد، بل بقوة الإخلاص والتعلق بالله. مثال تقريبي: كحصن منيع لا يستطيع اللصوص اقتحامه. هذا الحصن هو الإخلاص. فإذا دخل الرياء أو حب الدنيا إلى القلب، تسلل اللص (الشيطان) وأفسد. فأخلص عبادتك لله، تكن في حصن حصين من إبليس.

الرسالة الوجدانية:
هل أنت من "عبادك المخلصين"؟ هل أخلصت دينك لله؟ أم أن في قلبك شوائب من رياء أو عجب أو حب للشهوات؟ إن أردت النجاة من إبليس، فأخلص. هذا هو طريق الأمان الوحيد.

المحور الثالث:
﴿قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ * لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ – القسم الإلهي بالحق و الوعيد بملء جهنم

وكيف كان رد الله على تحدي إبليس؟
في مقابل قسم إبليس بعزة الله، يقسم الله بالحق: "فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ" . أي: أنا الحق، وأقول الحق. ثم يأتي الوعيد المهيب: "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ" . أي: لأملأن جهنم منك أيها الشيطان، ومن كل من اتبعك من ذرية آدم.

دلالات مذهلة في هذا القسم الإلهي والوعيد:

· "فَالْحَقُّ" : القسم هنا بـ"الحق" الذي هو اسم من أسماء الله تعالى، أو صفته .والحق هو الثابت الذي لا يتغير .فكلام الله حق، ووعده حق، ووعيده حق.
· "وَالْحَقَّ أَقُولُ" : توكيد بأن كل ما يقوله هو الحق الصراح .وهذا رد على إبليس الذي اغتر بكذبه وخداعه.
· "لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ" : قسم مؤكد بلام القسم ونون التوكيد ."جهنم" اسم من أسماء النار ."مِنكَ" أي من

جنسك) الشياطين .("وَمِمَّن تبِعَكَ مِنْهُمْ" أي من ذرية آدم الذين اتبعوك ."أَجْمَعِينَ" للتوكيد والشمول.
· المقابلة العجيبة: إبليس قال: "لأغوينهم أجمعين" .والله قال: "لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين" .فكل من تبعه سيكون وقودًا لجهنم .إنها نتيجة حتمية لمن سار في ركاب إبليس.

اللمسة البيانية في "فَالحَقُّ وَالحَقَّ أَقُولُ":
هذا التعبير يفيد أن كل ما يقوله الله هو حق، سواء كان وعدًا للمؤمنين أو وعيدًا للكافرين. فلا مجال للشك في وقوع ما أخبر به.

المفهوم التربوي والعملي (مع مثال تقريبي):
الله وعد بأنه سيملأ جهنم من أتباع إبليس. وهذا يبين خطورة اتباع الشيطان. مثال تقريبي: كممرض يخبر مريض السكري بأنه إذا استمر في أكل الحلويات فسيبتر قدمه. المريض الذي يصدق الممرض يلتزم بالحمية. أما المكذب فيستمر في الأكل حتى تبتر قدمه. الله أخبرنا أن من يتبع إبليس مصيره جهنم. فهل نصدق ونلتزم، أم نكذب ونستمر في المعاصي؟

الرسالة الوجدانية:
"لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين". أين أنت من هذا القسم الإلهي؟ هل أنت من أتباع إبليس، فتكون من وقود جهنم؟ أم أنت من عباد الله المخلصين، فتنجو؟ اختر طريقك الآن، قبل أن يمتلئ المكيال.

المحور الرابع:
.{قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ}. – ختام السورة ببيان طبيعة الرسالة

وما علاقة هذا الختام بقصة إبليس والصراع المحتدم؟
بعد هذا المشهد الكوني المهيب، يأمر الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم أن يخاطب قومه ويعلن لهم حقيقة رسالته:

.1"مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" : أي لا أطلب منكم مالا ً ولا جزاءً على تبليغ هذه الرسالة .وهذا دليل على صدقه، فليس له مصلحة دنيوية.
.2"وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ" : أي لست ممن يتصنع ما ليس فيه، أو يتكلف الكهانة والشعر كما يزعمون . أنا رسول مبلغ عن ربي.
.3"إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ" : أي ما هذا القرآن إلا تذكرة وموعظة للعالمين كافة، وليس خاصًا بقوم دون قوم.
.4"وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ" : أي لتتعلمن - أيها المكذبون - خبر صدق هذا القرآن وما فيه من وعد ووعيد، بعد حين من الزمان، سواء في الدنيا عند نزول العذاب، أو في الآخرة عند الوقوف على حقيقة الأمر.

دلالات مذهلة في هذا الختام:

· "مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ" : هذا هو شعار الأنبياء جميعًا .إنهم لا يريدون من الناس شيئًا، بل يريدون هدايتهم إلى الله .وهذا يقطع كل شبهة عن أغراضهم الدنيوية.
· "وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ" : التكلف هو التصنع والتظاهر بما ليس في الإنسان .النبي بريء من التكلف في كل شيء، في عبادته، في دعوته، في حياته .رسالته بسيطة واضحة، ليست فلسفة معقدة ولا شعوذة.
· "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ" : "إن ...إلا" للحصر .فحصره في كونه "ذكرًا" .وهذا يعني أن وظيفة القرآن ا لأساسية هي التذكير بالله واليوم الآخر، ليست للتسلية ولا للثراء.
· "وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ" : هذا وعيد خفي ."نبأه" أي خبره وما جاء به من الحق ."بعد حين" أي بعد مدة .وهذا يشمل ما وقع في الدنيا من نصر النبي وإظهار دينه، وما يقع في الآخرة من الجزاء.

اللمسة البيانية في ختام السورة:
بدأت السورة بقوله: "ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ". وها هي تختم بقوله: "إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ". هذا التناسق البديع يبرز محور السورة: القرآن ذكرى للعالمين. وكل ما فيها من قصص وأخبار هو تذكرة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المفهوم التربوي والعملي (مع مثال تقريبي):

القرآن "ذكر". أي أننا نحتاج إليه لنذكر. فنحن ننسى. مثال تقريبي: كطالب عنده امتحان مهم، ولكنه يغفل عن المذاكرة ويلهو. ثم تأتي "تذكرة" من معلمه أو صديقه، فينتبه ويذاكر. القرآن هو تذكرة الله لنا. نقرؤه فنذكر الموت والحساب والجنة والنار، فنستيقظ من غفلتنا ونعمل.

الرسالة الوجدانية:
يا من تقرأ هذا الكلام... هذا القرآن "ذكر لك". فهل انتفعت به؟ هل ذكرك بالله؟ هل ذكرك بآخرتك؟ أم أنك قرأته ومررت كأن لم تسمع شيئًا؟ تذكر أنك "ستعلم نبأه بعد حين". فكن من الذين آمنوا وعملوا الصالحات، لا من الذين كذبوا وتولوا.

الأمر الثاني:
ماذا يريد الله منا في هذه الآيات؟

هذه الآيات الخواتم تجمع خلاصة رسالة سورة "ص" وتوجهنا إلى عدة أمور:

.1يريد منا أن نأخذ حذرنا من إبليس .إنه عدو محلف، أقسم بعزة الله أن يغوينا .فلا نأمن مكره، ولنكن على حذر دائم.
.2يريد منا أن نكون من عباد الله المخلصين .هؤلاء هم الوحيدون الذين لا سلطان لإبليس عليهم . فنسعى لتحقيق الإخلاص في كل أعمالنا.
.3يريد منا أن نصدق وعيد الله .كما صدقنا وعده بالجنة، يجب أن نصدق وعيده بملء جهنم من أتباع إبليس .وهذا يدفعنا لاجتناب طريق الشيطان.
.4يريد منا أن نتعامل مع القرآن على أنه "ذكر للعالمين" .فهو كتاب تذكرة وهداية، فعلينا أن نقرأه بتدبر، ونعمل بما فيه.

الأمر الثالث:
مفاهيم الآيات في حياتنا العملية ودورها في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

دعنا نستعرض هذه المفاهيم في شكل فقرات متصلة، لنرى كيف تبني الفرد والمجتمع والحضارة.

أولا ً: مفهوم "الصراع مع الشيطان" كحقيقة واقعة لا خيال.
في حياة الفرد، الوعي بأن إبليس أقسم على إغوائه يجعله متيقظًا. لا يغفل عن عدوه، فيحصن نفسه بالذكر والطاعة. هذا يبني إنسانًا قوي الإرادة، يحاسب نفسه، ويجاهد هواه. في المجتمع، إذا آمن أفراده بأن هناك عدوًا مشتركًا هو الشيطان، فإنهم يتعاونون على مواجهة الفساد والرذيلة، ويقفون صفًا واحدًا ضد دعاة الضلال. حضاريًا، الحضارة التي تعترف بوجود هذا العدو، تستطيع أن تبني استراتيجيات دفاعية أخلاقية. فهي لا تترك أبناءها فريسة للإعلام الفاسد والشهوات، بل تحصنهم بـ القيم والتربية الإيمانية.

ثانيًا: مفهوم "الإخلاص" كحصن منيع.
في حياة الفرد، الإخلاص هو سر النجاة. حين يخلص الإنسان نيته لله في كل عمل، يصبح قلبه محصنًا ضد وساوس الشيطان. هذا يبني إنسانًا صادقًا، لا يرائي، ولا يتلون. في المجتمع، إذا ساد الإ خلاص، ارتفع مستوى النزاهة والشفافية. فالمسؤول يخلص في خدمته للوطن والمواطنين، لا لمصالحه الشخصية. التاجر يخلص في تجارته، فلا يغش. العالم يخلص في علمه، فلا يكتم حقًا. حضاريًا، الحضارة التي تقوم على الإخلاص هي حضارة متينة، لأنها لا تنهار من الداخل بسبب الخيانات و الفساد. إخلاص العلماء والمفكرين والقادة هو الذي يبني صروح الحضارة ويحميها.

ثالثًا: مفهوم "الذكر للعالمين" كرسالة حضارية عالمية.
القرآن ليس كتابًا لقوم بعينهم، بل هو "ذكر للعالمين". هذا المفهوم يبني في الفرد شعورًا بالانتماء للإ نسانية. فهو يحمل رسالة للعالمين، فيسعى لهدايتهم. في المجتمع، هذا يبني أمة ذات رسالة عالمية. ا لأمة الإسلامية ليست أمة منغلقة على نفسها، بل أمة "أخرجت للناس"، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، وتبلغ رسالة الله للبشرية. حضاريًا، الحضارة الإسلامية هي حضارة عالمية المنحى. إنها لا تقوم على أساس قومي أو إقليمي ضيق، بل تحمل مشروعًا إنسانيًا عالميًا، هو هداية الناس إلى رب العالمين. وهذا هو سر انتشار الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها.

رابعًا: مفهوم "عدم التكلف" كمنهج في الدعوة والحياة.
النبي مأمور أن يقول: "وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ". هذا المفهوم يبني إنسانًا طبيعيًا بسيطًا. لا يتصنع ما ليس فيه، ولا يتكلف في عبادته ودعوته. هذا يجعله محبوبًا مقبولا ً لدى الناس. في المجتمع،

انتشار ثقافة "عدم التكلف" يبني مجتمعًا صادقًا. لا يعيش أفراده في مظاهر كاذبة، ولا يتصنعون التدين أو الثقافة. وهذا يقلل من الضغوط النفسية والاجتماعية. حضاريًا، الحضارة التي تخلو من التكلف والتصنع، هي حضارة حقيقية صادقة. إبداعاتها نابعة من حاجة حقيقية، وفنونها معبرة عن روحها الصادقة، وليست استيرادًا مشوهًا لحضارات أخرى.

الأمر الرابع:
أبعاد الآية وآفاقها – ما وراء الكلمات

هذه الآيات الخواتم تفتح لنا آفاقًا واسعة في فهم الصراع بين الخير والشر، وطبيعة الرسالة الإسلا مية.

.1البعد الكوني والغيبي: تفسير طبيعة الصراع بين الإنسان والشيطان.
الآيات ترسم خارطة الصراع بوضوح: إبليس عدو، أقسم على الإغواء، لكنه لا يملك سلطانًا على المخلصين. هذا البعد الكوني يعطينا رؤية واضحة لحياتنا على الأرض. نحن لسنا في نزهة، بل في معركة. ولكن المعركة ليست متكافئة، فالله معنا، وهو يمدنا بأسباب النجاة. هذا الفهم يحررنا من الحيرة والقلق الوجودي.

.2البعد النفسي: استغلال إبليس لعزة الله في قسمه.
إبليس أقسم بعزة الله ليغوي البشر. هذا يبين أنه يستغل أسماء الله وصفاته في حربه ضد عباد الله. وهذا يذكرنا بأن الشيطان قد يأتي الإنسان من باب التدين أحيانًا، فيوسوس له بأمور يظنها قربة وهي في الحقيقة معصية (كالبدع والغلو). فعلينا أن نكون على بصيرة بديننا، لنفرق بين الحق و الباطل.

.3البعد التربوي: "ولتعلمن نبأه بعد حين" كمبدأ للتربية بالصبر.
الآية تختم بوعد بأن المكذبين سيعلمون حقيقة القرآن بعد حين. هذا البعد التربوي يعلمنا الصبر على البلاغ. الداعية لا يرى دائمًا ثمار دعوته فورًا. قد يكذب ويكذب، ثم يأتي اليوم الذي يعلم فيه الناس صدق ما جاء به. هذا يعطي الدعاة والمربين طاقة صبر وأمل. فليس المهم حصاد اليوم، بل حصاد الغد.

.4البعد التكاملي للسورة: من "ص والقرآن ذي الذكر" إلى "إن هو إلا ذكر للعالمين".
هذا الربط البديع يبرز أن السورة كلها تدور حول القرآن كذكرى. قصص الأنبياء ذكرى، وصف الجنة و النار ذكرى، قصة آدم وإبليس ذكرى. وكأن السورة تقول لنا: هذا هو الذكر، فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا ً. وهذا يعطينا وحدة موضوعية مذهلة، ويجعلنا نتدبر السورة ككل متكامل.

الأمر الخامس:
الدروس العملية المستفادة – خارطة طريق لحياتك اليومية

هذه الدروس ليست للتأمل النظري، بل هي خارطة طريق يمكنك تطبيقها فورًا في يومك وليلتك.

في مجال الحذر من الشيطان: ابدأ يومك بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم. قل: "أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم". ولا تنسَ أذكار الصباح والمساء، فهي حصنك الحصين.

في مجال تحقيق الإخلاص: قبل كل عمل، قف قليلا ً واسأل نفسك: "لماذا أفعل هذا؟". أخلص النية لله. جدد نيتك في العمل، في الدراسة، في العبادة، في خدمة أهلك.

في مجال التعامل مع القرآن: غير نظرتك للقرآن. لا تقرأه كأي كتاب. استقبله على أنه "ذكر للعالمين" موجه إليك أنت. اقرأه لتتذكر، لتتعظ، لتغير حياتك.

في مجال الدعوة: إذا دعوت أحدًا، فلا تتكلف. كن طبيعيًا. ادع بصدق وإخلاص. ولا تنتظر أجرًا من الناس، بل قل: "ما أسألكم عليه من أجر".

في مجال الصبر على البلاء: تذكر أنك في معركة مع الشيطان، وأن النصر آتٍ. اصبر على وساوسه، وعلى إغراءاته. وثق أن العاقبة للمتقين. وردد دائمًا: "ولتعلمن نبأه بعد حين".

الأمر السادس:

أسئلة تقرع باب قلبك – حوار أخير مع الذات

الآن... وقد وصلنا إلى ختام سورة "ص"، وقد سمعنا تحديات إبليس ووعيد الله، وتذكرة القرآن للعالمين، حان وقت الصدق مع النفس:

. هل أخذت حذرك من عدوك إبليس حقًا؟ كم مرة استعذت بالله منه اليوم؟ هل تشعر بخطورته، أم أنك تعيش في غفلة عن مكائده؟
. هل أنت من عباد الله المخلصين؟ ما هو الدليل على إخلاصك؟ هل ترائي في عبادتك؟ هل تحب المدح والثناء؟
. هل صدقت أن جهنم ستمتلئ من أتباع إبليس؟ إذا كنت صادقًا، فلماذا لا تخاف على نفسك أن تكون منهم؟ ماذا فعلت اليوم لتنجو من هذا المصير؟
. كيف تستقبل القرآن بعد اليوم؟ هل ستظل تقرؤه كأي كتاب، أم ستستقبله كـ"ذكر للعالمين" يخاطبك أنت؟

اخرج من هذه الرحلة الطويلة في رحاب سورة "ص" وقد تجدد إيمانك، واشتد عزمك على طاعة الله ، واجتناب طريق الشيطان. تذكر أن هذا القرآن "ذكر للعالمين"، فاجعله رفيق دربك، ونور قلبك. وتذكر أنك "ستعلم نبأه بعد حين". فاجعل علمك به اليوم إيمانًا وعملا ً، قبل أن يكون غدًا حسرة وندامة.
اللهم اجعلنا من عبادك المخلصين، ونجنا من كيد الشياطين، وأدخلنا برحمتك في جنات النعيم

.اسال الله العظيم أن ينفعنا بما فى هذا الكتاب كما اساله تعالى أن يجزى الاستاذ منير عبده عثمان الصلوى خير الجزاء على ما بذله من جهد فى مراجعه الكتاب فنيا ولغويا وموضوعيا لإخراجه بهذا الشكل حيث كان منه المراجعه والتدقيق لجميع الجوانب اسال الله ان يجعل ذلك فى ميزان حسناته
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامرى

بسم الله الرحمن الرحيم
المراجع والمصادر المعتمدة في التحليل التفسيري لسورة ص

أولا ً: مراجع التفسير والمصادر التراثية

أ- التفاسير بالمأثور) التفسير النقلي(

.1جامع البيان عن تأويل آي القرآن – الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري) ت310 ه-(
· الاعتماد: في تفسير الألفاظ اللغوية، وجمع أقوال السلف من الصحابة والتابعين، وبيان أسباب النزول.
.2تفسير القرآن العظيم – الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي) ت774 ه-(
· الاعتماد: في تفسير القرآن بالقرآن، وتخريج الأحاديث النبوية، وعرض الإسرائيليات مع النقد و التمحيص.
.3الدر المنثور في التفسير بالمأثور – الإمام جلال الدين السيوطي) ت911 ه-(
· الاعتماد: في جمع الروايات التفسيرية المرفوعة والموقوفة، خاصة في قصة داود عليه السلام.
.4معالم التنزيل) تفسير البغوي (– الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي) ت516 ه-(
· الاعتماد: في الجمع بين التفسير بالمأثور والمعنى، وهو تفسير متوسط سهل العبارة.

ب- التفاسير اللغوية والبلاغية

.1الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل – الإمام جار الله الزمخشري) ت538 ه-(
· الاعتماد: في التحليل البلاغي والنحوي، وبيان أوجه الإعجاز البياني في الآيات، مع التحفظ في مسائل الاعتزال.
.2مفاتيح الغيب) التفسير الكبير (– الإمام فخر الدين الرازي) ت606 ه-(
· الاعتماد: في الاستدلالات العقلية والفلسفية، وربط الآيات بمسائل الحكمة والعدل الإلهي، ومناقشة الشبهات.
.3روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – العلامة شهاب الدين الآلوسي) ت1270 ه-(
· الاعتماد: في الجمع بين أقوال المفسرين السابقين، والتحليل اللغوي الدقيق، والمناقشات البلاغية العميقة.
.4البحر المحيط – الإمام أبو حيان الأندلسي) ت745 ه-(
· الاعتماد: في التحليل النحوي والإعرابي الدقيق، وبيان وجوه القراءات وأثرها في المعنى.

ج- التفاسير الفقهية والأحكام

.1الجامع لأحكام القرآن) تفسير القرطبي (– الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي) ت671 ه-(
· الاعتماد: في استنباط الأحكام الفقهية من آيات الأحكام، كآيات القضاء والعدل والحكم.
.2أحكام القرآن – الإمام أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص) ت370 ه-(
· الاعتماد: في تفصيل الأحكام الفقهية المتعلقة بالقضاء والخصومات.

ثانيا: مراجع التفسير الحديثة والمعاصرة

.1التحرير والتنوير – العلامة محمد الطاهر بن عاشور) ت1393 ه-/1973م(
· الاعتماد: مرجع رئيس في التحليل؛ لجمع هذا التفسير بين التحليل اللغوي والبلاغي العميق، و المقاصد الشرعية، والنظر الاجتماعي والحضاري .وقد استفدت منه في بيان دلالات الألفاظ، وبيان المناسبات بين الآيات، واستخراج الحكم التربوية والاجتماعية.
.2في ظلال القرآن – الأستاذ سيد قطب) ت1386 ه-/1966م(
· الاعتماد: في الجانب التربوي والوجداني، والتصوير الفني للمشاهد القرآنية، والربط بين الآيات وواقع الحياة المعاصرة.
.3تفسير المنار – الشيخ محمد رشيد رضا) ت1354 ه-/1935م(
· الاعتماد: في بيان الحكم التشريعية، والرد على الشبهات المعاصرة، والربط بين القرآن وسنن الله في الاجتماع.
.4تفسير السعدي) تيسير الكريم الرحمن (– العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي) ت1376 ه-/1956 م(
· الاعتماد: في إيضاح المعاني بأسلوب سهل ميسر، وربط الآيات بالفوائد التربوية والعملية.

.5أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – العلامة محمد الأمين الشنقيطي) ت1393 ه-/1973م(
· الاعتماد: في تفسير القرآن بالقرآن، وبيان دلالات الألفاظ من خلال ورودها في مواضع أخرى.
.6التفسير الوسيط – الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوي) ت1431 ه-/2010م(
· الاعتماد: في التفسير الوسطي الذي يجمع بين الأصالة والمعاصرة.
.7صفوة التفاسير – الشيخ محمد علي الصابوني
· الاعتماد: في تلخيص أقوال المفسرين وتقريبها.

ثالثاً: المراجع اللغوية والمعاجم

.1لسان العرب – العلامة ابن منظور) ت711 ه-(
· الاعتماد: في بيان المعاني اللغوية الأصلية للألفاظ، واشتقاقاتها، واستعمالاتها عند العرب.
.2مفردات ألفاظ القرآن – العلامة الراغب الأصفهاني) ت502 ه-(
· الاعتماد: مرجع أساسي في بيان دلالات الألفاظ القرآنية والفروق الدقيقة بينها، مثل:) الأيد(،) الأواب(،) الزلفى(،) الخلطاء(،) التدبر.(
.3معجم مقاييس اللغة – الإمام أحمد بن فارس) ت395 ه-(
· الاعتماد: في بيان أصول الكلمات وجذورها اللغوية.
.4القاموس المحيط – العلامة الفيروزآبادي) ت817 ه-(
· الاعتماد: مرجع إضافي في بيان معاني المفردات.
.5المعجم الوسيط – مجمع اللغة العربية بالقاهرة
· الاعتماد: في بيان المعاني المعاصرة للألفاظ وتيسير الوصول إليها.

رابعاً: المراجع البلاغية والبيانية

.1التحرير والتنوير – ابن عاشور) مذكور سابقاً(
· الاعتماد: مرجع رئيس في التحليل البلاغي، وبيان أسرار النظم، ودلالات التقديم والتأخير، وأساليب القصر والحصر.
.2دلائل الإعجاز – الإمام عبد القاهر الجرجاني) ت471 ه-(
· الاعتماد: في بيان نظرية النظم، وأسرار الإعجاز البياني في ترتيب الكلمات واختيار الألفاظ.
.3أسرار البلاغة – الإمام عبد القاهر الجرجاني) ت471 ه-(
· الاعتماد: في بيان المجاز والاستعارة والكناية وأوجه البلاغة الأخرى.
.4البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية – د .محمد محمد أبو موسى
· الاعتماد: في تحليل الأساليب البلاغية المعاصرة.
.5التصوير الفني في القرآن – الأستاذ سيد قطب
· الاعتماد: في بيان التصوير الفني للمشاهد القرآنية، والتناسق بين الصورة والمعنى.
.6من أسرار التعبير في القرآن – د .فاضل صالح السامرائي
· الاعتماد: في التحليل اللغوي والبياني الدقيق، وبيان الفروق بين التعبيرات المتشابهة.
.7لمسات بيانية في نصوص من التنزيل – د .فاضل صالح السامرائي
· الاعتماد: مرجع مساعد في التحليل البياني.

خامساً: مراجع التفسير الموضوعي

.1التفسير الموضوعي للقرآن الكريم – د .محمد محمود حجازي
· الاعتماد: في فهم الوحدة الموضوعية للسورة، وربط الآيات بعضها ببعض.
.2الموسوعة القرآنية: التفسير الموضوعي – د .إبراهيم بن محمد الدوسري
· الاعتماد: في بيان الموضوعات الكلية التي تعالجها السورة.
.3التفسير الموضوعي بين النظرية والتطبيق – د .صلاح عبد الفتاح الخالدي
· الاعتماد: في منهجية التفسير الموضوعي.
4
· "موسوعة التفسير الموضوعي": وهي أول موسوعة علمية محكمة لدراسة موضوعات القرآن الكريم.
5/ · "نظم الدرر في تناسب الآيات والسور" للبقاعي: من أبرز الكتب التي تعنى ببيان أوجه التناسب بين الآيات والسور، وهو علم مهم في التفسير الموضوعي.

سادساً: مراجع التزكية والتربية الإسلامية

.1مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين – الإمام ابن قيم الجوزية) ت751 ه-(

· الاعتماد: مرجع رئيس في تحليل معاني التوبة والإنابة) الأوبة(، وبيان منازل العبودية .وقد استفدت منه بشكل خاص في تحليل قصة داود عليه السلام وتوبته.
.2إحياء علوم الدين – الإمام أبو حامد الغزالي) ت505 ه-(
· الاعتماد: في الجانب التربوي والروحي، وبيان آفات النفس كالكبر والعجب والرياء.
.3رياض الصالحين – الإمام النووي) ت676 ه-(
· الاعتماد: في الاستشهاد بالأحاديث النبوية المتعلقة بالصبر والتوبة والتقوى.
.4منهج التربية الإسلامية – الأستاذ محمد قطب
· الاعتماد: في بيان أسس التربية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم، وكيفية تطبيقها في بناء الفرد والمجتمع.
.5التربية الإسلامية: أصولها وتطبيقاتها – د .عبد الرحمن النحلاوي
· الاعتماد: في استخراج الدروس التربوية من الآيات، وبيان أساليب التربية القرآنية.
ثالثًا: مصادر التزكية والتربية وعلم النفس وبناء الذات

6· علم النفس والتنمية البشرية الإسلامية:
· "إسهام علم النفس في خدمة مقاصد الشريعة الإسلامية" للدكتور سعيد الشوية.
7· "علم النفس في التراث الإسلامي": وهو كتاب جماعي يسلط الضوء على إسهامات علماء المسلمين في هذا المجال.
8 · "جدد حياتك" و "استمتع بحياتك" للشيخ محمد العريفي، وغيرهما من الكتب المعاصرة التي تمزج بين الروحانيات والتنمية البشرية بأسلوب عصري.

سابعاً: مراجع علم النفس التربوي

.1الذكاء العاطفي – دانيال جولمان) ترجمة د .ليلى الجبالي(
· الاعتماد: في تحليل الجوانب النفسية كضبط النفس، والصبر على الإساءة، وإدارة الانفعالات، و الربط بينها وبين توجيهات القرآن.
.2علم النفس التربوي – د .فؤاد أبو حطب، د .آمال صادق
· الاعتماد: في بيان مبادئ التعلم والتربية، وربطها بمنهجية التدبر والتذكر.
.3سيكولوجية الجماهير – جوستاف لوبون) ترجمة د .هاشم صالح(
· الاعتماد: في تحليل ظاهرة) الأحزاب (و)الملأ(، وبيان سيكولوجية الجماعة وضغط القطيع.
.4الإنسان وعلم النفس – د .عبد الستار إبراهيم
· الاعتماد: في فهم الدوافع النفسية للسلوك الإنساني، وربطها بتحليل دوافع الكافرين والمعاندين.
.5علم النفس في القرآن – د .محمد عثمان نجاتي
· الاعتماد: في بيان المنظور القرآني للنفس الإنسانية ودوافعها وانفعالاتها.

ثامناً: مراجع التنمية البشرية وبناء الذات

.1العادات السبع للناس الأكثر فعالية – ستيفن كوفي) ترجمة د .هشام عبد الله(
· الاعتماد: في تحليل مفاهيم الإدارة الذاتية، والمبادرة، والصبر الإيجابي، وربطها بالتوجيهات القرآنية.
.2القيادة الإدارية – د .أحمد ماهر
· الاعتماد: في تحليل أبعاد القيادة والحكم، وربطها بدستور القيادة في آية) يا داود إنا جعلناك خليفة.(
.3إدارة الوقت – د .طارق سويدان
· الاعتماد: في بيان كيفية تطبيق مبادئ التدبر والتذكر في تنظيم الوقت واستثماره.
.4من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي؟ – سبنسر جونسون
· الاعتماد: في تحليل مفهوم التغيير والتكيف، وربطه بالتحذير من الجمود على الموروث) ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة.(

تاسعاً: مراجع الإعجاز العلمي والسنن الكونية

.1الإعجاز العلمي في القرآن – د .زغلول النجار
· الاعتماد: في بيان أوجه الإعجاز العلمي المتعلقة بالآيات الكونية) السماء والأرض وما بينهما.(
.2السنن الإلهية في الأمم والجماعات – د .محمد أحمد الراشد
· الاعتماد: في تحليل السنن الاجتماعية والتاريخية، وبيان كيفية تطبيقها على واقع الأمة.

.3التفسير العلمي للقرآن – د .عبد المجيد الزنداني
· الاعتماد: في بيان أوجه الإعجاز العلمي في الآيات الكونية.
4 · "دلائل الإعجاز" لعبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ): الكتاب الذي أسس لعلم المعاني، وأوضح أن ا لإعجاز كامن في النظم والتركيب، وليس في الألفاظ المفردة.
·

عاشرا: مراجع بناء الإنسان وبناء الحضارة

.1شروط النهضة – مالك بن نبي
· الاعتماد: مرجع رئيس في تحليل أبعاد بناء الحضارة، وفهم أسباب النهوض والسقوط، وربطها بسنن الله في إهلاك الأمم) الأحزاب.(
.2مشكلة الثقافة – مالك بن نبي
· الاعتماد: في تحليل مفهوم) الملة الآخرة (والجمود الثقافي.
.3الإسلام بين الشرق والغرب – علي عزت بيغوفيتش
· الاعتماد: في بيان التوازن الحضاري بين المادة والروح، وربطه بمعادلة) الأيد (و)الأواب.(
.4الحضارة الإسلامية: أسسها ووسائلها – د .مصطفى السباعي
· الاعتماد: في بيان أسس الحضارة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة.
.5فقه التمكين في القرآن الكريم – د .علي محمد الصلابي
· الاعتماد: في تحليل آيات التمكين والاستخلاف، وربطها بقصة داود عليه السلام.
.6السيرة النبوية – د .علي محمد الصلابي
· الاعتماد: في ربط أحداث السيرة بآيات القرآن، والاستفادة من مواقف النبي صلى الله عليه وسلم في الصبر والدعوة.
.7الرحيق المختوم – الشيخ صفي الرحمن المباركفوري
· الاعتماد: مرجع رئيس في السيرة النبوية.
.8فقه السيرة – الشيخ محمد الغزالي
· الاعتماد: في استنباط الدروس التربوية والعملية من السيرة النبوية.
.9هذا الحبيب يا محب – الشيخ أبو بكر جابر الجزائري
· الاعتماد: في الجانب الوجداني من السيرة.
الحديث النبوي:
· الكتب الستة: وهي صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه. وهي أمهات كتب السنة وأصحها.
· السيرة النبوية:
· "السيرة النبوية" لابن هشام (ت 218هـ): من أوثق مصادر السيرة وأقدمها.
· "الرحيق المختوم" لصفي الرحمن المباركفوري: كتاب معاصر متميز، حاز على جوائز، ويتميز بسهولة أسلوبه وتحليله العميق لأحداث السيرة.
· الفقه وأصول الفقه:
· "المستصفى" للإمام الغزالي (ت 505هـ): من أهم كتب أصول الفقه عند الشافعية.
· "البحر المحيط" للزركشي (ت 794هـ): موسوعة أصولية ضخمة.
: مصادر الفكر والحضارة الإسلامية

· تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي للدكتور أبو زيد شلبي.
· "موسوعة الحضارة الإسلامية" لأحمد شلبي.
· "المنظور الإسلامي للتنمية البشرية" لأسامة العاني، وهو من إصدارات مركز الإمارات للدراسات و البحوث الاستراتيجية.

حادي عشر: مراجع الفقه وأصوله

.1الموسوعة الفقهية الكويتية – وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الكويت
· الاعتماد: في تحرير المصطلحات الفقهية، وبيان الأحكام المتعلقة بالقضاء والشهادة والخصومات.
.2الفقه الإسلامي وأدلته – د .وهبة الزحيلي
· الاعتماد: في بيان الأحكام الفقهية المتعلقة بآيات الأحكام.
.3أصول الفقه – الشيخ محمد أبو زهرة
· الاعتماد: في بيان مناهج الاستنباط من النصوص الشرعية.

ثاني عشر: مراجع القصص القرآني

1.قصص الأنبياء – الإمام عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي
· الاعتماد: مرجع رئيس في قصة داود عليه السلام، وبيان تفاصيلها، مع نقد الإسرائيليات.
2.قصص القرآن – د .صلاح عبد الفتاح الخالدي
· الاعتماد: في تحليل أبعاد القصص القرآني التربوية والدعوية.
3.النبوة والأنبياء – د .محمد علي الصابوني
· الاعتماد: في بيان سير الأنبياء ودروسها.

ثالث عشر: مراجع السنن الإلهية

1.سنن الله في الأمم – د .سعيد حوى
· الاعتماد: في تحليل السنن الاجتماعية والتاريخية التي تحكم صعود الأمم وسقوطها.
2.فقه السنن الربانية – د .عبد الكريم زيدان
· الاعتماد: في بيان السنن الإلهية الثابتة وربطها بواقع الأمة.
4السنن الإلهية محمد أحمد الراشد
5/السيرة النبوية الصلابي، المباركفوري، الغزالي
🔵

رابع عشر: المواقع الإلكترونية والموسوعات الرقمية

1.المكتبة الشاملة(shamela.ws)
· الاعتماد: مصدر رئيس للوصول إلى كتب التراث والتفسير واللغة بصيغتها الأصلية.
2.موقع القرآن الكريم) جامعة الملك سعود(quran.ksu.edu.sa) (
· الاعتماد: في تلاوة الآيات والرجوع إلى التفاسير المعتمدة.
3.موقع إسلام ويب(islamweb.net)
· الاعتماد: في الموسوعة الفقهية، والفتاوى، والتفاسير.
4.موقع الدرر السنية(dorar.net)
· الاعتماد: في تخريج الأحاديث النبوية والتأكد من صحتها.
5.موقع الألوكة(alukah.net)
· الاعتماد: في المقالات التربوية والعلمية المتخصصة.
6.موقع شبكة الفكر(alfikr.net)
· الاعتماد: في الكتب الفكرية والحضارية.

خامس عشر: ملاحظات منهجية حول كيفية الاعتماد على هذه المراجع

1.التكامل بين المراجع: لم أعتمد على مرجع واحد في أي جانب من جوانب التحليل، بل جمعت بين المراجع التراثية والمعاصرة، وبين التفسيرية واللغوية والتربوية، لتقديم تحليل متكامل يغطي جميع الأ بعاد.
2.النقد والتمحيص: في المسائل الخلافية) مثل تفاصيل قصة داود عليه السلام(، اعتمدت على منهج المحققين من المفسرين) كابن كثير وابن عاشور (في نقد الإسرائيليات والروايات الضعيفة، وتقديم ما يوافق ظاهر القرآن.
3.الربط بين التفسير والواقع: استفدت من المراجع التربوية والنفسية والحضارية في ربط معاني الآ يات بواقع الحياة المعاصرة، وهذا هو ما يميز التحليل الذي قدمته.
4.الأصالة والمعاصرة: حرصت على الجمع بين أصالة التراث التفسيري) الطبري، ابن كثير، القرطبي (ومعاصرة الفكر التربوي والحضاري) مالك بن نبي، سيد قطب، ابن عاشور.(
5.التحليل البياني: كان لمراجع البلاغة) عبد القاهر الجرجاني، ابن عاشور، فاضل السامرائي (دور كبير في استخراج اللمسات البيانية والبلاغية في كل آية.
المؤلف احمد عبد الرزاق مربوش العامري

.